

BOBST LIBRARY



3 1142 02824 3049

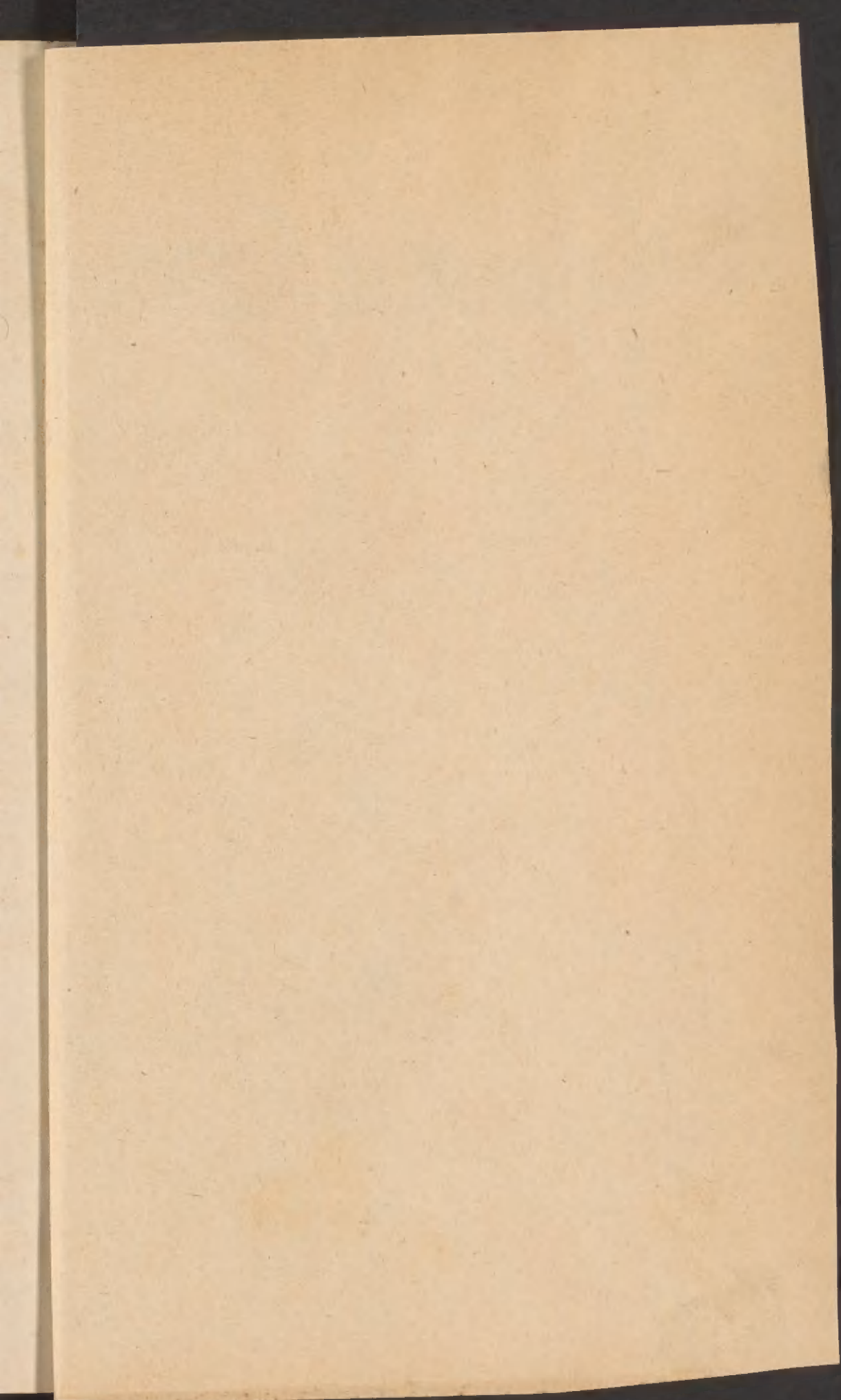
NEW YORK UNIVERSITY
Elmer Holmes Bobst
Library



Donated by
the Massoud Family
of Egypt and the United States
in honor of
YEHIA MASSOUD
and
MUHAMMAD MASSOUD
from whose library this book comes

DATE DUE

[illegible]



Ibn Qutaybah, 'Abd Allāh
ibn Muslim

دار الكتب المصرية

Kitāb 'uyūn al-akhbār

كتاب

عيون الأخبار

١٢٩٦

تأليف

أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري

المتوفى سنة ٢٧٦ هـ

المجلد الأول

كتاب السلطان — كتاب الحرب — كتاب السؤدد

٧٠١

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٣ هـ — ١٩٢٥ م

AE

2
.I 26

1925

v.1

c1

فهرست

المجلد الأول من كتاب عيون الأخبار

لابن قتيبة

صفحة	مقدمة الكتاب
(ط)	...

الجزء الأول - كتاب السلطان

١	محل السلطان وسيرته وسياسته
١٤	اختيار العمال
١٩	باب صحة السلطان وآدابها وتغير السلطان وتلقونه
٢٧	المشاورة والرأى
٣٤	الإصابة بالظن والرأى
٣٧	اتباع الهوى
٣٨	السروكتمان وإعلانه
٤٢	الكتاب والكتابة
٥٢	خيانة العمال
٦٠	القضاء

٦٨	في الشهادات
٧٢	باب الأحكام
٧٤	الظلم
٧٩	قولهم في الحبس
٨٢	الحجاب
٩٢	التلطف في مخاطبة السلطان وإلقاء النصيحة اليه
٩٢	الخفوت في طاعته
٩٣	التلطف في مدحه
٩٨	التلطف في مسئلة العفو

الجزء الثاني - كتاب الحرب

١٠٧	آداب الحرب ومكايدها
١٢٢	الأوقات التي تُختار للسفر والحرب
١٢٣	الدعاء عند اللقاء
١٢٤	الصبر وحض الناس يوم اللقاء عليه
١٢٧	ذكر الحرب
١٢٨	في العدة والسلاح
١٣٢	آداب الفروسة
١٣٤	المسير في الغزو والسفر

صفحة

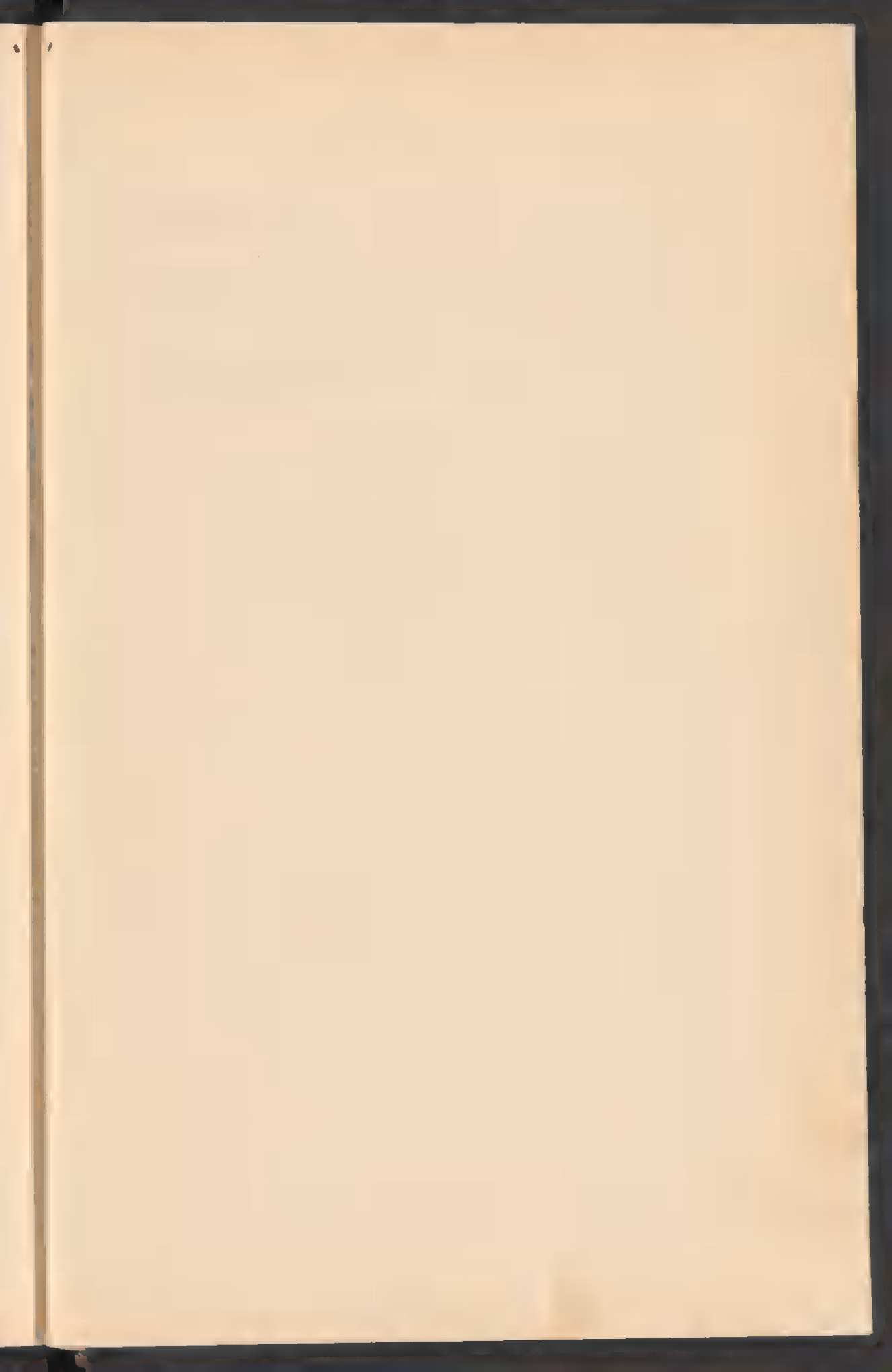
١٤٢	التفويض
١٤٤	في الطيرة والفأل
١٥١	مذاهب العجم في العيافة والاستدلال بها
١٥٣	باب في الخيل
١٦٠	باب البغال والحير
١٦١	باب في الإبل
١٦٣	أخبار الجبناء
١٧٢	باب من أخبار الشجعاء والفرسان وأشعارهم
١٩٤	باب الخيل في الحروب وغيرها
٢٠٤	باب من أخبار الدولة والمنصور والطالبيين
٢١٣	ذكر الأمصار

الجزء الثالث — كتاب السؤدد

٢٢٣	مخايل السؤدد وأسبابه ومخايل السوء
٢٢٧	الكمال والتناهي في السؤدد
٢٢٩	السيادة والكمال في الحداثة
٢٣١	الهمة والخطار بالنفس
٢٣٩	الشرف والسؤدد بالمال ودم الفقر والحض على الكسب
٢٤٦	دم الغنى ومدح الفقر

صفحة	
٢٤٩	التجارة والبيع والشراء
٢٥٤	الدين
٢٥٨	اختلاف الهمم والشهوات والأمانى
٢٦٤	التواضع
٢٦٩	باب الكبر والعجب
٢٧٥	باب مدح الرجل نفسه وغيره
٢٧٦	قول الممدوح عند المدحة
٢٧٨	باب الحياء
٢٧٩	باب العقل
٢٨٢	باب الحلم والغضب
٢٩١	باب العز والذل والهيبة
٢٩٥	باب المروءة
٢٩٦	باب اللباس
٣٠٢	التختم
٣٠٣	باب الطيب
٣٠٥	باب المجالس والجلساء والمحادثة
٣٠٩	باب الثقلاء
٣١١	باب البناء والمنازل

باب المزاح والرخص فيه	٣١٥
التوسط في الأشياء وما يكره من التقصير فيها والغلو (باب التوسط في الدين)	٣٢٥
باب التوسط في المداراة والحلم	٣٢٨
باب التوسط في العقل والرأى	٣٢٩
باب ذم فضل الأدب والقول	٣٣٠
باب التوسط في الحدة	٣٣١
باب الاقتصاد في الإنفاق والإعطاء	٣٣١
أفعال من أفعال السادة والأشراف	٣٣٢



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قال الامام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري رضى الله عنه : الحمد لله الذى يُعْجِزُ بِلَاؤِهِ صِفَةَ الْوَاصِفِينَ وَتَفُوتُ آلاؤُهُ عِدَدَ الْعَادِينَ وَتَسَعُ رَحْمَتُهُ ذُنُوبَ الْمُسْرِفِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَا تُحْجَبُ عَنْهُ دَعْوَةٌ وَلَا تُخَيَّبُ لَدَيْهِ طَلِبَةٌ وَلَا يَضِلُّ عَنْهُ سَعْيٌ ، الَّذِى رَضِىَ عَنْ عَظِيمِ النِّعَمِ بِقَلِيلِ الشُّكْرِ وَغَفَرَ بِعَقْدِ النَّدَمِ كَبِيرَ الذُّنُوبِ وَمَحَا بِتَوْبَةِ السَّاعَةِ خَطَايَا السَّنِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَبْتَعَثَ فِينَا الْبَشِيرَ النَّذِيرَ السَّرَاجَ الْمُنِيرَ هَادِيًا إِلَى رِضَاهُ وَدَاعِيًا إِلَى مَحَابَّتِهِ وَدَالًّا عَلَى سَبِيلِ جَنَّتِهِ فَفَتَحَ لَنَا بَابَ رَحْمَتِهِ وَأَغْلَقَ عَنَّا بَابَ سَخَطِهِ . صَلَّى اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ الْمُقَرَّبُونَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَبَدًا مَا طَمَّ بِحَجَرٍ وَذَرَّ شَارِقٍ وَعَلَى جَمِيعِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ .

أما بعد فإن لله فى كل نعمة أنعم بها حقًا وعلى كل بلاء أبلاه زكاة : فزكاة المال الصدقة ، وزكاة الشرف التواضع ، وزكاة الجاه بذله ، وزكاة العلم نشره ، وخير العلوم أنفعها ، وأنفعها أحدها مغبة ، وأحدها مغبة ما تُعَلَّمُ وَعُلِّمَ اللَّهُ وَأُرِيدَ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى . ونحن نسأل الله تعالى جل وعلا أن يجعلنا بما علمنا عاملين وبأحسنه آخذين ولوجهه الكريم بما نستفيد ونُفِيدُ مريدين ولحسن بلائه عندنا عارفين وبشكره آتاء الليل والنهار هارفين إنه أقرب المدعوين وأجود المسئولين .

وإني كنت تكلفت لمُغْفِلِ التَّادِبِ مِنَ الْكُتَّابِ كِتَابًا فى المعرفة وفى تقويم اللسان واليد حين تَبَيَّنَتْ شُمُولُ النِّقْصِ وَدُرُوسُ الْعِلْمِ وَشَغْلُ السُّلْطَانِ عَنْ إِقَامَةِ سُوقِ الْأَدَبِ

حتى عفا ودرّس ، بلغتْ به فيه همّة النفس وتلجّ الفؤاد وقيدتْ عليه به ما أطرق في الآلة^(١) ليوم الإدالة ، وشرطتْ عليه مع تعلّم ذلك تحفّظ عيون الحديث ليدخلها في تضاعيف سطورهِ^(٢) ممثلاً إذا كاتب ، ويستعين بما فيها من معنى لطيف ولفظ خفيف حسن إذا حاور . ولما تقلدت له القيام ببعض آله دعني الهمّة الى كفايته وخشيت إن وكنّته فيما بقي الى نفسه وعولتْ له على اختياره أن تستمرّ مريته على التهاون ويستوطئ مركبه من العجز فيضرب صفحا عن الآخر كما ضرب صفحا عن الأول ، أو يزاول ذلك بضعف من النية وكلال من الحّد فيلحقه خور الطباع وسامة الكلفة . فأكلت له ما ابتدأت وشيدت ما أسست وعملت له في ذلك عمل من طب لمن حبّ بل عمل الوالد الشفيق للولد البرّ ورضيت منه بعاجل الشكر وعولت على الله في الجزاء والأجر .

فان هذا الكتاب ، وإن لم يكن في القرآن والسنة وشرائع الدين وعلم الحلال والحرام ، دالّ على معالي الأمور ومرشد لكريم الأخلاق زاجر عن الدناءة ناه عن التبيح باعث على صواب التدبير وحسن التقدير ورفق السياسة وعمارة الأرض وليس الطريق الى الله واحدا ولا كل الخير مجتمعا في تهجد الليل وسرّد الصيام وعلم الحلال والحرام ، بل الطرق اليه كثيرة وأبواب الخير واسعة وصلاح الدين بصلاح الزمان . وصلاح الزمان بصلاح السلطان ، وصلاح السلطان بعد توفيق الله بالإرشاد وحسن التبصير .

وهذه عيون الأخبار نظمتمْها لمغفل التأدب تبصرة ولأهل العلم تذكرة ونسائس الناس وسوسهم مؤدبا ولللوكة مستراحا [من كدّ الحّد والتعب^(٣)] وصنفتها أبوابا وقرنت الباب بشكله والخبر بمثله والكلمة بأختها ليسهل على المتعلم علمها وعلى الدارس حفظها

(١) في النسخة الألمانية : « ما أضل من الآلة ليوم الإدالة » .

(٢) في النسخة الفتوغرافية : « النظر » . (٣) زيادة في النسخة الألمانية .

وعلى الناشد طلبها، وهى لَفَاح عقول العلماء وتَنَاج^(١) أفكار الحكماء وزبدة المَخْصُص
وحِلْيَةُ الأدب وأثمار طول النظر والمتخير من كلام البلغاء وفِطْنُ الشعراء وسير الملوك
وآثار السلف . جمعت لك منها ما جمعت فى هذا الكتاب لتأخذ نفسك بأحسنها
وتقومها بثقافتها وتخلصها من مساوى الأخلاق كما تخلص الفضة البيضاء من خبثها،
وتروضها على الأخذ بما فيها من سنة حسنة وسيرة قويمه وأدب كريم وخلق عظيم،
وتصل بها كلامك اذا حاورت وبلاغتك اذا كتبت . وتستنجح بها حاجتك اذا
سألت، وتتلفظ فى القول إن شفعت، وتخرج من اللوم بأحسن العذر اذا اعتذرت،
فإن الكلام مصايد القلوب والسحر الحلال، وتستعمل آدابها فى صحبة سلطانك
وتسديد ولايته ورفق سياسته وتدير حروبه . وتعمر بها مجلسك إذا جددت
وأهزلت وتوضح بأمثالها حججك وتبذل باعتبارها خصمك حتى يظهر الحق فى أحسن
صورة وتبلغ الإرادة بأخف مَثُونَةٍ، وتستولى على الأمد وأنت وادع^(٢) وتلحق الطريدة
ثانيا من عَنَانِكَ وتمشى رويدا وتكون أولا [هذا اذا كانت الغريزة مؤاتية والطبيعة
قابلة والحس متقادا ، فإن لم يكن كذلك ففى هذا الكتاب ، لمن أراه عقله نقص
نفسه فأحسن سياستها وستر بالأناة والروية عيبها ووضع من دواء هذا الكتاب على
داء غريزته وسقاها بمائه وقدر فيها بضائنه ، ما نغش منها العليل وشخذ الكليل
وبعث الوسنان وأيقظ المجاع حتى يقارب بعون الله رُتَبَ المطبوعين .

ولم أر صوابا أن يكون كتابى هذا وفقا على طالب الدنيا دون طالب الآخرة ولا على
خواص الناس دون عوامهم ولا على ملوكهم دون سُوَوقِهِمْ، فوقيت كل فريق منهم
قِسْمَهُ ووقرت عليه سهمه وأودعته طُرْفًا من محاسن كلام الزهاد فى الدنيا وذكر
بِفائِعِهَا والزوال والانتقال وما يتلاقون به اذا اجتمعوا ويتكاثرون به اذا افترقوا،

(١) فى النسخة الفتوغرافية : « وتناج » . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

في المواعظ والزهد والصبر والتقوى واليقين وأشباه ذلك لعل الله يعطف به صادقا،
ويأطر على التوبة متجانفا، ويردع ظالما ويلين برقائه قسوة القلوب . ولم أخله مع
ذلك من نادرة طريفة وفطنة لطيفة وكلمة مُعجبة وأخرى مضحكة لثلا يخرج عن
الكتاب مذهب سلكه السالكون وعروض أخذ فيها القائلون ، ولأروح بذلك عن
القارئ من كد الجِدَّة ^(١) وإتاعاب الحق فإن الأذن بحاجة وللنفس حمضة ^(٢)، والمزح إذا كان
حقا أو مقاربا ولأحايينه وأوقاته وأسباب أوجبه [مشاكلا] ليس من التيسيع ولا
من المنكر ولا من الجائر ولا من الصغائر إن شاء الله .

وسيتهي بك كتابنا هذا الى باب المزاح والفكاهة وما روى عن الأشراف والأئمة
فيهما ، فاذا مر بك أيها المترمُّت حديث تستخفه أو تستحسنه أو تعجب منه أو تضحك
له فأعرف المذهب فيه وما أردنا به .

وَأَعْلَمُ أَنَّكَ إِنْ كُنْتَ مُسْتَغْنِيَا عَنْهُ بِتَنَسُّكَ فَإِنَّ غَيْرَكَ مِنْ يَتَرَخَّصُ فِيهَا تَشَدَّدَتْ
فِيهِ مَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وَإِنَّ الْكِتَابَ لَمْ يُعْمَلْ لَكَ دُونَ غَيْرِكَ فِيهِمَا عَلَى ظَاهِرِ مَحَبَّتِكَ ،
وَلَوْ وَقَعَ فِيهِ تَوَقُّيُ الْمُرْتَمِّتِينَ لَذَهَبَ شَطْرُ بَهَائِهِ وَشَطْرُ مَائِهِ وَلَأَعْرَضَ عَنْهُ مَنْ أَحْبَبْنَا
أَنْ يَقْبَلَ إِلَيْهِ مَعَكَ .

وإِنَّمَا مِثْلُ هَذَا الْكِتَابِ مِثْلُ الْمَائِدَةِ تَخْتَلِفُ فِيهَا مَذَاقَاتُ الطُّعُومِ لِاخْتِلَافِ
شَهَوَاتِ الْآكَلِينَ ، وَإِذَا مَرَّ بِكَ حَدِيثٌ فِيهِ إِفْصَاحٌ بِذِكْرِ عَوْرَةٍ أَوْ فَرْجٍ أَوْ وَصْفِ
فَاحِشَةٍ فَلَا يَحْتَلِكُ الْخُشُوعُ أَوْ التَّخَاشُعُ عَلَى أَنْ تُصْعَرَ خَدُّكَ وَتُعْرَضَ بِوَجْهِكَ فَإِنَّ
أَسْمَاءَ الْأَعْضَاءِ لَا تَوْثَمُ وَإِنَّمَا الْمَائِمُ فِي شَتَمِ الْأَعْرَاضِ وَقَوْلِ الزُّورِ وَالْكَذْبِ وَأَكْلِ
لَحْمِ النَّاسِ بِالْغَيْبِ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "مَنْ تَعَزَّى بَعَزَاءَ الْجَاهِلِيَّةِ

(١) في النسخة الفتوغرافية «الجهد» . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

فَأَعِضُّوه بَيْنَ أَبِيهِ وَلَا تَكُنُوا». وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لبديل بن ورقاء،
— حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إن هؤلاء لو قد مسحهم حُرُّ السلاح لأساموك — :
«اعْضُضْ بِيْظِرِ الْأَلَاتِ، أَنَحْنُ نُسَلِّمُهُ!» . وقال علي بن أبي طالب صلوات
الله عليه: «مَنْ يَظُلُّ أَيْرُ أَبِيهِ يَنْتَقِ بِه» . وقال الشاعر في هذا المعنى بعينه

فلو شاء ربِّي كان أير أبيكم * طويلا كأير الحارث بن سدوس

قال الأصمعي: كان للحارث بن سدوس أحد وعشرون ذكرا، وقيل للشَّعْبِي: إن
هذا لا يجيء في القياس، فقال: أير في القياس، الولد ذكرٌ . وليس هذا من شكل
ما تراه في شعر جرير والفرزدق لأن ذلك تعبير وأَبْتَهَارٌ في الأخوات والأمهات وقَدْفٌ
للحصنات الغافلات، فتفهَّم الأمرين وأفرق بين الحسنين، ولم أترخص لك في إرسال
اللسان بِالرَّقْتِ على أن تجعله هَجِيرًا لك على كل حال وديدتك في كل مقال، بل الترخص
مَنى فيه عند حكاية تحكيها أو رواية ترويها . تنقصها الكناية ويذهب بحلاوتها
التعريض، وأحببت أن تجرى في القليل من هذا على عادة السلف الصالح في إرسال
النفس على السجية والرغبة بها عن لبسة الرياء والتصنع . ولا تستشعر أن القوم قارفوا
وتزهدت وثلموا أديانهم وتوزعت . وكذلك اللحن إن مر بك في حديث من النوادر
فلا يذهبن عليك أنا تعمدهناه وأردنا منك أن تتعمده لأن الإعراب ربما سلب بعض
الحديث حسنه وشاطر النادرة حلاوتها، وسأمثل لك مثالا: قيل لمزيد المديني — وقد
أكل طعاما كظله — في فقال: ما أقي، أقي نقًا ولحم جدى! مرتى طالق لو وجدت

(١) كذا بالأصل ولسان العرب معزوا إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وورد في مجمع الأمثال لليداني
«مَنْ يَظُلُّ هُنَّ أَبِيهِ يَنْتَقِ بِه» . (٢) في النسخة الألمانية «ودينك» .

(٣) ورد في النسخة المطبوعة بألمانيا هكذا (لمزيد) وكذلك ورد في الأغاني ج ١٣ ص ١١٧ من
غير ضبط وورد في كتاب البغلاء للمحافظ المطبوع بأوروبا ص ٩ هكذا (مزيد) . وورد في الأصل
الفتوغرافي الذي بين أيدينا هكذا (للزيد) . وفي تاج العروس في مادة (زيد) : ومزيد كمحدث اسم رجل
صاحب النوادر وضبط كمعظم ووجد بخط الذهبي ساكن الزاي مكسور الموحدة .

هذا قياً لأكلته . ألا ترى أن هذه الألفاظ لو وقّيت بالإعراب والهمز حقوقها
لذهبت ظلالها ولا شبعها سامعها وكان أحسن أحوالها أن يكافئ لطف معناها
ثقل ألفاظها فيكون مثل المخبر عنها ما قال الأول

اضرب ندى طلحة الخيرات إن غفروا * يخل أشعث واستثبت وكن حكماً
تخرج خراعة من لوم ومن كرم * فلا تعد لها لوما ولا كرمًا
ولمثل هذا قال مالك بن أسماء في جارية له

أغطى منى على بصرى للحب أم أنت أكل الناس حسنا
وحديث الله هو مما * يشتهي الناعتون يوزن وزنا
منطق بارع وتلحن أحياناً * نا وأحلى الحديث ما كان لنا^(١)

وإن مرّ بك خبر أو شعر يتّضع عن قدر الكتاب وما بُنى عليه فاعلم أن لذلك
سببين : أحدهما قلة ما جاء في ذلك المعنى مع الحاجة إليه ، والسبب الآخر أن
الحسن إذا وُصل بمثله نقص نوراهما ولم يتيّن فاضل بمفضول . وإذا وُصل بما هو
دونه أراك نقصان أحدهما من الآخر الرجحان ، ومدار الأمر وقوأمه على واحدة
تحتاج إلى أن تأخذ نفسك بها وهي أن تُحضر الكلمة موضعها وتصلها بسببها
ولا ترى غيباً أن يتكلم الناس وأنت ممسك ، فإذا رأيت حالاً تشاكل ما حضرك
من القول أحضرته وفرصة تخاف فوتها اتهمتها ، وكان يقال : اتهمزوا فرص القول فان
للقول ساعات يضرّ فيها الخطأ ولا ينفع فيها الصواب ، وقالوا : ربّ كلمة تقول : دعني .

(١) قال أبو بكر بن دريد : يريد أنها تعوض في حديثها قتر يله عن جهته ثلثا يفهمه الحاضرون ، ثم قال
« وخير الحديث ما كان لنا » أي خير الحديث ما فهمه صاحبك الذي تحب إفهامه وحده وخفى على غيره اه
تقلا عن أمالي القالي . وقيل تلحن أحياناً أي تخطئ في الإعراب ، وذلك أنه يستملح من الجوارى ذلك إذا
كان خفيفاً ويستثقل منه لزوم حاق الإعراب ، وهذا المعنى الأخير أورده صاحب اللسان وسباق الكلام
يأتلف معه . ولعله غنى بالحن في المصراع الأول الخطأ في الإعراب وبالحن في المصراع الثاني المعنى الذي
ذهب إليه ابن دريد أو الحن بمعنى التوقيع . (٢) في النسخة الفتوغرافية : « نوارها » .

وإن وقفت على باب من أبواب هذا الكتاب لم تره مُشبعاً فلا تقض علينا بالإغفال حتى تتصفح الكتب كلها، فإنه ربّ معنى يكون له موضعان وثلاثة مواضع فنقسم ما جاء فيه على مواضعه، كاللطف في القول يقع في كتاب السلطان ويقع في كتاب الحوائج ويقع في باب البيان، وكالاعتذار يقع في كتاب السلطان وفي كتاب الاخوان، وكالبخل يقع في كتاب الطبائع وفي كتاب الطعام، وكالكبر والمشيب يقع في كتاب الزهد ويقع في كتاب النساء .

واعلم أننا لم نزل نتلّط هذه الأحاديث في الحداثة والاكتحال عن هو فوقنا في السن والمعرفة وعن جلسائنا وإخواننا ومن كتب الأعاجم وسيرهم وبلاغات الكتاب في فصول من كتبهم وعمّن هو دوننا غير مستنكفين أن نأخذ عن الحديث سنّاً لحداثته ولا عن الصغير قدراً لحساسته ولا عن الأمة الوُكُءاء لجهلها فضلاً عن غيرها، فإن العلم ضالّة المؤمن من حيث أخذه نفعه، ولن يُزرى بالحق أن تسمعه من المشركين ولا بالنصيحة أن تُستنبط من الكاشحين، ولا تضرير الحسنة أظارها ولا بنات الأصداف أصدافها ولا الذهب الإبريز مخرجه من كجا . ومن ترك أخذ الحسن من موضعه^(*) أضاع الفرصة، والفرص تمرّ مرة السحاب .

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا أبو داود عن سليمان بن معاذ عن سمالك عن عكرمة عن ابن عباس قال : « خذوا الحكمة ممن سمعتموها منه، فإنه قد يقول الحكمة غير الحكيم وتكون الرمية من غير الرامي » . وهذا يكون في مثل كتابنا لأنه في آداب ومحاسن أقوام ومقايح أقوام والحسن لا يلبس بالقبيح ولا يخفى على من سمعه من حيث كان . فأما علم الدين والحلال والحرام فأنما هو استعباد وتقليد ولا يجوز أن تأخذه

(*) في النسخة الألمانية : "لموضعه"، وربما عيه السياق .

إلا عمن تراه لك حجة ولا تقدح في صدرك منه الشكوك، وكذلك مذهبنا فيما نختاره من كلام المتأخرين وأشعار المحدثين إذا كان متخير اللفظ لطيف المعنى لم يُزِرْ به عندنا تأخر قائله كما أنه إذا كان بخلاف ذلك لم يرفعه تقدّمه فكل قديم حديث في عصره وكل شرف فأوله خارجي^(*)، ومن شأن عوام الناس رفع المعدوم ووضع الموجود ورفض المبذول وحب الممنوع وتعظيم المتقدم وغفران زلته وبخس المتأخر والتجني عليه، والعامل منهم ينظر بعين العدل لا بعين الرضا ويزن الأمور بالقسطاس المستقيم .

وإني حين قسّمت هذه الأخبار والأشعار وصنفتها وجدتها على اختلاف فنونها وكثرة عدد أبوابها تجتمع في عشرة كتب بعد الذي رأيت إفراده عنها وهو أربعة كتب متميزة، كل كتاب منها مفرد على حدته، كتاب الشراب، وكتاب المعارف، وكتاب الشعر، وكتاب تأويل الرؤيا .

فالكتاب الأول من الكتب العشرة المجموعة "كتاب السلطان" وفيه الأخبار عن محل السلطان واختلاف أحواله وعن سيرته وعما يحتاج صاحبه إلى استعماله من الآداب في صحبته وفي مخاطبته ومعاملته ومشاورته له وما يجب على السلطان أن يأخذ به في اختيار عمّاله وقضاياه ومُجّابه وكتّابه وعلى الحكام أن يمتثلوه في أحكامهم وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب الثاني "كتاب الحرب" وهذا الكتاب مشا كل لكتاب السلطان فضممته إليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن آداب الحرب ومكائدها ووصايا الجيوش

(*) في اللسان «الخارجي» الذي يخرج ويشرف بنفسه من غير أن يكون له قديم .

وعن العدد والسلاح والكرّاع وما جاء في السفر والمسير والطّيرة والقّال وما يؤمر به
الغزاة والمسافرون ، وأخبار الجبناء والشجعاء وحيل الحرب وغيرها وشيء من أخبار
الدولة والطلبيين وأخبار الأمصار وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة
لتلك الأخبار .

- وَالْكِتَابُ الثَّالِثُ "كِتَابُ السُّؤْدُدِ" وَفِيهِ الْأَخْبَارُ عَنْ مَحَايِلِ السُّؤْدُدِ فِي الْحَدَثِ ٥
وَأَسْبَابِهِ فِي الْكِبَرِ وَعَنِ الْهَمَةِ السَّامِيَةِ وَالْحِطَّارِ بِالنَّفْسِ لَطْلُبِ الْمَعَالَى وَاخْتِلَافِ
الْإِرَادَاتِ وَالْأَمَانِيِّ وَالتَّوَاضُعِ وَالْكِبَرِ وَالْعَجَبِ وَالْحَيَاءِ وَالْعَقْلِ وَالْحِلْمِ وَالْغَضَبِ وَالْعِزِّ
وَالْهَيْبَةِ وَالذَّلِّ وَالْمَرْوَةِ وَاللِّبَاسِ وَالطَّيِّبِ وَالْمُجَالَسَةِ وَالْمُحَادَثَةَ وَالْبِنَاءَ وَالْمِزَاجَ وَتَرْكَ التَّصَنُّعِ
وَالْتَّوَسُّطِ فِي الْأَشْيَاءِ وَمَا يَكْرَهُ مِنَ الْغُلُوِّ وَالتَّقْصِيرِ وَالْيَسَارِ وَالْفَقْرَ وَالتَّجَارَةَ وَالتَّيْبَعَ وَالشِّرَاءَ
وَالْمُدَايَنَةَ وَالشَّرِيفَ مِنْ أَعْمَالِ الْأَشْرَافِ وَالسَّادَةَ وَمَا جَاءَ فِي ذَلِكَ مِنَ النُّوَادِرِ وَأَبْيَاتِ ١٠
الشَّعْرِ الْمَشَاكِلَةِ لِتِلْكَ الْأَخْبَارِ .

- وَالْكِتَابُ الرَّابِعُ "كِتَابُ الطَّبَائِعِ وَالْأَخْلَاقِ" وَهَذَا الْكِتَابُ مُقَارِبٌ لِكِتَابِ
السُّؤْدُدِ فَضَمَّمْتُهُ إِلَيْهِ وَجَعَلْتُهُمَا جُزْءًا وَاحِدًا وَفِيهِ الْأَخْبَارُ عَنْ تَشَابُهِ النَّاسِ فِي الطَّبَائِعِ وَذَمِّهِمْ
وَعَنِ مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ مِنَ الْحَسَدِ وَالْغِيْبَةِ وَالسَّعَايَةِ وَالْكَذْبِ وَالْقَحَّةِ وَسُوءِ الْخُلُقِ
وَسُوءِ الْجَوَازِ وَالسَّبَابِ وَالْبُخْلِ وَالْحَقِّ وَنَوَادِرِ الْحَقِّ وَطَبَائِعِ الْحَيَوَانِ مِنَ النَّاسِ وَالْجِنِّ ١٥
وَالْأَنْعَامِ وَالسَّبَاعِ وَالطَّيْرِ وَالْحَشَرَاتِ وَصُغَارِ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ وَمَا جَاءَ فِي ذَلِكَ مِنَ
النُّوَادِرِ وَأَبْيَاتِ الشَّعْرِ الْمَشَاكِلَةِ لِتِلْكَ الْأَخْبَارِ .

وَالْكِتَابُ الْخَامِسُ "كِتَابُ الْعِلْمِ" وَفِيهِ الْأَخْبَارُ عَنِ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْمُتَعَلِّمِينَ وَعَنِ
الْكِتَابِ وَالْحِفْظِ وَالْقِرَاءَةِ وَالْأَثَرِ وَالْكَلَامِ فِي الدِّينِ وَوَصَايَا الْمُؤَدِّينَ وَالْبَيَانِ وَالْبَلَاغَةِ

والتلطف في الجواب والكلام وحسن التعريض والخطب والمقامات وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب السادس "كتاب الزهد" وهذا الكتاب مقارب لكتاب العلم فضممته اليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن صفات الزهاد وكلامهم في الزهد والدعاء والبكاء والمناجاة وذكر الدنيا والتهجد والموت والكبر والشيب والصبر واليقين والشكر والاجتهاد والقناعة والرضا ومقامات الزهاد عند الخلق والملوك ومواعظهم وغير ذلك وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب السابع "كتاب الإخوان" وفيه الحث على اتخاذ الإخوان واختيارهم والأخبار عن المودة والمحبة وما يجب للصديق على صديقه ومخالفة الناس وحسن محاورتهم والتلاقي والزيارة والمعانقة والوداع والتهادى والعيادة والتعازي والتهاني وذكر شرار الإخوان وذكر القربات والولد والاعتذار وعتب الإخوان وتعاديهم وتباغضهم وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب الثامن "كتاب الحوائج" وهذا الكتاب مقارب لكتاب الإخوان فضممته اليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن استنجاح الحوائج بالكتمان والصبر والحد والمهذبة والرشوة ولطيف الكلام ومن يعتمد في الحاجة ومن يستسعى لها والإجابة الى الحاجة والرد عنها والمواعيد وتجزؤها وأحوال المسئولين عند السؤال في الطلاقة والعبوس والعادة من المعروف تُقَطَّع والشكر والثناء والتلطف فيهما والترغيب في قضاء الحوائج واصطناع المعروف والحرص والإلحاح والقناعة والاستعفاف وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

(١) في النسخة الفتوغرافية «المقالات» .

(٢) في الأصل الفتوغرافي «وعيب الإخوان ومفاويزهم وتعاديهم...» الخ .

والكتاب التاسع "كتاب الطعام"، وفيه الأخبار عن الأطعمة الطيبة والحلواء
والسويق واللبن والتمر والحبات منها التي يأكلها فقراء الأعراب، ونازلة الفقر وأدب
الأكل وذكر الجوع والصوم وأخبار الأكلة والمثومين والدعاء إلى المآذب والضيافة
وأخبار البخل بالطعام وسياسة الأبدان بما يصلحها من الغذاء والحمية وشرب الدواء
ومضار الأطعمة ومنافعها ومصالحها وتنف من طب العرب والعجم وما جاء في ذلك
من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب العاشر "كتاب النساء" وهذا الكتاب مقارب لكتاب الطعام، والعرب
تدعو الأكل والنكاح الأطيبين فنقول: قد ذهب منه الأطيبيان. تريدهما، فضممته
إليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن اختلاف النساء في أخلاقهن وخلقهن
وما يختار منهن للنكاح وما يكره واختلاف الرجال في ذلك والحسن والجمال والقبح
والدمامة والسواد والعاهات والعجز والمشايخ والمهور وخطب النكاح ووصايا الأولياء
عند الهداء وسياسة النساء ومعاشرتهن والدخول بهن والجماع والولادات ومساوئهن
خلا أخبار عشاق العرب فأتى رأيت كتاب الشعراء أولى بها فلم أودع هذا الكتاب
منها إلا شيئا يسيرا، وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك
الأخبار .

فهذه أبواب الكتب جمعتها لك في صدر أولها لأعفيك من كد الطلب وتعب
التصفح وطول النظر عند حدوث الحاجة إلى بعض ما أودعها ولتقصّد فيما تريد حين
تريد إلى موضعه فتستخرجه بعينه أو ما ينوب عنه ويكفيك منه، فإن هذه الأخبار
والأشعار وإن كانت عيونا مختارة أكثر من أن يحاط بها أو يوقف من ورائها
أو تنتهي حتى ينتهي عنها .

وقد خففتُ وإن كنتُ أكثرُ ، وأختصرتُ وإن كنتُ أطلتُ ، وتوقَّيتُ
في هذه النوادر والمضاحك ما يتوقَّاه مَنْ رضى من الغنيمة فيها بالسلامة وَمِنْ بَعْدِ
الشُّقَّةِ بِالْإِيَابِ ، ولم أجِدْ بُدًّا من مقدار ما أودعته الكتابَ منها لَتَمَّ به الأبوابُ ،
ونحنُ نَسألُ اللهَ أنْ يحوَّ بَعْضُ بَعْضًا ويغفرَ بِخَيْرٍ شَرًّا وَيَجِدَّ هَذَا ثُمَّ يَعودُ عَلَيْنَا بَعْدَ
ذلكَ بِفَضْلِهِ وَيَتَغَمَّدَنَا بِعَفْوِهِ وَيُعِيدَنَا بَعْدَ طَوِيلِ الْأَمَلِ فِيهِ وَحَسَنِ الظَّنِّ بِهِ وَالرَّجَاءِ لَهُ
من الخيبة والحُرمَانِ .

كتاب السلطان

محل السلطان وسيرته وسياسته

حدثنا محمد بن خالد بن خدّاش قال : حدثنا سلم بن قُتيبة عن ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ستحريصون على الإمارة ثم تكون حسرةً وندامة يوم القيامة فمنعمت المُرُضعةُ وبئست الفاطمة" .

حدثني محمد بن زياد الزبّادي قال حدثنا عبد العزيز الداروردي قال حدثنا شريك عن عطاء بن يسار أن رجلاً قال عند النبي صلى الله عليه وسلم : بئس الشيء الإمارة . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "نعم الشيء الإمارة لمن أخذها بحقّها وحلّها" .

حدثني زيد بن أنحزم الطائي قال حدثنا ابن قُتيبة^(*) قال حدثنا أبو المنهال عن عبد العزيز ابن أبي بكرة عن أبيه قال : لما مات كسرى قيل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : «من استخلفوا؟» فقالوا : آبلته بُوران ، قال : "لن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة" .

حدثني زيد بن أنحزم قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا أبي قال سمعت أيوب يحدث عن عكرمة عن ابن عباس أنه قدم المدينة زمن الحرّة فقال : من استعمل القوم؟ قالوا : على قريش عبد الله بن مُطِيع ، وعلى الأنصار عبد الله بن حنظلة بن الراهب فقال : أميران ! هلك والله القوم .

(*) كذا بالنسخة الألمانية وفي النسخة الفتوغرافية : أبو قتيبة ، وليس عندنا ما يرجح أحدهما لوجودهما معا في كتب الأنساب .

حدَّثنا محمد بن عبيد قال حدَّثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحق عن هشام بن حسان قال كان الحسن يقول : « أربعة من الاسلام إلى السلطان الحكم والقيء والجمعة والجهاد » . وحدَّثني محمد قال حدَّثنا أبو سلمة عن حماد بن سلمة عن أيوب عن أبي قلابة قال قال كعب : « مثل الاسلام والسلطان والناس مثل القُسطاط والعمود والأطناب والأوتاد ، فالقُسطاط الاسلام ، والعمود السلطان ، والأطناب والأوتاد الناس ، لا يصلح بعضه إلا ببعض » .

حدَّثني سهل بن محمد قال حدَّثني الأصمعي قال : قال أبو حازم لسليمان بن عبد الملك : « السلطان سُوقٌ فما نَفَقَ عنده أُتِيَ به » . وقرأت في كتاب لابن المقفع : « الناس على دين السلطان إلا القليل فليكن للبرِّ والمروءة عنده نَفَاقٌ فسيكسَدُ (١) بذلك الفجور والدناءة في آفاق الأرض » . وقرأت فيه أيضا : « الملك ثلاثة مُلْك (٢) دين ومُلْك حزم ومُلْك هوى ، فأما ملك الدين فانه إذا أقام لأهله دينهم فكان دينهم هو الذي يعطيهم ما لهم ويُلحق بهم ما عليهم ، أرضاهم ذلك وأنزل الساخط منهم منزلة الراضي في الإقرار والتسليم . وأما مُلْك الحزم فانه تقوم به الأمور ولا يسلم من الطعن والتسخط ولن يضُرَّه طعن الضعيف مع حزم القوى . وأما ملك الهوى فلعب ساعة ودمار دهر » .

حدَّثني يزيد بن عمرو عن عِصْمة بن صُقَيْرِ الباهلي قال حدَّثنا إسحاق بن عُجَيْج عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لله حُرَّاسًا فخرَّاسه في السماء الملائكة وحراسه في الأرض الذين يأخذون الدِّيوان » .

(١) في الأدب الكبير : فيستكسد .

(٢) في الأصل الفتوغرافي : الملوك .

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثني سعيد بن سلم الباهلي قال أخبرني شعبة عن شريك عن عكرمة في قول الله عز وجل ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ قال : «الْجَلَاوِزَةُ يَحْفَظُونَ الْأُمَرَاءَ» .

[وقال الشاعر^(*)

- ألا ليت شعري هل أبين ليلة * خلياً من اسم الله والبركات
يعني باسم الله، وفيه قول الله ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أى بأمر الله .
وقرأت في كتاب من كتب الهند : « شرُّ المال ما لا يُنْفَق منه وشرُّ الإخوان
الناذل وشرُّ السلطان من خافه البرىء وشرُّ البلاد ما ليس فيه خصب ولا أمن » .
وقرأت فيه : « خير السلطان من أشبه النسر حوله الحيف لامن أشبه الجيفة حولها
النسور » وهذا معنى لطيف وأشبه الأشياء به قول بعضهم : « سلطان تخافه الرعية
خير للرعية من سلطان يخافها » .

- حدثني شيخ لنا عن أبي الأحوص عن ابن عم لأبي وائل عن أبي وائل قال ،
قال عبد الله ابن مسعود : « إذا كان الامام عادلاً فله الأجر وعليك الشكر ، وإذا
كان جائراً فعليه الوزر وعليك الصبر » .
وأخبرني أيضاً عن أبي قدامة عن علي بن زيد قال ، قال عمر بن الخطاب رضى
الله عنه : « ثلاث من الفواقر : جارٌ مُقَامَةٌ إن رأى حسنة سترها وإن رأى سيئة
أذاعها ، وأمراة إن دخلت عليها لستك وإن غبت عنها لم تأمنها ، وسلطان إن
أحسنتم لم يمدك وإن أسأت قتلك » .

- وقرأت في اليتيمة : « مثلٌ قليل مضار السلطان في جنب منافعه مثل الغيث الذي
هو سُقْيَا الله وبركات السماء وحياة الأرض ومن عليها ، وقد يتأذى به السَّفَرُ
٢٠ (*) زيادة في النسخة الفتوغرافية .

ويتداعى له البنيان وتكون فيه الصواعق وتندثر سيوله فيهلك الناس والدواب وتموج
 له البحار فتشتد البلية منه على أهله فلا يمنع الناس، إذا نظروا إلى آثار رحمة الله
 في الأرض التي أحيا والنبات الذي أخرج والرزق الذي بسط والرحمة التي نشر،
 أن يعظموا نعمة ربهم ويشكروها ويُلغوا ذكر خواص البلايا التي دخلت على
 خواص الخلق. ومثل الرياح التي يرسلها الله نُشْراً بين يدي رحمته فيسوق بها السحاب
 ويعملها لِقَاحاً للثمرات وأرواحاً للعباد يتنسمون منها ويتقلبون فيها وتجري بها
 مياههم وتقد بها نيرانهم وتسير بها أفلاكهم وقد تضرّ بكثير من الناس في برهم
 وبحرهم ويخلص ذلك إلى أنفسهم وأموالهم فيشكوها منهم الشاكون ويتأذى بها
 المتأذون ولا يُزيلها ذلك عن منزلتها التي جعلها الله بها وأمرها الذي سخرها له من قوام
 عباده وتما نعمة. ومثل الشتاء والصفيف اللذين جعل الله حرهما وبردهما صلاحاً للحرث
 والنسل ونتاجاً للحب والثمر، يجمعها البرد باذن الله [ويحملها] ويخرجها الحر باذن الله
 ويُنضجها مع سائر ما يعرف من منافعها وقد يكون الأذى والضرر في حرهما وبردهما
 وسمائهما وزمهريرهما وهما مع ذلك لا ينسبان إلا إلى الخير والصلاح. ومن ذلك
 الليل الذي جعله الله سكناً ولباساً وقد يستوحش له أخو الفقر وينازع فيه ذو البلية
 والرغبة وتعذو فيه السباع وتنساب فيه الهوام ويغتنمه أهل السرقة والسلة ولا يُزرى
 صغير ضرره بكثير نفعه ولا يلحق به ذم ولا يضع عن الناس الحق في الشكر لله على
 ما مَنَّ به عليهم منه. ومثل النهار الذي جعله الله ضياءً ونُشُوراً وقد يكون على الناس
 أذى الحر في قِيظهم وتَصَبُّحهم في الحروب والغارات ويكون فيه النَّصب والشُّحُوص
 وكثير مما يشكوه الناس ويستريحون فيه إلى الليل وسكونه. ولو أن الدنيا كان شيء
 من سرائها يعم عامة أهلها بغير ضرر على بعضهم وكانت نَعْمًاؤها بغير كدر وميسورها من

(*) في النسخة الفتوغرافية : رواحا .

غير معسور كانت الدنيا إذا هي الجنة التي لا يشوب مسرتها مكروه ولا فرحها ترح والى ليس فيها نصب ولا لغوب، فكل جسيم من أمر الدنيا يكون ضره خاصة فهو نعمة عامة وكل شيء منه يكون نفعه خاصا فهو بلاء عام .

وكان يقال : « السلطان والدين أخوان لا يقوم أحدهما إلا بالآخر » .

وقرأت في التاج لبعض الملوك : « هموم الناس صغار وهموم الملوك كبار وألباب الملوك مشغولة بكل شيء يجل وألباب السواق مشغولة بأيسر الشيء ، فالجاهل منهم يعذر نفسه بدعة ما هو عليه من الرسالة ولا يعذر سلطانه مع شدة ما هو فيه من المؤنة ، ومن هناك يعز الله سلطانه ويرشده وينصره » .

سمع زياد رجلا يسب الزمان فقال : « لو كان يدري ما الزمان لعاقبته ، إنما الزمان هو السلطان » .

١٠

وكانت الحكماء تقول : « عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان » .

وروى الهيثم عن ابن عباس عن الشعبي قال : « أقبل معاوية ذات يوم على بنى هاشم فقال : يا بنى هاشم ، ألا تحذوني عن آدعائكم الخلافة دون قريش بم تكون لكم أبارضا بكم أم بالاجتماع عليكم دون القراية أم بالقراية دون الجماعة أم بهما جميعا ؟ فان كان هذا الأمر بالرضا والجماعة دون القراية فلا أرى القراية أثبتت حقا ولا أسست ملكا ، وإن كان بالقراية دون الجماعة والرضا فما منع العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ووارثه وساقى الحجيح وضامن الأيتام أن يطلبها وقد ضمن له أبو سفيان بن عبد مناف ، وإن كانت الخلافة بالرضا والجماعة والقراية جميعا فان القراية خصلة من خصال الامامة لا تكون الامامة بها وحدها وأتم تدعونها بها وحدها ، ولكنا نقول : أحق قريش بها من بسط الناس أيديهم إليه بالبيعة عليها ونقلوا أقدامهم إليه للرغبة وطارت إليه أهواؤهم

٢٠

(*)

لثقة وقاتل عنها بحقها فأدركها من وجهها . إن أمركم لأمر تضيق به الصدور، إذا
 سئتم عمن أجمع عليه من غيركم قائم حق . فان كانوا اجتمعوا على حق فقد أخرجكم
 الحق من دعواكم . انظروا: فان كان القوم أخذوا حقكم فاطلبوهم، وإن كانوا أخذوا
 حقهم فسلموا إليهم فانه لا ينفعكم أن تروا لأنفسكم ما لا يراه الناس لكم . فقال ابن عباس
 ندعى هذا الأمر بحق من لولا حقه لم تقعد مقعدك هذا، ونقول كان ترك الناس أن
 يرضوا بنا ويجتمعوا علينا حقا ضيعوه وخطأ حرّموه، وقد اجتمعوا على ذى فضل
 لم يخطئ الورد والصدّر، ولا ينقص فضل ذى فضل فضل غيره عليه . قال الله
 عز وجل ﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾ فأما الذى منعنا من طلب هذا الأمر بعد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فعهد منه إلينا قبلنا فيه قوله ودنا بتأويله ولو أمرنا أن
 نأخذ على الوجه الذى نهانا عنه لأخذناه أو أعدرنا فيه، ولا يعاب أحد على ترك
 حقه إنما المعيب من يطلب ما ليس له، وكل صواب نافع وليس كل خطأ ضاراً .
 انتهت القضية إلى داود وسليمان فلم يفهمها داود وفهمها سليمان ولم يضر داود . فأما
 القرابة فقد نفعت المشرك وهى للمؤمن أنفع، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « أنت عمى وصنو أبى ومن أبغض العباس فقد أبغضنى وهجرتك آخر الهجرة كما أن
 نبوتى آخر النبوة » . وقال لأبى طالب عند موته : يا عم قل لا إله إلا الله أشفع لك
 بها غدا وليس ذاك لأحد من الناس . قال الله تعالى ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
 السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّ تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ
 كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ .

حدثنا الرياشى عن أحمد بن سلام مولى دُفَيْف عن مولى يزيد بن حاتم عن شيخ
 له قال، قال كسرى : « لا تنزل ببلد ليس فيه خمسة أشياء : سلطان قاهر، وقاض
 عادل، وسوق قائمة، وطبيب عالم، ونهر جارٍ » .

(*) فى الاصل الفتوغرافى : عليها .

وحدثنا الرياشي قال حدثنا مُسلم بن إبراهيم قال حدثنا القاسم بن الفضل قال حدثنا ابن أخى العجاج عن العجاج قال : « قال لى أبو هريرة ممن أنت ؟ قال قلت من أهل العراق . قال : يوشك أن يأتيك ^(١) بقعان الشام فيأخذوا صدقتك فإذا أتوك فتلقهم بها فإذا دخلوها فكن في أقاصيها وخلّ عنهم ، وإياك وأن تسبهم فانك إن سببتهم ذهب أجرك وأخذوا صدقتك وإن صبرت جاءتك في ميزانك يوم القيامة » .
وفي رواية أخرى أنه قال : « إذا أتاك المصدق فقل : خذ الحق ودع الباطل ، فإن أبى فلا تمنعه إذا أقبل ولا تلعه إذا أدبر فتكون عاصيا خفف عن ظالم » .

وكان يقال : « طاعة السلطان على أربعة أوجه : على الرغبة ، والرغبة ، والمحبة ، والديانة » .

وقرأت في بعض كتب العجم كتاباً لأردشير بن بابك إلى الرعية ، نسخته :
« من أردشير الموبذ ذى البهاء ملك الملوك ووارث العطاء ، إلى الفقهاء الذين هم حملة الدين ، والأساورة الذين هم حفظة البيضة ، والكتّاب الذين هم زينة المملكة ، وذوى الحرث الذين هم عمرة البلاد . السلام عليكم ، فانا بحمد الله صالحون وقد وضعنا عن رعيّتنا بفضل رأفتنا إمّاوتها الموظفة عليها . ونحن مع ذلك كاتبون اليكم بوصية : لا تستشعروا الحقد فيدهمكم العدو ، ولا تحمكروا فيشمكم القحط ، وتزوجوا في القرايين فانه أمس للرحم وأثبت للنسب ، ولا تعدّوا هذه الدنيا شيئاً فانها لا تبقى على أحد ولا ترفضوها مع ذلك فان الآخرة لا تنال إلا بها » .

(١) بقعان الشام خدمهم وعبيدهم . شبههم لبياضهم وسوادهم بالقراب الأبقع وهو ما خالط سواده بياض . يعنى بذلك الروم والسودان .

(٢) في النسخة الألمانية : المؤيد ، والموبذ كالموبذان فقيه الفرس وحاكم المجوس .

(٣) في النسخة الألمانية : عمود .

وقرأت كتاباً من أرسطاطاليس إلى ألاسكندر وفيه : « املك الرعية بالإحسان إليها تظفر بالمحبة منها فان طلبك ذلك منها باحسانك هو أدوم بقاء منه باعتسافك ، وأعلم أنك إنما تملك الأبدان فتخطها الى القلوب بالمعروف ، وأعلم أن الرعية إذا قدرت على أن تقول ، قدرت على أن تفعل ، فاجهد ألا تقول تسلّم من أن تفعل » .

وقرأت في كتاب الآيين^(١) أن بعض ملوك العجم قال في خطبة له : « إني إنما أملك الأجساد لا النيات وأحكم بالعدل لا بالرضا وأخص عن الأعمال لا عن السرائر » . ونحوه قول العجم : « أسوس الملوك من قاد أبدان الرعية الى طاعته بقلوبها » . وقالوا : « لا ينبغي للوالى أن يرغب فى الكرامة التى ينالها من العامة [كرهاً^(٢)] ولكن فى التى يستحقها بحسن الأثر وصواب الرأى والتدبير » .

حدثنا الرياشى عن أحمد بن سلام عن شيخ له قال : « كان أنوشروان إذا ولى رجلاً امر الكاتب أن يدع فى العهد موضع أربعة أسطر ليوقع فيه بخطه فاذا أتى بالعهد وقع فيه : سُئِ خيَارَ الناس بالمحبة وامزج للعامة الرغبة بالرغبة وسس سَفَلَةً الناس بالإخافة » .

قال المدائنى : « قدم قادم على معاوية بن أبى سفيان فقال له معاوية : هل من مُغَرِّبة خبر؟ قال نعم ، نزلت بماء من مياه الأعراب فبينما أنا عليه إذ أورد أعرابى إبله فلما شربت ضرب على جنوبها وقال عليك زياداً . فقالت له : ما أردت بهذا؟ قال : هى سُدى ، ما قام لى بها راجع مذ ولى زياد . فسرّ ذلك معاوية وكتب به الى زياد » .

(١) الآيين كلمة فارسية عربها العرب واستعملوها ومعناها القانون والعادة ، ولابن المقفع تأليف بهذا الاسم ذكره صاحب الفهرست (ملخص مما كتبه حضرة صاحب السعادة الأستاذ أحمد زكى باشا عن هذه الكلمة فى كتاب التاج ص ١٩) ولعل الذى نقل عنه المؤلف هو آيين ابن المقفع .

(٢) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية .

قال عبد الملك بن مروان : « أنصفونا يا معشر الرعية ، تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر ! ولا تسيرون فينا ولا في أنفسكم بسيرة رعية أبي بكر وعمر ! نسأل الله أن يعين كلاً على كل » .

قال عمر بن الخطاب : « إن هذا الأمر لا يصلح له إلا اللين في غير ضعف والقوى في غير عنف » .

وقال عمر بن عبد العزيز : « إني لأجزع أن أخرج للمسلمين أمرا من العدل فأخاف أن لا تحمله قلوبهم فأخرج معه طمعا من طمع الدنيا ، فان تفرت القلوب من هذا سكنت الى هذا » .

قال معاوية : « لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني ، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما آتقطعت . قيل : وكيف ذلك ؟ قال : كنت اذا مدوها خليتها وإذا خلوها مددتها » .

ونحو هذا قول الشعبي فيه : « كان معاوية كالجمل الطَّبَّ ، إذا سكت عنه تقدّم وإذا ردّ تأخر » . والجمل الطَّبَّ الحاذق بالمشى وهو الذي لا يضع يديه إلا حيث يبصر . وقول عمر فيه : « احذروا آدم قريش وابن كريمها ، من لا ينأى إلا على الرضا ويضحك في الغضب ويأخذ ما فوقه من تحته » .

وأغلظ له رجل فحلم عنه ف قيل له : أتحمّل عن هذا ؟ فقال : « إني لا أحول بين الناس وبين ألسنتهم مالم يحولوا بيننا وبين سلطاننا » .

كان يقال : « لا سلطان إلا برجال ولا رجال إلا بمال ولا مال إلا بعمارة ولا عمارة إلا بعديل وحسن سياسة » .

(*) في الأصل الفتوغرافي : من .

قال زياد : « أحسنوا الى المزارعين فانكم لا تزالون سمانا ما سمنوا » .

وكتب الوليد الى الجحاج يأمره أن يكتب اليه بسيرته فكتب اليه : « إني أيقظت رأيي وأتمت هواي ، فأدريت السيد المطاع في قومه ، ووليت الحرب الحازم في أمره ، وقلدت الخراج الموفر لأمانته ، وقسمت لكل خصم من نفسي قسما يعطيه حظا من نظري ولطيف عنايتي ، وصرفت السيف الى النطف المسمى ، والثواب الى المحسن البريء نخاف المريب صولة العقاب ، وتمسك المحسن بحظه من الثواب » .

وكان يقول لأهل الشام : « [إنما] أنا لكم كالظلم الرائح عن فراخه : ينفي عنها القدر ويباعد عنها الحجر ويكنها من المطر ويحميها من الضباب ويحرسها من الذئاب . يا أهل الشام أتم الحنة والرداء وأتم العدة والحذاء » .

نخر سليم مولى زياد بزياد عند معاوية فقال معاوية : « اسكت ما أدرك صاحبك شيئا قط بسيفه إلا وقد أدركت أكثر منه بلساني » .

وقال الوليد لعبد الملك : يا أبت ما السياسة ؟ قال : « هية الخاصة مع صدق مودتها وأقنياد قلوب العامة بالإنصاف لها واحتمال هفوات الصنائع » .

وفي كتب العجم : « قلوب الرعية خزائن ملوكها فما أودعها من شيء فلتعلم أنه فيها » .

ووصف بعض الملوك سياسته فقال : « لم أهزل في وعد ولا وعيد ولا أمر ولا نهى ولا عاقبت للغضب وأستكفيت على الجزاء وأثبت على العناء لا للهوى ، وأودعت القلوب هيبة لم يشبها مقت وودا لم تشبهه جرعة وعممت بالقوت ومنعت الفضول » .

(١) زيادة عن النسخة الألمانية .

(٢) في الأصل الفتوغرافي : قلوب الرعية خزائن ملكها فما أودعها من شيء فليعلم أنه فيها .

(٣) في الأصل الفتوغرافي : القلوب .

وقرأت في كتاب التاج : قال أَبْرُو زُلا بنه شيرويه وهو في حبسه : « لا توسع
على جندك فيستغنوا عنك ولا تضيق عليهم فيضجوا منك ، أعطهم عطاء قصداً
وأمنعهم منعا جميلا ووسع عليهم في الرجاء ولا توسع عليهم في العطاء » . ونحوه قول
المنصور في مجلسه لقواده : صدق الأعرابي حيث يقول : أجمع كلبك يتبعك . فقام
أبو العباس الطوسي فقال : يا أمير المؤمنين أخشى أن يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك .

وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري : « أما بعد ، فإن للناس نفرة عن سلطانهم
فأعوذ بالله أن تدركني وإياك عبياء مجهولة وضغائن محمولة ، أقم الحدود ولو ساعة
من نهار ، وإذا عرض لك أمران : أحدهما لله ، والآخر للدنيا فأثر نصيبك من الله
فإن الدنيا تنفد والآخرة تبق ، وأخيفوا الفساق واجعلوهم يدا ورجلا رجلا ، وعد
مرضى المسلمين وأشهد جنازتهم وانتح لهم بابك وباشروهم بنفسك فانما أنت
رجل منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملا ، وقد بلغني أنه قد فشا لك ولأهل بيتك
هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها ، فإياك ياعبد الله أن تكون
بمنزلة البهيمة مرت بوادي خصيب فلم يكن لها هم إلا السمن وإنما حثفها في السمن ،
واعلم أن العامل إذا زاغ زاغت رعيته ، وأشق الناس من شق الناس به والسلام » .

هشام بن عروة قال : « صلى يوما عبد الله بن الزبير فوجم بعد الصلاة ساعة
فقال الناس : لقد حدث نفسه . ثم التفت إلينا فقال : لا يبعدن ابن هند ! إن كانت
فيه لمخارج لا نجد لها في أحد بعده أبدا ، والله إن كنا لنفرقه وما الليث الحرب على برائه
بأجرا منه فيتفارق لنا . وإن كنا لنخدعه وما ابن ليلة من أهل الأرض بأدهى منه

(*) ضبط في الأصل الفتوغرافي هكذا (مرض) ويظهر أنه من عمل النسخ وفي الأصل الألماني :

فَتَخَادَعُ لَنَا ، والله لوددت أَنَا مُتَعَنَّا بِهِ مَا دَامَ فِي هَذَا حَجَرٍ (وأشار إلى أبي قيس)
لَا يُتَخَوَّنُ لَهُ عَقْلٌ وَلَا تَنْتَقِصُ لَهُ قُوَّةٌ ، قلنا : أَوْحَشَ وَاللهَ الرَّجُلُ . قال : وَكَانَ يَصِلُ
بِهَذَا الْحَدِيثِ : كَانَ وَاللهَ كَمَا قَالَ الْعُدْرَى

رَكُوبُ الْمَنَابِرِ وَتَأْبَاهَا * مَعْنُ بِخَطْبَتِهِ مَجْمُورٌ
تُرْبِعُ إِلَيْهِ هَوَادِي الْكَلَامِ * إِذَا خَطِلَ النِّسْرُ الْمِهْمَرُ^(١)

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا جَدُّ سُرَانَ^(٢) وَسُرَانُ عَمُّ الْأَصْمَعِيِّ
قَالَ : « كَلَّمَ النَّاسَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ أَنْ يَكْلِمَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فِي أَنْ يَلِينَ لَهُمْ
فَإِنَّهُ قَدْ أَخَافَهُمْ حَتَّى إِنَّهُ قَدْ أَخَافَ الْأَبْكَارَ فِي خُدُورِهِمْ . فَقَالَ عُمَرُ : إِنِّي لَا أَجِدُ
لَهُمْ إِلَّا ذَلِكَ ، إِنْهُمْ لَوْ يَعْلَمُونَ مَا لَهُمْ عِنْدِي لِأَخَذُوا ثَوْبِي عَنْ عَاتِقِي^(٣) » .

قَالَ وَتَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ أَمْرَأَةٌ فَقَالَتْ : « يَا أَبَا عَقْرٍ حَفِصٌ ، اللَّهُ لَكَ ، فَقَالَ : مَا لَكَ
أَعْقَرْتِ ؟ أَيْ دَهَشْتِ فَقَالَتْ صُلَعْتُ فَرَقْتِكَ^(٤) » .

قَالَ أَشْبَعُ السُّلَمِيِّ فِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُثْمَانَ

لَا يُصْلِحُ السُّلْطَانَ إِلَّا شِدَّةٌ * تَغْشَى الْبِرَى بِفَضْلِ ذَنْبِ الْمَجْرِمِ
وَمِنْ الْوَلَاةِ مَقْعَمٌ لَا يُتَّقَى * وَالسِّيفُ تَقْطُرُ شَفَرَتَاهُ مِنَ الدَّمِ
مَنْعَتْ مَهَابَتُكَ النُّفُوسَ حَدِيثَهَا * بِالْأَمْرِ تَكْرَهُهُ وَإِنْ لَمْ تَعْلَمْ

(١) فِي التَّاجِ مَادَّةُ هَمْ رَ : وَخَطِيبُ مِهْمَرٍ : مُكْتَرٌ . وَأُورِدَ هَذَا الْبَيْتُ . وَفِي الْأَصْلِ الْفَتْوَعْرَافِي "مِهْمَرٌ"

وَلَمْ نَجِدْهُ فِي الْقَامُوسِ وَلَا فِي اللِّسَانِ .

(٢) كَذَا بِالْأَصْلِ الْفَتْوَعْرَافِي عَارِياً عَنِ الضُّبُطِ ، وَضَبُطُ فِي النُّسخَةِ الْأَلْمَانِيَةِ بِضَمِّ أَوَّلِهِ وَقَدْ بَحَثْنَا عَنْهُ فَلَمْ نَجِدْ لَهُ .

(٣) فِي الْأَصْلِ الْأَلْمَانِي : مِنْ عَلَى .

(٤) كَذَا بِالْأَصْلِ الْفَتْوَعْرَافِي وَالْأَلْمَانِي وَلَعَلَّهُ مُحَرَّفٌ عَنْ "عَمَرٌ" وَكَأَنَّهَا أَرَادَتْ أَنْ تَنَادِيَهُ بِقَوْلِهَا

يَا أَبَا حَفِصٍ عَمَرُ ، فَقَالَتْ مِنْ دَهَشْتِهَا يَا أَبَا عَمْرٍ حَفِصٌ كَمَا قَالَتْ فِي آخِرِ الْحِكَايَةِ صُلَعْتُ فَرَقْتِكَ وَكَأَنَّهَا
أَرَادَتْ أَنْ تَقُولَ فَرَقْتُ صُلَعْتُكَ .

(٥) فِي الْأَصْلِ الْأَلْمَانِي هَلَعْتُ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

كان يقال : « شر الأمراء أبعدهم من القراء وشر القراء أقربهم من الأمراء » .
كتب عامل لعمر بن عبد العزيز على حمص الى عمر : « إن مدينة حمص قد تهدم
حصنها ، فان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى إصلاحه » فكتب اليه عمر « أقما بعد ،
فحصنها بالعدل ، والسلام » .

- ذكر أعرابى أميرا فقال : « كان إذا ولى لم يطابق بين جفونه وأرسل العيون
على عيونه ، فهو غائب عنهم شاهد معهم ، فالحسن راج والمسيء خائف » .
كان جعفر بن يحيى يقول : « الخراج عمود الملك وما استغزر بمثل العدل ولا استغزر
بمثل الظلم » .

- وفى كتاب من كتب العجم أن أردشير قال لابنه : « يا بنى ، إن الملك والدين
أخوان لا غنى بأحدهما عن الآخر ، فالدين أش والملك حارس ، وما لم يكن له أس
فهدوم وما لم يكن له حارس فضائع . يا بنى ، اجعل حديثك مع أهل المراتب وعطيتك
لأهل الجهاد وبشرك لأهل الدين وسرك لمن عناه ما عناك من أرباب العقول » .
وكان يقال : « مهما كان فى الملك فلا ينبغى أن تكون فيه خصال خمس : لا ينبغى
أن يكون كذابا فانه إذا كان كذابا فوعد خيرا لم يرج أو وعد بشر لم يخف ،
ولا ينبغى أن يكون بخيلا فانه إذا كان بخيلا لم يناصحه أحد ولا تصلح الولاية إلا
بالمناصحة [ولا ينبغى أن يكون حديدا فانه إذا كان حديدا مع القدرة هلكت الرعية]
ولا ينبغى أن يكون حسودا فانه إذا كان حسودا لم يشرف أحدا ولا يصلح الناس
إلا على أشرافهم ، ولا ينبغى أن يكون جبانا فانه إذا كان جبانا ضاعت ثغوره وأجترأ
عليه عدوه » .

(١) فى الأصل الفتوغرافى سورها وكتب فوقها كالتفسير لها : حصنها .

(٢) هذه الجملة سقطت فى الأصل الفتوغرافى من سهو النسخ .

وقدم معاوية المدينة فدخل دار عثمان فقالت عائشة بنت عثمان: وأبناه، وبكت. فقال معاوية: «يا أبنه أنحى إن الناس أعطونا طاعة وأعطيناهم أماناً وأظهرنا لهم حلماً تحت غضب وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ومع كل إنسان سيفه وهو يرى مكان أنصاره فإن نكثنا بهم نكثوا بنا ولا ندرى أعلينا تكون أم لنا، ولأن تكونى بنت عم أمير المؤمنين خير من أن تكونى امرأة من عرض المسلمين» .

كتب عبد الله بن عباس إلى الحسن بن علي: «إن المسلمين ولوك أمرهم بعد علي فشمّر للحرب وجاهد عدوك ودار أصحابك واشتر من الضنين دينه بما لا يثلم دينك وول أهل البيوتات والشرف تستصلح بهم عشائهم حتى تكون الجماعة فإن بعض مايكره الناس، ما لم يتعد الحق وكانت عواقبه تؤدي الى ظهور العدل وعز الدين، خير من كثير مما يحبون إذا كانت عواقبه تدعو الى ظهور الجور ووهن الدين» .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن الأعمش عن إبراهيم قال: «كان عمر إذا قدم عليه الوفد سألمهم عن حالهم وأسعارهم وعمن يعرف من أهل البلاد وعن أميرهم هل يدخل عليه الضعيف؟ وهل يعود المريض؟ فإن قالوا نعم، حمد الله تعالى، وإن قالوا لا، كتب اليه: أقبل» .

اختيار العمال

روى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه لما حضرته الوفاة كتب عهداً فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة، في الحال التي يؤمن فيها الكافر ويتقي فيها الفاجر: اني استعملت عمر بن الخطاب فان برّ وعدل فذلك علمي به، وإن جار وبذل فلا علم

لى بالغيب ، والخير أردت ، ولكل امرئ ما اكتسب (١) وسيعلم الذين ظلموا أى
مُنْقَلَبَ يَنْقَلِبُونَ » .

وفى التاج أن أَبْرَوِيَزَ كُتِبَ الى أبْنِه شِيْرَوِيَه من الحبس : « ليكن من تختاره
لولايتك أمراً [كان] فى ضَعَّة فَرَفَعْتَه ، أو ذا شرف وجدته مهتضاً فأَصْطَنَعْتَه ،
ولا تجعله أمراً أَصْبَهْتَه بعقوبة فأتَضَع عنها ولا أمراً أَطَاعَكَ بعد ما أَذْلَلْتَه ولا أحدا
ممن يقع فى خَلْدِكَ أن إزالة سلطانك أحب له من ثبوته ، وإياك أن تستعمله ضَرَعاً
عُمرَا كثر إعجابه بنفسه وَقَلَّتْ تجاربه فى غيره ، ولا كبيراً مُدْرِياً قد أخذ الدهر من عقله
كما أخذت السن من جسمه » .

وقال لِقَبِيط فى هذا المعنى

فَقُلُّدُوا أَمْرَكُمْ لله دَرْكُمْ * رَحْبَ الذَّرَاعِ بِأَمْرِ الْحَرْبِ مُضْطَلَعاً
لَا مُتَرَفّاً إِن رِخَاءَ الْعَيْشِ سَاعَدَهُ * وَلَا إِذَا عَضَّ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشَعاً
مَا زَالَ يَحْلُبُ دَرَّ الدَّهْرِ أَشْطَرَهُ * يَكُونُ مَتَبَعاً يَوْمًا وَمَتَّبَعاً
حَتَّى آسَمَرَتْ عَلَى شَرْزِيرِ مَرِيرَتِهِ * مُسْتَحْكِمَ السِّنِّ لَا نَحْلًا وَلَا ضَرَعاً

ويقال فى مثل : « رأى الشيخ خير من مَشْهَدِ الْغَلَامِ » ومن أمثال العرب أيضا
فى المَجْرَبِ « الْعَوَانُ لَا تُعَلِّمُ الْجُمْرَةَ » .

(١) زيادة عن النسخة الألمانية . (٢) فى النسخة الألمانية : خير .

(٣) فى النسخة الألمانية : خضعا .

(٤) هكذا فى النسخة الألمانية وفى الأصل الفتوغرافى " فلما " وكتب تحته كالتفسير له " كبيرا " والصواب " فلما " ومعناه كبير السن جداً ونظيره من شعر العرب قوله

له حِكَايَاتُ الدَّهْرِ مِنْ غَيْرِ كَثِيرَةٍ * تَشِينُ فَلَا فَايَ وَلَا تَخْرَعُ عُمر

قال بعض الخلفاء : دلوني على رجل أستعمله على أمر قد أهمني . قالوا : كيف تريده ؟ قال : « إذا كان في القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم وإذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم » قالوا : لا نعلمه إلا الربيع بن زياد ^(١) [الحارثي] . قال : صدقتم ، هو لها .

وروى الهيثم عن مجالد عن الشعبي قال ، قال الحجاج : دلوني على رجل للشرطة فقيل : أي الرجال تريد ؟ فقال : « أريده دائم العُبوس طويل الجلوس سمين الأمانة أعجف الخيانة لا يخفق في الحق على جرة يهون عليه سبّ الأشراف في الشفاعة » فقيل له : عليك بعبد الرحمن بن عبيد التميمي . فأرسل اليه يستعمله ، فقال له : لست أقبلها إلا أن تكفيني عيالك وولدك وحاشيتك . قال : يا غلام ، ناد في الناس : من طلب اليه منهم حاجة فقد برئت منه الذمة . قال الشعبي : فوالله ما رأيت صاحب شرطة قط مثله ، كان لا يحبس إلا في دين ، وكان أتى برجل قد تقب على قوم وضع منقبته في بطنه حتى تخرج من ظهره ، وإذا أتى بنبأ حفر له قبرا فدفنه فيه ، وإذا أتى برجل قاتل بحديدة أو شهر سلاحا قطع يده ، وإذا أتى برجل قد أحرق على قوم منزلهم أحرقه ، وإذا أتى برجل يشك فيه وقد قيل إنه لص ولم يكن منه شيء ضربه ثلثمائة سوط . قال : فكان ربما أقام أربعين ليلة لا يؤتى بأحد فضم اليه الحجاج شرطة البصرة مع شرطة الكوفة .

(١) زيادة عن النسخة الألمانية .

(٢) كذا بالأصلين الفتوغرافي والألماني وهو تحريف والصواب لا يثبت في الحق على جرة ، يقال ما يثبت فلا ت على جرة وما يكظم على جرة إذا لم ينطو على حقد ودغل ومنه حديث عمر رضي الله عنه : « لا يصلح هذا الأمر إلا لمن لا يثبت على جرة » اهـ . انظر اللسان في مادة حق .

وقرأت في كتاب أبرويزالى أبسه شيرويه : « انتخب لخراجك احد ثلاثة :
 إما رجلاً يظهر زهداً في المال ويدعى ورعاً في الدين فإن كان كذلك عدل
 على الضعيف وأنصف من الشريف ووفّر الخراج وأجتهد في العِمارة، فإن هو لم يرع
 ولم يعف إبقاء على دينه ونظراً لأمانته كان حرياً أن يخون قليلاً ويوفّر كثيراً استسراً
 بالرياء واكتتاما بالخيانة ، فإن ظهرت على ذلك منه عاقبته على ما خان ولم تتحده على
 ما وفر، وإن هو جّاح في الخيانة وبارز بالرياء نكّلت به في العذاب واستنظفت ماله
 مع الحبس . أو رجلاً عالماً بالخراج غنياً في المال مأموناً في العقل فيدعوه علمه
 بالخراج الى الاقتصاد في الحلب والعِمارة للأرضين والرفق بالرعية، ويدعوه غناه الى العفة
 ويدعوه عقله الى الرغبة فيما ينفعه والرهبة مما يضره . أو رجلاً عالماً بالخراج مأموناً
 بالأمانة مُقْتِراً من المال فتوسّع عليه في الرزق فيغنم لحاجته الرزق ويستكثر لفاقته
 اليسير، ويُزجى بعلمه الخراج، ويعف بأمانته عن الخيانة » .

استشار عمر بن عبد العزيز في قوم يستعملهم ، فقال له بعض أصحابه : عليك
 بأهل العُدْر . قال : ومن هم ؟ قال : الذين إن عدلوا فهو ما رجوت منهم وإن
 قصّروا قال الناس : قد اجتهد عمر .

قال عدى بن أرطاة لإياس بن معاوية : دلّني على قوم من القراء أوّلهم . فقال له :
 القراء ضربان : فضرب يعملون للآخرة ولا يعملون لك ، وضرب يعملون للدنيا ،
 فما ظنك بهم إذا أنت وليتهم فكنتهم منها ؟ قال : فما أصنع ؟ قال : عليك بأهل
 البيوتات الذين يستحيون لأحسابهم فولّهم .

أحضر الرشيد رجلاً ليولّيه القضاء فقال له : إني لا أحسن القضاء ولا أنا فقيه .
 قال الرشيد : فيك ثلاث خلال : لك شرف والشرف يمنع صاحبه من الدناءة .

ولك حلم يمنعك من العجلة . ومن لم يعجل قل خطؤه . وأنت رجل تشاور
في أمرك ومن شاور أكثر صوابه . وأما الفقه فسينضم اليك من نتفقه به . فولي فما
وجدوا فيه مطعنا .

حدثني سهل بن محمد قال حدثنا الأصمعي قال حدثني صالح بن رستم أبو عامر
الخرّاز قال قال لي إياس بن معاوية المزني : أرسل إلى عمر بن هبيرة فأتيته فساكتني
فسكت ، فلما أطلت قال : إيه . قلت : سل عما بدا لك . قال : أتقرأ القرآن ؟ قلت
نعم . قال : هل تفرض الفرائض ؟ قلت نعم . قال : فهل تعرف من أيام العرب
شيئا ؟ قلت نعم . قال : فهل تعرف من أيام العجم شيئا ؟ قلت : أنا بها أعلم .
قال : إني أريد أن أستعين بك . قلت : إن في ثلاثا لا أصلح معهن للعمل .
قال : ما هن ؟ قلت : أنا دميم كما ترى ، وأنا حديد ، وأنا عتي . قال : أما الدمامة
فاني لا أريد أن أحاسن بك الناس . وأما العتي فاني أراك تعبر عن نفسك ، وأما سوء
الخلق فيقومك السوط . قم ، قد وليتك . قال : فولاني [وأعطاني (*)] ألفي درهم
فهما أول مال تمولته .

قرأت في كتاب للهند : « السلطان الحازم ربما أحب الرجل فأقصاه وأطرحه
مخافة ضره ، فعّل الذي تلسع الحية إصبعه فيقطعها لئلا ينتشر سمها في جسده ، وربما
أبغض الرجل فأكره نفسه على توليته وتقريبه لغناء يحده عنده كئناؤه المرء على الدواء
البشع لنفعه » .

حدثني المعلى بن أيوب قال سمعت المأمون يقول : « من مدح لنا رجلا فقد
تضمن عيبه » .

(*) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية .

باب صحة السلطان وآدابها وتغير السلطان وتلونه

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا أبو أسامة عن مجالد عن الشعبي عن عبد الله بن عباس قال : قال لي أبي : « يا بُنَيَّ إني أرى أمير المؤمنين يستخيلك ويستشيرك ويقدمك على الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإني أوصيك بخلال أربع : لا تفشين له سرا ، ولا يجزبن عليك كذبا ، ولا تغتابن عنده أحدا ، ولا تطوعنه نصيحة » قال الشعبي قلت لابن عباس : كل واحدة خير من ألف . قال : إني والله ومن عشرة آلاف .

كان يقال : « إذا جعلك السلطان أخا فاجعله أبا ، وإن زادك فزده » .

قال زياد لابنه : « إذا دخلت على أمير المؤمنين فادع له ثم أصفح صفحا جميلا ، ولا يرين منك تهالكا عليه ولا انقباضا عنه » .

قال مسلم بن عمرو : « ينبغي لمن خدم السلطان ألا يغتر بهم إذا رضى عنه ولا يتغير لهم إذا سخطوا عليه ولا يستقل ما حملوه ولا يلحف في مستلثم » .

وقرأت في كتاب للهند : « صحة السلطان على ما فيها من العز والثروة عظيمة الخطار ، وإنما تشبه بالجبل الوعر فيه الثمار الطيبة والسباع العادية ، فالارتقاء إليه شديد والمقام فيه أشد ، وليس يتكافأ خير السلطان وشره لأن خير السلطان لا يعدو مزيد الحال ، وشر السلطان قد يزيل الحال ويتلف النفوس التي لها طلب المزيد ، ولا خير في الشيء الذي في سلامته مال وجاه وفي نكبته الجائحة والتلف » .

وقرأت فيه : « من لزم باب السلطان بصبر جميل وكظم للغيظ وأطراح للأنفه ، وصل إلى حاجته » .

وقرأت فيه : « السلطان لا يتونى بكرامته الأفضل فالأفضل ولكن الأدنى فالأدنى كالكرم لا يتعلق بأكرم الشجر ولكن بأدناها منه » .

وكانت العرب تقول : « اذا لم تكن من قُرْبان الأمير فكُن من بُعدانه » .

وقرأت في آداب ابن المقفع : « لا تكوننَّ صحبتك للسلطان الا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم في المكروه عندك وموافقهم فيما خالفك وتقدير الأمور على أهوائهم دون هواك ، فان كنت حافظا إذا ولَّوك ، حذرا إذا قربوك ، أمينا إذا آثمتوك ، تعلمهم وكأنك تتعلم منهم ، وتؤدبهم وكأنك تتأدب بهم ، وتشكرهم ولا تكلفهم الشكر ، ذليلا إن صرَّموك^(١) ، راضيا إن أمَّخطوك^(٢) ، وإلا فالبعد منهم كلَّ البعد والحذر منهم كلَّ الحذر . وإن وجدت عن السلطان وصحبته غنى فاستغن به فانه من يخدم^(٣) السلطان بحقه يحلُّ بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة ، ومن يخدمه بغير حقه يحتمل الفضيحة في الدنيا والوزر في الآخرة » .

وقال : « إذا صحبت السلطان فعليك بطول الملازمة في غير طول المعاتبة ، وإذا نزلت منه منزلة الثقة فاعزل عنه كلام الملق ولا تكثرنَّ له في الدعاء إلا أن تكلمه على رءوس الناس ولا يكوننَّ طلبك ما عنده بالمسئلة ولا تستبطئنَّ^(٤) إن أبطأ . اطلبه بالاستحقاق ولا تجربنه أن لك عليه حقا وأنك تعتد عليه ببلاء . وإن استطعت ألا ينسى حقك وبلاءك بتجديد النصيح والاجتهاد فافعل . ولا تعطينه المجهود كله في أول صحبتك له فلا تجد موضعا للزيد ولكن دع للزيد موضعا . وإذا سأل غيرك فلا تكن المحيب . وأعلم أن استلابك للكلام خفةٌ بك واستخفاف منك بالسائل والمسئول ،

(١) في الادب الكبير : ضاموك ، وفي نسخة منه مظهوك . (٢) في الأدب الكبير : ومن لا يأخذه بحقه .

(٣) في الادب الكبير : من يأخذ عمل . (٤) في الأصل الفتوغرافي : وإن .

فما أنت قائل إن قال لك السائل : ما إياك سألت ، وقال لك المسئول : اجب أيها المعجب بنفسه المستخف بسلطانه ؟ » .

وقال : « مثل صاحب السلطان مثل راكب الأسد يهابه الناس وهو لمركبه أهيب » .

- وقال عبد الملك بن صالح لمؤدب ولده بعد أن اختصه لمجالسته ومحادثته : « كن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام فانهم قالوا : إذا عجبك الكلام فاضمت وإذا عجبك الصمت فتكلم . [يا عبد الرحمن (*)] لا تساعدني على ما يقبح بي ولا تردن على الخطأ في مجلسي ولا تكلفني جواب التشميت والتهنئة ولا جواب السؤال والتعزية ودع عنك كيف أصبح الأمير وأمسى . وكلّمني بقدر ما استنطقك واجعل بدل التقرير إلى حسن الاستماع مني . واعلم أن صواب الاستماع أقل من صواب القول . وإذا سمعتني أنحدت فأرني فهمك في طرفك وتوقفك ولا تجهد نفسك في تطرية صوابي ولا تستدع الزيادة من كلامي بما تظهر من استحسان ما يكون مني ، فمن أسوأ حالا من يستكدر الملوك بالباطل فيدل على تهاونه ، وما ظنك بالملك وقد أحلك محل المعجب بما تسمع منه وقد أحلته محل من لا يسمع منه ؟ وأقل من هذا يُحيط إحسانك ويُسقط حق حرمته إن كانت لك . إني جعلتك مؤدبا بعد أن كنت معلما وجعلتك جليسا مقربا بعد أن كنت مع الصبيان مباحدا .
- ومتى لم تعرف نقصان ما خرجت منه لم تعرف رجحان ما دخلت فيه ، ومن لم يعرف سوء ما يولى لم يعرف حسن ما يبلى » .

دخل أبو مسلم على أبي العباس وعنده أبو جعفر فسلم على أبي العباس فقال له : يا أبا مسلم ، هذا أبو جعفر ! فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا موضع لا يقضى فيه إلا حَقُّ .

قال الفضل بن الربيع : « مسألة الملوك عن أحوالهم من تحيات النواصي ، فإذا أردت أن تقول : كيف أصبح الأمير ، فقل : صبح الله الأمير بالكرامة . وإذا أردت أن تقول : كيف يجد الأمير نفسه ، فقل : أنزل الله على الأمير الشفاء والرحمة ، فإن المسئلة توجب الجواب فإن لم يجبك اشتد عليك وإن أجابك اشتد عليه . »

وقرأت في آداب ابن المقفع : « جانب المسخوط عليه والظنين عند السلطان ولا يجتمعك وإياه مجلس ولا منزل ولا تظهرن له عذرا ولا تُثني عليه عند أحد ، فإذا رأيته قد بلغ في الانتقام ما ترجو أن يلين بعده فاعمل في رضاه عنك برفق وتلطّف ، ولا تُسار في مجلس السلطان أحدا ولا تومئ اليه بجفئك وعينك فإن السرار يخيل إلى كل من رآه من ذي سلطان وغيره أنه المراد به ، وإذا كلمك فاصغ إلى كلامه ولا تشغل طرفك عنه بنظر ولا قلبك بحديث نفس » .

وقرأت في كتاب للهند أنه أهدى لملك الهند ثياب وحلّى فدعا بامرأتين له وخير أحظاهما عنده بين اللباس والحلية . وكان وزيره حاضرا ، فنظرت المرأة إليه كالمستشارة له فغمزها باللباس تفضيلا بعينه ، ولحظه الملك ، فاختارت الحلية لثلاث يفظن للغمزة ، ومكث الوزير أربعين سنة كاسرا عينه لثلاث تقرر تلك في نفس الملك وليظن أنها عادة أو خلقة وصار اللباس للآخرى [فلما حضرت الملك الوفاة قال لولده : توص بالوزير خيرا فإنه اعتذر من شيء يسير أربعين سنة] .

قال شبيب بن شيبه : « ينبغي لمن سائر خليفة أن يكون بالموضع الذي إذا أراد الخليفة أن يسأله عن شيء لم يحتج إلى أن يلتفت : ويكون من ناحية إن

(١) في الأدب الكبير « من الإعتاب مما سخط عليه فيه ما ترجو أن يلين له به قلب الوالي » والإعتاب الجوع عن الاساءة .

(٢) في الأدب الكبير ، عنه . (٣) زيادة عن الأصل الفوتوغرافي .

التفت لم تستقبله الشمس ، وإن سار بين يديه أن يحيد عن سَنَنِ الرِّيح التي تؤدي الغبار الى وجهه » .

قال رجل من النساك لآخر : « إن آبتليت بأن تدخل الى السلطان مع الناس فأخذوا في الثناء فعليك بالدعاء » .

قال ثُمَامَة : كان يحيى بن أكرم يمشي المأمون يوما في بستان موسى^(١) والشمس عن يسار يحيى والمأمون في الظل وقد وضع يده على عاتق يحيى وهما يتحدان حتى بلغ حيث أراد ثم كرّ راجعا في الطريق التي بدأ فيها فقال ليحيى : كانت الشمس عليك لأنك كنت عن يسارى وقد نالت منك فكن الآن حيث كنت وأتحول أنا إلى حيث كنت . فقال يحيى : والله يا أمير المؤمنين لو أمكنني أن أفيك هؤل المطمع بنفسى لفعلت . فقال المأمون : لا والله ما بُدّ من أن تأخذ الشمس منى مثل ما أخذت منك . فتحول يحيى وأخذ من الظل مثل الذي أخذ منه المأمون .
وقال المأمون : « أول العدل أن يعدل الرجل على بطّانته ثم على الذين يُلَوْنَهُم حتى يبلغ العدل الطبقة السفلى .

المدائني قال ، قال الأحنف : « لا تنقبضوا عن السلطان ولا تهالكوا عليه فانه من أشرف^(٢) للسلطان أدراّه ومن تضرع له أخطاه » .

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثني محمد بن عمرو الرومي^(٣) [قال حدثنا زهير بن معاوية] عن أبي إسحاق عن زيد بن يثيع قال ، قال حذيفة بن اليمان : « ما مشى قوم قط الى سلطان الله في الأرض ليُبدّلوه إلا أذهلهم الله قبل أن يموتوا » .

(١) كذا بالأصل ، وفي العقد الفريد : مؤمنة بنت المهدى .

(٢) هكذا في الألمانية ، وفي الفتوغرافية أخطاه . وفي العقد الفريد : ومن تظامن له تخطاه ، قال : شبهوا السلطان بالريح الشديدة التي لا تضر بما لان وتمايل معها من الشجر والحشيش ، وما استهدف لها قصته . (٣) زيادة عن النسخة الألمانية .

وفي أخبار خالد بن صفوان أنه قال : دخلت على هشام بن عبد الملك فاستدنانى حتى كنت أقرب الناس منه فتنفس ثم قال : يا خالد، لرب خالدٍ قعد مقعدك هذا أشهى الى حديثك منك . فعلمت أنه يعنى خالد بن عبد الله . فقلت : يا أمير المؤمنين ، أفلا تعيده ؟ فقال : إن خالدًا أدلَّ فأمَلَّ وأوجف فأعجف ولم يدعُ لراجع مرجعا ، على أنه ما سألنى حاجة . فقلت : يا أمير المؤمنين ، ذاك أحرى . فقال : هيهات إذا انصرفت نفسى عن الشيء لم تكن ^(١) * إليه بوجه آخر الدهر تُقبل

حدثنا الفضل بن محمد بن منصور بمعنى هذا الحديث ، وبعبضه نهيك : اعتل ^(٢) يحيى بن خالد فبعث الى منكه الهندى فقال له : ما ترى فى هذه العلة ؟ فقال منكه : داؤك كبير ودواؤه يسير وأيسر منه الشكر ، وكان متفئنا . فقال له يحيى : ربما ثقل على السمع خطرة الحق به ، فاذا كان ذلك كانت الهجرة له ألزم من المفاوضة فيه . قال منكه : صدقت ولكنى أرى فى الطوالع أثرا والأمد فيه قريب وأنت قسيم فى المعرفة وقد نهيت ، وربما كانت صورة الحركة للكوكب عقيمة ليست بذات نتاج ولكن الأخذ بالحزم أوفر حظ الطالبين . قال يحيى : للأموـر منصرف الى العواقب وما حتم لا بد من أن يقع ، والمنعة بمسألة الأيام نهزة فاقصد لما دعوتك له من هذا الأثر ^(٣) الموجود بالمزاج . قال منكه : هى الصفراء ما زجتها مائئة من البلغم لحدث لها بذلك

(١) الرواية المشهورة فى هذا البيت : لم تكن .

(٢) ورد هذا الاسم فى النسخة الألمانية مضبوطا بضم النون وفتح الهاء . وفى تقريب التهذيب لابن حجر : « نهيك » . يوزن عظيم ابن يريم . وفى تحفة ذكرى الأرب فى مشكل الأسماء والنسب لابن خطيب الدهشة : « نهيك » ككريم آخره كاف حيث وقع اسما وكنية .

(٣) كذا بالعقد الفريد وفى النسخة الفتوغرافية : « متعقبا » وفى النسخة الألمانية : « متعينا » وكلاهما من تحريف النسخ .

(٤) كذا بالعقد الفريد وفى الفتوغرافية : « المتعة » وفى الألمانية : « المنفعة » وكلاهما محرف .

ما يحدث للهب عند مماسه رطوبة المادة من الاشتعال نخذ ماء رُمَانين فدَقهما^(١)
 بإهليلجة سوداء تُهَضَّك مجلسا^(٢) [أو مجلسين]^(٣) وتسكن ذلك التوقد الذي تجدد إن شاء الله .
 فلما كان من حديثهم الذي كان ، تلطف منك حتى دخل على يحيى فى الحبس فوجده
 جالسا على لُبْد ووجد الفضل بين يديه يَمْنَهُنْ أَى يَحْدُم فاستعبر منك وقال : قد كنت^(٤)
 ناديت لو أعرست الإجابة . قال له يحيى : أترك علمت من ذلك شيئا جهلته ؟ كلا
 ولكنه كان الرجاء للسلامة بالبراءة من الذنب أغلب من الشفق وكان مزايلة القدر
 الخطير عينا قلما تنهض به الهمة . وبعد فقد كانت نعم أرجو أن يكون أولها شكرا
 وآخرها أجرا . فما تقول فى هذا الداء ؟ قال له منك : ما أرى له دواء أنجع من الصبر ،
 ولو كان يفدى بمال أو مفارقة عضو كانت ذلك مما يجب لك . قال يحيى : قد
 شكرت لك ما ذكرت فان أمكك تعهدنا فافعل . قال منك : لو أمكنتى تخليف
 الروح عندك ما بخلت بذلك ، فانما كانت الأيام تحسن لى بسلا متك . قال الفضل
 كان يحيى يقول : دخلنا فى الدنيا دخولا أخرجنا منها .

وقرأت فى كتاب للهند : « إنما مثل السلطان فى قلة وفائه للأصحاب وسخاء نفسه
 عن فقد منهم مثل البغى والمكتب ، كلما ذهب واحد جاء آخر » .
 والعرب تقول : « السلطان ذو عدوانٍ وذو بدوانٍ وذو تدراٍ » يريدون أنه سريع
 الانصراف كثير البدوات هجوم على الأمور .

- (١) كذا بالأصل الفتوغرافى وفى العقد الفريد : نخذ ماء الرمان فدق فيه إهليلجة الخ .
- (٢) كذا بالعقد الفريد وفى الفتوغرافى هكذا "تفصك" . وفى الألمانية "تفصك" وكلامه التحريف .
- (٣) الزيادة عن العقد الفريد .
- (٤) فى الأصل الفتوغرافى كتب تحتها كالتفسير لها "يخدم" . وزيد فى النسخة الألمانية كأنه من الأصل
- (٥) فى العقد الفريد "أسرعت" وفى الأصلين الفتوغرافى والألماني هكذا "أعرب" ونقل فى هامش
 النسخة الألمانية أ "أعرت" ولعله الصواب .

قال معاذ ابن مسلم : رأيت أبا جعفر وأبا مسلم دخلا الكعبة فترع أبو جعفر نعله فلما أراد الخروج قال : يا عبد الرحمن ، هات نعلي . فجاء بها ، فقال : يا معاذ ضعها في رجلي . فألبسته إياها فحقد ذلك أبو مسلم ، ووجه أبو جعفر يَقْطِين بن موسى الى أبي مسلم لاحصاء الأموال فقال أبو مسلم أفعَلَهَا ابنُ سلامة الفاعلة؟ لا يَكُنِّي . فقال يَقْطِين : عَجَلَتْ أيتها الأمير، قال وكيف ؟ قال : أمرني أن أحصى الأموال ثم أسَلَمَهَا اليك لتعمل فيها برأيك . ثم قدم يَقْطِينُ على المنصور فأخبره . فلما قدم أبو مسلم المدائن في اليوم الذي قتل فيه جعل يضرب بالسوط مَعْرِفَةَ رِدَّونه ويقول بالفارسية كلاما معناه : ما تُعْنِي المعرفة اذا لم يُقَدَّر على دفع المحتوم . ثم قال : جازة ذيلها ، تدعو يا ويلها ، بدجلة أو حولها ، كأننا بعد ساعة ، قد صرنا في دجلة .

قال المنصور : « ثلاث كن في صدري شفى الله منها : كتاب أبي مسلم إلى وأنا خليفة : عافانا الله وإياك من سوء . ودخول رسوله علينا وقوله : أيكم ابن الحارثية؟ . وضرب سليمان بن حبيب ظهري بالسياط » .

قال المنصور لسلم ابن قتيبة : ماترى في قتل أبي مسلم ؟ فقال سلم (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) فقال : حسبك يا أمة .

قال أبو دُلَّامة

أبا مجرم ما غير الله نعمة ■ على عبده حتى يُغيرها العبد
أفي دولة المهدي حاولت غدره * ألا إن أهل الغدر آباؤك الكُدر
أبا مجرم خوفني القتل فاتتحي * عليك بما خوفني الأسد الورد

قال مروان بن محمد لعبد الحميد حين أيقن بزوال ملكه : « قد احتجت إلى أن تصير مع عدوى وتظهر الغدر بي » فان إعجابهم بأدبك وحاجتهم الى كتابتك تدعوهم الى حسن الظن بك ، فان استطعت أن تتفنى في حياتي وإلا لم تعجز عن حفظ

حُرِّمَ بعد وفاتي» فقال عبد الحميد: إن الذي أمرتني به انفع الأمرين لك وأقبحهما
بي وما عندي إلا الصبر حتى يفتح الله لك أو أقتل معك . وقال
أُسِرُّ وفاء ثم أظهر غدره * فن لي بعذر يُوسِعُ الناسَ ظاهره

المشاورة والرأي

- حدثنا الزبدي قال حدثنا حماد بن زيد عن هشام عن الحسن قال: «كان النبي
صلى الله عليه وسلم يستشير حتى المرأة فتشير عليه بالشيء فيأخذ به» .
- وقرأت في التاج أن بعض ملوك العجم استشار وزراءه ، فقال أحدهم :
« لا ينبغي للملك أن يستشير منا أحدا إلا خاليا به ، فانه أموت للسروأحزم للرأي
وأجدر بالسلامة وأعفى لبعضنا من غائلة بعض ، فان إفشاء السر الى رجل واحد
أوثق من إفشائه الى اثنين ، وإفشائه الى ثلاث كإفشائه الى العاقبة لأن الواحد رهن
بما أفشى اليه والثاني يطلق عنه ذلك الرهن والثالث علاوة فيه ، وإذا كان سر الرجل
عند واحد كان أخرى ألا يظهره رهبة منه ورغبة إليه ، وإذا كان عند اثنين
دخلت على الملك الشبهة واتسعت على الرجلين المعاريض ، فان عاقبهما عاقب اثنين
بذنب واحد ، وإن آتهمهما اتهم بريئا بجناية مجرم ، وإن عفا عنهما كان العفو عن
أحدهما ولا ذنب له وعن الآخر ولا حجة معه » .

١٥

- وقرأت في كتاب للهند أن ملكا استشار وزراء له ، فقال أحدهم : « الملك
الحازم يزداد برأى الوزراء الحزمية كما يزداد البحر بمواقده من الأنهار ، وينال بالحزم
والرأي مالا يناله بالقوة والجند ، وللأسرار منازل : منها ما يدخل الرهط فيه ، ومنها
ما يستعان فيه بقوم ، ومنها ما يستغنى فيه بواحد . وفي تحصين السر الظفر بالحاجة
والسلامة من الخلل . والمستشير وإن كان أفضل رأيا من المشير ، فانه يزداد برأيه

٢٠

(*) في النسخة الفتوغرافية : إلا الصبر معك .

رأيا كما تزداد النار بالسليط ضوءا . وإذا كان الملك محصنا لسره بعيدا من ان يُعرف ما في نفسه متخيلا للوزراء مهيبا في أنفُس العامة كافيا بحسن البلاء لا يخافه البريء ولا يأمنه المريب مقدر لما يُفقد وينفق ، كان خليقا لبقاء ملكه . ولا يصلح لسرنا هذا إلا لسانان وأربع آذان . ثم خلا به .

قال أبو محمد : كتبت الى بعض السلاطين كتابا وفي فصل منه : « لم يزل حَزْمَةُ الرجال يَسْتَحْلُونَ مرارة قول النصحاء وَيَسْتَهْدُونَ العيوب وَيَسْتَثِيرُونَ صواب الرأي من كُلِّ حَتَّى الأُمَةِ الْوَكُءَاء ، ومن احتاج الى إقامة دليل على ما يدعيه من مودته ونقاء طويته فقد أغنانى الله عن ذلك بما أوجبه الاضطراب إذ كنت أرجو بدوام نعمتك وارتقاع درجتك وانبساط جاهك ويدك زيادة الحال » .

وفي فصل آخر : « وقد تحملتُ في هذا الكتاب بعض العتب وخالفت ما أعلم إذ عرضت بالرأى ولم أَسْتَشِرْ وأَحْلَلْتُ نفسى محل الخواص ولم أَحَلِّ ونزعتُ بى النفس ، حين جاشت وضافت بما تسمع ، عن طريق الصواب لها الى طريق الصواب لك . وحين رأيت لسان عدوك منبسطا بما يدعيه عليك وسهامه نافذة فيك ، ورأيت وليك معكوما عن الاحتجاج إذ لا يجد العذر ورأيت عوام الناس يخوضون بضروب الأقاويل في أمرك ، ولا شئ أضرَّ على السلطان في حال ولا أنفع في حال منهم . وبما يُجْريه الله على ألسنتهم تسير الركان وتبقى الأخبار ويخلد الذكر على الدهر وتشرف الأعقاب ، وظاهر الخبر عندهم أعدل من شهادة العدول الثقات » .

وفي فصل منه : « وسائسُ الناس ومدبرُ أمورهم يحتاج الى سعة الصدر واستشعار الصبر واحتمال سوء أدب العامة وإفهام الجاهل وإرضاء المحكوم عليه والمنوع مما

(*) في الأصل الفتوغرافى : كتب الى بعض أصحاب السلطان الخ ، ولكن الحكاية تؤيد رواية النسخة الألمانية .

يسأل بتعريفه من أين منع ، والناس لا يجمعون على الرضا إذا جُمع لهم كل أسباب الرضا فكيف إذا مُنعوا بعضها . ولا يعذرون بالعدر الواضح فكيف بالعدر المتيسر ، وأخوك من صدقك وأرتضى لك لا من تابعك على هواك ثم غاب عنك بغير ما أحضرك .

قال زياد لرجل يشاوره : « لكل مستشير ثقة ولكل سر مستودع ، وإن الناس قد أبدعت بهم خصلتان : إضاعة السر ، وإحراج النصيحة . وليس موضع السر إلا أحد رجلين : رجل آخره يرجو ثواب الله ، أو رجل دنيا له شرف في نفسه وعقل يصون به حسبه ، وقد عجمتهما لك . »

وكتب بعض الكتاب : « اعلم أن الناصح لك المشفق عليك من طالع لك ما وراء العواقب برؤيته ونظره ، ومثل لك الأحوال المخوفة عليك ، وخط لك الوعر بالسهل من كلامه ومشورته ليكون خوفك كفتاً لرجائك وشكرك إزاء النعمة عليك . وأن الغاش لك الحاطب عليك من مد لك في الاعتزاز ووطأ لك مهاد الظلم وجرى معك في عنانك منقاداً لهواك . »

وفي فصل : « إني وإن كنت ظنيناً عندك في هذه الحال ففي تدبرك صفحات هذه المشورة ما ذلك على أن مخرجها عن صدق وإخلاص . »

إبراهيم بن المنذر قال : استشار زياد بن عبيد الله الحارثي عبيد الله ابن عمر في أخيه أبي بكر أن يولي القضاء ، فأشار عليه به ، فبعث إلى أبي بكر فامتنع عليه ، فبعث زياد إلى عبيد الله يستعين به على أبي بكر ، فقال أبو بكر لعبيد الله : أنشدك بالله أترى لي أن ألي القضاء ؟ قال : اللهم لا . قال زياد : سبحان الله ! استشرتك فأشرت عليّ به ثم أسمعك تنهائ ! قال : أيها الأمير استشرتني فاجتهدت لك رأيي ونصحتك ، واستشارني فاجتهدت له رأيي ونصحتي .

كان نصر ابن مالك على شرط أبي مسلم . فلما جاءه إذن أبي جعفر في القدوم عليه استشاره فنهاه عن ذلك وقال : لا آمنه عليك ، قال له أبو جعفر لما صار اليه : استشارك أبو مسلم في القدوم على فتيته ؟ قال نعم : قال وكيف ذلك ؟ قال : سمعت أخاك إبراهيم الامام يحدث عن أبيه محمد بن علي قال « لا يزال الرجل يزداد في رأيه ما نصح لمن استشاره » وكنت له كذلك وأنا اليوم لك كما كنت له .

قال معاوية : « لقد كنت ألقى الرجل من العرب أعلم أن في قلبه على ضغنا فاستشيرته ، فيثير الي منه بقدر ما يجده في نفسه فلا يزال يوسعني شتما وأوسعها حلما حتى يرجع صديقا أستعين به فيعيني وأستجده فيجديني » .

وقرأت في كتاب إبرويزالي ابنه شيرويه وهو في حبسه : « عليك بالمشاورة فانك واجد في الرجال من ينصح لك الكي ويحسم عنك الداء ويخرج لك المستكين ولا يدع لك في عدوك فرصة إلا انتهزها ولا لعدوك فيك فرصة إلا حصنها ، ولا يمنعك شدة رأيك في ظنك ولا علو مكانك في نفسك من أن تجمع الى رأيك رأي غيرك فان أحمدت اجتنيت وإن ذمت نقيت ، فان في ذلك خصالا : منها أنه إن وافق رأيك ازداد رأيك شدة عندك » وإن خالف رأيك عرضته على نظرك ، فان رأيته معتليا لما رأيت قبلت ، وإن رأيته متضعا عنه استغنيت ، ومنها أنه يجدد لك النصيحة ممن شاورت وإن أخطأ ويحض لك مودته وإن قصر » .

وفي كتاب للهند : « من التمس من الاخوان الرخصة عند المشورة ومن الأطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة ، أخطأ الرأي وازداد مرضا وحمل الوزر » .

(١) نقل بهامش النسخة الألمانية عن نسخة "فيتور" الخ .

(٢) في الأصل "ينصح" وهو تحريف .

(٣) هكذا في النسخة الألمانية والفتوغرافية ، والمناسب لما قبله "أذمت" يقال أذمته أى وجدته ذميا .

وفي آداب ابن المقفع : « لا يُقذفن في رُوعك أنك إن استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة الى رأى غيرك . فيقطعك ذاك عن المشاورة ، فانك لا تريد الرأى للفخر به ولكن للانتفاع به . ولو أنك أردت الذكر كان أحسن الذكر عند الألباء أن يقال : لا ينفرد برأيه دون ذوى الرأى من إخوانه » .

قال عمر بن الخطاب : « الرأى الفرد كالخيط السَّحِيل ، والرأىان كالخيطين المبرمين ، والثلاثة مَرَارٌ لا يكاد ينتقض » . وقال أشجع

رأى سرى وعيون الناس هاجعةٌ ■ ما أتر الحزم رأى قدم الحذر

كتب الحجاج الى المهلب يستعجله في حرب الأزارقة ، فكتب اليه المهلب : « إن من البلاء أن يكون الرأى لمن يملكه دون من يبصره » . وقيل لعبد الله ابن وهب الراسي يوم عقدت له الخوارج : تكلم . فقال : ما أنا والرأى الفطير والكلام القضيبي . وقال أيضا : خير الرأى خير من فطيره ، ورُبَّ شئ غابهُ خير من طريه ، وتأخيرهِ خير من تقديمه . وقيل لآخر : تكلم . فقال : ما أشتى الخبز إلا بأتنا .

كان ابن هبيرة يقول : « اللهم إني أعوذ بك من صحبة من غايته خاصة نفسه والانعطاط في هوى مستشير ، ومن لا يلتمس خالص مودتك إلا بالتأني لمواقفة شهوتك ، ومن يساعدك على سرور ساعتك ولا يفكر في حوادث غدك » . وكان يقال : « من أعطى أربعا لم يُمنع أربعا : من أعطى الشكر لم يُمنع المزيد ، ومن أعطى التوبة لم يُمنع القبول ، ومن أعطى المشورة لم يُمنع الصواب ، ومن أعطى الاستخارة لم يُمنع الخيرة » . وكان يقال : لا تستشر معلما ولا راعى الغنم ولا كثير القعود مع النساء . وكان يقال : لا تشاور صاحب حاجة يريد قضاءها ولا جائعا ولا حاقن بول .

(*) في النسخة الألمانية مرائر . والمرار : الحبل الذي أُجيد فتله .

وقالوا « لا رأى لحاقن ولا لحازق » وهو الذى ضغطه الخلف « ولا لحاقب » وهو الذى يجرد رزاً فى بطنه . وقالوا أيضاً : لا تشاور من لا دقيق عنده .

وكان بعض ملوك العجم إذا شاور مرازيتَه فقصرُوا فى الرأى دعا الموكِّلين بأرزاقهم فعاقبهم ، فيقولون : تخطئ مرازيتك وتعاقبنا ! فيقول : نعم ، إنهم لم يخطئوا إلا لتعلق قلوبهم بأرزاقهم وإذا اهتموا أخطئوا . وكان يقال : إن النفس إذا أحرزت [قوتها] ورزقها اطمأنت .

وقال كعب : لا تستشيروا الحاكمة فإن الله سلبهم عقولهم ونزع البركة من كسبهم .
قال الشاعر

وأفنع من شاورت من كان ناصحا * شفيقا فأبصر بعدها من تشاور
وليس بشافيك الشفيق ورأيه * غريب ولا ذوالرأى والصدروا غر ١٠

ويقال : علامة الرشد أن تكون النفس مشتاقة . وقال آخر

إذا بلغ الرأى النصيحة فاستعن * برأى نصيح أو نصيحة حازم
ولا تحسب الشورى عليك غضاضة * فان الخواف رافدات القوادم
وخلّ الهوينا للضعيف ولا تكن * تؤوما فان الحزم ليس بنائم
وأدين من القربى المقرب نفسه * ولا تشهد الشورى أمراً غير كاتم ١٥
وما خير كف أمسك الغلّ أختها * وما خير سيف لم يؤيد بقاءم
فانك لن تستطرد الهم بالئى * ولن تبلغ العليا بغير المكارم

قال أعرابي : ما عُيِّنْتُ قط حتى يُغبن قومي . قيل : وكيف ذلك ؟ قال :
لا أفعل شيئاً حتى أشاورهم . وقيل لرجل من بني عبس : ما أكثر صوابكم ! فقال :

نحن ألف رجل وفيها حازم واحد ونحن نطيعه، فكأننا ألف حازم . ويقال : « ليس بين الملك وبين أن يملك رعيته أو تملكه إلا حزم أو توان » .

وقال القطامي في معصية الناصح

ومعصية الشفيق عليك مما * يزيدك مرة منه استمعا
وخير الأمر ما استقبلت منه * وليس بأن تتبعه اتباعا
كذلك وما رأيت الناس إلا * إلى ما جرّ غاويهم سراعا
تراهم يغمزون من أسترّكوا * ويحتنبون من صدّق المصاعا

وقال آخر، أنشدنيه الرياشي

ومولّى عصاني وأستبدّ برأيه * كما لم يطع بالبقّتين قصير
فلما رأى أن غبّ أمرى وأمره * وولت بأعجاز الأمور صدور
تمّى بثيسا أن يكون أطاعني * وقد حدثت بعد الأمور أمور

وقال سبيع لأهل الإمامة « يا بني حنيفة بعدا كما بعدت عاد وثمود، أما والله لقد أنبأتكم بالأمر قبل وقوعه كأني أسمع جرسه وأبصر غيبه ولكنكم أبيتم النصيحة فاجتنيتم الندم، وأصبحتم وفي أيديكم من تكذيب التصديق ومن تهمة الندامة، وأصبح في يدي من هلاككم البكاء ومن ذلكم الجزع، وأصبح ما فات غير مردود وما بقى غير مأمون. وإني لما رأيتم تهمون النصيح وتسفهون الحليم استشعرت منكم اليأس وخفت عليكم البلاء . والله ما منعكم الله التوبة ولا أخذكم على غرة . ولقد أمهلكم حتى ملّ الواعظ وهن الموعوظ وكنتم كأنما يُعنى بما أتم فيه غيركم » .

وأشار رجل على صديق له برأى، فقال له : « قد قلت ما يقول الناصح الشفيق الذي يخلط حلوكلامه بمزّه وحزّه بسهله ويحزك الاشفاق منه ما هو ساكن من غيره » .

وقد وعيتُ النصح فيه وقبلته إذ كان مصدره من عند من لا يُشكُّ في مودته وصافي غيبه، وما زلتُ بحمد الله إلى كل خير طريقاً منهجاً ومهيئاً واضحاً .

وكتب عثمان إلى عليٍّ حين أحيط به : «أما بعد فإنه قد جاوز الماء الزبي وبلغ الحزام الطيبين وقد تجاوز الأمر بي قدره .

فإن كنتُ ما كولا فكن خيراً أكل * وإلا فأدركني ولماً أمزق»

وقال أوس بن حجر

وقد أُعْتُبَ آبنَ العمِّ إن كنتُ ظالماً * وأغفر عنه الجهل إن كان أجهلاً

وإن قال لي ماذا ترى ؟ يستشيرني * يجذني آبنَ عمِّ مَحْطَ الأمرِ مِنْ يَلَا

أقيم بدار الحزم ما دام حزمها * وأحرَّ إذا حالت بآنَ أتحولاً

وأستبدل الأمر القوي بغيره * إذا عَقَّدَ مَأُونُ الرجالِ تحللاً

وكان يقال : «أناة في عواقبها دَرَكٌ، خير من معاجلة في عواقبها فَوْتُ» .

وأنشدني الرياشي

وعاجزُ الرأي مضياح لفرصته * حتى إذا فات أمر عاتب القَدرا

وكان يقال : «رَوَّ بِحَزْمٍ فَإِذَا اسْتَوْضَحْتَ فَاعْزِمِ» .

الاصابة بالظن والرأي

كان ابن الزبير يقول : « لا عاش بخير من لم ير برأيه ما لم ير بعينه » . وسئل

بعض الحكماء : ما العقل ؟ فقال : «الإصابة بالظن ومعرفة ما لم يكن بما كان» .

وكان يقال : «كفى مُخْبِراً عما مضى ما بقى ، وكفى عِبراً لأولى الألباب ما جربوا» . وكان

يقال : «كل شيء محتاج إلى العقل ، والعقل محتاج إلى التجارب» . ويقال : «من لم

ينفعك ظنه لم ينفعك يقينه» . وقال أوس بن حجر

الألمعى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعاً

وقال آخر

وأبغى صوابَ الظنِّ أعلم أنه * إذا طاش ظنُّ المرء طاشت مَقادِرُه

وقال علي بن أبي طالب صلوات الله عليه في عبد الله بن عباس : «إنه لينظر إلى الغيب من ستر رقيق» . ويقال : «ظنُّ الرجل قطعةً من عقله» . ويقال : «الظنون مفاتيح اليقين» . وقال بعض الكتاب

أصونك أن أظنَّ عليك ظنا * لأن الظن مفتاح اليقين

وقال الكيت

مثلُ التدبر في الأمر أئتنائفك * والمرء يعجز في الأقوام لا الحيل^(١)

وقال آخر

وكنْتَ متى شُهِزَ لخطب أُغشَّه * ضرائبَ أمضى من رِقاق المَضارب
تَجَلَّلتَه بالرأى حتى أريتَه * به ملءَ عينه مَكَانَ العواقب

وقال آخر يصف عاقلا

بصير بأعقاب الأمور كأنما * يرى بصواب الرأى ما هو واقع

وقال آخر في مثله

عليم بأعقاب الآمور برأيه * كأن له في اليوم عينًا على الغد

وقال آخر يصف عاقلا

بصير بأعقاب الأمور كأنما * يخاطبه من كل أمر عواقبه

وقال جثامة بن قيس يهجو قوما^(٢)

أنتم أناس عظام لا قلوب لكم * لا تعلمون أجراء الرشد أم غابا

(١) هكذا في النسخة الألمانية والفتوغرافية . ولعله محرف عن الأقدام .

(٢) في النسخة الفتوغرافية : وقال آخر .

وتبصرون رؤوس الأمر مقبلة * ولا ترون وقد ولّين أذنا
وقلما يفجأ المكروه صاحبه * إذا رأى لوجوه الشر أسبابا
(*)
وقال آخر

فلا يحذرون الشر حتى يصيبهم * ولا يعرفون الأمر إلا تدبرا

ويقال : «ظن العاقل كهانة» . وفي كتاب للهند : «الناس حازمان وعاجز، فاحد
الحازمين الذي إذا نزل به البلاء لم يبطر وتلقاه بحيلته ورأيه حتى يخرج منه، وأحزم
منه العارف بالأمر إذا أقبل فيدفعه قبل وقوعه ، والعاجز في تردد وتثن حائر بائر
لا ياتمر رشدا ولا يطيع مرشدا» .

وقال الشاعر

وإني لأرجو الله حتى كأني * أرى بجمل الظن ما الله صانع

وقال آخر

وغير مرة من فعل غير * وغيرة مرتين فعال مؤق
فلا تفرح بأمر قد تدنى * ولا تأيس من الأمر السحيق
فإن القرب يبعد بعد قرب * ويدنو البعد بالقدر المسوق
ومن لم يتق الضحضاح زلت * به قدماه في البحر العميق
وما آكتسب المحامد طاليوها * بمثل البشر والوجه الطليق

وقال مروان بن الحكم الحنيس بن دجلة : أظنك أحق . قال : «أحق ما يكون

الشيخ إذا عمل بظنه» . ونقش رجل على خاتمه : «الخاتم خير من الظن» . ومثله :
«طينة خير من ظنة» .

(*) في النسخة الفتوغرافية وقال جثامة بن فبس . والبيت لجرير كما في اللسان .

اتباع الهوى

كان يقال : الهوى شريك العمى . وقال عامر بن الظرب : الرأى نائم والهوى يقظان ، ولذلك يغلب الرأى الهوى . وقال ابن عباس : « الهوى إله معبود » وقرأ (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) . وقال هشام بن عبد الملك ، ولم يقل غيره

إذا أنت لم تعص الهوى قaddock الهوى * إلى بعض ما فيه عليك مقال
وقال بزرجمهر : « إذا أشتبه عليك أمران فلم تدر في أيهما الصواب ، فانظر أقربهما إلى هوائك فاجتنبه » .

كان عمرو بن العاص صاحب عمارة بن الوليد إلى بلاد الحبشة ومع عمرو امرأته ف وقعت في نفس عمارة فدفع عمرا في البحر فتعلق بالسفينة وخرج ، فلما ورد بلاد الحبشة سعى عمرو بعارة إلى النجاشي وأخبره أنه يحالف إلى بعض نسائه فدعا النجاشي بالسواحر فنفخن في إحليله فهام مع الوحش ، وقال عمرو في ذلك تعلم عمارة أن من شر شيمة * لملك أن يدعى ابن عم له أبنا وإن كنت ذا بردين أحوى مرجلا * فلست براء لابن عمك محسرا إذا المرء لم يترك طعاما يحببه * ولم يعص قلبا غاويا حيث يمتما قضى وطرا منه يسيرا وأصبحت * إذا ذكرت أمثاله تملأ الفها وقال حاتم طي في مثله

وإنك إن أعطيت بطنك سؤله * وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

وقال آخر

جار أبلغيده على محسركما * جهلا ولست بموضع الظلم

أكل الهوى محجبي ورُبَّ هوى * مما سيأكل حجة الخصم

قال اعرابي : « الهوى هوان ، ولكن غلط باسمه » .

وقال الزبير بن عبد المطلب

وَأَجْتَنِبُ الْمَقَادِرَ حَيْثُ كَانَتْ * وَأَتْرُكُ مَا هَوَيْتُ لَمَّا خَشِيتُ

وقال البريق الهذلي

أَيْنَ لِي مَا تَرَى وَالْمَرْءُ تَأْتِي * عَزِيمَتُهُ وَيَغْلِبُهُ هَوَاهُ

فَيَعْمَى مَا يَرَى فِيهِ عَلَيْهِ * وَيَحْسَبُ مَا يَرَاهُ لَا يَرَاهُ

وكان يقال : « أخوك من صدقك وأتاك من جهة عقلك لا من جهة هواك » .

السِّرُّ وكتمانه وإعلانه

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا محمد بن الحَصِيب قال حدثني أوس ابن

عبد الله بن بُرَيْدَةَ عن أخيه سهل عن بُرَيْدَةَ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« استعينوا على الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود » . وكانت الحكماء تقول :

« سِرِّكَ مِنْ دَمِكَ » . والعرب تقول : « من ارتاد لسره موضعاً فقد أذاعه » .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن قُرَيْب عن عمِّه الْأَصْمَعِيِّ قال أخبرني بعض أصحابنا

قال : دخل ابن أبي مِحْجَنٍ الثَّقَفِيُّ على معاوية ، فقال له معاوية : أبوك الذي يقول

إِذَا مِتُّ فَادْفَنْنِي إِلَى أَصْلِ كَرَمَةٍ * تُرَوِّى عِظَامِي بَعْدَ مَوْتِي عُروْفُهَا

وَلَا تَدْفِنَنِي فِي الْقَلَاةِ فَإِنِّي * أَخَافُ وَرَاءَ الْمَوْتِ أَنْ لَا أَذُوقُهَا

فقال ابن أبي مِحْجَنٍ : لو شئت ذكرت أحسن من هذا من شعره . فقال معاوية :

وما ذاك ؟ قال قوله

لَا تَسْأَلِ الْقَوْمَ مَا مَالِي وَمَا حَسْبِي * وَسَأَلِ الْقَوْمَ مَا حَزَمِي وَمَا خُلِقِي

الْقَوْمُ أَعْلَمُ أَنِّي مِنْ سَرَائِهِمْ * إِذَا تَطِيشُ يَدُ الرَّعْدِ غَدَاةَ الْفَرَقِ

أَعْطَى السَّانَ غَدَاةَ الرُّوعِ حَصَّتَهُ * وَعَامَلَ الرُّوحَ أَرْوَاهُ مِنَ الْعَلَقِ

قَدْ أَرَكَبَ الْهَوَلَ مَسْدُولًا عَسَاكَرُهُ * وَأَكْتَمَ السَّرْفِيهِ ضَرْبَةَ الْعَنْقِ

وَأُنْشِدْنِي لِلصَّلَتَانِ الْعَبْدِي

وَسِرِّكَ مَا كَانَ عِنْدَ امْرِئٍ * وَسِرِّ الثَّلَاثَةِ غَيْرِ الْخَفِيِّ

وَكَانَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَتَمَثَّلُ بِهِذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ

وَلَا تُفْشِرْ سِرَّكَ إِلَّا إِلَيْكَ * فَانْ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحًا

فَإِنِّي رَأَيْتُ غُرُوءَ الرَّجَا * لِي لَا يَتْرُكُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا

وقال الشاعر

وَمُرَاقِبَيْنِ تَكَامَى بِهِمَا * جَعَلَا الْقُلُوبَ لِمَا تُجَنِّ قُبُورًا

يَتَلَحَّظَانِ تَلَحُّظًا فَكَاثِمًا * يَتَنَاسَخَانِ مِنَ الْخَفُونِ سُطُورًا

وقال مسكين الدارمي

أُوَانِحِي رِجَالًا لَسْتُ أُطَالِعُ بَعْضَهُمْ * عَلَى سِرٍّ بَعْضُ غَيْرِ أُنَى جَمَاعِهَا

يُظَلُّونَ شَقِيًّا فِي الْبِلَادِ وَسُرُّهُمْ * إِلَى صَخْرَةِ أَعْيَا الرِّجَالِ انْصِدَاعِهَا

وقال (*)

لَوْ قَدَّرْتُ عَلَى نَيْسَانَ مَا أَشْتَمَلْتُ * مِنْهُ الضُّلُوعُ مِنَ الْأَسْرَارِ وَالْخَبَرِ

لَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ يَنْسَى سِرَّائِهِ * إِذْ كُنْتُ مِنْ نَشْرِهَا يَوْمًا عَلَى خَطَرٍ

أسر رجل إلى صديق له حديثاً فلما استقصاه قال له : أفهمت ؟ قال : لا ، بل نسيت . ١٥

قيل لأعرابي : كيف كتبناك للسري ؟ قال : « ما قلبي له إلا قبر » . وقيل لمزبد :

أَيُّ شَيْءٍ تَحْتَ حَضَنِكَ ؟ فَقَالَ : يَا أَحْمَقُ لِمَ خَبَأْتُهُ . وقال الشاعر

إِذَا مَا ضَاقَ صَدْرُكَ عَنْ حَدِيثٍ * فَأَفْشَيْتَهُ الرِّجَالُ فَمَنْ تَلُومُ

إِذَا عَاتَبْتُ مَنْ أَفْشَى حَدِيثِي * وَسَرَى عِنْدَهُ فَأَنَا الظَّلُومُ

ولماني حين أسأم حمل سري ■ وقد ضمته صدرى سؤوم ٢٠

(*) في النسخة الألمانية : وقال آخر . على أنا لم نثر على هذا الشعر لمسكين الدارمي .

قيل لرجل : كيف كتمانك للسِر؟ قال : «أجحد المخبر وأحلف للمستخبر». وكان
يقال : «من وهى الأمر إعلانه قبل إحكامه». وقال الشاعر
إذا أنت حملت الخوون أمانة * فانك قد أسندتها شرَّ مُسند

وقال عمرو بن العاص : «ما أستودعتُ رجلاً سراً فأفشاه فلمته، لأنى كنت أضيق
صدرا حين أستودعته». وقال

إذا أنت لم تحفظ لنفسك سرّها * فسرك عند الناس أفشى وأضيعُ

وكان يقال : «من ضاق قلبه اتسع لسانه».

وقال الوليد بن عتبة لأبيه : إن أمير المؤمنين أسراى حديثا ولا أراه يطوى
عنك ما يبسطه لغيرك، أفلا أحدثك به؟ قال : لا يا بنى «إنه من كتم سره كان الخیار
له، ومن أفشاه كان الخیار عليه، فلا تكون مملوكا بعد أن كنت مالكا» قال قلت :
وإن هذا ليجرى بين الرجل وأبيه؟ قال : لا، ولكنى أكره أن تذلل لسانك بأحاديث
السِر. فحدثت به معاوية فقال : يا وليد ؟ أعتقك أخى من رق الخطأ .

وفى كتب العجم أن بعض ملوك فارس قال : «صونوا أسراركم فانه لا سر لكم
إلا فى ثلاثة مواضع : مكيده تُحاول أو منزلة تُراول أو سريرة مدخولة تُكتم،
ولا حاجة بأحد منكم فى ظهور شيء منها عنه». وكان يقال : «ما كنت كاتمته من
عدوك فلا تظهر عليه صديقك».

وقال جميل بن معمر

أموت وألقى الله يابثن لم أبيع * بسرِّك والمستخبرون كثير

وقال عمر بن أبى ربيعة المخزومي

ولما تلاقينا عرفْتُ الذى بها * كمثل الذى بى حدوك النعل بالنعل

فقلت وأرخت جانب السّتر إنما ■ معي فتكلم غير ذى رغبة أهلى
فقلت لها ما بى لهم من ترقب * ولكن سرى ليس يحمله مثلى
يريد أنه ليس يحمله أحد مثلى فى صيانته وسّره، أى فلا أبديه لأحد . وقال زهير
السّتر دون الفاحشات ولا * يلقاك دون الخير من سّتر

وقال آخر

فسرى كإعلاني وتلك حليقتى ■ وظلمة ليلى مثل ضوء نهاريا
وقال آخر لأخ له وحّدته بحديث: اجعل هذا فى وعاء غير سرب، والسرب السائل .
وكان يقال: «للقاتل على السامع جمع البال والكتمان وبسط العذر» . وكان يقال :
«الرعاية خير من الاسترعاء» .

أتى رجل عبّده الله بن زياد فأخبره : أن عبد الله بن همام السّلولى سبه . فأرسل
إليه فأتاه فقال : يا بن همام إن هذا يزعم أنك قلت : كذا وكذا . فقال ابن همام
فأنت أمرؤ إنما أئتمتُك خاليا * نخنت ، وإما قلت قولاً بلا علم
وإنك فى الأمر الذى قد أتيتَه * لفى منزل بين الخيانة والإثم

وقال آخر

اخفِضِ الصّوت إن نطقْتَ بلىل ■ والتفتْ بالنهار قبل الكلام
وقال بعض الأعراب

ولا أكنم الأسرار لكن أئتمها * ولا أدع الأسرار تغلى على قلبى
وإن قليل العقل من بات ليلة * تقلّبه الأسرار جنباً الى جنب

وقال أبو الشّيص

لا تأمنن على سرى وسركم * غيرى وغيرك أوطى القراطيس
أو طائر سألّيه وأنعتَه * ما زال صاحب تنقير وتأسيس

سُودِ بَرَأْتُهُ مَيْلَ ذَوَائِبِهِ * صُفْرِ حَمَالِقِهِ فِي الْحَسَنِ مَغْمُوسٍ
 قَدْ كَانَ هَمَّ سُلَيْمَانَ لِيَذْبَحَهُ * لَوْلَا سَعَايَتُهُ يَوْمًا يَبْلُقِيَسُ

وقال أيضا

أَفْضَى إِلَيْكَ بِسَرِّهِ قَلَمٌ * لَوْ كَانَ يَعْرِفُهُ بَكِي قَلَمُهُ

وقال مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي الْكِتَابِ يَأْتِيكَ فِيهِ السَّرُّ

الْحَزْمُ تَحْرِيقُهُ إِنْ كُنْتَ ذَا حَذَرٍ * وَإِنَّمَا الْحَزْمُ هَوَ الظَّنُّ بِالنَّاسِ
 إِذَا أَتَاكَ وَقَدْ أَدَّى أَمَانَتَهُ * فَاجْعَلْ صِيَانَتَهُ فِي بَطْنِ أُرْمَاسِ

وقال آخر

سَأَكْتُمُهُ سَرِّي وَأَحْفَظُ سَرَّهُ * وَلَا غَرَّنِي أَنِّي عَلَيْهِ كَرِيمٌ
 حَلِيمٌ فَيَنْسَى أَوْ جَهُولٌ يُسَيِّعُهُ * وَمَا النَّاسُ إِلَّا جَاهِلٌ وَحَلِيمٌ

الْكِتَابُ وَالْكِتَابَةُ

(١)

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوِيَّةَ عَنْ وَهْبِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ
 عَنِ الْحَسَنِ عَنْ عَمْرِو بْنِ ثَعْلَبٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ "مَنْ أَشْرَاطُ
 السَّاعَةِ أَنْ يَفِيضَ الْمَالُ وَيُظْهَرَ الْقَلَمُ وَتَفْشُو التِّجَارُ" قَالَ عَمْرِو : إِنْ كُنَّا لَنَلْتَمِسُ
 فِي الْحَوَاءِ الْعَظِيمِ الْكَاتِبَ، وَيَبِيعُ الرَّجُلُ الْبَيْعَ فَيَقُولُ : حَتَّى أَسْتَأْمِنَ تَاخِرَ بَنِي فَلَانٍ .

١٥

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْخَلِيلِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبَانَ عَنْ عَنَبَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقُرَشِيِّ
 عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَادَانَ عَنْ أُمِّ سَعْدٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُمْلِي فِي بَعْضِ حَوَائِجِهِ فَقَالَ "ضَعْ الْقَلَمَ عَلَى أَذْنِكَ فَإِنَّهُ أَذْكَرُ لِمُلْمَلِي بِهِ".

(١) كَذَا بِالْفَتْوَاغِرَافَةِ . وَفِي الْأَمْسَانِيَةِ «عُبَيْدُ اللَّهِ» وَلَعَلَّهُ يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ بَنِي دِينَارِ الْعَبْدِيِّ رَاوِي الْحَدِيثِ

كَثِيرًا عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَغَيْرِهِ . (٢) الْحَوَاءُ مَجْتَمِعُ بَيْوتِ الْحَيِّ إِذَا تَدَانَتْ .

٢٠

وحدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب قال: «كان إدريس النبي عليه السلام أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب وليسها وكان من قبله يلبسون الجلود» .

حدثنا إسحاق بن راهويه قال: أخبرنا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن عياض ابن أبي موسى أن عمر بن الخطاب قال لأبي موسى: أدع لي كتابك ليقرأ لنا صخفا جاء من الشام . فقال أبو موسى: إنه لا يدخل المسجد . قال عمر: أيه جنابة؟ قال: لا، ولكنه نصراني . قال: فرفع يده فضرب نخذه حتى كاد يكسرها ثم قال مالك! قاتلك الله! أما سمعت قول الله عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ) ! ألا اتخذت رجلاً حنيفياً! فقال أبو موسى: له دينه ولي كتابته . فقال عمر: «لا أكرمهم إذ أهانهم الله ولا أعزهم إذ أذلهم الله ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله» .

حدثنا إسحاق بن راهويه قال أخبرنا عيسى بن يونس قال حدثنا أبو حيان التميمي عن أبي زبئاع عن أبي الدهقان قال: ذكر لعمر ابن الخطاب غلام كاتب حافظ من أهل الحيرة وكان نصرانياً، فقيل له: لو اتخذته كاتباً . فقال «لقد اتخذت إذا بطانة من دون المؤمنين» .

حدثني أبو حاتم قال: مرَّ امرئٌ من مروءة من أهل الأنبار وهو الذي وضع كتابه العربية، ومن الأنبار انتشرت في الناس .

(*) هكذا في النسخة الفوتوغرافية والألمانية . والذي في القاموس : ومرامر بن مرة بضمهما أول من وضع الخط العربي . ونقل صاحب اللسان عن ابن القطامي ما يوافق عبارة صاحب القاموس ثم قال : قال ابن بري : الذي ذكره ابن النحاس وغيره عن المدائني أنه مرامر بن مروءة .

حدثني أبو سهل عن الطَّنَافِسي عن المُنَكِّدِ بن محمد عن أبيه محمد بن المُنَكِّدِ قال جاء الزُّبَيْر بن العَوَّام الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كيف أصبحت ؟ جعلني الله فداك ! قال " ما تركتَ أَعْرَابِيَّتَكَ بعد " .

قال عبد الملك ابن مراون لأخيه عبد العزيز حين وجهه الى مصر : « تفقد كاتبك وحاجبك وجليستك ، فان الغائب يخبره عنك كاتبك ، والمتوسم يعرفك بحاجبك ، والداخل عليك يعرفك بجليستك » .

ابن أبي الزناد عن أبيه قال : كنت كاتباً لعمر بن عبد العزيز فكان يكتب الى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب في المظالم فيراجعه ، فكتب اليه : « إنه ليخجل الى أنى لو كتبتُ اليك أن تُعطي رجلاً شاة لكتبتُ الى : أضأن أم ماعز ، ولو كتبتُ اليك بأحدهما لكتبتُ : أذكر أم أنثى ، ولو كتبتُ اليك بأحدهما لكتبتُ : أصغير أم كبير . فاذا أتاك كتابي هذا فلا تراجعني في مظلمة » .

وكتب أبو جعفر الى سلم بن قتيبة يأمر بهدم دُور من خرج مع إبراهيم وعقر نخلهم . فكتب اليه : بأى ذلك نبدأ أبالنخل أم بالدور ؟ فكتب اليه أبو جعفر . « أما بعد ، فاني لو أمرتك بافساد ثمرهم لكتبتُ الى تستأذن في أيّ تبدأ أبالبرني أم بالشهريز ؟ » وعزله ، وولى محمد بن سليمان . وكان يقول : « لا كاتب على الملك ثلاثة ، رفع الحجاب عنه ، وأتاهم الوشاة عليه ، وإفشاء السر إليه » .

كانت العجم تقول : « من لم يكن عالماً بأجراء المياه وبحفر فُرُض الماء والمسابر ورَدَم المَهاوى ومجاري الأيام في الزيادة والنقصان واستهلال القمر وأفعاله ووَزَن الموازين

(١) في الفتوغرافية : سلام وهو تحريف .

(٢) في الفتوغرافية فرض المشارب .

وذَرَعَ المثلثَ والمُرْبَعَ والمُخْتَلِفَ الزَّوَايا ونَصَبَ القناطرَ والجُسُورَ والدُّوَالِي والنواعيرَ على المياه وحال أدوات الصنَّاع ودقائق الحساب كان ناقصاً في حال كتابته .

قال ميمون بن ميمون «إذا كانت لك الى كاتب حاجةٌ فليكن رسولك اليه الطمع» .
وقال : «إذا آخيت الوزير فلا تخش الأمير» .

وفي كتاب للهند : «إذا كان الوزير يُساوى الملك في المال والهيبة والطاعة من الناس فليصرعه الملك ، وإن لم يفعل فليعلم أنه هو المصروع» .

المداخني قال : خلا زياد يوماً في أمر ينظر فيه وعنده كاتب له يكتب وابنه عبيد الله ، فنفس زياد فقال لعبيد الله : تعهد هذا لا يكتب شيئاً . ونام ، فوجد عبيد الله مساً من البول فكره أن يوقظ أباه وكره أن يُحِلَّ الكاتب فشد إبهاميه بخيط وختمه وقام لحاجته .

قال أبو عباد الكاتب : ما جلس أحد قط بين يدي إلا تحيل إلى أني جالس بين يديه .
وقرأت في التاج أن أبرويز قال لكاتبه : «أَكْثَمُ السَّرِّ وأصدق الحديث واجتهد في النصيحة واحترس بالحذر ، فإن لك عليَّ أن لا أعجل بك حتى أستاذني لك ولا أقبل عليك قولاً حتى أستيقن ولا أطمع فيك أحداً فيغتا لك . واعلم أنك بمنجاة رفعة فلا تحطنها وفي ظل مملكة فلا تستريلنه ، وقارب الناس مجاملة عن نفسك وباعد الناس مُشايحةً^(*) من عدوك واقصد إلى الجميل أدراعاً لغدك وتحصن بالعفاف صونا لمروءتك وتحسن عندي بما قدرت عليه من حسن ولا تُسرعن الألسنة فيك ولا تقبحن الأحذوثة عنك وصن نفسك صون الدرّة الصافية وأخلعها إخلاص الفضة البيضاء وعاتها معاتبه الحذر المشفق وحصنها تحصين المدينة المنيعه . لا تدعن أن ترفع إلى الصغير ، فانه يدل على الكبير ولا تكتمن الكبير فانه ليس شاغلي عن

(*) مشايحة : محاذرة .

الصغير . هذب أمورك ثم ألقني بها وأحكم لسانك ثم راجعني به ولا تجترئ على
فأمتعض ولا تنقبض مني فأتهم ولا ترضن ما تلقاني به ولا تُحدجنه . وإذا فكرت
فلا تعجل وإذا كتبت فلا تُعذر ، ولا تستعين بالفضول فانها علاوة على الكفاية
ولا تُقصرن عن التحقيق فانها هجنة بالمقالة ولا تليسن كلاما بكلام ولا تباعدن معنى
عن معنى . أكرم كتابك عن ثلاث : خضوع يستخفه ، وانتشار يُدبجه ، ومعانٍ تعد
به . واجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول ، وليكن بسطة كتابك على السوقة كبسطة
ملك الملوكة على الملوكة ، ولا يكن ما تملك عظيما وما تقول صغيرا فانما كلام الكاتب
على مقدار الملك فاجعله عاليا كعلوه وفائقا كفوقه . واعلم أن جماع الكلام كله
خصال أربع : سؤالك الشيء ، وسؤالك عن الشيء ، وأمرك بالشيء ، وخبرك عن
الشيء فهذه الخلال دعائم المقالات إن ألتبس لها خامس لم يوجد وإن نقص منها رابع
لم تتم . فاذا أمرت فأحكم واذا سألت فأوضح واذا طلبت فأصحح واذا أخبرت فحقق
فانك اذا فعلت ذلك أخذت بحزامير القول كله فلم يشتبه عليك وارده ولم يُعجزك
منه صادرة . أثبت في دواوينك ما أدخلت وأحص فيها ما أخرجت وتيقظ
لما تأخذ وتجرد لما تعطى ولا يغلبك النسيان عن الإحصاء ولا الأناة عن التقدم
ولا تُخرج وزن قيراط في غير حق ولا تعظم إنجراح الكثير في الحق ، وليكن ذلك
كله عن مؤامرتي .

قال رجل لبيته : « يا بني تزيوا بزي الكتاب فان فيهم أدب الملوكة وتواضع
السوقة » .

قال الكسائي : « لقيت أعرابيا فجعلت أسأله عن الحرف بعد الحرف وعن
الشيء بعد الشيء أفترنه بغيره فقال : يا لله ! ما رأيت رجلا أقدر ، على كلمة الى جنب
كلمة أشبه شيء بها وأبعد شيء منها ، منك ! » .

وقال ابن الأعرابي: «رأني أعرابي وأنا أكتب الكلمة بعد الكلمة من ألفاظه فقال إنك لحنّفت الكلمة الشرود» .

وقال رجل من أهل المدينة: «جلست الى قوم ببغداد فما رأيت أوزن من أحلامهم ولا أطيش من أعلامهم» .

وكتب بعض الكتاب الى صديق له: «وصل الى كتابك فما رأيت كتابا أسهل فنونا ولا أملس مُتونا ولا أكثر عيونا ولا أحسن مقاطع ومطالع ولا أشد على كل مفصل حزا منه. أنجزت فيه عدة الرأي وبشرى القراسة وعاد الظن بك يقينا والأمل فيك مبلوغا» .

ويقال: «عقول الرجال في أطراف أعلامها» .

ويقال: «القلم أحد اللسانين وخفة العيال أحد اليسارين وتعجيل اليأس أحد الظفرين وإملاك العجين أحد الرّيعين وحسن التقدير أحد الكاسيين واللّبن أحد اللّحمين» . وقد يقال: المرق أحد اللّحمين .

قيل لبعضهم: إن فلانا لا يكتب، فقال: تلك الزّمانة الخفية . وقرأت في بعض كتب العجم أن موبذات موبذ وصف الكتاب فقال: «كتاب الملوك عيّبتهم المصونة عندهم وآذانتهم الواعية وألستهم الشاهدة، لأنه ليس أحد أعظم سعادة من وزراء الملوك إذا سعدت الملوك، ولا أقرب هلكة من وزراء الملوك إذا هلكت الملوك، فترفع التهمة عن الوزراء إذا صارت نصائحهم للملوك نصائحهم لأنفسهم، وتعظم الثقة بهم حين صار اجتهدهم للملوك اجتهدهم لأنفسهم فلا يتهم روح على جسده ولا يتهم جسده على روحه لأن زوال ألفتهم زوال نعمتهما، وأن التثام ألفتهم صلاح خاصتهما» .

وقال

لئن ذهبتُ الى الحجَّاجِ يَقتلُنِي * إني لأحمق من تَحْدِي به العِيرُ
مستحقبا صُحُفا تُدْمِي طَوابعها * وفي الصَّحائف حَيَات مَنَّا كِيرُ

وقال بعض الشعراء في القلم

عجبت لذي سِنين في المَاء نبتُهُ * له أثر في كُلِّ مَصِير ومَعْمَرِ

وقال بعض المحدثين في القلم

ضئيلُ الرِّواء كَبيرُ الفَناء * من البحر في المَنصبِ الأَخْضِرِ
كمثل أنحى العشق في شَخْصه * وفي لونه من بني الأَصْفَرِ
يمرُّ كهَيْئَةِ مَرِّ الشَّجَا * ع في دِعْصِ مُحَنِيَةِ أَغْفِرِ
إذا رَأْسُهُ صَحَّ لَمْ يَنْبُعْث * وجاز السَّبِيلَ ولم يَبْصِرِ
وإن مُدِيَّةً صَدَعَتْ رَأْسَهُ * جرى جرى لا هَائِبُ مُقْصِرِ
يَقْضَى مَا رَبَّه مَقْبِلًا * وَيَحْسِمُهَا هَيْئَةُ المَدِيرِ
تَجُودُ بِكُفِّ قَتَى كُفَّهُ * تَسُوقُ الثَّرَاءَ إِلَى المَعْسَرِ

وقال حبيب الطائي يصف القلم

لَكَ القَلَمُ الأَعْلَى الذِي بَشَبَاتِهِ * يَصَابُ من الأَمْرِ الكُلِّي والمَفَاصِلُ
لَعَابُ الأَفْعَى القَاتِلَاتِ لَعَابُهُ * وَأَرَى الجَنَى أَشْتَارَتْهُ أَيْدِ عَوَاسِلُ
له رِيْقَةٌ طَلٌّ وَلَكِنَّ وَقْعَهَا * بَأَثَارِهِ في الشَّرْقِ والغَرْبِ وَابِلُ
فَصِيحٍ إِذَا اسْتَنْطَقَتْهُ وَهُوَ رَاكِبٌ * وَأَعْجِمُ إِن خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلُ
إِذَا مَا آمَنَطَى النِّمَسَ اللِّطَافَ وَأَفْرَعَتْ * عَلَيْهِ شِعَابُ الفِكْرِ وَهِيَ حَوَافِلُ
أَطَاعَتِهِ أَطْرَافُ القَنَا وَنَقُوضَتْ * لِنَجْوَاهِ تَقْوِيضُ الخِيَامِ الجَحَافِلُ
تَرَاهُ جَلِيلًا شَأْنُهُ وَهُوَ مَرَهْفٌ * ضَنَى وَسَمِينَا خَطْبُهُ وَهُوَ نَاحِلُ

وقال محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي يصف القلم
وأستمر طأوى الكشح أنرس ناطق * له ذمالات في بطون المهارق
إذا استعجلته الكف أمطر خاله * بلاصوت إرعاد ولا ضوء بارق
كأن الآلى والزرجد نطفه * ونور الخزامى في بطون الحدائق

وقال بعض المحدثين يمدح كاتباً

وإذا تألق في الندى كلامه * المنظوم خلت لسانه من عضبه
وإذا دجت أقلامه ثم أنتجت * برقت مصابيح الدجى في كتبه
باللفظ يقرب فهمه في بعده * منا ويعد نيله في قربه
حكم فسألمها خلال بنانه * متدفق وقليبها في قلبه
كالروض مؤتلف بحمرة نوره * وبياض زهرته وخضرة عشبه

وقال سعيد بن حميد يصف العود

وناطق بلسان لا ضميره * كأنه نخذ نيطت الى قدم
يبدى ضمير سواه في الكلام كما * يبدى ضمير سواه منطق القلم

بعث الطائي الى الحسن بن وهب بدواة ابنوس وكتب اليه

قد بعثنا إليك أم المنايا * والعطايا زنجية الأحساب
في حشاها من غير حرب حراب * هي أمضى من مرهقات الحراب

وقال ابن أبي كريمة يصف الدواة والقلم

ومسودة الأرجاء قد خضت ماءها * ورويت من قعر لها غير منببط
نحيص الحشا يروى على كل مشرب * أمينا على سر الأمير المسلط

وقال بعض أهل الأدب : إنما قيل "ديوان" لموضع الكتبة والحساب لأنه يقال : للكتاب بالفارسية "ديوان" أى شياطين، لحذفهم بالأمور ولطفهم فسمى موضعهم باسمهم .

وقال آخر : إنما قيل لمدير الأمور عن الملك "وزير" من الوزر وهو الحمل يراد أنه يحمل عنه من الأمور مثل الأوزار وهى الأحوال ، قال الله عز وجل (وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ) أى أحمالا من حلهم ، ولهذا قيل للإثم : وزر، شبهً بالحمل على الظهر، قال الله تبارك وتعالى (وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ) .

وكان الناس يستحسنون لأبى نواس قوله

يا كاتباً كتب الغداة يسبني ■ من ذا يطبق براعة الكتاب
لم ترض بالإعجام حين سببتني ■ حتى شككت عليه بالإعراب
وأردت إفهامي فقد أفهمتني * وصدقت فيما قلت غير محابي

١٠

وقال آخر

يا كاتباً تسبُّ أعلامه ■ من كفه دُرّاً على الأسطر

وقال عدي بن الرقاع

صلى الاله على امرئ ودعته ■ وأتم نعمته عليه وزادها

١٥

ومنه أخذ الكتاب : وأتم نعمته عليك وزاد فيها عندك .

وقال حاتم طي في معنى قولهم مِتَّ قبلك

إذا ما أتى يوم يفسرّق بيننا ■ بموت فكن أنت الذى نتأخر

وقال جرير في معناه

رُدِّي فؤادي وكوني لي بمنزلتي ■ يا قبل نفسك لاقى نفسي التَّف

٢٠

كتب بعض الملوك الى بعض الكُتَّاب كتابا دعا له فيه بأمتع الله بك ، فكتب اليه ذلك الكاتب

أُحِلَّتْ عَمَّا عَهِدْتُ مِنْ أَدَبِكَ * أَمْ نَلَيْتَ مُلْكَاً فَهَيْتَ فِي كِتَابِكَ
أَمْ هَلْ تَرَى أَنْفَ فِي التَّوَاضُعِ لِلْأَخْوَانِ تَقْصَا عَلَيْكَ فِي حَسَبِكَ
أَمْ كَانَ مَا كَانَ مِنْكَ عَنْ غَضَبٍ * فَأَيُّ شَيْءٍ أَذْنَاكَ مِنْ غَضَبِكَ
إِنِّي جَفَاءُ كِتَابٍ ذِي مِقَّةٍ * يُكْتَبُ فِي صَدْرِهِ : وَأَمْتَعُ بِكَ

وقال الأصمعي في البرامكة

إِذَا ذِكِرَ الشُّرْكُ فِي مَجْلِسٍ * أَنْارَتْ وَجْوهَ بَنِي بَرْمَكٍ
وَإِنِّي تُلَيْتُ عَنْدهُمْ آيَةً * أَتَوْا بِالْأَحَادِيثِ عَنْ مَرْوَكٍ^(٢)

وقال آخر

إِنِ الْقَرَاغُ دَعَانِي * إِلَى آبَتْنَاءِ الْمَسَاجِدِ
وَإِنِّي رَأَيْتُ فِيهَا * كَرَأْيَ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ

مرَّ عبد الله بن المقفَّع ببيت النار، فقال

يَا بَيْتَ عَاتِكَةِ الَّذِي أُتَعَزَّلُ * حَذَرَ الْعَدَا وَبِهِ الْفَوَادُ مَوْكَلٌ

وقال دِعْبِلُ فِي أَبِي عَبَّادٍ

أَوَّلَى الْأُمُورِ بَصِيعَةٌ وَفَسَادُ * أَمْرٍ يَدْبُرُهُ أَبُو عَبَّادٍ
حَقِيقٌ عَلَى جُلْسَانِهِ بِدَوَاتِهِ * فَمَرْمَلٌ وَمُضْمَخٌ بِمِدَادٍ
وَكَانَهُ مِنْ دَيْرِهِ قُلٌّ مُفْلَتٌ * حَرْدٌ يَحْرُسُ سُلَاسِلَ الْأَقْيَادِ

(١) هذا ما كتبه عبد الله بن طاهر الى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم . أنظر هذا الشعر ورد

ابن الزيات عليه في العقد الفريد ج ٢ ص ٢١٤

(٢) كذا بالأصلين الفتوغرافي والألماني وهو محرف عن " مزدك " واليه ينسب المزدكية * وقد خرج في أيام قباد بن فيروز فيدل شريعة زرادشت واستحل المحارم وسوى بين الناس في الأموال والنساء والعبيد فكثرت أتباعه وعظم شأنه وتبعه قباد نفسه ولم يزل كذلك حتى ولي كسرى أنوشروان فقتله وأباد أتباعه اه باختصار عن ابن الأثير . وقد ورد البيتان في البيان والتبيين للجاحظ .

خيانة العمال

حدثنا إسحاق بن راهويه قال: ذُكر لنا أن امرأة من قريش كان بينها وبين رجل خصومة فأراد أن يخاصمها إلى عمر فأهدت المرأة إلى عمر فخذ جزور ثم خاصمته إليه فوجه القضاء عليها ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أفصل القضاء بيننا كما يُفصل نخذ الجزور . ف قضى عليها عمر وقال : إياكم والهدايا . وذكر القصة .

قال إسحاق : كان الحجاج استعمل المغيرة بن عبيد الله الثقفي على الكوفة فكان يقضي بين الناس ، فأهدى إليه رجل سراجا من شبه ^(١) وبلغ ذلك خصمه فبعث إليه ببغلة . فلما اجتمعا عند المغيرة جعل يحمل على صاحب السراج وجعل صاحب السراج يقول : إن أمرى أضوأ من السراج . فلما أكثر عليه قال : ويحك إن البغلة رحمت السراج فكسرتة .

حدثنا إسحاق قال حدثنا رَوْح بن عبادة قال حدثنا حماد بن سلمة عن الجريري عن أبي بصرة عن الربيع بن زياد الحارثي أنه وفد إلى عمر فأعجبته هيئته ونحوه ، فشكا عمر طعاما غليظا يأكله . فقال الربيع : يا أمير المؤمنين ، إن أحق الناس بمطعم طيب وملبس لين ومركب وطيء لأنت . ف ضرب رأسه بجريدة وقال : والله ما أردت بهذا إلا مقاربتى ، وإن كنت لأحسب أن فيك خيرا . ألا أخبرك بمثل هؤلاء ، إنما مثلنا كمثل قوم سافروا فدفعوا نفقاتهم إلى رجل منهم وقالوا أنفقها علينا . فهل له أن يستأثر عليهم بشيء ؟ قال الربيع : لا .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا هُفيان بن عُيينة عن ابن أبي نجيح قال: لما أتى عمر تاج كسرى وسواريه جعل يقلبه بعود في يده ويقول : والله إن الذي أدى

(١) النحاس الأصفر . (٢) كذا بالأصل غير مضبوط ، ولعله الجريري بصيغة التصغير وهو سعيد ابن إلياس الجريري ، فقد جاء في تهذيب التهذيب وفي الأنساب للسمعاني أن من جملة من روى عنه الحمادان : حماد بن سلمة وحماد بن زيد .

الينا هذا لأمين . فقال رجل : يا امير المؤمنين أنت أمين الله يؤدون اليك ما أدت الى الله فاذا رتعت رتعا . قال : صدقت .

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال : لما أتى على عليه السلام بالمال أقعد بين يديه الوزان والنقاد فكوم كومة من ذهب وكومة من فضة وقال : يا حمراء ويا بيضاء احمرى وابيضى وغمرى غمري . وأنشد

هذا جنائي وخياره فيه ■ اذ كل جان يده الى فيه

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن إسماعيل بن أبي خالد عن عاصم قال : كان عمر بن الخطاب اذا بعث عاملا يشترط عليه أربعا : ألا يركب البراذين ، ولا يلبس الرقيق ، ولا يأكل النقي ، ولا يتخذ بوابا . وممر بيناء يبنى بحجارة وجص فقال : لمن هذا ؟ فذكروا عاملا له على البحرين فقال : «أبت الدراهم إلا أن تُخرج أعناقها» وشاطره ماله . وكان يقول : «لى على كل خائن أمينان الماء والطين» .

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال حدثنا قريش بن أنس عن سعيد عن قتادة قال : جاء كتاب عمر بن عبد العزيز الى واليه : أن دَعَ لأهل الخراج من أهل الفرات ما يتختمون به الذهب ويلبسون الطيالة ويركبون البراذين وخذ الفضل .

حدثنا محمد بن عبيد عن هُوَذة عن عوف عن ابن سيرين [وإسحاق عن النضر بن شميل عن ابن عون عن ابن سيرين] بمعناه قال : لما قدم أبو هريرة من البحرين قال له عمر : يا عدو الله وعدو كتابه ، أسرقت مال الله ؟ قال أبو هريرة لست بعدو الله

(١) في النسخة الفتوغرافية : "حميد" والاسمان واردان معا في تهذيب الكمال في أسماء الرجال . وليس في ترجمة أحدهما من يروى عن هُوَذة هذا . ولعل رواية الألمانية هي الصواب حيث تقدم كثيرا أن ابن قتيبة يروى عن محمد بن عبيد هذا . (٢) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية .

ولا عدو كتابه ولكنى عدو من عاداهما ولم أسرق مال الله . قال : فمن أين اجتمعت لك عشرة آلاف درهم ؟ قال : خيلي تناسلت وعطائي تلاحق وسهامي تتابعت فقبضتها منه . قال أبو هريرة : فلما صليت الصبح استغفرت لأُمير المؤمنين ثم قال لي عمر بعد ذلك : ألا تعمل ؟ فقلت : لا . قال : قد عمل من هو خير منك يوسف . فقلت : يوسف نبي ابن نبي وأنا ابن أُميمة ^(١) أخشى ثلاثا واثنين . قال فهلا قلت خمسا ؟ قلت : أخشى أن أقول بغير علم ، وأحكم بغير حلم ، وأخشى أن يضرب ظهري ، ويشتم عرضي ، ويتزع مالى .

حدثنا محمد بن داود عن نصر بن قديد عن إبراهيم بن المبارك عن مالك بن دينار أنه دخل على بلال بن أبي بردة وهو أمير البصرة فقال : أيها الأمير ، إني قرأت في بعض الكتب : « من أحق من السلطان ومن أجهل ممن عصاني ومن أعز ممن أعزني . أيا راعي السوء دفعت اليك غنا سمانا سخاحا فأكلت اللحم وشربت اللبن واثدمت بالسمن ولبست الصوف وتركتهما عظاما نتقعقع » .

حدثني محمد بن شبابة عن القاسم بن الحكم العُرنى القاضي قال حدثني اسماعيل ابن عيَّاش عن أبي محمد القرشي عن رجاء بن حيوة عن ابن محزمة ^(٢) قال : إني لتحت منبر عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالجابية حين قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس ، اقرءوا القرآن تُعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله » . إنه لن يبلغ ذوقه في حقه أن يطاع في معصية الله . ألا إنه لن يبعد من رزق الله ولن يقرب من أجل أن يقول المرء حقا وأن يذكر بعظيم . ألا وإني ما وجدت صلاح ما ولاني الله إلا بثلاث : أداء الأمانة ، والأخذ بالقوة ، والحكم بما أنزل الله . ألا وإني ما وجدت

(١) اسم أم أبي هريرة . (٢) في النسخة الألمانية : ومن أغر من اغترني .

(٣) في الألمانية : « محزمة » ولعل الصواب ما في الفتوغرافية حيث ذكر في ترجمة رجاء بن حيوة أن من شيوخه المسور بن محزمة .

صلاح هذا المال إلا بثلاث : أن يؤخذ من حق ، ويعطى فى حق ، ويمنع من باطل . ألا وإنا أنا فى مالكم هذا كوالى اليتيم إن استغنيت استعفت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف ، تقرم البهمة .

بلغنى عن محمد بن صالح عن بكر بن حنيس عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال : « كان زياد اذا ولى رجلا قل له : خذ عهدك وسر الى عملك واعلم أنك مصروف رأس سنتك وأنتك تصير الى أربع خلال فاختر لنفسك : إنا إن وجدناك أميناً ضعيفاً استبدلنا بك لضعفك وسأمتك من معزتنا أمانتك ، وإن وجدناك خائناً قويا استهنا بقوتك وأحسننا على خيانتك أدبك فأوجعنا ظهرك وأثقلنا غرمك ، وإن جمعت علينا الجرمين جمعنا عليك المضرتين ، وإن وجدناك أميناً قويا زدناك فى عملك ورفعنا لك ذكرك وكثرنا مالك وأوطأنا عقبك » .

١٠

قال العتيبي : بعث الى عمر بن الخطاب فقسّمها فأصاب كل رجل ثوب فصعد المنبر وعليه حلة ، والحلة ثوبان ، فقال : أيها الناس ألا تسمعون . فقال سليمان : لا نسمع . قال : ولم يا أبا عبد الله ؟ قال : لأنك قسمت علينا ثوبا وثوبا وعليك حلة . قال : لا تعجل يا أبا عبد الله . ثم نادى يا عبد الله فلم يجبه أحد ، فقال : يا عبد الله بن عمر . قال : لبيك يا أمير المؤمنين . قال : نشدتك بالله ، الثوب الذى آتّرت به هو ثوبك ؟ قال : اللهم نعم . فقال سليمان رضى الله عنه : أما الآن فقل نسمع .

١٥

بلغنى عن حفص بن عمران الرازى عن الحسن بن عمار عن المنهال بن عمرو قال : قال معاوية لشداد بن عمرو بن أوس : قم فاذا كر عليا فتنقّصه فقام شداد فقال : « الحمد لله

(*) كذا بالأصل ، وفى القاموس : واتّز به وتأز به ولا تقل اتّز وقد جاء فى بعض الأحاديث ولعله من تحريف الرواة اه . وفى النهاية لابن الأثير انه خطأ لأن الهمزة لا تدغم فى التاء . وفى التاج : وقال المطرزي انه لغة عامية ثم نقل عن الصاغاني انه يجوز أن تقول اتّز بالمتر أيضا فيمن يدغم الهمزة فى التاء كما يقال اتّمنه والأصل اتّمنه .

٢٠

الذى افترض طاعته على عباده وجعل رضاه عند أهل التقوى أثر من رضا غيره . على ذلك مضى أولهم وعليه يمضى آخرهم . أيها الناس إن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر ، وإن الدنيا عَرَضٌ حاضرياً كل منها البرّ والفاجر ، وإن السامع المطيع لاجبة عليه وإن السامع العاصي لا حجة له . وإن الله جل وعز إذا أراد بالناس صلاحاً عمل عليهم صلحاءهم وقضى بينهم فقهاءهم وجعل المال في شُمُحاتهم ، وإذا أراد بالعباد شراً عمل عليهم سفهاءهم وقضى بينهم جهلاءهم وجعل المال عند بخلائهم . وإن من صلاح الولاية أن يصلح قرناؤها . نصحك يا معاوية من أسخطك بالحق وغشك من أرضاك بالباطل » فقال له معاوية : اجلس . وأمر له بمال ، وقال : ألسنتُ من السمحاء ؟ فقال : إن كان مالك دون مال المسلمين تعمّدت جمعة مخافة تبعته فأصبته حلالاً وأنفقته إفضالاً ، فنعّم . وإن كان مما شارك فيه المسلمون فاحتجته دونهم ، أصبته اقترافاً وأنفقته إسرافاً ، فإن الله عز وجل يقول (إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) .

مرّ عمرو بن عبّيد بجماعة عُكوف ، فقال ما هذا ؟ قالوا : سارق يقطع . فقال : لا إله إلا الله ، سارق السري قطعته سارق العلانية ! .

ومر طارقٌ صاحب شرطة خالد القسري ببن شبرمة ، وطارق في موكبه فقال ابن شبرمة أراها وإن كانت تُحِبُّ كأنها ■ سخابةٌ صيف عن قريب تَقْشَعُ

اللهم لى ديني ولهم دنياهم . فاستعمل ابن شبرمة بعد ذلك على القضاء ، فقال له ابنه : أتذكر يوم مرّ بك طارق في موكبه وقلت ما قلت ؟ فقال : يا بُنَيَّ ، إنهم يحدون مثل أبيك ولا يحد مثلهم أبوك . إن أباك أكل من حلوائهم وحط في أهوائهم .

ولى عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس المدينة سنتين فأحسن السيرة وعفّ عن أموال الناس ثم عزل فاجتمعوا اليه فأنشد لدرّاج الضبّاي .

فلا السجن أبكاني ولا القيد شقني * ولا أني من خشية الموت أجزع
ولكن أقواما أخاف عليهم * إذا مت أن يعطوا الذي كنت أ منع
ثم قال : والله ما أسفت على هذه الولاية ولكني أخشى أن يلى هذه الوجوه
من لا يرعى لها حقها .

ووجدت في كتاب لعل بن أبي طالب كرم الله وجهه الى ابن عباس حين أخذ
من مال البصرة ما أخذ : « إني أشركك في أمانتي ولم يكن رجل من أهل أوثق
منك في نفسي ، فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب ، والعدو قد حرب قلبت
لابن عمك ظهر المحن بفراقه مع المفارقين وخذلانه مع الخاذلين وأختطفت ما قدرت
عليه من أموال الأئمة اختطاف الذئب الأزل دامية المعزى » وفي الكتاب : « صح^(١)
رويدا فكأن قد بلغت المدى وعمرضت عليك أعمالك بالمحل الذي به ينادي المعتز
بالحسرة ويتمنى المضيع التوبة والظالم الرجعة » .

وفي كتاب لعمر بن عبد العزيز الى عدى بن أرطاة : « غرني منك مجالستك القراء
وعمامتك السوداء فلما بلونك وجدناك على خلاف ما أملناك ، قاتلكم الله ! أما تمشون
بين القبور ! » .

قال ابن أحمريذ كرم عمال الصدقة
١٥ إن العياب التي يخفون مشرحة * فيها البيان ويلوى عندك الخبر
فابعث اليهم فحاسبهم محاسبة * لا تخف عين على عين ولا أثر
هل في الثماني من السبعين مظلمة * وربها بكتاب الله مصطبر
وقال عبد الله بن همام السلولى

أقل على اللوم يا أم مالك * وذمى زمانا ساد فيه الفلّاقس

٢٠٠ (*) صح من ضحيت الغم اذا رعبتها في الضحى ، أى اربع نفسك على مهل فإما أنت على شرف الموت .

(*) وسأج مع السلطان ليس بناصح * و”محترس من مثله وهو حارس“

قدم بعض عمال السلطان من عمل فدعا قوما فأطعمهم وجعل يحثهم بالكذب ، فقال بعضهم : نحن كما قال الله عز وجل (سَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ) . قال بعض الشعراء

ما ظنكم بأناس خير كسبهم * مصرح السحت سموه الإصابات

وقال أبو نواس في إسماعيل بن صبيح

بنيت بما خنت الامام سقاية * فلا شربوا إلا أمر من الصبر

فما كنت إلا مثل بائعة آستها * تعود على المرضي به طلب الأجر

يريد معنى الحديث أن امرأة كانت في بني إسرائيل تربي بحب الرمان وتصدق به على المرضى .

وقال فيه أيضا لمحمد الأمين

أست أمين الله سيفك نعمة * اذا ماق يوما في خلافتك مائق

فكيف بإسماعيل يسلم مثله * عليك ولم يسلم عليك منافق

أعيذك بالرحمن من شر كاتب * له قلم زان وأخر سارق

وقال فيه أيضا

ألا قل لإسماعيل إنك شارب * بكأس بني ما هان ضربة لازم

أئسمن أولاد الطريد ورهطه * ياهزال آل الله من نسل هاشم

وتخبر من لا قيت أنك صائم * وتفردو بفرج مفطر غير صائم

فإن يسر إسماعيل في بقراته * فليس أمير المؤمنين بنائم

ولى حارثة بن بدر ”سرق“ فكتب اليه أنس الدؤلى

أحار بن بدر قد وليت ولاية * فكن جردا فيها تخون وتسرق

(*) مثل يضرب للرجل يؤتمن على حفظ شيء لا يؤمن أن يخون فيه ، كما في لسان العرب .

وبار تيمًا بالغنى إن للغنى ■ لسانا به المرء الهَيُوبَةُ ينطق
فإن جميع الناس إما مكذَّب ■ يقول بما يهوى وإما مصدِّق
يقولون أقوالا ولا يعلمونها * وإن قيل هاتوا حَقَّقُوا لم يحَقَّقُوا
ولا تَحَقَّرَنَّ يا حارِ شَيْئًا أَصَبَتْهُ * فَحُظُّكَ مِنْ مُلْكِ الْعِرَاقِينَ سُرُقُ

فلما بلغت حارثة قال : لا يعنى عليك الرشد .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن جُويرية بن أسماء قال ، قال فلان : « إن الرجل
ليكون أمينًا فإذا رأى الضياع خان » .

قرأت في كتاب أبرويز إلى ابنه شيرويه : « اجعل عقوبتك على اليسير من
الخيانة كعقوبتك على الكثير منها ، فإذا لم يُطمع منك في الصغير لم يُجترأ عليك
في الكبير . وأبرِد البريد في الدرهم ينقُص من الخراج ، ولا تعاقبن على شيء كعقوبتك
على كسره ولا ترزقن على شيء كرزقك على إزجائه ، واجعل أعظم رزقك فيه وأحسن
ثوابك عليه حقن دم المزيجي وتوفير ماله من غير أن يعلم أنك أحمدت أمره حين
عف واعتصم من أن يهلك » .

وقرأت في الساج أن أبرويز قال لصاحب بيت المال : « إني لا أحتملك على
خيانة درهم ولا أحمك على حفظ ألف ألف درهم ، لأنك إنما تحقن بذلك دمك
وتعمر به أمانتك فأنك إن خنت قليلا خنت كثيرا . واحترس من خصلتين :
التقصان فيما تأخذ ، والزيادة فيما تعطى . واعلم أني لم أجعل أحدا على ذخائر الملك وعمارة
الملكة والعُدَّة على العدو إلا وأنت آمنٌ عندي من موضعه الذي هو فيه وخواتمه
التي هي عليها ، فحق ظني في اختياري إياك أحقق ظنك في رجائك لي ، ولا تتعوض
بخير شرا ولا برفعة ضعة ولا بسلامة ندامة ولا بأمانة خيانة » . وكان يقال : « كفى بالمرء
خيانة أن يكون أمينًا للخونة » .

قدم معاذ من اليمن بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر رضى الله عنه فقال له : ارفع حسابك . فقال : أحسابان ، حساب من الله وحساب منكم ؟ لا والله لا ألي لكم عملا أبدا .

ذكر أعرابي رجلا خائفا فقال : إن الناس يأكلون أماناتهم لُقْمًا وإن فلانا يَحْسُوها حَسُوا .

قال بعض السلاطين لعامل له : « كل قليلا تعمل طويلا وآلزم العفاف يلزمك العمل ، وإياك والرِّشَا يشتد ظهرك عند الخصام » .

القضاء

حدثنا إسحاق بن راهويه قال أخبرنا بشر بن المفضل بن لاحق قال حدثنا المغيرة ابن محمد عن عمر بن عبد العزيز قال : « لا ينبغي للرجل أن يكون قاضيا حتى تكون فيه خمس خصال : يكون عالما قبل أن يستعمل ، مستشيра لأهل العلم ، ملتقيا للرتع^(١) ، منصفيا للخصم ، محتتملا للأئمة^(٢) » .

حدثني علي بن محمد قال حدثنا اسماعيل بن إسحاق الأنصارى عن عبد الله بن هبة عن عبد الله بن هبيرة عن علي عليه السلام أنه قال : « ذمتي رهينة وأنا به زعيم لمن صرحت له العبر ألا يهلك على التقوى زرع قوم ولا يظمأ على التقوى سنخ أصل .
ألا وإن أبغض خلق الله إلى الله رجل قَشَّ جهلا غارًا بأغباش الفتنة عَمِيًّا بما في عقد الهدنة سماء أشباهه من الناس عالما ولم يُغْنِ في العلم يوما سالما . بَكَر^(٤) »

(١) الحرص والطمع . (٢) كذا بالنسختين الألمانية والفتوغرافية وصوابه « مقتديا بالأئمة » وقد ورد هذا الأثر في العقد الفريد وفي البيان والتبيين بما نصه : إذا كان في القاضى خمس خصال فقد كل : علم ما كان قبله ، ونزاهة عن الطمع ، وحلم عن الخصم ، واقتداء بالأئمة ، ومشاورة أهل الرأى .
(٣) في النسختين الألمانية والفتوغرافية ، « بهيج » والتصويب عن نهج البلاغة .
(٤) في الأصلين « عيب » والتصويب عن نهج البلاغة .

فاستكثر ، ما قلّ منه فهو خير مما كثر حتى إذا ما ارتوى من آجن واكثر من غير طائل قعد بين الناس قاضيا لتخليص ما التبس على غيره ، إن نزلت به إحدى المهمات هيا حشوا رثا من رأيه ، فهو من قطع الشبهات في مثل غزل العنكبوت . لا يعلم إذا أخطأ ، لأنه لا يعلم أخطأ أم أصاب . خباط عشوات ركاب جهالات . لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعص في العلم بضرر قاطع . يذرو الرواية ذرو الريح الهسيم ، تبكى منه الدماء وتصرخ منه الموارث ويستحل بقضائه الفرج الحرام . لا ملئ والله باصدار ما ورد عليه ولا أهل لما قرظ به »

قال ابن شبرمة

ما في القضاء شفاعة لمخاصم * عند اللبيب ولا الفقيه الحاكم
أهون على إذا قضيت بسنة * أو بالكتاب برغم أنف الراغم
وقضيت فيما لم أجد أثرا به * بنظائر معروفة ومعالم

الهثيم عن ابن عيَّاش عن الشعبي قال : كان أول قاض قضى لعمر بن الخطاب بالعراق سلمان بن ربيعة الباهلي ، ثم شهد القادسية وكان قاضيا بها ، ثم قضى بالمدائن ، ثم عزله عمر واستقضى شرحبيل على المدائن ، ثم عزله واستقضى أبوقرة الكندي وهو اسمه فاخط الناس الكوفة وقاضيههم أبوقرة . ثم استقضى شريح بن الحارث الكندي فقضى نحسا وسبعين سنة إلا أن زيادا أخرجه مرة الى البصرة واستقضى مكانه مسروق بن الأجدع سنة حتى قدم شريح فأعاده ولم يزل قاضيا حتى أدرك الفتنة في زمن ابن الزبير فقعده ولم يقض في الفتنة . فاستقضى عبدالله بن الزبير رجلا مكانه ثلاث سنين فلما قتل ابن الزبير أعيد شريح على القضاء فلقى رجلا شريحا في الطريق فقال : يا أبا أمية قضيت والله بجور ، قال : وكيف ذاك ؟ ويحك ! قال : كبرت

(*) في الأصلين « رأيا » والنصويب عن نهج البلاغة .

(*)
 سَنُكَ واختلط عقلك وارثتي ابنك، فقال [شريح لا جرم] لا يقوها أحد بعدك .
 فأتى الحجاج فقال : والله لأقضى بين اثنين . قال : والله لا أعفك أو تبغني رجلاً .
 فقال شريح : عليك بالعفيف الشريف أبي بردة بن أبي موسى . فاستقضاه الحجاج
 وألزمه سعيد بن جبيرة كاتباً ووزيراً .

وروى الثوري عن علقمة بن مرثد أنه لقي محارب بن دينار وكان على القضاء
 فقال له : يا محارب، الى كم تردد الخصوم؟ فقال له : إني والخصوم كما قال الأعشى
 أَرَقْتُ وما هذا الشهاد المؤرَّق * وما بي من سقم وما بي مَعَشَق
 ولكن أَرَانِي لا أزال بحدّث * أغادى بما لم يُمِسْ عندي وأطرق

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد عن قريش بن أنس عن حبيب
 ابن الشهيد قال : كنت جالسا عند إياس بن معاوية فأتاه رجل فسأله عن مسألة
 فطوّل فيها ، فقال إياس : إن كنت تريد الفُتْيَا فعليك بالحسن معلّى ومعلم أبي ،
 وإن كنت تريد القضاء فعليك بعبد الملك بن يَعْلَى — وكان على قضاء البصرة
 يومئذ — وإن كنت تريد الصلح فعليك بجُمَيْد الطويل ، وتدرى ما يقول لك ؟
 يقول لك : حطّ شيئا ، ويقول لصاحبك : زده شيئا حتى نصلح بينكما ، وإن
 كنت تريد الشغب فعليك بصالح السُّدُوسِي ، وتدرى ما يقول لك ؟ يقول لك :
 اجمد ما عليك . ويقول لصاحبك : ادع ما ليس لك وادع بِنَّةً غُيَّيًّا .

قرأت في الآيين : « ينبغي للحاكم أن يعرف القضاء الحق العدل والقضاء العدل غير
 الحق والقضاء الحق غير العدل ويقايس بنثبث وروية ويتحفّظ من الشبهة » . والقضاء
 الحق العدل عندهم قتل النفس بالنفس ، والقضاء العدل غير الحق قتل الحر بالعبد ،
 والقضاء الحق غير العدل الدية على العاقلة .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن أنحى الأصمعي قال حدثني عمي الأصمعي قال قال أعرابي لقوم يتنازعون : هل لكم في الحق أو فيما هو خير من الحق ؟ فقيل : وما يكون خيرا من الحق ؟ قال : التحاط والهضم فإن أخذ الحق كله مر .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : اختلف رجلان في شيء فحكما رجلا له في المخطئ هو ، فقال للمخطئ : من يقول بقولك أكثر .

الهيثم بن عدي قال : تقدمت كلثم بنت سريغ مولى عمرو بن حريث وأخوها الوليد إلى عبد الملك بن عمير وهو قاضي الكوفة ، وكان ابنه عمرو بن عبد الملك يرمى بها فقضى لها ، فقال هذيل الأشجعي

أناه رفيق بالشهود يسوقهم * على ما أذعت من صامت المال والحوّل
فأدلى وليدٌ عند ذاك بحقه * وكان وليد ذا مرأى وذا جدل
ففتنت القبطى حتى قضى لها * بغير قضاء الله في السور الطول
فلو كان من في القصر يعلم علمه * لما استعمل القبطى فينا على عمل
له حين يقضى للنساء تحاوص * وكان وما منه التناوص والحوّل
إذا ذات دَلَّ كلمته لحاجة * فهم بأن يقضى تتنح أو سعل
[وبرق عينية ولاك لسانه * يرى كل شيء ما خلا شخصها جلل]

فكان عبد الملك بن عمير يقول : والله لربما جاءتني السعلة أو التنحج وأنا في المتوضأ فأكف عن ذلك .

وقال ابن منذر في خالد بن طليق وكان قد ولي قضاء البصرة :

قل لأُمير المؤمنين الذى * من هاشم فى سرّها واللباب

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

(٢) فى القاموس : وابن منذر ويضم فىصرف شاعر بصرى لأنه محمد بن المنذر بن المنذر بن المنذر . وفى الأغاني أنه إذا قيل له ابن منذر بفتح الميم يفضب ثم يقول أمانذر الصغرى أم منذر الكبرى وهما كورتان من كور الأهواز . انما هو منذر على وزن مفاعل من ناذر فهو منذر مثل ضارب فهو مضارب وقاتل فهو مقاتل .

إن كنت للسَّخطة عاقبتنا ■ بخالد فهو أشدَّ العقاب
كان قضاءُ الناس فيما مضى * من رحمة الله وهذا عذاب
يا عجباً من خالد كيف لا * يخطئُ فتياً مرةً بالصواب

وقال فيه

جُعل الحاكم يا للنَّاس من آل طَلِيق
صُحَّةٌ يَحْكُمُ فينا * س برأى الجائِلِيق^(١)
أى قاض أنت في النقص وتعطيل الحقوق
يا أبا الهيثم ما أنمت لهذا بخلق
لا ولا أنت لما حملت منه بمطيق

أراد عدي بن أرطاة بكر بن عبد الله المزني على القضاء فقال له بكر: والله ما أحسن
القضاء، فإن كنت كاذباً أو صادقاً فما يجعل لك أن توليني .

وروى عبد الرزاق عن معمر قال : لما عزل ابن شبرمة عن القضاء قال له
والى اليمن : اختر لنا رجلاً نوليّه القضاء . فقال له ابن شبرمة : ما اعرفه .
فذكر له رجل من أهل صنعاء فأرسل اليه بجاء . فقال له ابن شبرمة : هل تدري
لم دُعيت ؟ قال : لا . قال : إنك قد دُعيت لأمر عظيم ، للقضاء . قال : ما أيسر
القضاء ! فقال له ابن شبرمة : فنسئلك عن شيء يسير منه ، قال : سل . قال له
ابن شبرمة : ما تقول في رجل ضرب بطنَ شاة حامل فألقت ما في بطنها ؟ فسكت
الرجل ، فقال له ابن شبرمة : [إنا بلوناك^(٢) فما وجدنا عندك شيئاً . فقيل له : ما القضاء
فيها ؟ قال ابن شبرمة] تُقَوِّمُ حاملاً وتُقَوِّمُ حائلاً ويغرم قدر ما بينهما .

(١) في القاموس : الجائليق بفتح الاء المثناة رئيس للنصارى في بلاد الاسلام بمدينة السلام . قال صاحب
التاج وهو المعروف الآن بالقتل كقتنذ . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

(*)
حدثني عبد الله بن محمد الخَلَنجِي قال : كان يحيى بن أكرم يمتحن من يريدهم للقضاء ، فقال لرجل : ما تقول في رجلين زوج كل واحد منهما الآخر أمه فولد لكل واحد من امرأته ولد ، ما قرابة ما بين الولدين ؟ فلم يعرفها ، فقال له يحيى : كل واحد من الولدين عم الآخر لأمه .

٥ ودخل رجل من أهل الشام على عبد الملك بن مروان فقال : إني تزوجت امرأة وزوجت ابني أمها ولا غنى بنا عن رِفْدِكَ . فقال له عبد الملك : إن أخبرتني ما قرابة ما بين أولادكما إذا أولدتما ، فعلت . قال : يا أمير المؤمنين ، هذا حميد بن بجدة قد قلدته سيفك ووليته ما وراء بابك فسله عنها ، فإن أصاب لزمني الحرمان ، وإن أخطأ أتسع لي العذر . فدعا بالبجدة فسأله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك ما قدمتنى على العلم بالأنساب ولكن على الطعن بالزماح ، أحدهما عم الآخر والآخر خاله .

١٠ قال ابن سيرين : كنا عند أبي عبيدة بن أبي حذيفة في قبة له وبين يديه كانون له فيه نار بجاءه رجل بفلس معه على فراشه فسأره بشيء لا ندري ما هو ، فقال له أبو عبيدة : ضع لي إصبعك في هذه النار . فقال له الرجل : سبحان الله ! تأمرني أن أضع لك أصبعي في هذه النار ! فقال له أبو عبيدة : أتبخل علي بأصبع من أصابعك في نار الدنيا وتسألني أن أضع لك جسدك كله في نار جهنم ! قال : فظننا أنه دعاه إلى القضاء .

كان يقال : « ثلاث إذا كن في القاضي فليس بكامل : إذا كره اللوائم ، وأحب المحامد ، وكره العزل . وثلاث إذا لم تكن فيه فليس بكامل : يشاور وإن كان عالما ، ولا يسمع شكية من أحد حتى يكون معه خصمه ، ويقضى إذا علم » .

(*) في النسخة القزوينية : « عبد الرحمن » وفي أنساب السمعاني ما يؤيد رواية الأسمانية .

قالوا : « ويحتاج القاضي الى العدل في لحظة ولفظه وقعود الخصوم بين يديه وألا يقضى وهو غضبان ولا يرفع صوته على أحد الخصمين مالا يرفعه على الآخر » .
قال الشعبي : حضرت شريحا ذات يوم وجاءته امرأة تخاصم زوجها فأرسلت عينيها فبكت فقلت : يا أبا أمية ما أظنها إلا مظلومة . فقال : يا شعبي ، إن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون .

بلغني عن كثير بن هشام عن جعفر بن برقان قال : كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى أبي موسى الأشعري كتابا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم » من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى عبد الله بن قيس . سلام عليك . أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ، فافهم إذا أدلى اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا تفادله . آس بين الناس في مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا بياس ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين الناس إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا . ولا يمنعك قضاء قضيت به بالأمر فراجعت فيه نفسك وهديت لرشدك أن ترجع الى الحق فإن الحق لا يبطله شيء . واعلم أن مراجعة الحق خير من التماذي في الباطل . الفهم الفهم فيما يتلجلج في صدرك مما ليس فيه قرآن ولا سنة ، وأعرف الأشباه والأمثال ثم قس الأمور عند ذلك ثم اعمد لأحبها الى الله وأشبهها بالحق فيما ترى . اجعل لمن ادعى حقا غائبا أمدا ينتهي اليه فان أحضر بينة أخذ بحقه وإلا استحللت عليه القضاء . والمسلمون عدول في الشهادة إلا مجلودا في حد أو مجرأ عليه شهادة زور أو ظنينا في ولاء أو قرابة . إن الله تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالبينات . وإياك والقلق والضجر والتأذي بالخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الأجر ويحسن الذخر . فانه من صاحت سريرته فيما بينه وبين الله أصلاح الله ما بينه وبين الناس . ومن تزين للدنيا بغير ما يعلم الله منه شأنه الله ، والسلام » .

وقال سلمة بن الخُرْشُب لُسَيْعِ التَّغَلِي فِي شَأْنِ الرُّهْنِ الَّتِي وَضَعْتَ عَلَى يَدَيْهِ فِي قَتْلِ
عَبَسٍ وَذُبْيَانٍ .

أَبْلَغُ سُبْعَا وَأَنْتَ سَيِّدُنَا * قَدِمَا وَأَوْفَى رَجَالُنَا ذِمًّا
أَنْ بَغِيضًا وَأَنْتَ إِخْوَتَهَا ■ ذُبْيَانٌ قَدَضَرَمُوا الَّذِي اضْطَرَمَّا
نَبَّئْتُ أَنْ حَكْمُكَ بَيْنَهُمْ * فَلَا تَقُولَنَّ بَشْسَ مَا حَكَمَا
إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَةٍ بِشَأْنِهِمْ * تَعْرِفُ ذَا حَقِّهِمْ وَمَنْ ظَلَمَا
وَتُنْزِلُ الْأَمْرَ فِي مَنَازِلِهِ ■ حَكَمَا وَعَلِمَا وَتَحْضُرُ الْفَهَمَا
فَاحْكُمِ فَأَنْتَ الْحَكِيمُ بَيْنَهُمْ * لَنْ يَعْدَمُوا الْحَقَّ بَارِدًا صَتَمًا
وَأَصْدَعُ أَدِيمَ السَّوَاءِ بَيْنَهُمْ * عَلَى رِضَا مَنْ رِضَى وَمَنْ رَغِمَا
إِنْ كَانَ مَا لَا فِثْلَ عِدَّتِهِ * مَا لَمْ يَمَالْ وَإِنْ دَمًا فَدَمًا
هَذَا وَإِنْ لَمْ تُطَقْ حُكُومَتُهُمْ ■ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ أُمُورَهُمْ سَلَمًا

وَأَنْشَدَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ شِعْرَ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سَلَمَى ، فَلَمَّا بَلَغَ قَوْلَهُ
فَإِنَّ الْحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ * يَمِينٌ أَوْ نِفَارٌ أَوْ جَلَاءُ

جَعَلَ عُمَرُ يَتَعَجَّبُ مِنْ عِلْمِهِ بِالْحَقِّ وَتَفْصِيلِهِ بَيْنَهَا وَيَقُولُ : لَا يُخْرِجُ الْحَقُّ مِنْ
إِحْدَى ثَلَاثٍ إِمَّا يَمِينٌ أَوْ مَحَاكِمَةٌ أَوْ حِجَّةٌ .

وقال ابن أبي ليلى الفقيه في عبد الله بن شبرمة

وَكَيْفَ تَرْجَى لِفَصْلِ الْقَضَاءِ * وَلَمْ تَصِبِ الْحَكْمَ فِي نَفْسِكَ
وَتَزْعُمُ أَنَّكَ لَا بَيْنَ الْجَلَّاحِ * وَهِيَاتُ دَعْوَاكَ مِنْ أَصْلِكَ

عبد الله بن صالح العجلي قال : خرج شريك وهو على القضاء يتلقى الخيزران وقد
أقبلت تريد الحج ، فأتى ، " شَاهِي " فأقام بها ثلاثاً ولم تُؤَافِ خَفِّ زَادِهِ وَمَا كَانَ
مَعَهُ مِنَ الْخَبْزِ يَجْعَلُ بَيْلَهُ بِالْمَاءِ وَيَأْكُلُهُ بِالْمَلْحِ ، فَقَالَ الْعَلَاءُ بْنُ الْمِنْهَالِ الْغَنَوِيُّ

فان كان الذى قد قلت حقا * بأن قد أكرهوك على القضاء
فما لك مَوْضِعًا فى كل يوم * تَلْقَى من يَحْجُجُ من النساء
مقيما فى قرى شَاهِي ثلاثا * بلا زاد سوى كَسِير وماء
يزيد الناس خيرا كل يوم * فترجع يا شريك الى وراء

وقال فيه أيضا

فليت أبا شريك كان حيا * فَيُقَصِّر حين يبصره شريك
ويترك من تدرّيه علينا * اذا قلنا له هذا أبوك^(١)

وأشدد لبعض الشعراء فى بعض الحكماء

أبكى وأندب بهجة الاسلام * اذ صرت تقعد مقعد الحكماء
إن الحوادث ما علمت كثيرة * وأراك بعض حوادث الأيام

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثني القاسم بن الفضل قال حدثني رجل من بني
جرير أن رجلا منهم خاصم رجلا الى سَوَّار بن عبد الله فقضى على الجريري، فمر
سَوَّار ببني جرير فقام اليه الجريري فصرعه وخنقه وجعل يقول

رأيت أحلاما فعبثها * وكنت للأحلام عبّارا
رأيتني أخفق ضبّا على * بجحر وكان الضب سَوَّارا

فى الشهادات

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال لى أيوب^(٢) : إن من أصحابي من أرجو
دَعْوته ولا أجيز شهادته . قال وقال سَوَّار : ما أعلم أحدا أفضل من عطاء السّامى ،
ولو شهد عندى على فلّسين لم أجز شهادته . يذهب الى أنه ضعيف الرأى ليس بالحازم .

(١) فى هذا الشعر الإقواء وهو المخالفة بين القوافى فى حركة الإعراب . وقد أورد صاحب اللسان هذين
البيتين فى جملة الشواهد المسوقة عليه . (٢) فى النسخة الألمانية « أبو أيوب » .

لا أنه يطعن عليه في دينه وأمانته . قال : وشهد أبو عمرو بن العلاء عند سوار على نسب فقال سوار : وما يدريك أنه ابنه ؟ قال : كما أعلم أنك سوار بن عبد الله ابن عترة بن ثقب . قال : وشهد رجل عند سوار في دار قد أدهاها رجل قال : أشهد أنها له من الماء الى السماء . وشهد آخر فقال للكاتب : اكتب شهادتهما . فقال : أى شيء أكتب ؟ فقال : كل شيء يخرج الدار من يد هذا ويجعلها في ملك هذا فاكتبه . [قال أبو حاتم بلغني أنه إنما قيل شهادة عربية وما أشبهه] قال وشهد رجل عند سوار، فقال له : ما صناعتك ؟ قال : أنا مؤدب . قال : فانا لا نجز شهادتك . قال ولم ؟ قال : لأنك تأخذ على تعليم القرآن أجرا . قال : وأنت تأخذ على القضاء بين المسلمين أجرا . قال : إني أكرهت على القضاء . قال : يا هذا، القضاء أكرهت عليه فهل أكرهت على أخذ الرزق ؟ قال : هلم شهادتك . فأجازها . قال : وشهد الفرزدق عند بعض القضاة فقال : قد أجزنا شهادة أبي فراس، وزيدونا . فقيل له حين انصرف : إنه والله ما أجاز شهادتك . قال : وما يمنعه من ذلك وقد قذفت ألف مُحَصَّنَة . وجاء أبو دلامة ليشهد عند ابن أبي ليلى فقال في مجلسه ذلك

إِنَّ الْقَوْمَ غَطَوْنِي تَغْطِيتُ دُونَهُمْ ۖ وَإِنْ بَحْثُوا عَنِّي فَمِنْهُمْ مَبَاحِثُ
وإِنْ حَفَرُوا بَرَى حَفَرْتُ بِئَارَهُمْ ۖ لِيُعْلَمَ مَا تَخْفِيهِ تِلْكَ النَّبَائِثُ

فأجاز شهادته وحبس المشهود عليه عنده وأعطاه قيمة الشيء .

أتى رجل ابن شبرمة بقوم يشهدون له على قراح فيه نخل، فشهدوا وكانوا عدولا^(٢) فسألهم : كم في القراح من نخلة ؟ قالوا : لا نعلم . فردّ شهادتهم . فقال له رجل منهم : أنت تقضى في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة ، فأعلمنا : كم فيه من أسطوانة ؟ فأجازهم .

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) كذا في النسخة الألمانية ، وفي النسخة الفتوغرافية أنه ابن سيرين والأول أقرب اذ لم تقف في ترجمة ابن سيرين على توليه القضاء .

وقال بعض الشعراء

والخصم لا يرتجى النجاة له • يوما إذا كان خصمه القاضى

قدم رجل خصما له الى زياد فى حق له عليه ، فقال : إن هذا الرجل يُدُلُّ بخاصّة
ذكر أنها له منك . قال : نعم . وسأخبرك بما ينفعه عندى من خاصّته : إن
يكن الحق له عليك أخذك أخذا عنيفا ، وأن يكن الحق لك عليه أقض عليه ثم
أقض عنه .

وقال أبو اليقظان : كان عبيد الله بن أبى بكرة قاضيا وكان يميل فى الحكم الى إخوانه .
ف قيل له فى ذلك . فقال : وما خير رجل لا يقطع من دينه لإخوانه ؟ .

قال المدائنى : كان بين طلحة بن عبيد الله والزبير مداراة فى واد بالمدينة . قال
فقالا : نجعل بيننا عمرو بن العاص . فأتياه فقال لهما : أنتم فى فضلكما وقديم سوابقكما
ونعمة الله عليكما تختلفان ! وقد سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما سمعت
وحضرتما من قوله مثل الذى حضرت فيمن اقتطع شبرا من أرض أخيه بغير حق
أنه يُطَوَّقُه من سبع أرضين ! والحكم أحوج الى العدل من المحكوم عليه وذلك لأن
الحكم إذا جار رزى دينه والمحكوم عليه إذا جبر عليه رزى عراض الدنيا [إن شئتما
فأدليا بحجتكما^(١) و] إن شئتما فأصلحا ذات بينكما . فاصطلحا وأعطى كل واحد منهما
صاحبه الرضا .

وكان السّندى ابن شاذك لا يستحلف المكارى ولا الحائك ولا الملاح
ويجعل القول قول المدعى مع يمينه ، ويقول : اللهم إني أستخيرك فى الجمال ومعلم
الصبيان .

وقال ابو البيداء سمعت شيخا من الأعراب يقول : نحن بالبادية لا نقبل شهادة العبد ولا شهادة العذِيَّوْط ولا المغدِّي ببوله . قال أبو البيداء : فضحكت والله حتى كدت أبول في ثوبي .

وقيل لعبيد الله بن الحسن العنبري : أتميز شهادة رجل عفيف تقيٍّ أحمق؟ قال : لا ، وسأريكم . ادعوا لي أبا مودود^(١) حاجي ، فلما جاء قال له : اخرج حتى تنظر ما الريح ؟ فخرج ثم رجع فقال : شمال يشوبها شيء من الجنوب . فقال : أتروني كنت مجيزا شهادة مثل هذا ؟

قال الأعمش قال لي محارب بن دثار : وليت القضاء فبكي أهلي وعُزِلت عنه فبكوا ، فما أدرى مم ذاك؟ فقلتُ له : وليت القضاء فكُرهته وجزعتُ منه فبكي أهلك . وعُزِلت عنه فكُرهت العزل وجزعتُ منه فبكي أهلك . فقال : إنه لَكَا قَلَتْ .

قدم إياس بن معاوية الشام وهو غلام قدَّم خصما له الى قاض لعبد الملك بن مروان وكان خصمه شيخا كبيرا . فقال له القاضي : أتقدم شيخا كبيرا ؟ فقال له إياس : الحق أكبر منه . قال : اسكت . قال : فمن ينطق بحجتي ؟ قال : ما أظنك تقول حقا حتى تقوم . قال : أشهد أن لا إله إلا الله . فقام القاضي فدخل على عبد الملك فأخبره بالخبر فقال : اقض حاجته وأخرجه من الشام لا يفسد على^(٢) الناس .

قال أعرابي لخصم له : « والله لئن هَمَلَجْتَ الى الباطل إنك عن الحق لَقَطُوفٌ » .

(١) في النسخة الفتوغرافية : مورد . (٢) في الأصل "عليك" والتصويب عن البيان والتبيين . ٢٠

باب الأحكام

حدثني عبدة بن عبد الله قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا أبي قال سمعت الزبير بن الحارث يحدث عن عكرمة عن أبي هريرة قال : « قضى رسول صلى الله عليه وسلم إذا اختلف الناس في الطرق أنها سبع أذرع » .

حدثني يزيد بن عمرو عن محمد بن موسى عن إبراهيم بن حنم عن غزال بن مالك الغفاري عن أبيه عن جده قال : « كفل النبي عليه السلام رجلا في تهمة » .

قال وحدثني أيضا عن إبراهيم بن حنم عن غزال بن مالك عن أبيه عن جده قال قال أبو هريرة : « حبس النبي صلى الله عليه وسلم في التهمة حبسا يسيرا حتى استبرا » .

حدثني يزيد قال حدثني الوليد عن جرير بن حازم عن الحسن : « أت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلب رجلا على جبل يقال له : رباب » وقال لي رجل بالمدينة : هو ذورباب .

حدثني أحمد بن الخليل عن سليمان بن حرب عن جرير عن يعلى بن حكيم عن أبيه عن ابن عباس قال : « أتى معاوية بن مالك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني زنيبت يا رسول الله . فقال : لعلك مسست أو لمست أو غمزت . فقال : لا ، بل زنيبت . فأعادها عليه ثلاثا ، فلما كان في الرابعة رجمه » .

حدثني شبابة عن القاسم بن الحكم عن الثوري عن علي بن الأقرع عن يزيد بن أبي كبشة أن أبا الدرداء أتى بامرأة سرق ، فقال : أسرقت ؟ قولي : لا .

(١) في النسخة الألمانية : " خيم " ولم نعث على ما يرجح إحدى الروايتين .

(٢) في النسخة القنوغرافية " أبو الوليد " .

حدثني سهل بن محمد قال حدثني الأصمعي قال : جاءوا زيادا بلص وعنده جماعة فيهم الأحنف ، فأتتهروه وقالوا : اصدق الأمير . فقال الأحنف : إن الصديق أحيانا معجزة . فأعجب ذلك زيادا وقال : جزاك الله خيرا .

حدثني شبابة عن القاسم بن الحكم عن إسماعيل بن عياش عن حدثه عن ابن عباس قال « جز الرأس والحية لا يصلح في العقوبة لأن الله عز وجل جعل حلق الرأس سُكَّا لمرضاته » .

حدثني شبابة عن القاسم عن الأوزاعي أن عمر بن عبد العزيز قال « إياكم والمثلة في العقوبة جز الرأس والحية » .

حدثني محمد بن خالد بن خدّاش قال حدثنا سلم بن قتيبة قال حدثنا يونس عن أبي بكر بن حفص بن عمر قال : كان مروان بن الحكم أمير المدينة فقضى في رجل فرع رجلا فضرط بأربعين درهما .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي اسحاق عن جوير عن الضحاك عن ابن مسعود قال « لا يحل في هذه الأمة غل ولا صَفْد ولا تجريد ولا مد » .

حدثني عبد الرحمن عن الأصمعي قال : كان عامر بن الظرب العدواني حَكَمَ العرب فَنَزَلَ به قوم يستفتونه في خثي وله جارية يقال لها خُصَيْلَة . وربما لامها في الإبطاء في الرعي وفي الشيء يحده عليها . فقال : يا خُصَيْلَة لقد حبست هؤلاء القوم وريئتهم حتى أسرع في غنمي . قالت وما يكن عليك من ذلك ؟ أتبعه مباله . فقال لها « مَسَى خُصَيْلَ بعدها أَوْ رَوَّحِي » .

(١) كذا بالنسخة الألمانية ، وفي الفتوغرافية « بحيلة » وهو تحريف . وقد أورد صاحب بلوغ الأرب في أحوال العرب خُصَيْلَة هذه في حكايات العرب قال ولعلها هي التي كان أبوها عامر يقول لها « مَسَى تَخِيلَ بعدها أَوْ صَبَّحِي » بناء على أنها كانت تسمى تخيلا أيضا . وقد ذكر الميداني أنها جارية عامر بن الظرب وأورد المثل هكذا وذكر القصة .

قال: وأتى ابن زياد بانسان له قُبُلٌ وذكر ولا يُدرى كيف يُورث. فقال: من لهذا؟ فقالوا: أرسل الى جابر بن زيد. فأرسل اليه، بخاء يرسف في قيوده فقال: ما تقول: في هذا؟ فقال: ألقه بالحدار فان بال عليه فهو ذكر، وإن بال في رجله فهو أنثى. حدثني محمد بن خالد بن خدّاش قال حدثنا سلم بن قتيبة قال حدثنا قيس بن الربيع عن أبي حصين أن رجلا كسر طنبورا لرجل نخاصمه الى شريح، فقال شريح: لا أقضى في الطنبور بشيء.

[حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبيه قال: قال لي أبو العجاج: يا بن أسمع والله لئن أقررت لألزمك. أي لا تقر.]

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبيه عن معمر قال: رد رجل على رجل جارية اشتراها منه. نخاصمه الى إياس بن معاوية، فقال له: بهم تردّها؟ قال له: بالحق. فقال لها إياس: أي رجلك أطول؟ فقالت: هذه. فقال: أتذكرين ليلة وُلِدْتَ؟ قالت: نعم. فقال إياس: ردّها.

حدثني أبو الخطّاب قال حدثنا أبو داود عن قيس عن أبي حصين قال: رأيت الشّعبيّ يقضى على جلد أسد.

الظلم

حدثني عبد الرحمن [بن عبد الله بن قُريب قال حدثني الأصمعي] قال أخبرنا بعض أشياخ البصرة أن رجلا وأمرأته اختصما الى أمير من أمراء العراق وكانت المرأة حسنة المتنبّ قبيحة المسفر، وكان لها لسان فكأن العامل مال معها فقال: يعمد أحدم الى المرأة الكريمة فيترّوجها ثم يسىء اليها! فأهوى زوجها الى الثّقاب فالتقاه

عن وجهها فقال العامل : عليك اللعنة ! كلامٌ مظلومٌ ووجهٌ ظالمٌ . وأنشد الرياشي في نحو هذا

رأيتُ أبا المجنَّاء في الناس جائراً * ولون أبي المجنَّاء لونُ البهائم
تراه على ما لاحه من سواده ■ وإن كان مظلوما له وجه ظالم

- ٥ أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال : كان رجل من العرب في الجاهلية إذا رأى رجلاً يظلم ويعتدى يقول : فلان لا يموت سويًا . فيرون ذلك حتى مات رجل ممن قال ذلك فيه فقيل له : مات فلان سويًا . فلم يقبل حتى نتابعت الاخبار . فقال : إن كنتم صادقين إن لكم دارا سوى هذه تجازون فيها .
- كتب رجل من الكُتَّاب الى سلطان : « أعيدك بالله من أن تكون لاهيًّا عن الشكر محجوبًا بالنعم صارفًا فضل ما أوتيت من السلطان الى ما تقل عائده وتعظم تبعته من الظلم والعدوان ■ وأن يسترلك الشيطان بخدعه وغروره وتسويله فيزبل عاجل الغبطة وينسيك مذموم العاقبة ■ فان الحازم من يذكر في يومه المخوف من عواقب غده ولم يغره طول الأمل وتراخي الغاية ولم يضرب في عمرة من الباطل ولا يدري ما تتجلى به مغبتها . هذا الى ما يتبع الظالم من سوء المنقلب وقبيح الذكر الذي لا يفنيه كرا الحديدين واختلاف العصرين » .
- ١٥

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا معاوية بن عمرو قال حدثنا أبو إبراهيم السقاء عن ليث عن مجاهد قال : « يؤتى بمعلم الصبيان يوم القيامة فان كان عدل بين الغلمان وإلا أقيم مع الظلمة » . وكان معاوية يقول : إني لأستحي أن أظلم [من لا يجد

(١) كذا بالأصل ولعل الفاء سقطت من النسخ . (٢) في الفتوغرافية : الكُتَّاب .

(٣) زيادة في النسخة الألمانية .

على ناصرا إلا الله . وقال بلال : « إني لأستحي أن أظلم [وأخرج أن أظلم » .
وكان يقال : إذا أراد الله أن يُخفف عبدا قيّص له من يظلمه .

كتب رجل الى سلطان : « أحق الناس بالاحسان من أحسن الله اليه وأولاهم
بالانصاف من بسّطت بالقدره يداه » .

ذكر الظلم في مجلس ابن عباس فقال كعب : إني لا أجد في كتاب الله المنزل أن
الظلم يُحرب الديار . فقال ابن عباس أنا أوجدك في القرآن ، قال الله عز وجل
﴿ فَبِمَا ظَلَمُوا رَبَّهُمْ خَلَّاهُمْ مِنْكُمْ وَخَلَّاهُمْ مِنْكُمْ وَخَلَّاهُمْ مِنْكُمْ ﴾ .

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : كان فرعان وهو من بني تميم لا يزال يُغير
على إبل الناس فيأخذ منها ثم يقاتلهم عليها الى أن أغار على رجل فأصاب له جملا .
بغاء الرجل فأخذ بشعره فحذبه فبرك ، فقال الناس : كبرت والله يا فرعان . فقال : لا والله
ولكن جذبي جذبة محق . وكان سديف بن ميمون مولى اللّهيّين يقول : اللهم قد
صار فيئنا دولة بعد القسمة وإمارتنا غلبة بعد المشورة وعهدنا ميراثا بعد الاختيار
للأمة . واشتريت الملاحى والمعازف بسهم اليتيم والأرملة وحكم في أبشار المسلمين
أهل الذمة وتولى القيام بأمورهم فاسق كل محلة . اللهم وقد استحصد زرع الباطل
وبلغ نهايته واجتمع طريقه . اللهم فأتخ له يدا من الحق حاصدة تبدد شمله وتفترق
أمره ليظهر الحق في أحسن صوره وأتم نوره .

ولى أعرابي بعض النواحي بجمع اليهود في عمله وسأله عن المسيح فقالوا : قتلناه
وصلبناه . فقال : فهل أديتم دينه ؟ قالوا : لا . قال : فوالله لا تخرجون أو تؤدوها .
فلم يرحوا حتى أدوها .

(١) في النسخة الفتوغرافية : وهو مولى لبني تميم .

كان أبو العَاج على جَوَالِي البصرة فَأَتَى بِرَجُلٍ مِنَ النصارى : فقال ما أَسْمُكَ ؟
فقال : بِنْدَادُ شَهْرٍ بِنْدَادُ . فقال : اِسْمُ ثَلَاثَةِ وَجْزِيَّةٍ وَاحِدٍ ! لا والله العظيم . قال :
فأخذ منه ثَلَاثَ حَزَى .

ولى أَعْرَابِي "تَبَالَّةً" فصعد المنبر فحمد الله ولا أنثى عليه حتى قال : إن الأمير
أَعَزَّنَا الله وإياه وَلَانِي بِلَادَكُمْ هَذِهِ ، وَإِنِّي وَالله ما أَعْرِفُ مِنَ الْحَقِّ مَوْضِعَ سَوْطِي ،
وَلَنْ أَوْتَى بِظَالِمٍ وَلَا مَظْلُومٍ إِلَّا أَوْجَعْتُهُمَا ضَرْبًا ، فَكَانُوا يَتَعَامَلُونَ بِالْحَقِّ بَيْنَهُمْ
وَلَا يَرْتَفِعُونَ إِلَيْهِ . قال بعض الشعراء

بَنِي عَمَّنَا لَا تَذْكُرُوا الشَّعْرَ بَعْدَ مَا * دَفَنْتُمْ بِصَحْرَاءِ الْغُمَيْرِ الْقَوَافِيَا ^(١)
فَلَسْنَا كَمَنْ كُنْتُمْ تَصِيْبُونَ سَلَّةً * فَتَقْبِلُ ضِيًّا أَوْ نَحْكُمُ قَاضِيًّا
وَلَكِنْ حَكَمَ السَّيْفُ فِيكُمْ مَسَلَّطٌ * فَفَرَضَى إِذَا مَا أَصْبَحَ السَّيْفُ رَاضِيًّا
فَإِنْ قَلَّمْ إِنْ ظَلَمْنَا فَلَمْ نَكُنْ * ظَلَمْنَا وَلَكِنَّا أَسَانَا أَلْتَقَاضِيَا
[وَقَالَ آخَرُ]

تَفْرَحُ أَنْ تَغْلِبَنِي ظَالِمًا * وَالْغَالِبُ الْمَظْلُومُ لَوْ تَعَلَّمَ
وَكَانُوا يَتَوَقَّوْنَ ظِلْمَ السُّلْطَانِ إِذَا دَخَلُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يَقُولُوا : « بِسْمِ اللَّهِ إِنِّي أَعُوذُ
بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا . آخَسْتُوْا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونِ . أَخَذْتُ سَمْعَكَ وَبَصْرَكَ بِسَمْعِ
الله وبصره . أَخَذْتُ قُوَّتَكَ بِقُوَّةِ اللَّهِ . بَيْنِي وَبَيْنَكَ سِتْرُ النَّبُوَّةِ الَّذِي كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ
تَسْتَتِرُ بِهِ مِنْ سَطَوَاتِ الْفِرَاعِنَةِ . جَبْرِيلُ عَنْ يَمِينِكَ وَمِيكَائِيلُ عَنْ يَسَارِكَ وَمُجِدِّ
أَمَامِكَ وَاللَّهُ مُطَاعٌ عَلَيْكَ وَيُحْجِزُكَ عَنِّي وَيَمْنَعُنِي مِنْكَ » .

(١) هكذا بالنسخة الألمانية . وقد ورد كذلك في الحاشية منسوبا للشَّيْخِ الْحَارِثِيِّ . والغُمَيْرُ موضع بين
ذَاتِ عَرَقٍ وَالْبِسْطَانِ وَقَبْلَهُ بِمِيلَيْنِ قَبْرُ أَبِي رِغَالٍ كَمَا فِي بَاقِيٍّ ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ اسْمُ لِمَوَاضِعٍ أُخَرَ . وقد ورد
فِي الْفَتْوَاغَرَاةِ هَكَذَا « الْعَبِيْطُ » مُحَرَّفًا عَنْ « الْعَبِيْطِ » وَفِي اللِّسَانِ وَالْمَعْجَمِ أَنَّهُ اسْمُ وَادٍ وَمِنْهُ صَحْرَاءُ الْغَبِيْطِ
وَقَدْ وَرَدَ فِي شَعْرِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ

فَأَتَى بِصَحْرَاءِ الْغَبِيْطِ بَعَاةً * كَبَّرَ الْإِسْمَانِي ذِي الْعِيَابِ الْمُحْمَلِ
(٢) زِيَادَةٌ فِي النُّسخَةِ الْأَلْمَانِيَةِ .

وقال بعض الشعراء

ونستعدي الأمير إذا ظلمنا * فمن يُعدي إذا ظلم الأمير

(١)
[وقال آخر

إذا كان الأمير عليك خصما * فلا تُكثر فقد غلب الأمير]

وكتب رجل الى صديق له : قد كنت أستعديك ظالما على غيرك فتحكم لي وقد

استعديتُك عليك مظلوما فضاقتني عدلك . وذكري قول القائل

كنت من كُرتي أقر اليهم * فهم كُرتي فأين الفِرار

(١)
[ونحوه

والخصم لا يُرتجى النجاح له * يوما إذا كان خصمه القاضي]

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : كان يقال : ما أُعطي أحد قط النصف

فأباه إلا أخذ شرا منه . قال : وقال الأحنف : ما عُرِضت النصف قط على أحد

فقبلها إلا دخلتني له هبة ولا ردها إلا اختبأ في عقله .

وقال البيهقي

وإني لأعطي النصف من لوظلمته * أقر وطابت نفسه لي بالظلم

وقال الطائي

يرى العلقم المأدوم بالعز أريه * يمانية والأري بالضم علقما

إذا فرشوه النصف نامت شداته * وإن رجعوا في ظلمه كان أظاما

[وقال العباس بن عبد المطلب

أبي قومنا أن يُنصفونا فنصفت * قواطع في أيماننا تقطر الدما

تركاهم لا يستحلون بعدها * لذي رحم يوما من الدهر محرما]

(١) زيادة في النسخة الألمانية . وقد تقدم البيت الثاني في صحيفة ٧٠

بلغنا عن صَمْرَةَ عن ثور بن يزيد قال : كتب عمر بن عبد العزيز الى بعض عُمَّالِهِ :
أما بعد فاذا دَعَتَكَ قَدْرَتُكَ على الناس الى ظلمهم فاذا ذكر قدرة الله عليك وفناء ما تُؤْتِي
اليهم وبقاء ما يؤتون اليك ، والسلام .

سمع ابن سيرين رجلا يدعو على من ظلمه ، فقال : أقصر يا هذا ، لا يربح عليك
ظالمك .

قولهم في الحبس

[في الحديث المرفوع : ^(١) «شكا يوسف عليه السلام الى الله عز وجل طول الحبس
فأوحى الله اليه : مَنْ حَبَسَكَ يا يوسف ، أَنْتَ حَبَسْتَ نَفْسَكَ حَيْثُ قُلْتَ ﴿ رَبِّ
السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ ولو قُلْتَ : العافية أَحَبُّ إِلَيَّ لعوفيت» .]

- ١٠ حدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب قال : «إن يوسف عليه
السلام دعا لأهل السجن دعوة لم تزل تُعرف لهم الى اليوم ، قال : اللهم اعطف
عليهم قلوب الأخيار ولا تُعم عليهم الأخبار» . فيقال : إنهم أعلم الناس بكل خبر
في كل بلد .

وكتب على باب السجن : «هذه منازل البلوى وقبور الأحياء وتجربة الصديق
وشماتة الأعداء» .

١٥

أنشدني الرياشي

ما يدخل السجن إنسان فتسأله ما بال سجنك إلا قال مظلوم

وقال أعرابي

ولما دخلت السجن كبر أهله وقالوا أبو ليسى الغداة حزين

٢٠

وفي الباب مكتوب على صفحاته : بأنك تَرَوْنِي سَوْفَ تَلِينُ

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

ويقال : إن قولهم « تَزْرُو وتَلِين » رُؤى مكتوبا على باب حبس فضر به الناس

مثلا .

وقال بعض المسجونين

وَبْتُ بِأَحْصَنهَا مَنْزِلًا * ثَقِيلًا عَلَى عُنُقِ السَّالِكِ

وَلَسْتُ بِضَيْفٍ وَلَا فِي كِرَاءٍ * وَلَا مُسْتَعِيرٍ وَلَا مَالِكِ

وَلَسْتُ بِغَصْبٍ وَلَا كَالرُّهُونِ * وَلَا يُشَبِّهُ الْوَقْفَ عَنْ هَالِكِ

وَلِي مُسَمِّعَاتٌ فَأَدْنَاهُمَا * يَفْتَنِي وَيَسْمَعُ فِي الْحَالِكِ

وَأَقْصَاهُمَا نَاطِرٌ فِي السَّمَاءِ * عَمْدًا وَأَوْسَخُ مِنْ عَارِكِ

المُسمِع الأول قيده والثاني صاحب الحرس . ونحوه قول الآخر

وَلِي مُسَمِّعَاتٌ وَزَمَارَةٌ * وَظُلٌّ مَدِيدٌ وَحَصْنٌ أَمَقُّ

الزَمَارَةُ الْغُلُّ ، وَأَصْلُ الزَمَارَةِ السَّاجُورُ .

قال أبو عبيدة : اختصم خالد بن صفوان مع رجل إلى بلال بن أبي بردة ، فقضى

للرجل على خالد ، فقام خالد وهو يقول

* سَحَابَةٌ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقْشَعُ *

فقال بلال : أَمَا إِنَّهَا لَا تَقْشَعُ حَتَّى يَصْبِيكَ مِنْهَا شُؤْبُوبٌ بَرَدٌ . وأمر به إلى

الحبس ، فقال خالد : علام تحبسني ؟ فوالله ما جنيت جناية ولا خنت خيانة .

فقال بلال : ينحبرك عن ذلك بَابٌ مُصَمَّتٌ وَأَقْيَادٌ تُقَالُ وَقِيمٌ يُقَالُ لَهُ حَفْصٌ .

قال الجحاج للغضبان بن التَّبَعَثَرِيِّ وَرَأَاهُ سَمِينًا : مَا أَسْمَنُكَ ؟ قَالَ : الْقَيْدُ وَالرَّتَعَةُ ،

وَمَنْ كَانَ فِي ضِيَاةِ الْأَمِيرِ سَمِينًا .

كان خالد بن عبد الله حبس الكيت الشاعر فزارته امرأته في السجن فلبس ثيابها ونرج ولم يعرف فقال

ولما أخلوني بصلعاء صيلم * بإحدى زبي ذى اللبتين أبي الشبل
نرجتُ خروج القدح قدح ابن مقبل * على رغم أناف النواج والمُشلى
على ثياب الغانيات وتحتها * عزيزة مرءٍ أشبهت سلة النصل

وكان خالد بن عبد الله حبس الفرزدق فقال

وأنى لأرجو خالدا أن يقكنى * ويطلق عني مقفلات الحدائد
فإن يك قيدي رد همتي فرما * تناولت أطراف الهموم الأبعاد
وما من بلاء غير كل عشية * وكل صباح زائر غير عائد
يقول لى الحداد هل أنت قائم * وما أنا إلا مثل آخر قاعد

وقال بعض الشعراء في خالد بن عبد الله القسرى حين حبس

لعمري لقد أعمرتم السجن خالدا * وأوطأتموه وطأة المتشاغل
فإن تحبسوا القسرى لا تحبسوا اسمه * ولا تسجنوا معروفه في القبائل

(١)
وقال بعض المسجونين

أسجن قويد واعتراب وعسرة * وقد حبيب! إن ذا العظيم
وإن أمرأتى تبقى موثيق عهده * على كل هذا، إنه لكريم

وقال آخر مثله

إلى الله أشكو إنه موضع الشكوى * وفي يده كشف المصيبة والبلوى
نرجنا من الدنيا ونحن من أهلها * فلسنا من الأحياء فيها ولا الموقى

(١) كذا بالنسختين الفتوغرافية والألمانية وفي هامش النسخة الألمانية عن نسخة أخرى «المسجونين»
ولم نجد التضعيف لا في القاموس ولا في اللسان.

إذا جاءنا السجّات يوما لحاجة * عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
وتعجبنا الرؤيا بجُلِّ حديثنا * إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا
فإن حسنت لم تأتِ عجلي وأبطأت * وإن قبحت لم تحبس وأتت عجلي
وقال يزيد بن المهلب وهو في الحبس : يا لهفني على طلبة بمائة ألف وفرج في جبهة
أسد . ودخل الفرزدق على المهلب وهو محبوس فقال

أصبح في قيدك السباحة والـجود وحمل لمضايح الأتقال
فقال له : أتمدحنى على هذه الحال؟ فقال : أصبتك رخيصة فاشتريتك .
وحبس الرشيد أبا العتاهية فكتب إليه من الحبس بآيات منها
تفديك نفسى من كل ما كرهت * نفسك إن كنت مذنباً فاغفر
يا ليت قلبى مصور لك ما * فيه لتستيقن الذى أضمر

فوقع الرشيد في رقعة : لا بأس عليك . فأعاد عليه رقعة أخرى فيها
كأن الخلق ركب فيه روح * له جسد وأنت عليه رأس
أمين الله إن الحبس بأس * وقد وقعت «ليس عليك بأس»
فأمر بإطلاقه

الحجاب

أبو حاتم عن العتبي عن أبيه أن عبد العزيز بن زُرارة الكلابي وقف على باب
معاوية فقال : من يستأذن لى اليوم فأدخله غدا؟ وهو في شمتين، فلما دخل على
معاوية قال : هنزت ذوائب الرجال اليك إذ لم أجد معولا إلا عليك . أمتطى الليل
بعد النهار وأسمُ المجاهل بالآثار . يقودنى نحوك رجاء وتسوقنى إليك بلوى، والنفس
مستبطئة والاجتهاد عاذر . فأكرمه وقربه . فقال فى ذلك

(١) فى الأصل : «فأسلفتك» والتصويب عن العقد الفريد . (٢) فى الفتوغرافية : الرجاء .

دخلتُ على معاويةَ بنِ حرب * وذلك إذ يُستُ من الدخول
وما نلتُ الدخولَ عليه حتى * حلتُ محسلةَ الرجل الذليل
وأغضيتُ الجفونَ على قذاها * ولم أسمع الى قالٍ وقيل
فأدركتُ الذي أملتُ فيه * بمكثٍ والخَطَّ زادَ العَجُول

- وقال غير العتيبي: لما دخل عبد العزيز بن زُرارة على معاوية قال له : «إني رحلتُ
اليك بالأمل واحتملتُ جَفوتك بالصبر، ورأيتُ بياك أقباما قدّمهم الخطُّ، وآخرين
باعدهم الحرمانُ . وليس ينبغي للتقدم أن يأمن ولا للتأخر أن يئأس . وأول المعرفة
الاختبار فأبُل وأختبر» وفي حجاب معاوية إياه يقول شاعر مضر
من يأذن اليومَ لعبد العزيز * يأذن له عبدُ عزيز غدا

- قال أبو اليقظان : كان عبد العزيز بن زُرارة فتي العرب .

استأذن أبو سفيان على عثمان فحجبه . فقيل له : حجبتُ أمير المؤمنين ؟ فقال
لا عدمتُ من قومي من إذا شاء حجبتُ . وحجب معاوية أبا الدرداء فقال أبو الدرداء :
من يَغشَّ سُدَّ السلطان يقيم ويقعد ومن صادف بابا عنه مغلقا وجد الى جانبه بابا
فُتِحا، إن دعا أُجيب وإذا سأل أُعطي .

- قال رجل لحاجبه : إنك عين أنظرُ بها وجنة أستنم إليها ، وقد وليتُك بابي ،
فما تراك صانعا برعيتي ؟ قال : أنظرُ اليهم بعينك وأحملهم على قدر منازلهم عندك
وأضمهم في إبطائهم عن زيارتك ولزومهم خدمتك مواضع استحقاقهم وأرتبهم حيث
وضعتهم ترتيبك وأحسنُ إبلاغك عنهم وإبلاغهم عنك . قال : قد وقيتُ مالك وما عليك
إن صدقته بفعل . وكان يقال : حاجبُ الرجل حارس عِرْضه .

وقرأت في التاج أن أبرويز قال لحاجبه : « لا تقدّم من مستغيثا ولا تضعنّ ذاشرف بصعوبة حجاب ولا ترفعنّ ذا ضعة بسهولة . وضّح الرجال مواضع أخطارهم ، فمن كان مقدّما له الشرف من أزدرعه ولم يهدمه من بعد بنائه فقدّمه على شرفه الأول وحسن رأيه الآخر ، ومن كان له شرف مقدّم فلم يُصنّ ذلك إبلاغا به ولم يزدرعه تمثيرا له فألحق بآبائه مهلة سبقهم في خواصهم ، وألحق به في خاصته ما ألحق بنفسه . لا تأذن له إلا دُبّرا ولا تأذن له إلا سِرّارا . وإذا ورد عليك كتاب عامل من عمّالي فلا تحبسه عنى طرفه عين إلا أن أكون على حال لا تستطيع الوصول الىّ فيها ، وإن أتاك مدع لنصيحة فاستكتبها سرّا ثم أدخله بعد أن تستأذن له . حتى إذا كان منى بحيث أراه فادفع الىّ كتابه ، فإن أحمدتُ قبلت وإن كرهت رفضتُ ، ولا ترفعنّ الىّ طلبّة طالب إن منعته بخلني وإن أعطيته أزدرانى ، إلا بمؤامرة منى من غير أن تُعلمه أنك قد أعلمتنى وإن أتاك عالم يستأذن علىّ لعلم يزعم أنه عنده فاسأله : ما علمه ذلك ؟ ثم استأذن له فإن العلم كاسمه ، ولا تحجب سخطه ولا تأذن رِضا ، اخصّص بذلك الملك ولا تخصّ به نفسك » .

الهيثم قال : قال خالد بن عبدالله لحاجبه : « لا تحجب عنى أحدا إذا أخذت مجلسي ، فإن الوالى لا يحجب إلا عن ثلاث : عنيّ يكره أن يُطلّع عليه منه ، أورية ، أو بخل فيكره أن يدخل عليه من يسأله » . ومنه أخذ ذلك محمود الوراق فقال

إذا اعتصم الوالى باغلاق بابي * ورد ذوى الحاجات دون حجابي
ظننت به إحدى ثلاث وربّما * نزع بظنّ واقع بصوابي
فقلت به مسّ من العيّ ظاهر * ففى إذنه للناس إظهار ما به
فان لم يكن عيّ اللسان فغالبا * من البخل يحى ما له عن طلابه
فان لم يكن هذا ولا ذا فورية * يصرّ عليها عند إغلاق بابي

وقال بعض الشعراء

إعلمن إن كنت تعلمه * أن عِرضَ الملكِ حاجبه
فيه تبدو محاسنه * وبه تبدو معايبه

وقال آخر

كم من فتي تُحمد أخلاقه * وتسكن الأحرار في ذمته
قد كثّر الحاجب أعداءه * وسلط الذم على نعمته

حضر بابَ عمر بن الخطاب رضى الله عنه جماعة منهم سهيل بن عمرو وعيينة
ابن حصن والأفرع بن حابس فخرج الأذن فقال : أين صهيب ؟ أين عمار ؟ أين
سلمان ؟ فتمعرت وجوه القوم . فقال واحد منهم : لم تمعرو وجوهكم ؟ دُعوا ودعينا
فأسرعوا وأبطأنا ، ولئن حسدتموهم على باب عمر لَمَا أعد الله لهم في الجنة أكثر .
١٠

وقال بعض الشعراء

سأترك هذا الباب ما دام إذنه * على ما أرى حتى يخف قليلا
إذا لم نجد للأذن عندك موصعا * وجدنا الى ترك المجيء سبيلا

وقال آخر لحاجب

سأترك بابا أنت تملك إذنه * وإن كنت أعمى عن جميع المسالك
فلو كنت بواب الجنان تركتها * وحولت رجلى مُسرعا نحو مالك
١٥

وكتب أبو العتاهية الى أحمد بن يوسف

لئن عدت بعد اليوم إلى لظالم * سأصرف وجهي حيث تُبغى المكارم
متى ينبجُ الفسادی اليك بحاجة * ونصفك محبوب ونصفك نائم ؟

٢٠

وقال آخر

ولست بمتخذ صاحبا * يُقيم على بابه حاجبا

إذا جئتُ قال له حاجةٌ * وإن عدتُ ألفتِه غائبًا

ويُلزِم إخوانَه حقَّه * وليس يرى حقَّهم واجبًا

فلستُ بلاقيه حتى المماتِ * إذ أنا لم ألقه راكبًا

وقال عبد الله بن سعيد في حاجب الحجاج وكان يحجبه دائماً
ألا ربَّ نصيح يُفلق البابُ دونَه * وغشَّ إلى جنب السرير يُقرب

وقال آخر

ما ضاقت الأرضُ على راغبٍ * يَطْلُبُ الرزقَ ولا هاربٍ

بل ضاقت الأرضُ على طالبٍ * أصبح يشكو جفوة الحاجب

ومُحِب رجل عن باب سلطان فكتب إليه: «نحن نعوذ بالله من المطامع الدنية

والهمم القصيرة وابتدال الحرية، فإن نفسى والحمد لله أبية ما سقطت وراء هممة

ولا خذلها صبر عند نازلة ولا استرقها طمع ولا طُيعت على طبع وقد رأيتك وليت

عِرْضك من لا يصونه ووصلت بيابك من تَشِينه وجعلت ترجمان عقلك من يَكْثُر من

اعدائك ويتقص من أوليائك [ويسىء العبارة عنك ويوجه وفد الذم اليك] ويُضِغ

قلوب إخوانك عليك إذ كان لا يعرف لشريف قدرا ولا لصديق منزلة، ويزيل

المراتب عن جهل بها وبدرجاتها فيحطّ العلى إلى مرتبة الوضيع ويرفع الدنى إلى مرتبة

الرفيع ويحتقر الضعيف لضعفه وتنبو عينه عن ذى البذاذة ويميل إلى ذى اللباس

والزينة ويقدم على الهوى ويقبل الرشا» .

وقال بشار، وقيل هو لغيره

تأبى خلائقُ خالد وفعاله * إلا تَجَنَّبَ كلَّ أمرٍ عائب

فإذا أتيت الباب وقت غدائه * أذن الغداءُ برغم أنف الحاجب

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

وهذا ضد قول الآخر

إذا تغدى فتر بوابه * وأرتد من غير يد بابه
ومات من شهوة ما يُحتسى * عياله طرأ وأصحابه

وقال آخر

يا أميرا على جريب من الأثر * ض له تسعة من الحجاب
قاعدا في الخراب يُحجب عنه * ما سمعنا بحاجب في خراب!

وقال آخر

على أي باب أطلب الاذن بعد ما * مُجبت عن الباب الذي أنا حاجبه

وقال الطائي

يا أيها الملك النسائي برؤيته * وجوده لمراعى جوده كُتب
ليس المحجاب بمُقَصِّ عنك لي أملا * إن السماء ترجى حين تحتجب

وقال أيضا

ومحجب حاولته فوجدته * نجما عن الركب العفاة شسوعا
أعدمته لما عدت نواله * شكوى فرحنا معدمين جميعا

وقال آخر

قد أطلنا بالباب أمس القعودا * وجُفينا به جفاء شديدا
وذمنا العبيد حتى إذا نحن * بلونا المولى عذرنا العبيدا

ومحج رجل فكتب

أبا جعفر إن الولاية إن تكن * منبلة قوما فانت لها نبيل

فلا ترتفع عنا لشيء وليته * كما لم يصغر عندنا شأنك العزل

وكتب رجل من الكتاب في هذا المعنى الى صديق له : «إن كان ذهولك عنا لدنيا
أَخْضَلَتْ عليك سماؤها وَأَرْتَبَتْ بك دِيَمُهَا^(١) إن أكثر مايجرى في الظن بك بل في اليقين
منك أنك أملك ما تكون لعنانك أن يجمع بك ولنفسك أن تستعلّ عليك اذا لانت لك
أَكْفَاهُ [وَأَنقَادٌ فِي كَفِّكَ زَمَامُهَا لَأَنَّكَ لَمْ تَلْ مَا نَلْتَ خَلْسًا وَلَا خَطْفًا، وَلَا عَنْ مَقْدَارِ
جَرَفِ الْيَكْ غَيْرَ حَقِّكَ وَأَمَالَ نَحْوِكَ سِوَى نَصِيحِكَ . فَإِنْ ذَهَبْتَ إِلَى أَنْ حَقِّكَ
قَدْ يَحْتَمِلُ فِي قُوَّتِهِ وَسَعَتِهِ أَنْ تَضُمَّ إِلَيْهِ الْجَفْوَةُ وَالنَّبْوَةُ فَيَتَضَاعَلُ فِي جَنْبِهِ وَيَصْغُرَ عَنْ
كَبِيرِهِ فَغَيْرُ مَدْفُوعٍ عَنْ ذَلِكَ . وَآيِمُ اللَّهِ لَوْ لَا مَا بُلِيتُ بِهِ النَّفْسُ مِنَ الظَّنِّ بِكَ وَأَنْ مَكَانَكَ
مِنْهَا لَا يَسْتَدُهُ غَيْرُكَ نَسَخَتْ عَنْكَ وَذَهَلَتْ عَنْ إِقْبَالِكَ وَإِدْبَارِكَ وَلَكَانَ فِي جَفَائِكَ مَا يَرِدُ
مِنْ غَيْرَتِهَا وَيَبْرُدُ مِنْ غُلَّتِهَا، وَلَكِنَّهُ لَمَّا تَكَامَلَتِ النِّعْمَةُ لَكَ تَكَامَلَتِ الرِّغْبَةُ فِيكَ» .

أبو حاتم عن العتبي قال : قال معاوية الحُضَيْنِ بْنِ الْمُنْذِرِ وَكَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ
فِي أَحْرِيَاتِ النَّاسِ : يَا أَبَا سَاسَانَ كَأَنَّهُ لَا يُحْسِنُ إِذْنُكَ . فَنَاشَأَ يَقُولُ

كُلَّ خَفِيفِ الشَّانِ يَسْعَى مَشْمَرًا * إِذَا فَتَحَ الْبُؤَابَ بِأَبْكَ إِصْبَعًا
وَنَحْنُ الْجُلُوسُ الْمَاكُثُونَ رِزَانَةً * وَحَلَمْنَا إِلَى أَنْ يَفْتَحَ الْبَابَ أَجْمَعًا

وقال بعض الشعراء في بشر بن مروان

بَعِيدُ مَرَدِّ الْعَيْنِ مَارِدٌ طَرْفَهُ * حِذَارُ الْغَوَاشِيِ بِأَبْ دَارٍ وَلَا سِتْرُ
وَلَوْ شَاءَ بَشَرُكَانَ مِنْ دُونِ بَابِهِ * طَّامَطُ سَوْدٍ أَوْ صَقَالِبُهُ حَمْرُ
وَلَكِنْ بَشَرًا يَمْسُرُ الْبَابَ لِلَّتِي * يَكُونُ لَهُ فِي غَيْبِهَا الْحَمْدُ وَالْأَجْرُ

وقال بشر

فَلَا تَجْهَلَا بِخَلِّ ابْنِ قَرْعَةَ إِنَّهُ * مَخَافَةٌ أَنْ يُرْجَى نَدَاهُ حَزِينُ

(١) كذا بالأصول التي بين أيدينا ولعل الفاء سقطت من قلم النسخ .

(٢) كل ما بين هذين القوسين المرعيين غير موجود بالنسخة القنوغرافية وقد نقلناه عن النسخة الألمانية .

إذا جئته في العُرف اغلق بابه * فلم تلقه إلا وأنت كمين
فقل لأبي يحيى متى تدرك العلا * وفي كل معروف عليك يمين

وقال ابن هرمة يمدح

هش إذا نزل الوفود بيباه * سهل الحجاب مؤدب الخدام
وإذا رأيت شقيقه وصديقه * لم تدري أيهما أخو الأرحام

وكتب رجل إلى بعض الملوك

إذا كان الجواد له حجاب * فما فضل الجواد على البخيل
فكتب إليه الآخر

إذا كان الجواد قليل مال * ولم يُعذر تعلل بالحجاب

وقال عبيد الله بن عكراش

وإني لأرثي للكرم إذا غدا * على طمع عند اللئيم يطالبه
وأرثي له من مجلس عند بابه * كمرثيتي للطرف والعُج راكمه

وكتب عبد الله بن أبي عيينة إلى صديق له

أتيتك زائراً لقضاء حق * فخال الستر دونك والحجاب

ولست بساقط في قدر قوم * وإن كرهوا كما يقع الذباب

أبو حاتم عن عبد الله بن مصعب الزيري قال: كُتِبَ لباب الفضل بن الربيع وهم يأذنون
لذوي الهيئات والشارات وأعرابي يدنو فكلما دنا طُرح . فقام ناحية وأنشأ يقول

رأيت آذينا يَعتَم بِرَتَّنا * وليس للغيب الزاكي بمُعْتَم

ولو دُعينا على الأحساب قد مني * مجدٌ تليد وجد راجح نامي

متى رأيت الصقور الجُدَل يَقدِّمها * خِطْطان من رَحِم قُرْع ومن هَام

دخل شريك الحارثي على معاوية فقال له معاوية : من أنت؟ فقال له : يا أمير المؤمنين
 مارأيت لك هفوة قبل هذه . مثلك ينكر مثلي من رعيته ! فقال له معاوية : إن معرفتك
 متفرقة . أعرف وجهك إذا حضرت في الوجوه . وأعرف اسمك في الأسماء إذا
 ذكرت ، ولا أعلم أن ذلك الاسم هو هذا الوجه ، فاذكر لي اسمك تجتمع معرفتك .
 استأذن رجلان على معاوية فأذن لأحدهما وكان أشرف منزلة من الآخر ، ثم أذن
 للآخر فدخل عليه بفلس فوق صاحبه . فقال معاوية : إن الله قد ألزمننا تأديبكم
 كما ألزمننا رعايتكم . وإننا لم نأذن له قبلك ونحن نريد أن يكون مجلسه دونك . فقم لا أقام
 الله لك وزنا .

دخل أبو مجلز على عمر بن عبد العزيز حين أقدمه من خراسان ، فلم يقبل عليه .
 فلما خرج قال له بعض من حضر المجلس : هذا أبو مجلز . فردّه واعتذر اليه وقال :
 إني لم أعرفك . قال : يا أمير المؤمنين فهلا أنكرتني .

قال أشجع السلمي يذكر باب المنصور^(١) بن زياد
 على باب ابن منصور : علامات من البذل
 جماعات وحسب الباء * ب فضلا كثرة الأهل
 وكانت العرب نتعوذ بالله من قرع الفناء ومن قرع المراح . وقال بعض الشعراء
 مالى أرى أبوابهم مهجورة * وكأن بابك مجمع الأسواق
 أرجوك أم خافوك أم شاموا الحياء * بحرآك^(٢) فانتجعوا من الآفاق

وقال آخر

يزدحم الناس على بابه * والمشرع العذب كثير الزحام

(١) هكذا في النسخة الألمانية . وفي الفتوغرافية منصور . والصواب محمد بن منصور كما في الكامل
 للبرد وهو المطابق لقوله « ابن منصور » في البيتين . (٢) الحرا والحراة الناحية .

وقال آخر * إن الندى حيث ترى الضغاطا *

يعنى الزحام

وقال بشار

ليس يعطيك للرجاء ولا الخو * ف ولكن يَلْذُ طعمَ العطاء

يسقط الطيرُ حيث يَنْثِرُ الحبُّ * وتُغشى منازل الكرماء

دق رجل على عمر بن عبد العزيز الباب فقال عمر: من هذا؟ قال أنا. قال عمر: ما نعرف أحدا من إخواننا يسمى أنا.

خرج شبيب بن شيبه من دار الخلافة يوما فقال له قائل: كيف رأيت الناس؟ فقال: رأيت الداخل راجيا ورأيت الخارج راضيا.

قال أبو العتاهية

إذا أشدّ دوني حجابُ امرئ * كَفَيْتُ المؤونة حُجَابَهُ

حُجِبَ أعرابي على باب السلطان فقال

أهين لهم نفسي لأكرمها بهم * ولا يُكرِّم النفس الذي لا يُهينها

وقال جرير

قوم إذا حضر الملوكة وفودهم * تُتفت شواربهم على الأبواب

وقال آخر

فلما وردت الباب أيقنتُ أننا * على الله والسلطان غيرُ كرام

وقال أبو القمقام الأسدي^(٢)

أبلغ أبا مالك عنى مُغلّلة * وفي العتاب حياة بين أقوام^(٣)

(١) في النسخة الفتواغرافية عمرو بن عبيد.

(٢) كذا بالنسختين الألمانية والفتوغرافية وقد أورد الجاحظ هذا الشعر في البيان والتبيين ونسبه لهام الرقاشي ونسبه المرتضى في التاج لعصام بن عبيد الزماني.

(٣) كذا بالأصل ويوافق لسان العرب وفي البيان للجاحظ والتاج للمرتضى: أبا مسمع

أَدْخَلْتَ قَبْلَ قَوْمَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ • مِنْ قَبْلُ أَنْ يَلْجُوا الْآبَوَابَ قَدَامِي
لَوْ عُدَّ بَيْتٌ وَبَيْتٌ كُنْتُ أَكْرَمَهُمْ • بَيْتَا وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ مَنَازِلِ الدَّامِ
فَقَدْ جَعَلْتُ إِذَا مَا حَاجَتِي نَزَلْتُ • بِيَابِ دَارِكَ أَدْلُوهَا بِأَقْوَامِ

التلطف في مخاطبة السلطان

وإلقاء النصيحة إليه

العتبي قال قال عمرو بن عُتْبَةَ لِلوَلِيدِ حِينَ تَنَكَّرَ لَهُ النَّاسُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ تُنْطَقِي
بِالْأَنْسِ بَكَ وَأَنَا أَكْفَيْتُ ذَلِكَ بِالْهِمَّةِ لَكَ . وَأَرَاكَ تَأْمَنُ أَشْيَاءَ أَخَافُهَا عَلَيْكَ ، أَفَأَسْكُتُ
مُطِيعًا ؟ أَمْ أَقُولُ مُشْفِقًا ؟ فَقَالَ : كُلُّ مَقْبُولٍ مِنْكَ ، وَلَهُ فِينَا عِلْمٌ غَيْبٍ نَحْنُ صَائِرُونَ
إِلَيْهِ . وَنَعُودُ فَنَقُولُ : فَقَتِلْ بَعْدَ أَيَّامٍ .

وَفِي إِلْقَاءِ النَّصِيحَةِ إِلَيْهِ : قَرَأْتُ فِي كِتَابٍ لِلْهِنْدِ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ عَلَى بَعْضِ
مُلُوكِهِمْ فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ نَصِيحَتُكَ وَاجِبَةٌ فِي الْحَقِيرِ الصَّغِيرِ بَلَّهِ الْجَلِيلَ الْخَطِيرِ
وَلَوْلَا الثِّقَةُ بِفَضِيلَةِ رَأْيِكَ وَاحْتِمَالُكَ مَا يَسُوءُ مَوْقِعُهُ مِنَ الْأَسْمَاعِ وَالْقُلُوبِ فِي جَنْبِ
صِلَاحِ الْعَاقِبَةِ وَتَلَا فِي الْحَادِثِ قَبْلَ تَفَاقُّهِ لَكَ أَنَّ خَرَقًا مَنَى أَنْ أَقُولَ ، وَإِنْ كُنَّا إِذَا رَجَعْنَا
إِلَى أَنْ بَقَاءَنَا [مَوْصُولٌ ^(١)] بِبَقَائِكَ وَأَنْفُسُنَا مَعْلُوقَةٌ بِنَفْسِكَ لَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنْ أَدَاءِ الْحَقِّ
إِلَيْكَ وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَسْتَلْنِي [أَوْ خَفْتُ ^(١) أَلَّا تَقْبَلَ مِنِّي] ، فَانْهَ يَقَالُ : مِنْ كَتَمَ السُّلْطَانَ
نَصِيحَتَهُ وَالْأَطْبَاءَ مَرْضَاهُ وَالْإِخْوَانَ بَيْتَهُ فَقَدْ خَانَ نَفْسَهُ .

الخفوت في طاعته

قَالَ بَعْضُ الْخُلَفَاءِ لِحَرِيرِ بْنِ يَزِيدَ : إِنِّي قَدْ أَعْدَدْتُكَ لِأَمْرِ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَدَّ لَكَ مَنَى قَلْبًا مَعْقُودًا بِنَصِيحَتِكَ وَيَدًا مَبْسُوطَةً بِطَاعَتِكَ وَسَيْفًا مَشْخُودًا
عَلَى عَدُوِّكَ فَإِذَا شِئْتَ فَقُلْ .

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

وفي مثله : قال إسحاق بن إبراهيم قال لى جعفر بن يحيى آغذُ على غدا لكذا .
فقلت : أنا والصبح كفرسى رهان . وفي مثله : أمر بعض الأمراء رجلا بأمر فقال
له : أنا أطوع لك من اليد وأذل لك من النعل . وقال آخر : أنا أطوع لك من الرداء
وأذل لك من الحذاء .

التلطف في مدحه

٥

قال خالد بن عبد الله القسرى لعمر بن عبد العزيز : من كانت الخلافة زانتها ،
فانك قد زنتها ، ومن كانت شرفته فانك قد شرفتها ، فأنت كما قال القائل
وإذا الدرّ زان حسن وجوه * كان للدرّ حسن وجهك زيناً
فقال عمر : أعطى صاحبكم مقولا ولم يعط معقولا .

- ١٠ وكتب بعض الأدباء إلى بعض الوزراء : « إن أمير المؤمنين منذ استخلصك لنفسه
نظر بعينك وسمع بأذنك ونطق بلسانك وأخذ وأعطى بيدك وأورد وأصدر عن
رايك ، وكان تفويضه إليك بعد امتحانك وتسليطه الرأي على الهوى فيك بعد أن
میل بينك وبين الذين سموا لرتبتك وجروا إلى غايتك فأسقطهم مضارك وخفوا
في ميزانك ولم يزدك رفعة إلا ازددت لله تواضعا ، ولا بسطا وإيناسا إلا ازددت له
هبة وإجلالا ، ولا تسليطا وتمكينا إلا ازددت عن الدنيا عز وفا ، ولا تقريبا إلا ازددت
١٥ من العامة قربا . ولا يخرجك فرط النصيح للسلطان عن النظر لرعيته ، ولا إثارة حقه
عن الأخذ لها بحقها عنده ، ولا القيام بما هو له عن تضمن ما عليه ، ولا تشغلك
جلال الأمور عن التفقد لصغارها ، ولا الجدل بصلاحتها واستقامتها عن استشعار
الحذر وإمعان النظر في عواقبها » .

- ٢٠ وفي مدحه : دخل العماني الراجز على الرشيد لينشده وعليه قلنسوة طويلة وخف
ساذج ، فقال له الرشيد : يا عماني ، إياك أن تنشدني إلا وعليك عمامة عظيمة الكور

وَحَفَّانَ دَلْقَانَ فَبَكَرَ إِلَيْهِ مِنَ الْغَدِ وَقَدْ تَرَيَا بَرِيَّ الْأَعْرَابِ ثُمَّ أَنْشَدَهُ وَقَبَّلَ يَدَهُ وَقَالَ :
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ وَاللَّهِ أَنْشَدْتُ مَرْوَانَ وَرَأَيْتُ وَجْهَهُ وَقَبَّلْتُ يَدَهُ وَأَخَذْتُ جَائِزَتَهُ
 ثُمَّ يَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْوَلِيدِ ثُمَّ السَّقَّاحُ ثُمَّ الْمَنْصُورُ ثُمَّ الْمَهْدِيُّ . كُلُّ هَؤُلَاءِ
 رَأَيْتُ وَجُوهَهُمْ وَقَبَّلْتُ أَيْدِيَهُمْ وَأَخَذْتُ جَوَائِزَهُمْ ، إِلَى كَثِيرٍ مِنْ أَشْبَاهِ الْخُلَفَاءِ وَبَكَارِ
 الْأُمَرَاءِ وَالسَّادَةِ وَالرُّؤَسَاءِ ، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ فِيهِمْ أَمْهِي مَنَظَرًا وَلَا أَحْسَنَ وَجْهًا وَلَا أَنْعَمَ
 كَفًّا وَلَا أُنْدَى رَاحَةً مِنْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَأَعْظَمَ لَهُ الْجَائِزَةَ عَلَى شَعْرِهِ وَأَضْعَفَ لَهُ
 عَلَى كَلَامِهِ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ فَبَسَطَهُ حَتَّى تَمَنَّى جَمِيعٌ مِنْ حَضَرٍ أَنَّهُ قَامَ ذَلِكَ الْمَقَامَ .

وَفِي الْمَدِيحِ : كَتَبَ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ إِلَى أَخِيهِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ فَقَالَ : « إِنْ اللَّهُ
 قَدْ جَعَلَ جَدَّكَ عَالِيًا وَجَعَلَكَ فِي كُلِّ خَيْرٍ مُقَدِّمًا وَإِلَى غَايَةِ كُلِّ فَضْلٍ سَابِقًا وَصِيْرَكَ ، وَإِنْ
 نَأَتْ بِكَ الدَّارُ ، مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَكَرَامَتِهِ قَرِيبًا ، وَقَدْ جَدَّدَ لَكَ مِنَ الْبِرِّ كَيْتَ وَكَيْتَ .
 وَكَذَا يَحْزُورُ اللَّهُ لَكَ مِنَ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا وَالْعِزِّ وَالشَّرَفِ أَكْثَرَهُ وَأَشْرَفَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » .
 وَفِي مَدْحِهِ : قَالَ الرَّشِيدُ يَوْمًا لِبَعْضِ الشُّعْرَاءِ : هَلْ أَحْدَثْتَ فِينَا شَيْئًا ؟ فَقَالَ :
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمَدِيحُ فِيكَ دُونَ قَدْرِكَ وَالشُّعْرُ فِيكَ فَوْقَ قَدْرِي . وَلَكِنِّي أَسْتَحْسِنُ
 قَوْلَ الْعَتَابِيِّ

مَاذَا يَرَى قَائِلٌ يَثْنِي عَلَيْكَ وَقَدْ * نَادَاكَ فِي الْوَحْيِ تَقْدِيسٌ وَتَطْهِيرُ
 فَتِ الْمَدَائِحِ إِلَّا أَنْ أَلْسُنَا * مُسْتَنْطَقَاتٌ بِمَا تَخْفِي الضَّمَائِرُ
 [فِي عَتَرَةٍ لَمْ تَقُمْ إِلَّا بِطَاعَتِهِمْ * مِنَ الْكُتَّابِ وَلَمْ تُقْضِ الْمَشَاعِيرُ
 هَذِي يَمِينُكَ فِي قُرْبَاكَ صَائِلَةٌ * وَصَارُمٌ مِنْ سِيُوفِ الْهَيْتِ مَأْثُورُ]

(١) كَذَا بِالْأَصْلِ عِبْرَ مَضْبُوطٍ وَالَّذِي فِي الْقَامُوسِ دَوِيَّةٌ كَالسَّمُورِ . وَفِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ « دَلْقَان » .

وَفِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ « دَمَالْقَان » وَالْهَمْزُ عَلَى الْمَلِكِ الْأَمْلَسِ .

(٢) زِيَادَةُ فِي النُّسخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ .

(٣) فِي الْأَصْلِ « عِبْرَةٌ » بِالْبَاءِ الْمَوْحَدَةِ وَالتَّصْحِيحُ عَنِ الْأَغَاثِيِّ .

(٤) فِي الْأَصْلِ « جَدَّوَاكَ مَائِلَةٌ » وَالتَّصْحِيحُ عَنِ الْأَغَاثِيِّ .

وفي مدحه : كتب بعض الكتاب إلى بعض الأمراء : « إن من النعمة على
المتنبي عليك أنه لا يخاف الإفراط ولا يأمن التقصير ولا يحذر أن تلحقه نقيصة
الكذب ولا ينتهي به المدح إلى غاية إلا وجد في فضلك عونا على تجاوزها . ومن
سعادة جَدَّك أن الداعي لك لا يعدم كثرة المشايين ومساعدة النية على ظاهر القول » .

وفي مثله كتب بعض الأدباء إلى الوزير : « مما يُعين على شكر كثرة المنصتين له ،
وما ييسر لسان مادحك أمنه من تحمل الإثم فيه وتكذيب السامعين له » .

وفي مثل ذلك : لما عقَّد معاوية البيعة ليزيد قام الناس يخطبون فقال لعمر
ابن سعيد : قم يا أبا أمية . فقام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد فإن يزيد
ابن معاوية أملٌ تأملونه وأجل تأمنونه ، إن استضيفتم إلى حِلْمِهِ وَسِعْكُمْ ، وإن احتجتم
إلى رأيه أرشدكم ، وإن افتقرتم إلى ذات يده أغناكم ، جَدَّعُ قَارِحُ سُبُوقِ فسبق
ومُوجِدُ فَجَدُ وقُورِعُ فخرج فهو خَلَفُ أمير المؤمنين ولا خلف منه » فقال معاوية :
أوسعت يا أبا أمية فاجلس .

وفي مثل ذلك : قال رجل للحسن بن سهل : « أيها الأمير ، أسكتني عن وصفك
تساوى أفعالك في السودد وحيرني فيها كثرة عددها فليس إلى ذكر جميعها سبيل ،
وإن أردت ذكر واحدة اعترضت أختها إذ لم تكن الأولى أحق بالذكر منها ، فلست
أصفها إلا باظهار العجز عن صفتها » .

وفي مثل ذلك : كتب آخر إلى محمد بن عبد الملك « إن مما يُطمعني في بقاء النعمة
عليك ، ويزيدني بصيرة في العلم بدوامها لديك أنك أخذتها بحقها واستوجبتها بما فيك
من أسبابها ، ومن شأن الأجناس أن تتواصل وشأن الأشكال أن تتقارم ، والشئ
يتغلغل في معدنه ويحن إلى عنصره ، فإذا صادف منيته ولز في مغرسه ضرب بعرقه
وسمق بفرعه وتمكن الإقامة وثبت ثبات الطبيعة » .

وفي مثل ذلك : كتب آخر الى بعض الوزراء : « رأيتني فيما أتعاطى من مدحك كالخُبْر
عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر الذي لا يخفى على ناظر، وأيقنت أني حيث
اتتهى بي القول منسوبٌ الى العجز مقصّر عن الغاية فانصرفْتُ عن الثناء عليك الى
الدعاء لك، ووكلت الإخبار عنك الى علم الناس بك » .

وفي مثله كتب العتّابي الى خالد بن يزيد : « أنت أيها الأمير وارث سلفك وبقية
أعلام أهل بيتك، المسدود بك ثَمُّهم والمجدد بك قديمُ شرفهم والمنبّه بك أيامُ صيتهم
والمنبسط بك [آمالنا والصائبك أكالنا والمأخوذ بك ^(١)] حظوظنا، فانه لم يحمل من
كنت وارثه، ولا درست آثار من كنت سالك سبيله ولا أحمّت معاهد من خلفته
في مرتبته » .

وفي شكره : قرأت في التاج قال بعض الكتاب للملك : « الحمد لله الذي أعلفني سببا
من أسباب الملك ورفع خسيستي بمخاطبته وعزز ركني من الدّلة به وأظهر بسطقي
في العاقبة وزين مقاومتي في المشاهدة وفقا غنى عيون الحسّدة وذلل لي رقاب الجبابرة
وأعظم لي رغبات الرعية وجعل لي به عيبا يوطأ وخطرا يعظم ومزية تحسن، والذي
حقّق فيّ رجاء من كان يأملني وظاهر به قوة من كان ينصرفني وبسط به رغبة من
كان يسترفدني، والذي أدخلني من ظلال الملك في جناح سترني، وجعلني من أكافه
في كنف آتسع عليّ » .

وفي شكره وتعداد نعمه : قرأت في سير العجم أن أردشير لما استوسق له أمره
جمع الناس وخطبهم خطبة بليغة حضهم فيها على الألفسة والطاعة وحذرهم المعصية
وصنّف الناس أربعة أصناف، نخر القوم نجّدا وتكلّم متكلمهم مجيبا فقال : « لا زلت

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

أيها الملك محبوباً من الله بعزة النصر ودرك الأمل ودوام العافية وحسن المزيد، ولازلت
تتابع لديك النعم وتُسبِّح عندك الكرامات والفضل حتى تبلغ الغاية التي يؤمن زوالها
ولا تنقطع زهرتها في دار القرار التي أعدها الله لنظرائك من أهل الزلفى عنده والخطوة
لديه ، ولا زال ملكك وسلطانك باقيين بقاء الشمس والقمر زائدين زيادة البحور
والأنهار حتى تستوى أقطار الأرض كلها في علوك عليها ونفاذ أمرك فيها ، فقد أشرق
علينا من ضياء نورك ما عمنا عموم ضياء الشمس ووصل إلينا من عظيم رأفتك
ما اتصل بأنفسنا اتصال النسيم ، بجمعت الأيدي بعد افتراقها والكلمة بعد اختلافها
وألقت بين القلوب بعد تباعضها وأذهبت الإحن والحسائلك بعد استعمار نيرانها ،
وأصبح فضلك لا يدرك بوصف ولا يحدد بتعداد ، ثم لم ترض بما عممنا به من هذه
النعم وظاهرت من هذه الأيادي حتى أحببت توطيدها والاستيثاق منها وعملت لنا
في دوامها كعملك في إقامتها وكفلت من ذلك ما نرجو نفعه في الخلوفا والأعقاب ،
وبلغت هممتك لنا فيه حيث لا تبلغ هم الآباء للأولاد ، فجزاك الله الذي رضاه تحريت
وفي موافقته سمعت أفضل ما التمسيت ونويت .

وفي مثله : قال خالد بن صفوان أوائل دخل عليه : « قدمت فأعطيت كلاً بقسطه من
نظرك ومجالسك وصلاتك وعدلك حتى كأنك من كل أحد أو كأنك لست من أحد » .
وفي شكره : كتب بعض الكتاب إلى الوزير يشكره : « من شكرك عن درجة
رفعتك إليها أو ثروة أفدته إياها فان شكرى إياك على مهجة أحييتها وحشاشة تبقيتها
ورمقي أمسكت به وقت بين التلف وبينه » .

وفي شكره : قرأت في كتاب : « ولكل نعمة من نعم الدنيا حد تنتهي إليه ومدى
توقف عنده وغاية في الشكر يسمو إليها الطرف خلا هذه النعمة التي فاتت الوصف
وطالت الشكر وتجاوزت كل قدر وأتت من وراء كل غاية وجمعت من أمير المؤمنين

مِنَّا جَمَّةٌ أَبَقَتْ لِلضَّالِّينَ مِنَّا وَلِلْبَاقِينَ نَحْرَ الْأَبَدِ وَرَدَّتْ عَنَّا كَيْدَ الْعَدُوِّ وَأَرْغَمَتْ عَنَّا
 أَنْفَ الْحَسُودِ وَبَسَطَتْ لَنَا عِزًّا نَتَدَاوَلُهُ ثُمَّ نَخْلُقُهُ لِلْأَعْقَابِ فَتَحْنُ نَلْجَأُ مِنْ أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ وَكَنْفِ كَرِيمٍ وَقَلْبِ عَطُوفٍ وَنَظَرِ رُءُوفٍ، فَكَيْفَ يَشْكُرُ
 الشَّاكِرُ مِنَّا وَأَيْنَ يَبْلُغُ اجْتِهَادُ مَجْتَهِدِنَا وَمَتَى نُوَدِّي مَا يُلْزِمُنَا وَنَقْضِي الْمَقْتَرَضَ عَلَيْنَا وَهَذَا
 كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي لَوْ لَمْ تَكُنْ لَهُ وَلَا بَائِتُهُ الرَّاشِدِينَ عِنْدَ مَنْ مَضَى مِنَّا وَمَنْ غَيَّرَنَا
 إِلَّا مَا وَرَدَ مِنْ صُنُوفِ كِرَامَتِهِ وَأَيَادِيهِ وَلَطِيفِ أَلْفَاظِهِ وَمَخَاطِبَتِهِ، لَكَانَ فِي ذَلِكَ
 مَا يَحْسُنُ الشُّكْرَ وَيُسْتَفْرِغُ الْمَجْهُودَ » .

التلطف في مسألة العفو

قال كسرى ليوشث المغني^(*) وقد قتل فهلوز حين فاقه وكان تلميذه : « كنتُ
 أستريح منه إليك ومنك إليه فأذهب شطرتي تمتعي حسدك ونغل صدرك » ثم أمر
 أن يلقى تحت أرجل القيلة فقال : أيها الملك إذا قتلت أنا شطر طربك وأبطلته
 وقتلت أنت شطره الآخر وأبطلته ، أليس تكون جنايتك على طربك بكنايتي عليه ؟
 قال كسرى : دعوه ، ما دله على هذا الكلام إلا ما جعل له من طول المدة .

وفي العفو أيضا . قال رجل للنصور : « الانتقام عدل والتجاوز فضل ونحن نعيدُ
 أمير المؤمنين بالله من أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين » .
 وفي العفو : جلس المجاج يقتل أصحاب عبد الرحمن ، فقام إليه رجل منهم فقال :
 أيها الأمير إن لي عليك حقا . قال : وما حقك علي ؟ قال : سبك عبد الرحمن يوما
 فرددتُ عنك . قال : ومن يعلم ذلك ؟ فقال الرجل : أنشد الله رجلا سمع ذاك
 إلا شهد به . فقام رجل من الأسرى فقال : قد كان ذاك أيها الأمير . فقال : خلوا

(*) في الأغاني ج ٥ ص ٥٨ : الفهليد .

عنه . ثم قال للشاهد : فما منعك أن تنكر كما أنكروا ؟ قال : لقد يم بغضى إياك . قال :
ويحلى هذا لصدقه .

وفي العفو: أسر معاوية يوم صفين رجلا من أصحاب علي صلوات الله عليه ، فلما
أقيم بين يديه قال : الحمد لله الذى أمكن منك . قال : لا تقل ذاك فانها مصيبة .
قال : وأية نعمة أعظم من أن يكون الله أظفرنى برجل قتل فى ساعة واحدة جماعة
من أصحابي . اضربا عنقه . فقال : اللهم اشهد أن معاوية لم يقتلني فيك ولا لأنك
ترضى قتلى ، ولكن قتلتني فى الغلبة على حطام هذه الدنيا ، فان فعل فافعل به ما هو
أهله ، وإن لم يفعل فافعل به ما أنت أهله . فقال : قاتلك الله ! لقد سببت فأوجعت
فى السب ودعوت فأبلغت فى الدعاء . خلّيا سبيله .

وفى مثله . أخذ عبد الملك بن مروان سارقا فأمر بقطع يده فقال .
١٠
يدى يا أمير المؤمنين أعيدّها * بعفوك أن تلقى مكانا يشينها
فلا خير فى الدنيا وكانت حبيبة * إذا ما شمّالى فارقتها يمينها
فأبى إلا قطعه ، فدخلت عليه أمه فقالت : يا أمير المؤمنين ، واحدى وكاسي .
فقال : بنس الكاسب ! هذا حد من حدود الله . فقالت : اجعله من الذنوب
التي تستغفر الله منها . فعفا عنه .
١٥

وفى مثله : أخذ عبد الله بن على أسيرا من أصحاب مروان فأمر بضرب عنقه فلما
رُفع السيف ليضرب به شرط الشأى فوق العمود بين يدي الغلام ونفرت دابة عبد الله
فضحك وقال : اذهب فأنت عتيق آستك . فالتفت اليه وقال : أصلح الله الأمير !
رأيت ضرورة قط أنجت من الموت غير هذه ؟ قال : لا ، [قال ^(١)] هذا والله الإدبار . قال :
وكيف ذاك ؟ قال : ما ظنك بنا وكنا ندفع الموت بأسنتنا فصرنا ندفعه اليوم بأسناهن .
٢٠

(١) زيادة يعينها السياق .

وفي مثله : خرج النعمان بن المنذر في غيب سماء فتر رجل من بني يَشْكُرُ جالسا على غدير ماء ، فقال له : أتعرف النعمان ؟ قال اليشكري : أليس ابن سَلَمَى ؟ قال : نعم . قال : والله لربما أمررتُ يدي على فرجها . قال له : ويحك ، النعمان بن المنذر ! قال : قد خبرتك . فما انقضى كلامه حتى لحقته الخيل وحيَّوه بتحية الملك . فقال له : كيف قلت ؟ قال : أبيتُ اللعن ، إنك والله ما رأيتَ شيئا أكذب ولا أألم ولا أوضع ولا أعصَّ بَظُرُ أمه من شيخ بين يديك . فقال النعمان : دَعُوهُ ، فأنشأ يقول :

تَعُو المملوك عن العَظِيمِ * م من الذنوب لفضلها
ولقد تُعاقِب في اليسير * وليس ذاك لجهلها
إلا ليعرَف فضلُها * ويُخاف شدة نَكِيلها

وفي مثله : لما أخذ المأمون إبراهيم بن المهدي استشار أبا إسحاق والعباس في قتله فأشارا به ، فقال له المأمون : قد أشارا بقتلك . فقال إبراهيم : أما أن يكونا قد نصحا لك في عَظَم الخلافه وما جرت به عادة السياسة فقد فعلا ، ولكك تأبى أن تستجلب النصر إلا من حيث عَوْدك الله . وكان في اعتذاره اليه أن قال : إنه وإن بلغ جُرمي استحلال دمي فحلم أمير المؤمنين وفضله يُبلغاني عفوهُ ولى بعدهما شُفعة الإقرار بالذنب وحقُّ الأبوة بعد الأب . فقال المأمون : لو لم يكن في حق سببك حقُّ الصفع عن جُرمك لبلغك ما أملت حسنُ تنصُّلك ولطف توصلك . وكان إبراهيم يقول بعد ذلك : والله ما عفا عني المأمون صلاَةً لرحمي ولا محبة لاستحيائي ولا قضاءً لحق عمومتي ، ولكن قامت له سُوقٌ في العفو فكره أن يُفسدها بي . ومن أحسن ما قيل في مثله قول العتَّابي

رحل الرجاءُ إليك مُغترباً * حُشدت عليه نوايب الدهر

(*) هكذا بالفتوغرافية وفي العقد الفريد "نسبك" .

رَدْتُ إِلَيْكَ نَدَامَتِي أَمَلِي * وَثَنِي إِلَيْكَ عِنَانَهُ شُكْرِي
وَجَعَلْتُ عَتَبَكَ مَوْعِظَةً * وَرَجَاءَ عَفْوِكَ مُنْتَهَى عَذْرِي

وقول علي بن الجهم للتوكل

عفا الله عنك ألا حرمَةً * ^(١) تعوذ بعفوك أن أبعدا
لئن جلّ ذنب ولم أعتمده * لآئت أجل وأعلى يدا
ألم تر عبدا عدا طوره * ومولى عفا ورشيدا هدى
ومفسد أمر تلافيته * فعاد فأصلح ما أفسدا
أقلني أقالك من لم يزل * ^(٢) يقيك ويصرف عنك الردى

وفي مثله . وجد بعض الامراء على رجل بخفاء وأطرحه حينما ثم دعا به ليسئله

عن شيء فرآه ناحلا شاحبا . فقال له : متى اعتللت ؟ فقال

ما مسنى سقمٌ ولمكننى * جفوتُ نفسي إذ جفانى الأمير ^(٣)

فعاد له .

وقال آخر

ألا إن خير العفو عفوٌ معجلٌ * وشر العقاب ما يُجَارُ به القدرُ

وكان يقال : بحسب العقوبة أن تكون على مقدار الذنب .

وفي العفو : قال بعضهم : إن عاقبت جازيت وإن عفوت أحسنت والعفو

أقرب للتقوى .

(١) في الأصلين الفتوغرافى والألماني «تجود» والتصويب عن الأغاني .

(٢) في نسخة : العدا .

(٣) كذا بالفتوغرافية والألمانية على أنه شعر والكلام في ذاته مستقيم الوزن * وأورده صاحب العقد

نثرا وبعده «وآليت أن لا أرضى عنها حتى يرضى عنها أمير المؤمنين» .

ونحوه : قال رجل لبعض الأمراء : أسألك بالذي أنت بين يديه أذل منى بين يديك ، وهو على عقابك أقدر منك على عقابي إلا نظرت في أمرى نظر من برئ أحب إليه من سُقْمى وبراءتى أحب إليه من جرمى .

ونحوه قول آخر : قديم الحرمة وحديث التوبة يحقان ما بينهما من الإساءة .
وفي مثله : أتى الأحنف ابن قيس مصعب بن الزبير فكلمه في قوم حبسهم ، فقال ، أصالح الله الأمير : إن كانوا حبسوا في باطل فالحق يخرجهم ، وإن كانوا حبسوا في حق فالعفو يسعهم ، فغلامهم .

وفي مثله : أمر معاوية بعقوبة رَوْح بن زُبَاع فقال له روح : أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تضع منى خسيصة أنت رفعتها أو تتعص منى مرة أنت أبرمتها أو تُشمت بى عدوا أنت وقته ^(١) وإلا أتى حلمك وعفوك على جهلى وإساءتى . فقال معاوية : خلّيا عنه . ثم أنشد

❦ إذا الله سنّى عقدَ أمرٍ تيسرا ❦

وفي مثله . أمر عمر بن عبد العزيز بعقوبة رجل قد كان نذر إن أمكنه الله منه ليفعلن به وليفعلن . فقال له رجاء بن حيوة : قد فعل الله ما تحب من الظفر فافعل ما يحب الله من العفو .

وفي مثله : قال ابن القريّة للحجاج في كلام له : أَقْلِنِي عَثْرِي وَأَسْغِنِي رِيْقِي فإنه لا بد للجواد من كبوة ولا بد للسيف من نبوة ولا بد للخليم من هفوة . فقال الحجاج : كلا ، والله حتى أوردك جهنم . ألسن القائل برُسْتَقْبَاز : تَغْدُوا الجدى قبل أن يتعشاكم .
وفي مثله : أمر عبد الملك بن مروان بقتل رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك أعز ما تكون أحوج ما تكون الى الله ، فاعف له فانك به تُعان وإليه تعود . نخلى سبيله .

(١) قهرته وأذله .

(٢) كذا بالأصل وفي الأمالى وأسألك بالله إلا أتى حلمك الخ .

وفي مثله . قال خالد بن عبد الله لسيامان بعد أن عذبه ^(١) [بما عذبه به] : إن القدرة تذهب الحفيظة وقد جلّ قدرُك عن العتاب ونحن مقرّون بالذنب ، فإن تعف فأهلي العفو وإن تعاقب فما كان منا . فقال ^(١) [أولى لك] أما حتى تأتى الشام راجلاً فلا عفو .
وفي مثله : ضرب المجاج أعناق أسارى أتى بهم ، فقال رجل منهم : والله لئن كنا أساناً في الذنب فما أحسنت في المكافأة . فقال المجاج : أف لهذه الحيف ! أما كان فيهم أحد يحسن مثل هذا ! وكفّ عن القتل .

وفي مثله . أخذ مصعب بن الزبير رجلاً من أصحاب المختار فأمر بضرب عنقه . فقال : أيها الأمير ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة ووجهك هذا الذي يستضاء به فأتعلق بأطرافك وأقول أى ربّ سل مصعباً فيم قتلنى . قال : أطلقوه . قال : اجعل ما وهبت لى من حياتى فى خفض . قال أعطوه .
مائة ألف . قال : بأبى أنت وأمى ، أشهد الله أن لابن قيس الرقيات منها خمسين ألفاً . قال : ولم ؟ قال : لقوله فيك

إنما مصعبٌ شهابٌ من الله تجلّت عن وجهه الظلماء

ملكه ملك رحمة ليس فيه جبروتٌ يُخشى ولا كبرياء

يتّقى الله فى الأمور وقد أفـلـح من كان همّه الاتقاء

فضحك مصعب ، وقال : أرى فيك موضعاً للصنيعة ، وأمره بلزومه وأحسن اليه فلم يزل معه حتى قتل .

وفي مثله : قال عبد الملك بن الحجاج التغلبي لعبد الملك بن مروان : هربتُ اليك من العراق . قال : كذبت ، ليس إلينا هربت ، ولكنك هربت من دم الحسين وخفّت على دمك فلبجأت إلينا . ثم جاء يوماً آخر فقال

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

(٢) فى النسخة الألمانية « عبد الله » .

أَدْنُو لَتَرْحَمَنِي وَتَرْثُقَ خَلَّتِي * وَأَرَاكَ تَدْفَعُنِي فَأَيْنَ الْمَدْفَعِ

• ونحوه قول الآخر

كَنتُ مِنْ كَرَبَتِي أَفْزَأَ إِلَيْهِمْ * فَهُمْ كَرَبَتِي فَأَيْنَ الْفَرَارِ

وفي مثله : قَنَّعَ الْحِجَّاجُ رَجُلًا فِي مَجْلِسِهِ ثَلَاثِينَ سَوْطًا وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَقُولُ

وَلَيْسَ بِتَغْزِيرِ الْأَمِيرِ نَحْزَايَةً * عَلَى إِذَا مَا كُنْتُ غَيْرَ مُرِيبِ

• ونحوه

وَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفَعَلَهُ * لَكَالْدهِرِ، لَا عَارًا بِمَا فَعَلَ الدَّهْرُ

وفي مثله : مَرَّ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ بِرَجُلٍ يُقَادُ مِنْهُ . فَقَالَ لِلْوَلِيِّ : يَا عَبْدَ اللَّهِ، إِنَّكَ

لَا تَدْرِي لَعَلَّ هَذَا قَتَلَ وَلَيْكَ وَهُوَ لَا يَرِيدُ قَتْلَهُ ، وَأَنْتَ تَقْتُلُهُ مُتَعَمِّدًا ، فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ .

قال : قد تركته لله .

وفي مثله . حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ عِيسَى بْنِ عَمْرٍو قَالَ : رُمِيَ الْحِجَّاجُ

فَقَالَ : انْظُرُوا مِنْ هَذَا ؟ فَأَوْمَأَ رَجُلٌ بِيَدِهِ لِيَرْمِي . فَأُخِذَ فَأُدْخِلَ عَلَيْهِ وَقَدْ ذَهَبَتْ

رُوحُهُ . قَالَ عِيسَى بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ يَنْحَى الْحِجَّاجَ : أَنْتَ الرَّامِيْنَا مِنْذُ اللَّيْلَةِ ؟ قَالَ :

نَعَمْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . قَالَ ، مَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : الْغِيُّ وَاللَّوْمُ . قَالَ : خَلُّوا

عَنْهُ . وَكَانَ إِذَا صُدِّقَ انْكَسَرَ

وفي مثله : حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ عَثْمَانَ الشَّحَّامِ قَالَ : أَتَى الْحِجَّاجُ

بِالشَّعْبِيِّ فَقَالَ لَهُ : أَخْرَجْتَ عَلَيْنَا يَا شَعْبِيُّ ؟ قَالَ : أَجَدَبَ بَنَاءُ الْجَنَابِ وَأَحْزَنَ بَنَاءُ الْمَنْزِلِ

وَاسْتَحْلَسْنَا الْخُوفَ وَاسْتَحْلَلْنَا السَّهْرَ وَأَصَابَتْنَا نَحْزِيَّةٌ لَمْ نَكُنْ فِيهَا بَرَّةً أَتَقِيَاءَ وَلَا بَحْرَةَ

أَقْوِيَاءَ . فَقَالَ الْحِجَّاجُ : اللَّهُ أَبُولُكَ . ثُمَّ أَرْسَلَهُ .

(١) كَذَا بِالْأَصْلِ وَلَعَلَهُ الْغِي .

وفي مثله: أتى موسى بن المهدي رجل كان قد حبسه فجعل يُقرّعه بذنوبه، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، اعتذارى مما تقرّعني به ردّ عليك وإقرارى بما تَعْتَدُه عليّ يلزمني ذنبا لم أجنّه، ولكنني أقول

فإن كنت ترجو بالعقوبة راحة * فلا تَزْهَدُنْ عند المعافاة في الأجر

وفي مثله: قال الحسن بن سهل النعم بن حازم وقد اعتذر إليه من ذنب عظمه:
 ٥ على رسلك أيها الرجل، تقدّمت لك طاعةً وتأنّرت لك توبة، وليس لذنوب بينهما مكان، وما ذنبك في الذنوب بأعظم من عفو أمير المؤمنين في العفو.

وفي الدعاء له: قال رجل لبعض الأمراء: «إني لو كنت أعرف كلا ما يجوز أن ألقى به الأمير غير ما جرى على ألسن الناس، لأحببت أن أبلغ ذلك فيما أدعوه به له وأعظم من أمره، غير أني أسأل الله الذي لا يخفى عليه ما تحتجب به الغيوب من
 ١٠ نيات القلوب أن يجعل ما يطلع عليه مما تبلغه نيتي في إرادته للأمر أدنى ما يؤتیه إياه من عطاياهم ومواهبه».

وفي الدعاء له: قرأت في كتاب رجل من الكتاب «لا زالت أيامك ممدودة بين أمل لك تبلغه وأمل فيك تُحقّقه حتى تُتملي من الأعمار أطولها وترقى من الدرجات
 ١٥ أفضلها».

وفي الدعاء: دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قبضت ضياعه فقال: السلام عليك أمير المؤمنين. محمد بن عبد الملك سليل نعمتك وآبن دولتك وغصن من أغصان دوحتك، أتأذن له في الكلام؟ قال: نعم. فتكلّم بعد حمد الله والثناء عليه. فقال «نستمع الله لحياطة ديننا ودينانا ورعاية أدياننا وأقصادنا ببقائك
 ٢٠ يا أمير المؤمنين ونسأله أن يزيد في عمرك من أعمارنا وفي أثرك من آثارنا ويقيك

(١) في النسخة الفتوغرافية «لا تجتنب» وهو تحريف.

الأذى بأسماعنا وأبصارنا . هذا مقام العائد بظلك الهارب الى كنفك وفضلك الفقير الى رحمتك وعدلك » ثم تكلم في حاجته .

وفي شكر السلطان وفي حمده : قدم رجل على سليمان بن عبد الملك في خلافته فقال له : ما أقدمك على ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ما أقدمني عليك رغبة ولا رهبة . قال : وكيف ذاك ؟ قال : أما الرغبة فقد وصلت اليها وفاضت في رحالنا وتناولها الأقصى والأدنى منّا ، وأما الرهبة فقد أمناً بعدلك يا أمير المؤمنين علينا وحسن سيرتك فينا من الظلم ، فنجح وفد الشكر .

وفي حمده : كتب بعض الكتاب الى وزير : « كل مدى يبلغه القائل بفضلك والواصف لأيامك والشاكر للنعمة الشاملة بك قصد أمم عند الفضائل الموفرة لك والمواهب المقسومة للرعية بك ، فواجب على من عرف قدر النعمة بك أن يشكرها وعلى من أظله عز أيامك أن يستديمه وعلى من حاطته دولتك أن يدعو الله ببقائها ونمائها ، فقد جمع الله بك الشّات وأصلح بها الفساد وقبض الأيدي الجائرة وعطف القلوب النافرة ، فأمنت سرب البرى وخفضت جأشه وأخفت سبل الجاني وأخذت عليه مذاهبه ومطالعه ووقفت بالخاصة والعامة على قصد من السيرة آمنوا بها من العثار والكبوة » .

وفي حمده على شكر الله عز وجل . قال شبيب بن شيبه للهدى : إن الله عز وجل لم يرض أن يجعلك دون أحد من خلقه . فلا ترض بأن يكون أحد أشكر له منك والسلام .



تم كتاب السلطان، ويتلوه في الجزء الثاني كتاب الحرب

كتاب الحرب

آداب الحرب ومكايدها

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة : حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا معاوية ابن عمرو عن أبي إسحاق عن هشام والأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تَمْنُوا لقاء العدو فَعَسَى أَنْ تُبْتَلُوا بِهِمْ وَلَكِنْ قُولُوا ۝ اللَّهُمَّ آكِفْنَا وَكُفْ عَنَّا بِأَسْمِهِمْ ، وَإِذَا جَاءَ وَكَمْ يَعْزِفُونَ وَيَرْحَفُونَ وَيَصِيحُونَ فَعَلَيْكُمْ الْأَرْضُ جُلُوسًا ، ثُمَّ قُولُوا : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبُّنَا وَرَبُّهُمْ ، وَنَوَاصِينَا وَنَوَاصِيهِمْ بِيَدِكَ ، فَإِذَا غَشَوْكُمْ فَثُورُوا فِي وُجُوهِهِمْ » .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن سعيد بن عبد العزيز عن حدثه أن أبا الدرداء قال : أيها الناس ، عَمَلٌ صَالِحٌ قَبْلَ الْغَزْوِ فَإِنَّمَا تَقَاتِلُونَ بِأَعْمَالِكُمْ .

حدثنا القاسم بن الحسن عن الحسن بن الربيع عن ابن المبارك عن حيوة بن شريح قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا بعث أمراء الجيوش أو صاهم بتقوى الله العظيم ، ثم قال عند عقد الألوية : بسم الله وعلى عون الله وآمضوا بتأييد الله بالنصر وبلزوم الحق والصبر ، فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين . لا تجبنوا عند اللقاء ولا تمتثلوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور ولا تقتلوا هيرما ولا امرأة ولا وليدا . وتوقفوا قتلهم إذا التقى الزحفان وعند

حَمَّةُ النَّهْضَاتِ وَفِي شَنِّ الْغَارَاتِ . وَلَا تَغْلُوا عِنْدَ الْغَنَائِمِ وَتَزْهُوا بِالْجِهَادِ عَنْ عَرْضِ الدُّنْيَا وَأَبْشُرُوا بِالرَّبَاحِ فِي الْبَيْعِ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ .

استشار قوم أكرم بن صَيْفِيَّ فِي حَرْبِ قَوْمِ أَرَادُوهُمْ وَسَأَلُوهُ أَنْ يوصيهم فقال : أَقْلُوا الْخِلَافَ عَلَى أَمْرَائِكُمْ ، وَعَلِّمُوا أَنْ كَثْرَةَ الصَّيَاحِ مِنَ الْفِشْلِ وَالْمَرءِ يَعْجِزُ لَا مَحَالَةَ . تَتَبَّعُوا فَإِنْ أَحْزَمَ الْفَرِيقَيْنِ الرَّاكِبِينَ ، وَرُبَّتْ عَجَلَةٌ تُعَقِّبُ رَيْثًا ، وَأَتَزَرَّوْا لِلْحَرْبِ وَادْرَعُوا اللَّيْلَ فَإِنَّهُ أَخْفَى لِلَّيْلِ ، وَلَا جَمَاعَةَ لِمَنْ اخْتَلَفَ عَلَيْهِ .

وقال بعض الحكماء : قد جمع الله لنا أدب الحرب في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَسَازَعُوا فَبِئْسَ الْفِرْقَاءُ يَكْذِبُونَ وَيُمَارُونَ الْأَعْيُنَ وَيُحْمِلُونَ أَسْرَارَهُمْ وَالْأَعْيُنُ لَا يُبْصِرُ الْغَيْبَ) .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن الأوزاعي قال ، قال عتبة بن ربيعة يوم بدر لأصحابه : ألا ترونهم — يعني أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم — جُثِيًّا عَلَى الرُّكْبِ كَأَنَّهُمْ نُحْرُسُ يَتَلَمَّظُونَ تَلَمَّظَ الْحَيَاتِ . قال : وسمعتهم عائشة يُكْذِبُونَ يَوْمَ الْجَمَلِ فَقَالَتْ : لَا تَكْثُرُوا الصَّيَاحَ فَإِنَّ كَثْرَةَ التَّكْبِيرِ عِنْدَ الْلِقَاءِ مِنَ الْفِشْلِ (٢) .

وذكر أبو حاتم عن العُتْبِيِّ عَنْ أَبِي إِبْرَاهِيمَ قَالَ : أَوْصَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَزِيدَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ حِينَ وَجَّهَهُ إِلَى الشَّامِ فَقَالَ : يَا يَزِيدُ سِرُّ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ . فَإِذَا دَخَلْتَ بِلَادَ الْعَدُوِّ فَكُنْ بَعِيدًا مِنَ الْحَمَلَةِ فَإِنَّهُ لَا أَمَانَ عَلَيْكَ الْحَوَلَةُ . وَاسْتَظْهَرِ بِالزَّادِ وَسِرُّ بِالْأَدْلَاءِ وَلَا تَقَاتِلِ بِمَجْرُوحٍ فَإِنَّ بَعْضَهُ لَيْسَ مِنْهُ ، وَاحْتَرَسْ مِنَ الْبَيَّاتِ فَإِنَّ فِي الْعَرَبِ

(١) أى شدتها ومعظمها . (٢) في الفتوغرافية «القتال» .

غِرَّةً، وأقلل من الكلام فانما لك ما وعى عنك . وإذا أتاك كتابي فأنفذه فانما أعمل على حسب إنفاذه . وإذا قِدِمَتْ عليك وفودُ العجم فأنزهم معظم عسرك وأسبغ عليهم النفقة وأمنع الناس عن محادثتهم ليخرجوا جاهلين كما دخلوا جاهلين . ولا تُلَحِّنْ في عقوبة [فان أدناها وجع] ولا تسرعن اليها وأنت تكتفى بغيرها . وأقبل من الناس علايتهم وكلهم الى الله في سرايرهم . ولا تجسس عسرك فتفضحه ولا تهمله فتفسده . وأستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه .

[^(١) قال أبو بكر لعكرمة حين وجهه الى عُثْمَانَ : يا عكرمة سر على بركة الله ولا تنزل على مستأمن ولا تؤمن على حق مسلم وأهدر الكفر بعضه ببعض . وقدم النذر بين يديك . ومهما قلت إني فاعل فافعله ولا تجعل قولك لغوا في عقوبة ولا عفو . ولا ترج إذا أمنت ولا تخاف إذا خُوفت ولكن أنظر متى تقول وما تقول . ولا تعدت معصية بأكثر من عقوبتنا فان فعلت أئمت وإن تركت كذبت . ولا تؤمن شريفا دون أن يكفل بأهله ولا تكفل ضميئا أكثر من نفسه . وآتى الله فاذا لقيت فاصبر .]

وأوصى عبد الملك بن صالح أمير سريّة الى بلاد الروم فقال : أنت تاجر الله لعباده فكن كالمضارب الكيس الذي إن وجد ربحا تجرّ، وإلا احتفظ برأس المال . ولا تطلب الغنيمة حتى تحوز السلامة . وكن من احتيالك على عدوك أشد حذرا من احتيال عدوك عليك .

وحدثني محمد بن عبيد عن ابن عيينة قال : أخبرني رجل من أهل المدينة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن حارثة أو لعمر بن العاص : «إذا بعثتك في سرية فلا تتنقهم وأقتطعهم فان الله ينصر القوم بأضعفهم» .

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

(٢) كذا بالنسختين الفتوغرافية والألمانية وفي العقد الفريد «مروان» .

حدثني محمد بن عبيد^(١) [عن ابن عيينة] عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال :
غزا نبي من الأنبياء أو غير نبي فقال : « لا يغزوت معي رجل بنى بناء لم يكمله ،
ولا رجل تزوج امرأة لم يبن بها ، ولا رجل زرع زراعا ثم لم يحصده » .

[وذكر ابن عباس عليا فقال : ما رأيت رئيسا يوزن به . لرأيت يوم صفتين وكأن^(١)
عيينه سراجا سايط وهو يحبس أصحابه الى أن انتهى إلى وأنا في كثيف فقال : معشر^(٢)
المسلمين ، استشعروا الخشية وعنوا الأصوات وتجلّبوا السكينة وأكلوا اللؤم وأخفوا^(٣)
الخنون وقلقلوا السيوف في اغمارها قبل السلة وألحظوا الشرر وأطعنوا النبر^(٤) وناخوا^(٥)
بالظبا ووصلوا السيوف بالخطأ والرماح بالنبل وآمشوا الى الموت مشيا سحجا . وعليكم
بهذا السواد الأعظم والرواق المطنب فأضربوا نجيحه فان الشيطان راكد في كسره ناخغ
خصيه مفترش ذراعيه قد قدم للوثبة يدا وأخر للكنكوص رجلا] .

ولما ولي يزيد بن معاوية سلم بن زياد خراسان قال له : إن أباك كفى أخاه
عظيما ، وقد استكفيتك صغيرا فلا تتكلن على عذر مني فقد اتكلت على كفاية منك .
وإياك مني قبل أن أقول إياي منك ، فان الظن إذا أخلف فيك أخلف منك .
وأنت في أدنى حظك فاطلب أقصاه . وقد أتعبك أبوك فلا تريحن نفسك ، وكن
لنفسك تكن لك ، واذكر في يومك أحاديث غدك ترشد إن شاء الله .

قال الأصمعي قالت أم جبنويه ملك طخارستان لنصر بن سيار الليثي : ينبغي
للأمير أن تكون له ستة أشياء : وزير يثق به ويفشي اليه سره ، وحصن يابجا اليه
إذا فزع فينجيه — يعني فوسا — وسيف إذا نازل به الأقران لم يخف خونه ،

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) في الأصل « كنف » وهو تعريف والكنف الحشد والجماعة .
(٣) من التعنية أي الحبس والأسر أي حبسوا أصواتكم ولا ترفعوها . (٤) كذا بالأصل ولم نجده في نهج
البلاغة ولعله « أخفوا الخوذ » جمع خوذ أي اجعلوها خفيفة حتى لا تثقلكم في الحرب . (٥) يقال طعن
نبر : مختلس كأنه ينبر الريح عنه أي يرفعه بسرعة . وفي نهج البلاغة : والحظوا الخزر واطعنوا الشرر .

وذخيرة خفيفة المحمل إذا نابته نائبة أخذها، وامرأة إذا دخل عليها أذهبت همه، وطباخ إذا لم يشتهه الطعام صنع له ما يشتهيه .

وبلغنى عن عباد بن كثير عن عَقِيل ^(١) [بن خالد] ^(٢) عن الزُّهْرِي عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير الأصحاب أربعة وخير السرايا أربعائة وخير الجيوش أربعة آلاف وما غلب قوم قط يبلغون اثني عشر ألفا إذا اجتمعت كلمتهم» . ^(٣) [وقال رجل يوم حنين: لن تغلب اليوم عن قلة، وكانوا اثني عشر ألفا فهزم المسلمون يومئذ وأنزل الله عز وجل (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَا بُرَّ لَكُمْ فَبِئْسَ الْفِتْنَىٰ) يَوْمَئِذٍ لَّجَمْعُكُمْ عَلَيْكُمْ غَرًّا] . وقالوا كان يقال: ثلاث من كُنَّ فيه كُنَّ عليه: البغى، قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بُغِيكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ) والمكر، قال الله تعالى (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) والنكث، قال عز وجل (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ) .

وقرأت في كتاب للهند: لا ظفر مع بغى، ولا صحبة مع نهم، ولا ثناء مع كبر، ولا صداقة مع خب، ولا شرف مع سوء أدب، ولا رِّمع مع شُخ، ولا اجتناب مع حرم ^(٤) مع حرص، ولا محبة مع زهو، ولا ولاية مع حكم مع عدم فقه، ولا عذر مع إصرار، ولا سلامة مع ريبة، ولا راحة قلب مع حسد، ولا سُودد مع انتقام، ولا رياسة مع غرارة وعُجْب، ولا صواب مع ترك المشاورة، ولا ثبات ملك مع تهاون وجهالة وزراء .

خرجت خارجة بجراسان على قتيبة بن مسلم فأهمه ذلك فقبل له: ما أهمك منهم؟ وجّه اليهم وكيع بن أبي سُود فانه يكفيهم . فقال: لا، إن وكيعا رجل به كبر يحتقر أعداءه، ومن كان هكذا قلت مبالاته بعدوه فلم يحتقرس منه فيجد عدوه منه غيرة .

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) كذا في الأصل الفتوغرافي وفي النسخة الألمانية: الزبيرى والصواب الأول فان المعروف في كتب طبقات المحدثين أن عقيل بن خالد يروى عن الزهري والزهري يروى عن عبيد الله بن عبد الله . (٣) في الفتوغرافية «ولا محبة مع هزؤ» .

وقرأت في بعض كتب العجم أن ملكا من ملوكهم سئل : أيّ مكايد الحرب أحرم ؟ فقال : إذكاء العيون واستطلاع الأخبار وإفشاء الغلبة وإظهار السرور وأمانة الفرق والاحتراس من البطانة من غير إقصاء لمن يُستنصح ولا استنصاح لمن يُستغش ولا تحويل شيء عن شيء إلا بسدّ ناحية من المراتب وحسن مجاملة الطنون وإشغال الناس عما هم فيه من الحرب بغيره . وسئل عن وثائق الحزم في القتال فقال : مخاتلة العدو عن الرّيف وإعداد العيون على الرّصد وإعطاء المبلّغين على الصدق ومعاينة المتوصّلين بالكذب وألا تُخرج هاربا الى قتال ولا تُضيّق أمانا على مستأمن ولا تُشيب عن أصحابك للبغيّة ولا تُسدّهنك الغنيمة عن المحاذرة .

وقرأت في كتاب للهند : الحازم يحذر عدوه على كل حال . يحذر المواثبة إن قُرب ، والغارة إن بُعد ، والكمين إن انكشف ، والاستطراد إن ولى ، والمكر إن رآه وحيدا . ويكره القتال ما وجد بُدّا لأن النفقة فيه من الأنفس والنفقة في غيره من المال .

وقرأت في الآيين : قد جرت السنة في المحاربة أن يوضع من كان من الجند أعسر في الميسرة ليكون لقاءه يَسرا ورميه شَزرا وأن يكون اللقاء من الفرسان قُدما وترك ذلك على حال مُمائلة أو مُجانبة وأن يرتاد للقلب مكانا مُشرفا ويلتمس وضعه فيه فان أصحاب الميمنة والميسرة لا يُقهرون ولا يُغلبون وإن زالتا بعض الزوال ما ثبت المادّتان فان زالت المادّتان لم ينتفع بثبات الميمنة والميسرة . [وإذا عَيّ الجند فليتناوش أهل الميمنة والمادّتان فأما الميسرة] فلا تَشذّن منهم أحد إلّا أن يبادر اليهم من العدو من يخاف بائقته فيردون عاديتهم مع أن أصحاب الميمنة والمادّتين لا يقدرّون على لقاء من يناوشهم والرجوع الى أصحابهم عاطفين . وأصحاب الميسرة لا يقدرّون على مناوشة

(١) كذا بالنسخة الألمانية وفي الفتوغرافية هكذا "المادّيان" ولم نوفق الى تصويبها .

(٢) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية .

- الامائلين ويعجزهم الرجوع عاطفين . ولا يألون صاحب الجيش على حال من الحال أن يستدبر جنده عين الشمس والريح ، ولا يحارب جندا الا على أشد الضرورة وعلى حال لا يوجد معها من المحاربة بد ، فاذا كان كذلك فليجهد صاحب الجيش أن يدافع بالحرب الى آخر النهار . وينبغي على كل حال أن يحل بين المنهزمين وبين الذهاب ولا ينجسوا . وإن كان الجند قد نزلوا على ماء وأراد العدو أن ينالوا من الماء فليس من الرأي أن يحال بينهم وبينه لئلا يخرجوا الى الجند في محاربتهم . وإن كان العدو قد نزلوا بماء وأراد الجند غلبتهم عليه فان وقت طلب ذلك عند رى العدو من الماء وسقيهم دوابهم منه وعند حاجة الجند اليه ، فان أسلس ما يكون الانسان عن الشيء عند استغنائه عنه وأشد ما يكون طلبا للشيء عند حاجته اليه . ولتسير الطلائع في قرار من الأرض ويقفوا على التلاع ولا يجوزوا أرضا لم يستقصوا خبرها . وليكن الكمين في الخمر والأماكن الخفية . وليطرح الحسك في المواضع التي يتخوف فيها البيات . وليحترس صاحب الجيش من انتشار الخبر عنه فان في انتشاره فساد العسكر وانتقاضه . وإذا كان أكثر من في الجند من المقاتلة مجريين ذوى حنكة وبأس فيدار العدو الجند الى الوقعة خير للجند . وإذا كان أكثرهم أغمارا ولم يكن من القتال بد فيدار الجند الى مقاتلة العدو أفضل للجند . وليس ينبغي للجند أن يقاتلوا عدوا إلا أن تكون عدتهم أربعة أضعاف عدة العدو أو ثلاثة أضعافهم ، فان غزاهم عدوهم لزمهم أن يقاتلوهم بعد أن يزيدوا على عدة العدو مثل نصف عدتهم . وإن توسط العدو بلادهم لزمهم أن يقاتلوهم وإن كانوا أقل منهم ، وينبغي أن ينتخب للكمين من الجند أهل جرأة وشجاعة وتيقظ وصرامة وليس بهم أنين ولا سعال ولا عطاس ويختار لهم الدواب مالا يصهل ولا يغث^(١) ، ويختار لكونهم مواضع لا تغطي ولا تؤتى ، قريبة من

(١) كذا في النسخة الألمانية ، وفي النسخة القتوغرافية "يعنت" . ولعل الصواب ينهت كيضرب والنهات النفس بأنين وهو الزحير .

الماء حتى ينالوا منه إن طال مكثهم، وأن يكون إقدامهم بعد الروية والتشاور والثقة بإصابة الفرصة، ولا يخفوا سباعا ولا طيرا ولا وحشا. وأن يكون إيقاعهم كضريم الحريق، وليجتنبوا الغنائم ولينهضوا من المكان متفرقين إذا ترك العدو الحراسة وإقامة الرمايا، وإذا أونس من طلائعهم توائ ونفريط وإذا أمرجوا دوابهم في الرعي، وأشد ما يكون البرد في الشتاء وأشد ما يكون الحر في الصيف. وأن يرفضوا ويفترقوا إذا ثاروا من مكثهم بعد أن يستخير بعضهم بعضا وأن يسرعوا الإيقاع بعدوهم ويتركوا التلبث والتلفت. وينبغي للبيتين أن يفترصوا البيات إذا هبت ريح أو أونس من نهر قريب منهم خريراً فانه أجدر ألا يسمع لهم حس. وأن يتوئى بالوقعة نصف الليل أو أشد ما يكون إظلاما. وأن يصير جماعة من الجند وسط عسكر العدو وبقيتهم حوله، ويبدأ بالوقعة من يصير منهم في الوسط ليسمع بالضجة والضوضاء من ذلك الموضع لا من حوله، وأن يُسرَّد قبل الوقعة الأقره فالأقره من دوابهم ويقطع أرسائها وتُمز بالرماح في أعجازها حتى تحير وتغير ويُسمع لها ضوضاء، وأن يهتف هاتف ويقول: يا معشر أهل العسكر النجاء النجاء فقد قُتل قائدكم فلان وقتل خلق وهرب خلق. ويقول قائل: أيها الرجل استجني لله. ويقول آخر: العفو العفو. وآخر: أوه أوه، ونحو هذا من الكلام. ^(١) وليعلم أنه إنما يحتاج في البيات إلى تحير العدو وإخافته وليجتنبوا التقاط الأمتعة وأستياق الدواب وأخذ الغنائم. قال: وينبغي في محاصرة الحصون أن يُستمال من يُقدر على استمالته من أهل الحصن والمدينة ليظفر منهم بخصلتين: إحداهما استنباط أسرارهم، والأخرى إخافتهم وإفزازهم بهم، وأن يُدسَّ منهم من يصغر شأنهم ويؤيسهم من المدد ويخبرهم أن سرهم منتشر في مكيدتهم، وأن يُفاض حول الحصن ويشار إليه بالأيدي كأن فيه مواضع حصينة وأخر ذليلة ومواقع يُنصب المجانيق

(١) في النسخة الفتوغرافية بعد هذا زيادة: وأنشد

فأوه بذكرها إذا ما ذكرتها ومن بعد أرض دونها وسما.

عليها ومواضع تُهَيَّأُ العَرَادَاتُ لها ومواضع تُقَبُّ نَقَبَا ومواضع توضع السَّالِمُ عليها ومواضع يُتَسَوَّرُ منها ومواضع يُضْرَمُ النارُ فيها لِيَمْلَأَهُمْ ذَلِكَ رَعْبًا، وَيَكْتُبُ عَلَى نُشَابَةِ: إِيَّاكُمْ أَهْلَ الْحَصْنِ وَالْأَعْتَارِ وَإِغْفَالِ الْحِرَاسَةِ، عَلَيْكُمْ بِحِفْظِ الْأَبْوَابِ فَإِنَّ الزَّمَانَ خَبِيثٌ وَأَهْلُهُ أَهْلٌ غَدَرٌ فَقَدْ خُدِعَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْحَصْنِ وَاسْتَمِيلُوا، وَيُرْمَى بِتِلْكَ النُّشَابَةِ فِي الْحَصْنِ ثُمَّ يُدَسُّ لِمَخَاطِبَتِهِمُ الْمُنْطِيقُ الْمُصِيبُ الدَّهْيَ الْمَوَارِبِ الْمُخَاتِلِ غَيْرِ الْمِهْذَارِ ٥ وَلَا الْمَغْفَلِ. وَتَوَثَّرَ الْحَرْبُ مَا أَمَكْنَ ذَلِكَ فَإِنَّ فِي الْمَحَارِبَةِ جُرْأَةً مِنْهُمْ عَلَى مَنْ حَارِبَهُمْ وَدَلِيلًا عَلَى الْحِيلَةِ وَالْمَكِيدَةِ. فَإِنْ كَانَ لَا بَدَّ مِنَ الْمَحَارِبَةِ فَلْيَحَارِبُوا بِأَخْفَى الْعُدَّةِ وَأَيْسَرِ الْأَلَةِ. وَيَنْبَغِي أَنْ يَغْلِبَ الْعَدُوُّ عَلَى الْأَرْضِ ذَاتِ النَّخْرِ وَالشَّجَرِ وَالْأَنْهَارِ لِلْعَسْكَرِ وَمَصَافِّ الْجُنُودِ وَيُخْلَى بَيْنَ الْعَدُوِّ وَبَيْنَ بَسَاطَةِ الْأَرْضِ وَدَكَدَكَهَا.

١٠ وَفِي بَعْضِ كُتُبِ الْعِجْمِ أَنَّ بَعْضَ الْحُكَمَاءِ سَأَلَ عَنْ أَشَدِّ الْأُمُورِ تَدْرِيبًا لِلْجُنُودِ وَتَحْذًا لَهَا، فَقَالَ: اسْتِعَادَةُ الْقِتَالِ وَكَثْرَةُ الظَّفَرِ، وَأَنْ تَكُونَ لَهَا مَوَادٌّ مِنْ وَرَائِهَا وَغَنِيمَةٌ فِيهَا أَمَامَهَا، ثُمَّ الْإِكْرَامُ لِلْجَيْشِ بَعْدَ الظَّفَرِ وَالْإِبْلَاحُ بِالْمُجْتَهِدِينَ بَعْدَ الْمُنَاصِبَةِ، وَالتَّشْرِيفُ لِلشَّجَاعِ عَلَى رِءُوسِ النَّاسِ.

١٥ قَالَ الْمَدَائِنِيُّ ^(١) [قَالَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ]: كَانَ عِظَاءُ التَّرْكِ يَقُولُونَ: الْقَائِدُ الْعَظِيمُ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ فِيهِ خِصَالٌ مِنْ أَخْلَاقِ الْحَيَوَانِ: شَجَاعَةُ الدِّيكِ، وَتَحَنُّنُ الدَّجَاجَةِ، وَقَلْبُ الْأَسَدِ، وَحِمْلَةُ الْخَنْزِيرِ، [وَرَوْغَانُ الثَّعْلَبِ، وَخَتْلُ الذِّئْبِ. وَكَانَ يُقَالُ فِي صِفَةِ الرَّجُلِ الْجَامِعِ: لَهُ وَثْبَةُ الْأَسَدِ، وَرَوْغَانُ الثَّعْلَبِ، وَخَتْلُ الذِّئْبِ] ^(٢) وَجَمْعُ الذَّرَّةِ، وَبُكُورُ الْغُرَابِ.

وَكَانَ يُقَالُ: أَصْلَحَ الرِّجَالُ لِلْحَرْبِ الْمُجَرَّبُ الشَّجَاعُ النَّاصِحُ.

(١) زيادة في النسخة الألمانية.

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي الأصم قال ، قيل لعمر بن معاوية العُقيلي
 وكان صاحب صَوَائِفَ : هم ضبطت الصوائف ؟ أي الثغور قال : بسمانة الظهر وكثرة
 الكعك والقديد . وفي كتاب الآيين : ليكن أول ما تحمله معك خبزاً ثم خبزاً ثم خبزاً .
 وإياك والمفارش والثياب . أبو اليقظان قال قال شبيب الخارجي : الليل يكفيك
 الجبان ونصف الشجاع . وكان إذا أمسى قال لأصحابه : أنا كم المدد ، يعني الليل .
 وقيل لبعض الملوك : يئت عدوك . قال : أكره أن أجعل غلتي سرقة .

المدائني قال : لما اشتغل عبد الملك بحاربة مُصعب بن الزبير اجتمع وجوه
 الروم الى ملكهم فقالوا : قد أمكنتك الفرصة من العرب بتشغل بعضهم ببعض ،
 فالرأى أن تغزوهم في بلادهم . فنهاهم عن ذلك وخطأ رأيهم ، ودعا بكليين فأرّش
 بينهما فاقْتَتلا قتالا شديداً ، ثم دعا بشعلب نخله بينهما ، فلما رأى الكلبان الشعلب تركا
 ما كانا فيه وأقبلا على الشعلب حتى قتلاه ، فقال لهم ملك الروم : هذا مثلنا ومثلهم .
 فعرفوا صدقه [وحسن رأيه] ورجعوا عن رأيهم .

وأوصى بعض الحكماء ملكاً فقال : لا يكن العدو الذي قد كشف لك عن
 عداوته بأخوف عندك من الظنين الذي يستتر لك بخفايته ، فانه ربما تخوف الرجل
 السُّمّ الذي هو أقتل الأشياء وقتله الماء الذي يحكي الأشياء ، وربما تخوف أن يقتله
 الملوك التي تملكه ثم قتلته العبيد التي يملكها . فلا تكن للعدو الذي تُناصب بأحذر
 منك للطعام الذي تأكل . وأنا لكل أمر أخذت منه نذيرك وإن عظم آمن مني
 من كل أمر عريت به من نذيرك وإن صغر . واعلم أن مدينتك حرز من عدوك ،
 ولا مدينة تحوز فيها من طعامك وشرابك ولباسك وطيبك ، وليست من هذه الأربع
 واحدة إلا وقد تُقتل بها الملوك .

- وذكر عبد الملك بن صالح الهاشمي أن خالد بن برمك، حين فصل مع حُطْبَةَ من نحراسان، يَبْنَا هو على سطح بيت في قرية قد نزلاها وهم يتفقدون نظر إلى الصحراء فرأى أَقَاطِيعَ ظباء قد أقبلت من جهة الصحارى حتى كادت تخالط العسكر، فقال لَحُطْبَةِ: أيها الأمير نادِ في الناس: يا خيل الله اركبِي، فان العدو قد نَهَدَ إليك وَحْثًا، وغاية أصحابك أن يُسْرِجُوا وَيُلْجِمُوا قبل أن يروا سُرعان الخيل، فقام حُطْبَةُ ٥ مذعورا فلم ير شيئا يروعه ولم يعاين غبارا، فقال لخالد: ما هذا الرأي؟ فقال خالد: أيها الأمير لا تُتَشَاغِلْ بى ونادِ في الناس. أما ترى أَقَاطِيعَ الوحش قد أقبلت وفارقت مواضعها حتى خالطت الناس! إن وراءها لَجَمْعًا كثيفا. قال: فوالله ما أسرجوا ولا ألجموا حتى رأوا ساطع الغبار فسلموا، ولولا ذلك لكان الجيش قد أَصْطَلَمَ.
- وقال بعض الحكماء لبعض الملوك: أمرك بالتقدم والأمر ممكن، وبالإعداد لغد ١٠ من قبل دخولك في غد كما تُعَدُّ السلاح لمن تخاف أن يقاتلك وعسى ألا يقاتلك، وكما تأخذ عتاد البناء من قبل أن تصيبه السماء وأنت لا تدري لعلها لا تصيبه، بل كما تُعَدُّ الطعام لَعَدَدِ الأيام وأنت لا تدري لعلك لا تأكله. وكان يقال: كل شيء طلبته في وقته فقد مضى وقته.
- [وقرأت في كتاب سير العجم أن فيروز بن يزدجرد بن بهرام لما ملك سار ١٥ يمجوده نحو نحراسان ليغزو اخشنوار ملك الهياطلة ببلخ، فلما انتهى إلى بلاده اشتد رُعب اخشنوار منه وحذرُه له، فناظر أصحابه ووزراءه في أمره، فقال له رجل منهم: أعطني موثقا وعهدا تطمئن إليه نفسي أن تكفيني أهلى وولدى وتحسن إليهم وتحلفني فيهم، ثم أقطع يدي ورجلي وألقني على طريق فيروز حتى يمر بى هو وأصحابه فأكيفك مؤوتهم [وشوكتهم] وأوزطهم مورطا تكون فيه هلكتهم. فقال له ٢٠ اخشنوار: وما الذى تنتفع به من سلامتنا وصلاح حالنا إذا أنت قد هلكت

ولم تَشْرِكْنا في ذلك؟ قال : إني قد بَلَغْتُ ما كنت أحب أن أبلغه من الدنيا وأنا موقن بأن الموت لا بد منه وإن تأخر أياما قلائل، فأحب أن أختم عمري بأفضل ما تُخْتَمُ به الأعمار من النصيحة لآخواني والنكاية في عدوى فيشرف بذلك عقبي وأصيب سعادة وحُظوة فيما أُمِيتُ، ففعل به ذلك وأمر به فأُلقي حيث وصف له .

فلما مرَّ به فيروز سألَه عن أمره فأخبره أن اخشنوار فعل ذلك به وأنه احتال حتى حُمِلَ الى ذلك الموضع ليدلَّه على عورته وغيْرته وقال : إني أدلك على طريق هو أقرب من هذا الذي تريدون سلوكه وأخفى، فلا يشعر اخشنوار حتى تهجموا عليه فينتقم الله لي منه بكم، وليس في هذا الطريق من المكروه الا تَقْوِيْزُ يَوْمين ثم تُقْضَوْنَ الى كل ما تحبون . فقبل فيروز قوله بعد أن أشار عليه وزرأوه بالاتهام له والحذر منه وبغير ذلك، فخالفهم وسلك الطريق حتى انتهى بهم الى موضع من المفازة لا صَدَر عنه ثم يَبْنِ لهم أمره ففارقوا في المفازة يمينا وشمالا يلتمسون الماء فقتل العطش أكثرهم ولم يخلص مع فيروز منهم إلا عدَّة يسيرة فإنهم انطلقوا معه حتى أشرفوا على أعدائهم وهم مستعدون لهم فواقهم على تلك الحالة وعلى ما بهم من الضر والجهد فاستمكنوا منهم وأعظموا النكاية فيهم، ثم رغب فيروز الى اخشنوار وسأله أن يَمُنَّ عليه وعلى من بقى من أصحابه على أن يجعل لهم عهد الله وميثاقه ألا يغزوه أبدا فيما يستقبل من عمره وعلى أنه يَحْدُثُ فيما بينه وبين مملكته حدًا لا تجاوزه جنوده، فرضى اخشنوار بذلك وخلق سبيله وانصرف الى مملكته، فكث فيروز بُرْهة من دهره كئيبا ثم حمَّله الآنْفُ على أن يعود لغزوه ودعا أصحابه الى ذلك فردَّوه عنه وقالوا : إنك قد عاهدته ونحن نتخوَّف عليك عاقبة البغي والغدر مع ما في ذلك من العار وسوء المقالة .

فقال لهم : إني إنما شَرَطْتُ له ألاَّ أَجُوزَ المجر الذي جعلته بيني وبينه فأنا آمر بالمجر

١. (١) في الأصل : فواقهم على تلك من حالة وعلى ما بهم الخ والتصويب واضح .

- ليحمل على عَجَلَة أماننا . فقالوا له : أيها الملك ، إنَّ العهود والمواثيق التي يتعاطاها الناس بينهم لا تُحمل على مائيسر المعطى لها ولكن على ما يُعَلِن المعطى ، وإنك إنما جعلت له عهد الله وميثاقه على الأمر الذي عَرَفَه لا على أمر لم يخطر بباله . فأبى فيروز ومضى في غزاته حتى انتهى الى الهياطلة وتصافَّ الفريقان للقتال فأرسل اخشنوار الى فيروز يسأله أن يبرز فيما بين صفيهم ليكلمه ، فخرج اليه فقال له اخشنوار ٥
- قد ظننت أنه لم يدعك الى غزونا الا الأنف مما أصابك . ولعمري لئن كنَّا احتلنا لك بما رأيت ، لقد كنت التمسْت منّا أعظم منه ، وما ابتدأناك ببغى ولا ظلم ولا أردنا إلا دفعك عن أنفسنا وعن حريمنا ، ولقد كنت جديرا أن تكون ، من سوء مكافأتنا بمنّا عليك وعلى من معك من نقض العهد والميثاق الذي وكَّدت على نفسك ، أعظم أنفاً وأشدَّ امتعاضاً مما نالك منّا ، فإنّا أطلقناكم وأنتم أسرى ومننَّا عليكم وأنتم مُشْرِفون ١٠
- على الهلكة وحقنَّا دماءكم وبنا قدرة على سفكها ، وإننا لم نجبرك على ما شرطت لنا بل كنت أنت الراغب اليها فيه والمريد لنا عليه ففكر في ذلك وميل بين هذين الأمرين فانظر أيهما أشدَّ عارا وأقبح سماعا ، إن طلب رجل أمرا فلم يُتَح له وسلك سبيلا فلم يظفر فيها ببغيته وآسَمَك من عدوه على حال جهْد وضيعة منه ومن معه ، فمن عليهم وأطلقهم على شرط شرطوه وأمر اصطاحوا عليه فاضطر لمكروه ١٥
- القضاء وآستحيا من النكث والغدر أن يقال امرؤ نكث العهد وختر الميثاق . مع أني قد ظننت أنه يزيدك نجاحا ما تثق به من كثرة جنودك وما ترى من حسن عدتهم وطاعتهم لك ، وما أجدني أشك أنهم أو أكثرهم كارهون لما كان من شُخْوصك بهم عارفون بأنك قد حملتهم على غير الحق ودعوتهم الى ما يُسخط الله ، فهم في حربنا غير مستبصرين ونياتهم في مناصحتك اليوم مدخولة ، فانظر ما قدر غنا من ٢٠
- يقاتل على مثل هذه الحال ، وما عسى أن تبلغ نكايته في عدوه إذا كان عارفا بأنه

إن ظفر فم عار وإن قُتل فإلى النار، فأنا أذكرك الله الذي جعلته على نفسك كفيلاً
 ونعمتي عليك وعلى من معك بعد يأسكم من الحياة وإشفائكم على الممات، وأدعوك
 إلى ما فيه حظك ورشدك من الوفاء بالعهد والافتداء بآبائك الذين مضوا على ذلك
 في كل ما أحبوه أو كرهوه، فأحمدوا عواقبه وحسن عليهم أثره، ومع ذلك إنك
 لست على ثقة من الظفر بنا والبلوغ لثمتك فينا وإنما تلتبس منا أمراً تلتبس منك
 مثله وتناوئ عدواً لعله يُمنح النصر عليك فقد بالغت في الاحتجاج عليك وتقدمت
 في الإعذار إليك ونحن نستظهر بالله الذي أعترزنا به ووثقنا بما جعلته لنا من عهده
 إذا استظهرت بكثرة جنودك وأزدهتك عدة أصحابك، فدونك هذه النصيحة فوالله
 ما كان أحدهم نصحاءك ببالغ لك أكثر منها ولا زائد لك عليها، ولا يحرمك منفعتها
 مخرجها مني فإنه لا يُزري بالمنافع عند ذوى الرأي أن كانت من قبل الأعداء كما
 لا يُحبب المضار إليهم أن تكون على أيدي الأولياء. واعلم أنه ليس يدعوني إلى
 ما تسمع من مقاتلي ضعف أحسنه من نفسي ولا قلة من جنودي، ولكني أحببت
 أن أزداد بذلك حجة وأستظهرأ، وأزداد به من الله للنصر والمعونة آستيجاباً ولا أوتر
 على العافية والسلامة شيئاً ما وجدت إليهما سبيلاً، فأبى فيروز إلا تعلقاً بحجته
 في الحجر الذي جعله حداً بينه وبينه وقال: لست ممن يردعه عن الأمر بهم به وعيد
 ولا يقتاده التهديد والترهيب، [ولو كنت أرى ما أطلبك غدرًا مني ما كان أحد أنظر
 ولا أشد اتقاءً مني على نفسي فلا يعترنك منا الحال التي صادفتنا عليها في المرة الأولى
 من القلة والجهد والضعف]. قال اخشنوار: لا يعترنك ما تتحدع به نفسك من حملك
 الحجر أمامك، فإن الناس لو كانوا يُعطون العهود على ما تصف من إسرار أمرٍ وإعلان
 آخر، إذا ما كان ينبغي لأحد أن يغتر بأمانٍ ولا يثق بعهدٍ، وإذا لما قبل الناس شيئاً

مما يعطونه من ذلك، ولكنه وضع على العلانية وعلى نية من تُعقد العهود والشروط له .
فانصرفا يومهما ذلك فقال فيروز لأصحابه : لقد كان اخشنوار حسن المحاورة ،
وما رأيتُ للفرس الذي كان تحته نظيرا في الدواب فانه لم يُزل قوائمه ولم يرفع حوافره
عن موضعها ولا صهل ولا أحدث شيئا يقطع به المحاورة في طول ما توافقنا . وقال
اخشنوار لأصحابه : لقد واقفتُ فيروز كما علمتم وعليه السلاح كله فلم يحرك رأسه .
ولم ينزع رجله من ركابه ولا حنا ظهره ولا ألفت يميناً ولا شمالاً ، ولقد توركت
أنا مرارا وتمطيتُ على فرسي وتلفتُ الى مَنْ خلفي ومددتُ بصرى في أمامي وهو
متصبُّ ساكن على حاله ، ولولا محاورته إياي لظننت أنه لا يبصرني . وإنما
أرادا بما وصفا من ذلك أن يتنشر هذان الحديثان في أهل عسكريهما فيُشغلا
بالإفاضة فيهما عن النظر فيما تذاكراه . فلما كان في اليوم الثاني أخرج اخشنوار
الصحيقة التي كتبها لهم فيروز ، فرفعها على رُح لينظر إليها أهل عسكر فيروز فيعرفوا
غدره وبغيه ويخرجوا من متابعتة ، فانتقض عسكر فيروز وأختلفوا وما لبثوا إلا يسيراً
حتى أنهزموا وقتل منهم خلق كثير وهلك فيروز ، فقال اخشنوار : لقد صدق الذي
قال : لا راد لما قُدر ، ولا أشدَّ إحالةً لمنافع الرأى من الهوى والتَّجّاج ، ولا اضيع
من نصيحة يُمْنَحُها من لا يوطن نفسه على قبولها والصبر على مكروهها ، ولا أسرع
عقوبة ولا أسوأ عاقبة من البغي والغدر ، ولا أجلبَ لعظيم العار والفُضُوح من إفراط
الفخر والأنفة .

وقال أبو اليقظان : لما خرج شبيب بن يزيد بن نعيم الخارجي بالموصل بعث إليه
الحجاج قائداً فقتله ثم قائداً فقتله كذلك حتى أتى على خمسة قواد قتلهم وهزم جيوشهم
وكان أحد القواد موسى بن طلحة بن عبيد الله ، ثم خرج شبيب من الموصل يريد
الكوفة وخرج الحجاج من البصرة يريد الكوفة فطمع شبيب أن يلقى الحجاج قبل

أن يصل الى الكوفة فَأَحْمُ الحجاجُ خيله فدخل الكوفة قبله ، ومرت شبيب بعتاب بن ورقاء فقتله ومرت بعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فهرب منه ، وقدم شبيب الكوفة وآلى ألا يبرح عنها أو يلقى الحجاج فيقتله أو يقتل دونه ، فخرج الحجاج إليه في خيله ، فلما قُرب منه عمداً الى سلاحه فألبسه أبا الورد مولاة وحمله على الدابة التي كان عليها ، فلما توافقا قال شبيب : أروني الحجاج ، فأومأوا له الى أبي الورد فحمل عليه فقتله ، ثم خرج من الكوفة يريد الأهواز ففرق في دجيل وهو يقول (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) .

الأوقات التي تختار للسفر والحرب

قال حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا يزيد بن هارون عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن الزهري قال : كان أحب الأيام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعقد فيه رايته يوم الخميس ، وكان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسافر فيه يوم الخميس .

وقالت العجم : أنحر الحرب ما استطعت فان لم تجد بدا فاجعل ذلك آخر النهار .

وحدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن ابن عون عن محمد بن سيرين أن النعمان بن مقرن قال لأصحابه : إني لقيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان من أحب ما يلقى فيه إذا لم يلق في أول النهار إذا زالت الشمس

وحلت الصلاة وهبت الرياح ودعا المسلمون . ويروى قوم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يكره الحجامة والابتداء بعمل في محاق القمر وفي حلوله في برج العقرب . [وقال بعضهم : كنت مع عمر ^(١) ابن عبد العزيز فوق سطح وهو يريد

الركوب ، فنظرت فاذا القمر بالدبران فقلت : أنظر الى القمر ما أحسن استواءه ! فرفع رأسه ثم نظر فرأى منزله فضحك . وقال : إنما أردت أن ننظر الى منزله ، وإنا

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

لا تقيم لشمس ولا لقمر ولكنا نسير بالله الواحد القهار] . وكان يقال : يوم السبت يوم مكر وخديعة ، ويوم الأحد يوم غرس وبناء ، ويوم الاثنين يوم سفر وابتغاء رزق ، ويوم الثلاثاء يوم حرب ودم ، ويوم الأربعاء يوم الأخذ والإعطاء ، ويوم الخميس يوم دخول على الأمراء وطلب الحوائج ، ويوم الجمعة يوم خطب ونكاح .

الدعاء عند اللقاء

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا معاوية عن أبي إسحاق عن أبي رجاء قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا آتت حلقه البلاء وكانت الضيقة : « تضيق تفرجى » ثم يرفع يديه فيقول : « بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اللهم إياك نعبد وإياك نستعين اللهم كف عنا بأس الذين كفروا إنك أشد بأساً وأشد تنجيلاً فما يخفض يديه المباركتين حتى ينزل الله النصر .

وحدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن موسى بن عقبة عن سالم أبي النصر مولى عمر بن عبيد الله وكان كاتباً له ، قال : كتب عبد الله بن أبي أوفى حين نخرج إلى الحرورية أن النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أيامه التي لقي فيها العدو أنتظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس فقال : « لا تفتنوا لقاء العدو وأسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاثبتوا وأصبروا وآلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » ثم قال « اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم » وقال أبو النصر : وبلغنا أنه دعا في مثل ذلك فقال : « اللهم أنت ربنا وربهم وهم عبيدك ونحن عبيدك ونواصينا ونواصيهم بيدك فاهزمهم وانصرنا عليهم » .

حدثني محمد بن عبيد قال : لما صاف قتيبة بن مسلم الترك وهاله أمرهم سأل عن محمد بن واسع ما يصنع ؟ قالوا : هو في أقصى الميمنة جانح على سية قوسه

(١) كذا بالسختين وهو عمرو بن عبيد الله كما في تقريب التهذيب . (٢) سية القوس ما أعطف من طرفها .

يُنْضِنُضْ بِإِصْبَعِهِ نَحْوَ السَّمَاءِ . فَقَالَ قَتَيْبَةُ : تِلْكَ الْإِصْبَعُ الْفَارِدَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مِائَةِ
أَلْفِ سَيْفٍ شَهِيرٍ وَسَنَانٍ طَرِيرٍ . فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَالَ لِمُحَمَّدٍ : مَا كُنْتَ تَصْنَعُ ؟
قَالَ : كُنْتُ آخِذٌ لَكَ بِجَمَاعِ الطَّرِيقِ .

الصَّبْرُ وَحُضُّ النَّاسِ يَوْمَ اللَّقَاءِ عَلَيْهِ

حَدَّثَنِي سَهْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ كَانَ عَاصِمُ بْنُ الْحَدَّاثَانِ رَجُلًا مِنْ
الْعَرَبِ عَالِمًا قَدِيمًا وَكَانَ رَأْسَ الْخَوَارِجِ بِالْبَصْرَةِ وَرَبَّمَا جَاءَهُ الرَّسُولُ مِنْهُمْ مِنْ
الْجَزِيرَةِ يَسْأَلُهُ عَنْ بَعْضِ الْأَمْرِ يَخْتَصِمُونَ فِيهِ فَمَرَّ بِهِ الْفَرَزْدَقُ فَقَالَ لِأَبْنِهِ : أَتَشَدُّ
أَبَا فِرَاسٍ فَأَتَشَدُّهُ

وَهُمْ إِذَا كَسَرُوا الْجَفُونَ أَكَارُمُ * صَبْرٌ وَحِينَ تُحَالِ الْأَزْرَارُ
يَغْشَوْنَ حَوَامِاتِ الْمَنُونِ وَإِنِّهَا * فِي اللَّهِ عِنْدَ نَفُوسِهِمْ لِصِغَارِ
يَمْشُونَ فِي الْخَطَى لَا يَتْنِيهِمْ * وَالْقَوْمُ إِذْ رَكَبُوا الرِّمَاحَ تَجَارِ

فَقَالَ لَهُ الْفَرَزْدَقُ : وَيْحَكَ ! أَكْتُمُ هَذَا لَا يَسْمَعُهُ النَّسَاجُونَ فَيُخْرِجُوا عَلَيْنَا
بِخُفُوفِهِمْ . (١) فَقَالَ عَاصِمٌ : يَا فَرَزْدَقُ ، هَذَا شَاعِرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَ شَاعِرُ الْكَافِرِينَ .

حَدَّثَنَا سَهْلٌ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ قَالَ سَلِيطُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ لِإِسْطَاطِ بْنِ قَيْسٍ
لِقَوْمِهِ : تَرِدُونَ عَلَيَّ قَوْمٍ آثَارُهُمْ آثَارُ نِسَاءٍ وَأَصْوَاتُهُمْ أَصْوَاتُ صِرْدَانٍ وَلَكِنَّهُمْ صَبْرٌ
عَلَى الشَّرِّ . يَعْنِي بَنِي يَرْبُوعَ . وَفِي هَؤُلَاءِ يَقُولُ مَعَاوِيَةُ : لَوْ أَنَّ النُّجُومَ تَنَاقَرَتْ لَسَقَطَتْ
قَرَاهَا فِي حُجُورِ بَنِي يَرْبُوعَ . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ قُلْتُ لِسَلِيطَ : أَكَانَ عَتَيْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ
ضَخْمًا ؟ قَالَ : لَا وَلَا مِنْ قَوْمِ ضَخَّامَ . يَعْنِي بَنِي يَرْبُوعَ .

(١) الْحَفُّ الْمَنْسُجُ وَجَمْعُهُ حَفُوفٌ . (٢) فِي النُّسْخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ «عَيْنَةٌ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(١) [وقال عمر بن الخطاب لبني عيس: كم كنتم يوم الهبأة؟ فقال: كنا مائة كالذهب،
لم نكثر فتتوا كل ولم نَقِلْ فنَدَلْ . قال : فكيف كنتم تقهرون من ناوأكم ولستم بأكثر
منهم عددًا ولا مالا ؟ قال : كنا نصبر بعد اللقاء هنيئة . قال : فلذلك إذا . قيل
لعنتره العيسى : كم كنتم يوم القروق؟ قال : كنا مائة لم نكثر فنفسل ولم نَقِلْ فنَدَلْ] .
وكان يقال : النصر مع الصبر . ومن أحسن ما قيل في الصبر، قول نهشل بن حري
ابن صَمْرَةَ

ويوم كأن المصطليين بحمره * وإن لم تكن نار قيام على الجمر
صبرنا له حتى يئوخ وإنما * تُفرج أيام الكريمة بالصبر

ومثله قول الآخر

١٠ بكى صاحبي لما رأى الموت فوقنا * مِطْلًا كإطلال السحاب إذا أكفهز
فقلت له لا تبك عينك إنما * يكون غدا حسن الثناء لمن صبر
فما أتر الإجمام يوما معجلا * ولا عجّل الإقدام ما أتر القدر
فأسى على حال يقبل بها الأسى * وقاتل حتى آستهم الورد والصدر
وكرّ حفاظا خشية العار بعد ما * رأى الموت معروضا على منهج المكر

١٥ وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لخالد بن الوليد حين وجهه : احرص على الموت
توهب لك الحياة . وتقول العرب : الشجاع موقى . وقالت الخنساء
نهيئ النفوس وهون النفوس * س يوم الكريمة أوقى لها

وقال يزيد بن المهلب

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد * لنفسى حياة مثل أن أتقدما

- (١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) أرض لطفان ويومها من أيام العرب كان فيه النصر لعيس
على ذبيان . (٣) موضع بديار بني سعد ويومه من أيام حروب عيس وذبيان أيضا .
(٤) في الألمانية مطلا كإطلال الخ بالفاء المعجمة .

وقال قَطْرِيَّ بن الفُجَاءة

وقَوْلِي كُلِّمَا جَشَأْتُ وَجَاشَتْ * من الأبطال ويحك لا تُراعى

فَأَنْكِ لو سَأَلْتِ حَيَاةَ يَوْمٍ * سوى الأجل الذي لك لم تُطاعِي

[وقال معاوية بن أبي سفيان شجعتني على علي بن أبي طالب قول عمرو بن الإطنابة .^(١)

أبت لي عَفَّتِي وأبي بِلَائِي * وأخذني الحمد بالثمن الرِّيح

وإقدامي على المكروه نفسي * وضربني هامة البطل المشيح

وقولي كُلِّمَا جَشَأْتُ لنفسي * مكانك تُحمدي أو تستريحي

لأدفع عن مآثر صالحات * وأحيي بعدد عن عرض صحيح

أبت لي أن أقضي في فعالي * وأن أغضي على أمر قبيح

وقال ربيعة بن مقروم

ودعوا نزال فكنْتُ أَوَّلَ نازل * وعلَّام أركبته إذا لم أنزل

وكان خالد بن الوليد يسير في الصفوف يذمر^(٢) الناس ويقول: يا أهل الاسلام، إن

الصبر عز وإن الفشل عجز وإن النصر مع الصبر . وقال بعض أبطال العرب .

إن الشِّواءَ والنَّشِيلَ والرَّغْفَ * والقينةَ الحسناء والكأسَ الأنْفَ^(٣)

للضاريين الخيلَ والخيلَ قُطْفَ

وقال أعرابي: الله يُخْلِفُ ما أتلف الناس، والدهر يَنْتَلِفُ ما جمعوا، وكم من مِيتَةٍ

عَلَّتْها طلب الحياة، وحياة سببها التعرُّض للموت . ومثله قول أبي بكر الصديق لخالد:

أحرص على الموت تُوهبُ لك الحياة .

[قَدِمْتُ مُنْهَزِمَةً الروم على هِرَقل وهو بَأَنْطَاكِيَّةَ، فدعا رجالاً من عِظَمائِهِمْ فقال:

ويحكم! أخبروني ما هؤلاء الذين تقاتلونهم؟ أليسوا بشرًا مثلكم؟ قالوا: بلى . يعني

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) يشجعهم ويحضهم على القتال .

(٣) ما طبخ من اللحم بغير تابل .

العرب . قال : فأنتم أكثر أم هم ؟ قالوا : بل نحن أكثر منهم أضعافاً في كل موطن .
 قال : ويلكم ! فما بالكم تنهزمون كلما لقيتموهم ؟ فسكتوا ، فقال شيخ منهم :
 أنا أخبرك أيها الملك من أين تؤتون . قال : أخبرني . قال : إذا حملنا عليهم صبروا
 وإذا حملوا علينا صدقوا ، ونحمل عليهم فنكذب ويحملون علينا فلا نصبر . قال : ويلكم
 فما بالكم كما تصفون وهم كما تزعمون ؟ قال الشيخ : ما كنت أراك إلا وقد علمت
 من أين هذا ؟ قال له : من أين هو ؟ قال : لأن القوم يصومون بالنهار ويقومون
 بالليل ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يظلمون أحداً
 ويتناصفون بينهم ، ومن أجل أنا نشرب الخمر ونزني ونركب الحرام وننقض العهد
 ونغصب ونظلم ونأمر بما يسيخط الله ونمنى عما يرضى الله ونفسد في الأرض .
 قال : صدقتني ، والله لأخرجن من هذه القرية فما لي في صحبتكم خير وأتم هكذا .
 قالوا : نشهدك الله أيها الملك . تدع سورياً وهي جنة الدنيا وحولك من الروم عدد
 الحصى والتراب ونجوم السماء ولم يؤت عليهم] .

ذكر الحرب

قالت العرب : الحرب عَشُوم ، لأنها تنال غير الجاني . وقال الكهيت
 الناس في الحرب شتى وهي مقبلة ■ ويستون إذا ما أدبر القُبل
 ١٥ كلُّ بأمسيتها طِبُّ موليَّة * والعالمون بذى غدوئها قُلل
 وقال عمر بن الخطاب رحمه الله لعمر بن معديكرب : أخبرني عن الحرب .
 قال : مرة المذاق إذا قلصت عن ساق ، من صبر فيها عرف ومن ضعف عنها
 تلف . وهي كما قال الشاعر
 ٢٠ الحرب أول ما تكون فتية * تسعى بزيتها لكل جهول

حتى إذا استعرت وشبَّ ضرامها * عادت عجوزاً غير ذات خليل^(١)
شمطاء جرت رأسها وتكرت * مكروهةً للثَمِّ^(١) والتقييل

كان يزيد بن عمر بن هبيرة يحب أن يضع من نصر بن سيار فكان لا يئمه بالرجال ولا يرفع ما يرد عليه من أخبار خراسان، فلما كثر ذلك على نصر قال

أرى خلل الرماد وميض جمر * ويوشك أن يكون له ضرام
فان النار بالعودين تُذكي * وإن الحرب أوطأ الكلام
فان لم يُطفئها عقلاء قوم * يكون وقودها جُثث وهام
فقلت من التعجب ليت شعري * أأيقاظ أمية أم نيام

ونحو قوله: «الحرب أوطأ الكلام» قول حذيفة: إن الفتنة تُلقح بالنجوى وتنتج

بالشكوى .

١٠

العبي عن أبيه قال قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأبنة الحسن : يا بني لا تدعون أحداً إلى البراز، ولا يدعونك أحد إليه إلا أجبته فانه يغى .

في العدة والسلاح

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا سفيان بن عيينة عن يزيد بن خُصيفة عن السائب^(٢) ابن يزيد - فيما حفظت إن شاء الله - أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عليه درعان يوم أحد . قيل لعباد بن الحصين وكان أشد رجال أهل البصرة : في أيّ عدة تحب أن تلقى عدوك؟ قال : في أجل مُستأحر .

١٥

حدثني زياد بن يحيى قال حدثنا بشر بن المفضل قال حدثنا داود بن أبي هند عن عكرمة قال : لما كانت ليلة الأحزاب قالت الجَنُوبُ للشَّمال : انطلق بنا مُمدِّ-

(١) في العقد الفرید «حلیل» بالحاء المهملة وفيه أيضاً كما في الفتوغرافية «الشم» بدل اللثم .

٢٠

(٢) في الأصل «حصيفة» بالحاء المهملة وهو تحريف والتصويب والضبط عن كتب التراجم .

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال : إن الحرة لا تسرى بالليل ، فكانت الريح التي أرسلت عليهم الصبا .

حدثني سهل بن محمد قال حدثنا الأصمعي قال حدثنا ابن أبي الزناد قال : ضرب الزبير بن العوام يوم الخندق عثمان بن عبد الله بن المغيرة فقطعه الى القربوس فقالوا : ما أجود سيفك ! فغضب ، يريد أن العمل ليده لا سيفه .

وقال الوليد بن عبيد البحرى يصف سيفا

ماض وإن لم تُمِضْه يد فارس * بطلٍ ومصقولٌ وإن لم يُصْقَلِ

متوقِّدٌ يَفْرِى بأول ضربة * ما أدركت ولو أنها فى يذبلِ

وقال آخر

وما السيف إلا بُزْغادٍ لزينة * إذ لم يكن أمضى من السيف حاملُهُ

رؤى الجراح بن عبد الله فى بعض الحروب وقد ظاهر بين درعين ، ف قيل له فى ذلك . فقال : إني لست أقي بدنى وإنما أقي صبرى . واشترى يزيد بن حاتم أدراعا وقال : إني لم أشتَر أدراعا إنما اشتريت أعمارا .

وقال حبيب بن المهلب : ما رأيت رجلا فى الحرب مُستَلِّما إلا كان عندى

رجلين ، ولا رأيت حاسرين إلا كانا عندى واحدا . فسمع هذا الحديث بعض أهل

المعرفة فقال : صدق ، إن للسلاح فضيلة . أما تراهم ينادون عند الصّريح : السلاح

السلاح ولا ينادون : الرجال الرجال . [قال المهلب لبنيه : يا بني لا يقعدن أحد منكم

فى السوق ، فإن كنتم لا بد فاعلين فالى زَرَادٍ أو سَرَّاجٍ أو وَرَّاقٍ] . وقال عمر بن الخطاب

رضى الله عنه لعمر بن معد يكرب : أخبرنى عن السلاح . قال : سل عما شئت منه .

قال : الريح ؟ قال : أخوك وربما خانك . قال النبيل ؟ قال : منايا تخطى وتصيب .

(١) فى النسخة الألمانية « الكوفة » . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

قال : التُّرْسُ ؟ قال : ذاك المِحْبَى وعليه تدور الدوائر . قال : الدَّرْع ؟ قال :
مُنْقَلَةٌ ^(١) للراجل مُتَعَبَةٌ للفارس ، وإِنَّهَا لَحِصْنٌ حَصِينٌ . قال : السِّيف ؟ قال : ثُمَّ ،
قَارَعَتْكَ أُمُّكَ عَنِ الثَّكَلِ . قال عمر : بَلْ أُمُّكَ . قال " الحُمَيَّ أَضْرَعْتَنِي لَكَ " ^(٢) .

وقال الطائي يصف الرِّمَاحَ ،

مُتَقَفَّاتٌ سَلَبْنَ الرُّومَ زَرْقَتَهَا * والعُربُ سُمِرَتْهَا والعَاشِقُ الْقَضْفَا ^(٣)

وقال دِعْبِلٌ يصف الرُّمْحَ

وَأَسْمِرٌ فِي رَأْسِهِ أَزْرَقٌ * مِثْلُ لِسَانِ الْحَيَّةِ الصَّادِي

وقال الشاعر

تَلْمِظُ السِّيفُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى أَنَسٍ * فَاَلْمُوتُ يَلْحَظُ وَالْأَقْدَارُ تَنْتَظِرُ

أَظْلَهُ مِنْكَ حَتَفٌ قَدْ تَجَلَّلَهُ * حَتَّى يُؤَامِرَ فِيهِ رَأْيُكَ الْقَدَرُ ^(٤)

أَمْضَى مِنَ السِّيفِ إِلَّا عِنْدَ قُدْرَتِهِ * وَلَيْسَ لِلسِّيفِ عَفْوٌ حِينَ يَقْتَدِرُ

وقال آخر

مَتَى تَلْقَانِي يَعْذُو بِبَزَى مَقْلَصٍ ^(٥) * كَيْتٌ بِهَيْمٍ أَوْ أَغْمَرٌ مَجْجَلٌ

تَلَاقٍ أَمْرًا إِنْ تَلَقَّاهُ فَبِسِيفِهِ * تُعَلِّمُكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ تَجْهَلُ

وقال علي رضي الله عنه : السيف أنمي عددا وأكثر ولدا . وفي الحديث « بَقِيَّةُ ^(٦)

السيف مباركة » يعني أن من نجا من ضربة السيف بنحو عدده ويكثر ولده . وقال

المهلب : ليس شيء أنمي من سيف . ويقال : لا مجد أسرع من مجد سيف .

(١) في الأصلية « مشغلة » والتصويب عن العقد الفريد . (٢) هكذا ورد في مجمع الأمثال وفي النسخة

الألمانية : « إليك » . (٣) التحاقة . (٤) في الفتوغرافية « ربه » (٥) قال في اللسان : البز

والبرزة السلاح ويدخل فيه الدرع والمغفر والسيف . (٦) هكذا في النسخة الألمانية ، وفي الفتوغرافية

« السيف أنمي عددا وأكرم ولدا » . وفي نهج البلاغة بقية السيف أبقي عددا وأكثر ولدا . ولعله الصواب .

وكانت درع على رضى الله عنه صدرا لا ظهر لها فليل له فى ذلك فقال : إذا
استمكن عدوى من ظهري فلا يُبق . وقال أبو الشَّيص

خنته المنون بعد اختيال * بين صفين من قنا ونصال

فى رداء من الصفيح صليل * وقيص من الحديد مُدال

بلغ أبا الأغر أن أصحابه بالبادية قد وقع بينهم شر فبعث ابنه الأغر وقال :
يا بُنى كن يدا لأصحابك على من قاتلهم ، وإياك والسيف فانه ظل الموت ، وأتق
الرح فانه رشاء المنية ، ولا تقرب السهام فانها رسل لا تؤامر مُرسِلها . قال : فيما ذا
أقاتل ؟ قال : بما قال الشاعر

جَلَامِيدُ يَمْلَأَنَّ الْأُكُفَ كَأَنَّمَا * رءوس رجال حُلِقَتْ فى المَوايِم

وقال الخزيمى فى بغداد أيام الفتنة

يا بؤس بغداد دار مملكة * دارت على أهلها دوائرها

أهلها الله ثم عاقبها * لما أحاطت بها بكائرها

رق بها الذين واستخف بذى الفضل وعز الرجال فاجرها

وصار رب الجيران فاسقهم * وأبتر أمن الدروب شاطرها

يحرق هذا وإذا يهدمها * ويشتفى بالنَّهاب داعرها

والكُرخ أسواقها معطلة * يَسْتَرْ شداً بها وعائرها

أخرجت الحرب من أساقطهم * آساد غيل غلبا تُساورها

من البواري ترأسها ومن ^(٢) الخُوص إذا استلَّمت مغايرها

لا الرزق تبغى ولا العطاء ولا * يحشرها ^(٣) بالعناء حاشرها

(١) فى الطبرى «عيَّارها» . (٢) جمع بارى بتشديد الياء وهو الحصار المنسوج .

(٣) فى الطبرى «لِّقاء» .

ونحوه قول علي بن أمية

دهتنا أمور تُشيب الوليد * ويَحْدُلُ فيها الصديق الصديق
فَناء مُبِيد ودُعر عَتِيد * وجوع شديد وخوف وضيق
وداعى الصباح يطول الصباح السَّلاح السلاح فاستفيق
فبالله نبْلغ ما نرتجى * وبالله ندفع ما لا نُطبق

جنى قوم من أهل اليمامة جناية فأرسل اليهم السلطان جندا من بُخَّارية^(١) ابن زياد، فقال رجل من أهل البادية يُدَمِّرُ قومه : يا معشر العرب ويا بني المحصنات، قاتلوا عن أحسابكم ونسائكم ، والله لئن ظهر هؤلاء عليكم لا يدعون بها لينة حمراء ولا نخلة خضراء إلا وَضَعوها بالأرض ولا عتراكم من نُشَاب معهم في جَعَاب كأنها أيور الفيلة يترعون في قَيْسَى كأنها العتلُ فَنَيْطُ أحداهنَّ أَطِيط الزُرْنُوق يَمَغْط أحدهم فيها حتى ينفترق شعرُ إبطيه ثم يرسل نُشابة كأنها رِشاء منقطع فما بين أحدهم وبين أن تَنْفَضِح عينه أو ينصدع قلبه منزلة ، نخلع قلوب القوم فطاروا رعبا .

آداب الفروسة

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن عاصم بن سليمان عن أبي عثمان قال : كتب عمر رضي الله عنه : اثثروا وارثدوا وانتعلوا وألقوا الخفاف وارموا الأغراض وألقوا الرُّكْبَ وَأَنْزُوا نَزْوا على الخيل وعليكم بالمعدية ، أو قال العربية . ودَعُوا التَّعَمَّ وزي العجم ولا تلبسوا الحرير فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه إلا هكذا ، ورفع أصبعيه . وقال أيضا : لن تحور قوى ما كان صاحبها يترع ويترؤ . يعنى يترع في القوس ويترؤ على الخيل من غير استعانة بالركب . وقال

(١) كذا بالأصلي والصواب بخارية زياد وهي سكة بالبصرة أسكنها زياد ابن أبيه ألف عبد من بخارى حين استولى عليها من خاتون ملكتها وكانوا جيدي الرى بالنشاب .

العمري . كان عمر بن الخطاب يأخذ بيده اليمنى أذنه ^(١) [اليمنى وبيده اليسرى أذن فرسه اليسرى] ثم يجمع جَرامِيْزَه وَيَثْبُفُكُنْما خُلُقَ على ظهر فرسه .

وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه يومِ صِفِّينَ : عَضُّوا على التَّوْاجِذِ من الأضراس فانه أَنَبَى للسيوف عن الهام . وأقاموا رجلا بين العُقَّايين فقال له أبوه : طُدَّ رجلك وَأَصْرَّ إصْرارَ الفرس واذكر أحاديثَ غد وإياك وذَكَرَ الله في هذا الموضع فانه من الفشل . [وقال غيره طُدَّ رجلك إذا أَعْتَصِيت بالسيف والعصا وأنت مَخِيرٌ ^(٢) في رفعه ساعة المسألة والمواذعة] .

وقرأت في الآيين أن من إجادة الرمي بالنُّشَابِ في حال التعلُّمِ إمساكَ القوسِ بيده اليسرى بقوة عَضِّه الأيسر والنُّشَابَ بيده اليمنى وقوة عضده الأيمن وكفه أَصْدَرِيَه ^(٣) وإلْقَاؤه ببصره الى مَعْلَمِ الرمي وإجادته نصبَ القوس بعد أن يَطَأُطِي من سِتْمِهَا ^(٤) بعض الطَّائِطَةِ وضبطه إِيَّاهَا بثلاث أصابع وإحناؤه السَّبَابَةَ على الوتر، وإمساكه بثلاثة وعشرين كأنها ثلاثة وستون وضمه الثلاثة ضمًّا وتحويله دَقْنَه الى منكبيه [الأيسر] وإشرافه رأسه وإرخاؤه عنقه وميله مع القوس وإقامته ظهره وإدارته عضده ومَغْطُهُ القوسَ مترافعا ونزعه الوتر الى أذنه ورفعَه بياضَ عينيه من غير تصريف لأسنانه وتحويل لعينه وارتعاش من جسده واستبانتَه موضعَ زَجَجَةِ النُّشَابِ .

وقرأت في الآيين : من إجادة الضرب بالصَّوْلِحَانِ أن يضرب الكُرَّةَ قُدْما ضرب خُلْسِيَه يُدِيرُ فيه يده الى أذنه ويُمِيلُ صَوْلِحَانَه الى أسفل من صدره ويكون ضربه متشازرا مترققا مترسِّلا ^(٥) ولا يُغْفَلُ الضرب ويرسل السَّنانَ خاصة وهو الحامية لمجاز الكُرَّةَ الى غاية الغرض ثم الجرَّ للكرَّة من موقعها . والتوتنى للضرب لها تحت محزَم

٢٠ (١) زيادة في النسخة الألمانية وفي البيان والتبيين « يأخذ بيده اليمنى أذن فرسه اليسرى » . (٢) زيادة في النسخة الألمانية . (٣) كذا بالأصلي ولعله « رفعهما » . (٤) في الألمانية : « وكفه الى صدره » . (٥) عبارة النسخة الفتوغرافية ولا يغفل الضرب (ترسا البنيان؟) خاصة وهو الحامية لمجاز الكُرَّة الخ .

الدابة ومن قبل لبتها في رفق ، وشدة المزاولة والمجاحشة على تلك الحال والترك للاستعانة في ضرب الكرة بسوط والتأثير في الأرض بصولجان والكسيرة له جهلا باستعماله أو عقر قوائم الدابة ، والاحتراس من إيذاء من جرى معه في ميدانه ، وحسن الكف للدابة في شدة بحريه ، والتوقى من الصرعة والصدمة على تلك الحال ، والمجانبة للغضب والسب ، والاحتمال والملاهاة ، والتحفظ من إلقاء كرة على ظهر بيت وان كان ست كرين بدرهم ، وترك طرد النظارة والجلوس على حيطان الميدان فان عرض الميدان انما جعل ستين ذراعا لئلا يحال ولا يصار من جلس على حائطه .

وقال أبو مسلم صاحب الدعوة لرجاله : أشعروا قلوبكم الجرأة عليهم فانها سبب الظفر ، واذكروا الضغائن فانها تبعث على الإقدام ، والزموا الطاعة فانها حصن المحارب .

المسير في الغزو والسفر

حدثنا شبابة عن القاسم بن الحکم عن إسماعيل بن عیاش عن معدان بن حدير الحضرمي عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل الذين يغزون من أمتي وياخذون الجعل يتقوون به على عدوهم كمثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها » . حدثني محمد بن عبيد عن ابن عيينة عن عبد الرحمن ابن حرملة عن سعيد بن المسيب قال : لما نزل النبي صلى الله عليه وسلم المعرس أمر مناديا فنادى : لا تطرقوا النساء . فتعجل رجلان فكلاهما وجد مع امرأته رجلا . وكانت العرب تقول : السفر ميزان القوم ^(١) . وتأمر بالمحلات وهي الدلو والقاس والسفرة والقدر والقداحة ، وإنما قيل لها محلات لأن المسافرين بها محل حيث شاء ولا يبالي ألا يكون بقربه أحد .

(١) في الميدان « السفر ميزان السفر » أي أنه يسفر عن أخلاق المسافرين ، وفي الفتوغرافية السفر بجلافة

القوم وهو يرجع إلى هذا المعنى أيضا .

- حدثني عبد الرحمن بن الحسين عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال ، قال لقمان لابنه : « يا بني إذا سافرت فلا تم على دابتك فان كثرة النوم سريع في دبرها ، فاذا نزلت أرضا مكلثة فأعطها حظها من الكلاء وأبدأ بعلفها وسقيها قبل نفسك وإذا بعدت عليك المنازل [فعليك بالدبح فان الأرض تطوى بالليل . وإذا أردت النزول]
- فلا تنزل على قارعة الطريق فانها مأوى الحيات والسباع ولكن عليك من بقاع الأرض بأحسنها لونا وألينها تربة وأكثرها كلاء فانزلها ، وإذا نزلت فصل ركعتين قبل أن تجلس وقل (رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ) . وإذا أردت قضاء حاجة فأبعد المذهب في الأرض وعلك بالشجرة . وإذا ارتحلت من منزل فصل ركعتين وودع الأرض التي ارتحلت عنها وسلم عليها وعلى أهلها فان لكل بقعة من الأرض أهلا من الملائكة . وإذا مررت ببقعة من الأرض أو واد أو جبل فأكثر من ذكر الله فان
- الجبال والبقاع ينادى بعضها بعضا : هل مر بك اليوم ذا كر لله ؟ وإن أستطعت ألا تطعم طعاما حتى تصدق منه فافعل . وعلك بذكر الله جل وعز مادمت راكبا وبالتسبيح مادمت صائما وبالدهاء مادمت خاليا . وإياك والسير في أول الليل وعلك بالتعريس والدُّبْحَة من نصف الليل الى آخره . وإياك ورفع الصوت في سيرك إلا بذكر الله ، وسافر بسيفك وقوسك وجميع سلاحك وخفك وعمامتك وإبرتك وخيوطك وتزود معك الأدوية تنتفع بها وتنفع من صحبك من المرضى والزمنى . وكن لأصحابك موافقا في كل شيء يقتربك إلى الله ويباعدك من معصيته . وأكثر التبسم في وجوههم وكن كريما على زادك بينهم وإذا دعوك فأجبهم ، وإذا استعانوك فأعنهم وإذا استشهدوك على الحق فاشهد لهم وأجهد رأيك . وإذا رأيتهم يمشون فامش معهم أو يعملون فاعمل معهم . [وإن تصدقوا أو أعطوا فأعط] . واسمع لمن هو أكبر منك . وإن تخيرتم في طريق فانزلوا ، وإن شككتم في القصد فثبثوا وتأمروا ، وإن رأيتم خيالا واحدا

فلا تسألوه عن طريقكم فإن الشخص الواحد في القلاة هو الذي حيركم واحذروا
الشخصين أيضا إلا أن تروا ما لا أرى فإن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وإن
العقل إذا أبصر شيئا بعينه عرف الحق بقلبه .

عَلَّمَ أَعْرَابِي بِذِيهِ إِتْيَانَ الْغَائِطِ فِي السَّفَرِ فَقَالَ لَهُمْ : اتَّبِعُوا الْخَلَاءَ وَجَانِبُوا الْكَلَاءَ
وَأَعْلُوا الضَّرَاءَ ^(١) وَأَخْجُوا الْخِجَابَ النِّعَامَةَ وَامْسَحُوا بِأَشْمُكُمُ .

[وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ رَحِمَهُمَا اللَّهُ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، هَلْ
تَنْتَعِ الْخِرَاءَ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، تُبْعِدُ الْمَشْيَ فِي الْأَرْضِ الضَّحْضَحَ حَتَّى تَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ ،
وَلَا تَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ وَلَا تَسْتَدْبِرْهَا وَلَا تَسْتَنْجِ بِالرُّوثَةِ وَلَا الْعِظْمِ وَلَا تَبُلَّ فِي الْمَاءِ الرَّائِدِ] .

أَرَادَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيَّ الْحَجَّ ، فَقَالَ لَهُ ثَابِتٌ : يَا غَسَنِي أَنْكَ تَرِيدُ الْحَجَّ فَأَحْبَبْتَ
أَنْ نَصْطَحِبَ . فَقَالَ : وَيْحَكَ ! دَعْنَا نَتَعَايَشَ بِسِتْرِ اللَّهِ ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ نَصْطَحِبَ
فَيَرَى بَعْضُنَا مِنْ بَعْضٍ مَا نَتِمَاقَتُ عَلَيْهِ . وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ عَنْ بَقِيَّةٍ عَنِ الْوَضِيِّ بْنِ
عَطَاءٍ عَنْ مَحْفُوظِ بْنِ عَلْقَمَةَ قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ
« أَمَا إِنَّكَ إِنْ تَرَافَقَ بِغَيْرِ قَوْمِكَ يَكُنْ أَحْسَنَ لَخَلْقِكَ وَأَحَقَّ أَنْ يُقْتَفَى بِكَ » .

أَتَى رَجُلٌ هِشَامًا أَخَا ذِي الرُّمَّةِ الشَّاعِرَ فَقَالَ لَهُ : إِنِّي أُرِيدُ السَّفَرَ فَأَوْصِنِي . قَالَ : صَلِّ
الصَّلَاةَ لَوْ قَتَلَتْكَ فَانَكَ مَصْلِيهَا لَا مَحَالَةَ فَصَلِّهَا وَهِيَ تَنْفَعُكَ ، وَإِيَّاكَ وَأَنْ تَكُونَ كَلْبَ رُقُفْتِكَ
فَإِنْ لِكُلِّ رُقْفَةٍ كَلْبٌ يَنْبَحُ دُونَهُمْ ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا شَرَّكَوهُ فِيهِ « إِنْ كَانَ عَارًا تَقْلَدَهُ دُونَهُمْ » .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ مَعَاوِيَةَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ عَثْمَانَ بْنِ عَطَاءٍ عَنْ أَبِيهِ
قَالَ : إِذَا ضَلَّتُمْ لِأَحَدِكُمْ ضَالَّةً فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ رَبَّ الضَّالَّةِ تَهْدِي الضَّالَّةَ وَتَرُدُّ الضَّالَّةَ
ارْدُدْ عَلَى ضَالَّتِي ، اللَّهُمَّ لَا تَبْلُغْنَا بِهَلَاكِهِمَا وَلَا تُتْعِبْنَا بِطَلَبِهِمَا ، مَا شَاءَ اللَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ
إِلَّا بِاللَّهِ . يَاعِبَادَ اللَّهِ الصَّالِحِينَ رَدُّوا عَلَيْنَا ضَالَّتَنَا . وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَحْمِلَ الْحِمْلَ الثَّقِيلَ
فَقُلْ : يَاعِبَادَ اللَّهِ أَعِينُونَا ^(٢) . [وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو : إِذَا ضَلَّتْ لِأَحَدِكُمْ ضَالَّةٌ فَلْيَتَوَضَّأْ

(١) الضراء ما وارك من شجر . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

فيحسن الوضوء ثم يصلي ركعتين ثم يشهد ويقول : بسم الله، اللهم يا هادي الضال وراذ الضال اردد علي ضالتي بعزتك وسلطانك فانها من فضلك وعطائك .

حدثني محمد بن عبيد عن حمزة بن وعلة عن رجل من مراد يقال له أبو جعفر عن محمد بن علي عن علي رضي الله عنه قال ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا علي ، أمان لأمتي من الغرق إذا ركبوا الفلك أن يقولوا بسم الله الملك الرحمن . وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ . بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ » .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن محمد بن مجلان عن عمرو ابن شعيب قال : أراد عمر أن يغزو البحر جيشا ، فكتب اليه عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين ، البحر خلق عظيم يركبه خلق ضعيف دود على عود بين غرق وبرق ^(١) قال عمر : لا يسألني الله عن أحد حملته فيه . وحدثني أيضا عن معاوية عن أبي إسحاق عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد قال كان ابن عمر يقول في السفر إذا أشجر : سميع سامع بحمد الله ونعمته وحسن بلائه علينا . ويقول : اللهم صاحبنا فأفضل علينا ثلاثا ، اللهم عائدك بك من النار ثلاثا لا حول ولا قوة إلا بالله .

وعن الأوزاعي عن حسان بن عطية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ^{١٥} في سفره حين هاجر : « الحمد لله الذي خلقتني ولم ألك شيئا مذكورا ، اللهم أعني على أهويل الدنيا وبوائق الدهر ومصيبات الليالي والأيام وأكفني شر ما يعمل الظالمون في الأرض ، اللهم في سفري فأصحبني ، وفي أهلي فأخلقني ، وفيما رزقتني فبارك لي ، ولك في نفسي فذللتني ، وفي أعين الصالحين فعظمتني ، وفي خلقي فقومتني ، وإليك رب خيبتني ، الي من تكأني رب المستضعفين وأنت ربّي » .

٢٠

(١) البرق الحيرة والدهش . وفي النسخة الألمانية « برق » وهو تحريف .

وحدثني أيضا عن معاوية عن أبي اسحاق عن عاصم عن عبد الله بن سرجس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سافر يقول : « اللهم إني أعوذ بك من وَعْثاء السفر وكآبة المنقلب والحور بعد الكور ودعوة المظلوم وسوء المنظر في الأهل » وزاد غيره « اللهم أطولنا الأرض وهون علينا السفر » .

وقال مطرف بن عبد الله لابنه : الحسنة بين السيئتين وخير الأمور أوساطها وشراً السير الحقةقة . وفي الحديث « لا تُحَقِّقْ فتقطع ولا تَبَاطُأ قُسْبَقْ ولكن آقِصْدْ تَبْلُغْ » والحقةقة أشد السير . وفي حديث آخر « إن المُنبِتَّ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » وقال المَرَار

تُقَطِّعْ بالزول الأرض عنا * وبعْد الأرض يقطعهُ الزول

الأصمعي قال، قيل لرجل أسرع في سيره : كيف كان مسيرك ؟ قال كنت آكل الوجبة وأعرّس إذا انتحرت وأرتحل إذا أسفرت وأسير الوضع وأجتنب الملع بختكم لمسي سنع . قال أبو اليقظان : من السير المذكور مسير ذكوان مولى آل عمر بن الخطاب ، سار من مكة الى المدينة في يوم وليلة ، فقدم على أبي هريرة وهو خليفة مروان على المدينة فصلّى العتمة ، فقال له أبو هريرة : حاج غير مقبول منه . قال له : ولم ؟ قال : لأنك نفرت قبل الزوال . فأخرج كتاب مروان بعد الزوال وقال

ألم ترني كلّفهم سير ليلة * مِن آل منى نصّا الى آل يثرب
فأقسمت لا تنفك ما عشتُ سيري * حديثا لمن وافى يجمع المحصب

ومن السير المذكور مسير حذيفة بن بدر ، وكان أغار على هجائن [النعمان بن] المنذر ابن ماء الساء وسار في ليلة مسيرة ثمان ، فقال قيس بن الخطيم

هممنا بالإقامة ثم سرنا * كسير حذيفة الخير بن بدر

- قال الشَّرْقِيُّ بن القَطَامِي: خرجت من الموصل أريد الرِّقَّة فصحبني فتي من أهل الجزيرة وذكر أنه من ولد عمرو بن كلثوم ومعه مِرْزُودٌ وَرَكُوةٌ وعصا، ورأيتُه لا يفارقها مُشاةً كُنَّا أَوْرُكًانا وهو يقول: إن الله جعل جِماعَ أمر موسى وأعاجيبه وبراهينه ومآربه في عصاه، ويكثر من هذا وأنا أضحك متهاوِّنا بما يقول، فتخلف المَكْارِي فكان حمار الفتي إذا وقف أكرهه بالعصا ويقف حماري ولا شيء في يدي فيسبقني إلى المنزل فيستريح ويُرِيح ولا أقدر على البرَّاح حتى يوافيني المكارى، فقلت: هذه واحدة. ثم خرجنا من غد مُشاةً فكان إذا أعيَّا توكًّا على العصا وربما أَحْضَرَ ووضع طرفا على الأرض فاعتمد عليها ومَرَّ كأنه سهم زَالِجٌ حتى انتهينا وقد تَفَسَّخَتْ من الكَلَال وإذا فيه فضل كثير، فقلت: وهذه أخرى. فلما كان في اليوم الثالث هجمنا على حَيَّةٍ منكَّرة فسارت إلينا فأسلمتْهُ إلينا وهربت عنها فضربها بالعصا حتى قتلها، فقلت: هذه ثالثة. [وهي أعظمهن] وخرجنا في اليوم الرابع وبنَّا قَرَمًا إلى اللحم فاعترضتنا أرنب فحذفها بالعصا وأدركا ذكَّاتِها فقلت: هذه رابعة. فأقبلتُ عليه فقلت: لو أن عندنا نارا ما أخرت أكلها إلى المنزل. فأخرج عُويدا من مِرْزُوده ثم حكَّ بالعصا فَأَوْرَتْ لِيَرَاءَ المَرْخ والعَفَّار، ثم جمع ما قدر عليه من العُتَاء والحشيش وأوقد نارا وألقى الأرنب في جوفها فأخرجناها وقد لَزِقَ بها من الرماد والتراب ما بَغَضُها إلى فَعَلَقَها بيده اليسرى ثم ضرب جُنُوبَها بالعصا وأعراضها ضربا رقيقا حتى انتثر كل شيء عليها فأكلناها وسكن القرم وطابت النفس، فقلت: هذه خامسة. ثم نزلنا بعض الخانات وإذا البيوت مَلَانة رَوْنَا وترابا فلم نجد موضعا ننظر فيه فنظر إلى حديدة مطروحة في الدار فأخذها فجعل العصا نِصَابًا لها ثم قام فجرف جميع ذلك الروث والتراب وجرَد الأرض حتى أظهر بياضها وطابت ريحها فقلت: وهذه سادسة. ثم نزع العصا من الحديدة فأوتدها في الحائط وعلَّق عليها ثِيَابَه وثِيَابِي

فقلت : هذه سابعة . فلما صرنا الى مَفْرِقِ الطريقين وأردت مفارقتَه قال لى :
 لو عدلتَ معى فبتَ عندى ! فعدلتَ معه فأدخلنى منزلاً يتصل ببَيْعة فما زال يحدثنى
 وَيُطَرِّفنى اللَّيْلَ كُلَّهُ فلما كان السَّحَرُ أخذ العصا بعينها وأخذ خشبة أخرى ففرع بها
 العصا فإذا ناقوس ليس فى الدنيا مثله وإذا هو أحذق الناس به فقلت له : ويحك !
 ٥ أما أنت بمسلم ؟ قال : بلى . قلت : فلم تضرب بالناقوس ؟ قال : لأن أبى نصرانى
 وهو شيخ كبير ضعيف فإذا شهدتُ برَّته بالكفاية . وإذا شيطان مارد وأظرف الناس
 وأكثرهم أدباً فخبرته بالذى أحصيتُ من خصال العصا ، فقال : والله لو حدثتك عن
 مناقب العصا ليلة إلى الصباح ما استنفدتُها .

وروى يزيد عن هشام عن الحسن عن جابر قال ، قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم : « إذا كنتم فى الحَضَبِ فأَمِكِنُوا الرِّكَابَ أَسْتَمًا ^(١) وَلَا تَعْدُوا الْمَنَازِلَ وَإِذَا كُنْتُمْ
 ١٠ فى الْجَدْبِ فَاسْتَنْجُوا ^(٢) وَعَلَيْكُمْ بِالْذُّبْجَةِ فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطَوَّى بِاللَّيْلِ وَإِذَا تَغَوَّلَتْ لَكُمْ
 الْغِيَالُ فَنَادُوا بِالْأَذَانِ وَلَا تَصَلُّوا عَلَى جَوَادِّ الطَّرِيقِ وَلَا تَنْزِلُوا عَلَيْهَا فَإِنَّهَا مَأْوَى السَّبَاعِ
 وَالْحَيَاتِ وَلَا تَقْضُوا عَلَيْهَا الْحَوَائِجَ فَإِنَّهَا لِلْمَلَائِكَةِ » .

وأراد أعرابى سفراً فقال لامرأته

عُدِّى السنين لغيتى وتصبرِّى * وذرى الشهور فإنهن قصار

فأجابته

اذكر صبا بتنا اليك وشوقنا * وأرحم بناتك إنهن صغار

(١) أورده ابن الأثير بلفظ « أعطوا الرُّكْبَ أَسْتَمًا » وقال ناقلنا عن أبى عبيد ان كانت اللفظة
 محفوظة فكأنها جمع الأسنان ، يقال لما تأكله الأبل وترعاه من العُشْبِ سَرْجٌ وجمعه أسنان ثم أسنة . وقال
 ٢٠ الزمخشرى ان الأسنة هنا الرماح وقال فى معناه : أعطوها ما تمنع به من النحر لأن صاحبها إذا أحسن رعيها
 سمحت وحسنت فى عينه فيبخل بها عن أن تنحرف شبه ذلك بالأسنة فى وقوع الامتناع بها ، وهو كما ترى متكلف
 لا يساعد عليه سياق الحديث . (٢) أى أسرعوا .

فأقام وترك السفر . وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي
طربت إلى الأصينية الصغار * وهاجك منهم قرب المزار
وكل مسافر يزداد شوقا * إذا دنت الديار من الديار

وفي الحديث المرفوع قال ابن مسعود : كُنَّا يَوْمَ بَدْرٍ ثَلَاثَةً عَلَى بَعِيرٍ فَكَانَ عَلَى
وَأَبُو لُبَابَةَ زَيْمِيلٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَانَ إِذَا دَارَتْ عُنُقُهُمَا قَالَا :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ارْكَبْ وَنَمْشِي عَنْكَ . فيقول « مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي وَمَا أَنَا بِأَغْنَى عَنْ
الْأَجْرِ مِنْكُمَا » .

خطب قتيبة بن مسلم على منبر خراسان فقال في خطبته : إذا غزوتهم فأطيلوا
الأظفار وقصروا الأشعار .

وقالت عائشة رضي الله عنها : « لا سهر إلا لثلاثة : مُصَلٍّ أَوْ عَمْرُوسٍ أَوْ مُسَافِرٍ .
وقال بعض الشعراء

سُررتُ بجعفرٍ والقرب منه * كما سُرَّ المسافر بالإياب
وكنْتُ بقربه إذ حلَّ أرضي * أميرا بالسَّكينة والصَّواب
كمطورٍ ببلدته فأضحى * غنيًّا عن مطالبة السحاب

وقال آخر في معناه

وكنْتُ فيهم كمطورٍ ببلدته * فسرَّ أنْ جمعَ الأوطانَ والمطرا

وقال آخر

إذا نحنُ أبنا سالمين بأنفس * كرام رجتُ أمرًا نخاب رجاؤها
فأنفسنا خيرُ الغنيمة إنْهَا * تَووبُ وفيها مأوئها وحيائها

(١) كذا بضم أوله وفتح ثانيه وهو كنية رفاعه بن عبد المنذر وهو صحابي معروف .

وقال آخر

رجعنا سالمين كما بدأنا * وما خابت غنيمه سالمينا
[وما تدرين أى الأمر خير * أما تهوين أم ما تكريهنا]

وقال بعض المحدثين

قبح الله آل برمك إني * صرت من أجلهم أبا أسفار
إن يكن ذو القرنين قد مسح الأثر * ض فإني موكّل بالعمار]

التفويض^(٢)

حدثني أبي، أحسبه عن الهيثم بن عديّ قال : لما كتب أبو بكر رضى الله عنه
إلى خالد بن الوليد يأمره بالمسير إلى الشام واليا مكان أبي عبيدة بن الجراح، أخذ
على السماوة حتى انتهى إلى قرأقر، وبين قراقرس وسوى خمس ليال في مفازة، فلم يعرف
الطريق، فدلّ على رافع بن عَميرة الطائي وكان دليلا خريّا فقال لخالد : خلف
الأنفال وأسلك هذه المفازة إن كنت فاعلا، فكره خالد أن يخلف أحدا وقال : لا بد
من أن نكون جميعا . فقال له رافع : والله إن الراكب المنفرد ليخافها على نفسه
وما يسلكها إلا مفرر مخاطر بنفسه، فكيف أنت بمن معك؟ فقال : لا بد من ذلك . فقال
الطائي لخالد : أبغني عشرين جُرورا مسانّا عظاما ففعل فظمّا هن ثم سقاهن حتى
روين ثم قطع مشافرن وكعمنهن لثلا تجترن، ثم قال لخالد : سر بالخيول والأنفال
فكلما نزلت منزلا نحررت من تلك الجزر أربعا ثم أخذت ما في بطونها من الماء
فسقيته الخيل وشرب الناس مما ترقدوا، ففعل . فلما صار إلى آخر المفازة انقطع ذلك

(١) ما بين هذين القوسين زيادة في النسخة الألمانية .

(٢) يقال فوز الرجل بإبله إذا ركب بها المفازة .

(٣) كذا بالألمانية وفي النسخة الفتوغرافية أبي عبيدة محمد بن سعيد وهو خطأ إذ اسم أبي عبيدة عامر
ابن عبد الله بن الجراح القهري قلعه من سهو النساخ .

وَجَهَدَ النَّاسُ وَعِطِشَتْ دَوَابُّهُمْ، فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ : وَيْحَكَ، مَا عِنْدَكَ؟ قَالَ : أَدْرَكَتِ
الرِّىَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، انْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ شَجَرَةَ عَوْجَجٍ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ؟ فَنَظَرُوا فَوَجَدُوهَا
فَقَالَ : اخْفَرُوا فِي أَصْلِهَا خَفَرُوا فَوَجَدُوا عَيْنًا فَشَرَبُوا مِنْهَا وَتَرَوْدُوا، فَقَالَ رَافِعٌ : وَاللَّهِ
مَا وَرَدْتُ هَذَا الْمَاءَ قَطُّ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً مَعَ أَبِي وَأَنَا غُلَامٌ. فَقَالَ رَاجِزُ الْمُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ

لِللَّهِ دُرٌّ رَافِعٌ أَتَى أَهْتَدَى * فَوَزَّ مِنْ قُرَاقِرٍ إِلَى سُوَى
أَرْضًا إِذَا سَارَ بِهَا الْجَيْشُ بَكَى * مَاسَارَهَا قَبْلَكَ مِنْ إِنْسٍ أَرَى^(١)

قَالَ وَلَمَّا مَرَّ خَالِدٌ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ الْبِشْرُ طَلَعَ عَلَى قَوْمٍ يُشْرِبُونَ وَيُنِيفُ أَيْدِيَهُمْ
جَفَنَةً وَأَحَدُهُمْ يَتَغَنَّى

أَلَا عَلَّلَانِي قَبْلَ جَيْشِ أَبِي بَكْرٍ * لَعَلَّ مَنَايَانَا قَرِيبٌ وَمَا نَدْرِي
أَلَا عَلَّلَانِي بِالزُّجَاجِ وَكَرَّرَا * عَلَى كُمَيْتِ اللَّوْنِ صَافِيَةً تَجْرِي
أَطْنُ خِيُولِ الْمُسْلِمِينَ وَخَالِدَا * سَيَطْرُقُكُمْ قَبْلَ الصَّبَاحِ مِنَ الْبِشْرِ
فَهَلْ لَكُمْ فِي السَّيْرِ قَبْلَ قِتَالِهِمْ * وَقَبْلَ خُرُوجِ الْمُعْصِرَاتِ مِنَ الْخَدَرِ

فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ فَرَّغَ مِنْ قَوْلِهِ شَدَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالسَّيْفِ فَضْرَبَ
عُنُقَهُ فَإِذَا رَأْسُهُ فِي الْجَفَنَةِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَهْلِ الْبِشْرِ فَقَتَلَ مِنْهُمْ وَأَصَابَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ.
ابْنُ الْكَلْبِيِّ قَالَ : أَقْبَلَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ يَرِيدُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَضَلُّوا
الطَّرِيقَ وَوَقَعُوا عَلَى غَيْرِ مَاءٍ فَكَثَرُوا ثَلَاثًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْمَاءِ فَجَعَلَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ
يَسْتَنْدِرِي بَفِيءِ السَّمَرِ وَالطَّلَحِ يَأْسًا مِنَ الْحَيَاةِ، فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ أَقْبَلَ رَاكِبٌ عَلَى بَعِيرٍ
فَأَلْشَدَ بَعْضُ الْقَوْمِ يَنْتِنِينَ مِنْ شَعْرِ امْرَأَةٍ الْقَيْسِ

لَمَّا رَأَتْ أَنَّ الشَّرِيعَةَ هُمُّهَا * وَأَنَّ الْبَيَاضَ مِنْ فَرَائِصِهَا دَائِمِي
تَيَمَّمَتِ الْعَيْنَ الَّتِي عِنْدَ ضَارِيجٍ * يَفِيءُ عَلَيْهَا الظَّلَّ عَرْمَضُهَا طَائِمِي

(١) كَذَا بِالْأَلْمَانِيَةِ، وَفِي الْقَتَوغَرَفِيَّةِ «أَدَى» بِالْهَاءِ وَالْهَاءُ «أَوَى» بِمَعْنَى عَا» وَرَجَعَ.

فقال الراكب : من يقول هذا ؟ قالوا : امرؤ القيس . قال والله ما كذب ، هذا ضارح عندكم ، وأشار إليه ، فجنثوا على الركب فإذا ماء غدق وإذا عليه العرمض والظلل يفيء عليه فشربوا منه ريهم وسقوا وحملوا حتى بلغوا الماء ، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه وقالوا : يا رسول الله أحيانا يبتان من شعر امرئ القيس قال : « ذاك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها منسى في الآخرة خامل فيها ، يحيى يوم القيامة معه لواء الشعراء يقودهم إلى النار » .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن قُريب عن عمه الأصمعي عن رجل من بني سليم أن رُقعة ماتت من العطش بالشَّجى ، فقال الحجاج : إني أظنهم قد دعوا الله حين بلغهم الجهد فأحفرُوا في مكانهم الذي ماتوا فيه لعل الله يسقي الناس . فقال رجل من جلسائه : أيها الأمير قد قال الشاعر

ترأت له بين اللوى وعُنيزة * وبين الشَّجى مما أحال على الوادى

والله ما ترأت له إلا وهى على ماء . فأمر الحجاج عبيدة السلمى أن يحفر بالشَّجى بئرا فحفر فأنبط ، ويقال : إنه لم يمت قوم قط عطشا إلا وهم على ماء . قالت العرب « أن ترد الماء بماء أكيس » . ويقال في مثل : « برد غداة غرَّ عبدا من ظمأ » .

في الطيرة والفأل

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : هَرَبَ بعض البصريين من الطاعون فركب حمرا له ومضى بأهله نحو سَفَوَان فسمع حاديا يحدو خلفه وهو يقول
لن يُسبق الله على حمار * ولا على ذى مِيعَةٍ مَطَّار
أو يأتى الحَتَف على مقدار * قد يصبح الله أمام السَّارى

(١) في الألمانية عبيد الله وهو تحريف .

(٢) هكذا في النسختين الألمانية والفرنغرافية ، وفي معجم البلدان : « عبيدة السلمى » .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثني سعيد بن سلم بن قتيبة عن أبيه أنه كان يعجب ممن يصدق بالطيرة ويعيها أشد العيب وقال : فَرَقْتُ لَنَا نَاقَةً وَأَنَا بِالطَّافِ فَرَكِبْتُ فِي إِثَرِهَا فَلَقِينِي هَانِي بْنُ عَتَبَةَ مِنْ بَنِي وَائِلٍ يَرْكُضُ وَهُوَ يَقُولُ
* وَالشَّرُّ يَلْقَى مُطَالِعَ الْأَتَمِ *

ثم لقيني رجل آخر من الحى فقال وهو للبيد
وَلَيْتَ بَعَثْتَ لَهُمْ بُغَا * مَا الْبُغَاةُ بِوَأَجِدِينَ
ثم دفعتُ إلى غلام قد وقع في صغره في نار فأحرقته فقمح وجهه وفسد ، فقلت له :
هل ذكرت من ناقةٍ فارق؟ قال : ههنا أهل بيت من الأعراب فانظر . فوجدناها
قد نُتِجَتْ ومعها ولدها . يقال : ناقة فارق : قد ضربها الطلق ، وسحابة فارق :
قد دنا هراقة مائها . قال المرقش^(٢)

١٠

ولقد غدوت وكنت لا * أغدو على وائٍ وحاتم^(٣)
فإذا الأشائمُ كالآيا * من والأيا من كالأشائم
وكذاك لا خير ولا * شرٌّ على أحد بدائم
[وقال آخر^(٤)

١٥ وليس بهيباب إذا شدَّ رحله * يقول عداني اليوم وائٍ وحاتم
ولكنه يمضي على ذاك مُقَدِّمًا * إذا صدعن تلك الهنات الخنارم^(٥)

(١) في النسخة الفتوغرافية : « عيب » . (٢) في النسخة الفتوغرافية « المرقم » وهو تحريف وقد أورد في اللسان هذه الأبيات ونسبها للمرقش كما هنا . وأورد صاحب بلوغ الأرب في أحوال العرب المرقش هذا ضمن من أنكر الزجر والطيرة من العرب واستشهد له بهذه الأبيات .

(٣) الواو : الصرد ، والحاتم : الغراب الأسود وكانت العرب تشاءم بهما . (٤) زيادة في النسخة الألمانية . (٥) في الأصل « الخشارم » وهو تحريف والخنارم كعلايط : الرجل المتطير . وقد أورد في لسان العرب هذه الأبيات ونسبها إلى خثيم بن عدى وقيل للرقاص الكلبي يمدح بها مسعود بن بحر وصوبه ابن يرى . أنظر اللسان مادة « وقي » .

وقال آخر

تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا طَيْرَ إِلَّا * عَلَى مَتَطِيرٍ وَهُوَ الثُّبُورُ
بَلَى، شَيْءٌ يُوَافِقُ بَعْضَ شَيْءٍ * أَحَابِينَا وَبَاطِلُهُ كَثِيرٌ

حدثني الرياشي عن الأصمعي قال: سألت ابن عَوْنٍ ^(١) عن الفأل فقال: هو أن تكون مريضاً فتسمع: يا سالم، أو باغيا فتسمع: يا واجد. وفي الحديث المرفوع «أَصْدَقُ الطَّيْرَةِ الْفَالُ». وفيه «الطَّيْرُ تَجْرَى بِقَدَرٍ»

أراد أبو العالية أن يخرج من البصرة لعله كانت به فسمع مناديا ينادى: يامتوكل، فخط رحله وأقام.

وقال عكرمة كما جلوسا عند ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما فمر طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير خير. فقال ابن عباس: لا خير ولا شر. [قال كعب ^(٤) لابن عباس: ما تقول في الطَّيْرَةِ قال: وما عسيت أن أقول فيها؟ لا طير إلا طير الله ولا خير إلا خير الله ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله. قال كعب: إن هذه الكلمات في كتاب الله المنزل. يعني التوراة.]

حدثني محمد بن يحيى القطعي ^(٥) قال حدثني عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة عن أبي حسان الأعرج أن رجلين دخلا على عائشة رضي الله عنها فقالا: إن أبا هريرة

(١) كذا بالنسخة الفتوغرافية وفي الألمانية «عون بن عبد الله» ولم نعر في كتب التراجم على من تسمى بهذا الاسم سوى عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وهذا ما بين سنة عشر ومائة إلى عشرين ومائة. فلا تصح رواية الأصمعي عنه لأنه ولد سنة ١٢٢ فليحل ما في الفتوغرافية هو الصواب ويكون المراد به عبد الله بن عون بن أربطان البصري فقد توفي هذا في سنة ١٥١ أي والأصمعي في السن التي يتلق فيها عن مشايخه. (٢) في النسخة الألمانية «أبو العنايه» (٣) في الألمانية «لقينة كانت بها» وهو غير مناسب مع السياق. (٤) زيادة في النسخة الألمانية. (٥) كذا بالنسخة الألمانية من غير ضبط. وفي الفتوغرافية «القطعي» بضم أوله وفتح ثانيه بعد ما ياء مشاة والصواب أنه «القطعي» بضم أوله وفتح ثانيه من غير ياء كما ضبطه في تقريب التهذيب ولعله نسبته إلى قطيعة - بكهينة - بن عبس ابن بغض وهو أبو حنيفة في القاموس وقد ذكر صاحب تهذيب التهذيب محمد بن يحيى هذا وقال إن من شيوخه عبد الأعلى. وهو هنا يروى عنه. (٦) في الألمانية «ابن حسان» وهو تحريف.

يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : انما الطيرة في المرأة والدار والدابة فطارت شفقاً ثم قالت : كذب ، والذي أنزل الفرقان على أبي القاسم ، من حدث بهذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان أهل الجاهلية يقولون إن الطيرة في الدابة والدار والمرأة » ثم قرأت : (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا)

كان عبد الله بن زياد صوّر في دهليزه كلباً وأسداً وكبشاً وقال : كلب ناهج وكبش ناطح وأسد كالج . وأنشدني أبو حاتم عن الأصمعيّ
يا أيها المضمير هما لا تهم * إنك إن تُقدّر لك الحمى تُحمّ
ولو علوت شاهقا من العلم * كيف توقيك وقد جفّ القلم

ولما أمر معاوية بقتل جُحْر بن عديّ الكنديّ في ثلاثة عشر رجلاً معه قال ١٠
جُحْر : دعوني أصلّ ركعتين فتوضأ وأحسن الوضوء ، ثم صلى وطول ف قيل له : أجزعت ؟
فقال : ما توضأت قطّ إلا صليت ، ولا صليت قطّ صلاة أخفّ منها . وإن أجزع فقد
رأيت سيفاً مشهوراً وكفناً منشوراً وقبراً محفوراً . ف قيل له : مدّ عنقك ، فقال : إن
ذلك لدمّ ما كنت لأعين عليه . فقدم فضربت عنقه . وكان معاوية بعث رجلاً يقال
له هُدْبَة لقتلهم ، وكان أعور ، فنظر إليه رجل من خثعم فقال : إن صدقت الطيرة قُتل ١٥
نصفنا ، فلما قُتل سبعة بعث معاوية رسولا آخر بعافيتهم فلم يقتل الباقون .

نخرج كثير عزة الى مصر يريد عزة ، فلقية أعرابي من نهد فقال : يا أبا صخر ،
أين تريد ؟ فقال : أريد عزة بمصر . قال : فهل رأيت في وجهك شيئاً ؟ قال : لا ،

(١) كذا بالألمانية ، وفي الفتوغرافية « عبيد الله » وهما من أولاد زيد بن أبيه كما في المعارف لابن

قتيبة ، ولا ندري أيهما صاحب القصة .

إلا أنى رأيت غرابا ساقطا فوق بانه ينتف ريشه . فقال له : تُوافي مصر وقد ماتت
عزة . فانتهره كثير ثم مضى فوافي مصر والناس ينصرفون عن جنازة عزة ، فقال
فما أعيف النّهدى لا دَرَّ دَرُّه * وأزجره للطير لا عزّ ناصره
رأيت غرابا ساقطا فوق بانه * ينتف أعلى ريشه ويُطاره
فأما غراب فاعتراب ووحشة * وبأن فين من حبيب تعاشره

وهوى بعد عزة امرأة من قومه يقال لها : أم الحويرث . فخطبها فأبت وقالت :
لا مال لك ، ولكن أخرج فأطلب فإنى حابسة نفسى عليك . فخرج يريد بعض بنى
مخزوم ، فبينما هو يسير عن له طي فكره ذلك ومضى فاذا هو بغراب يبحث التراب
على وجهه فكرهه وتطير منه ، فاتتهى الى بطن من الأزد يقال لهم بنو لُجب ، فقال :
أفيكم زاجر ؟ قالوا : نعم ، فأرشدوه الى شيخ منهم فأتاه فقص عليه القصة ، فقال :
قد ماتت أو خلف عليها رجل من بنى عمها . فلما انصرف وجدها قد تزوجت فقال

تيممت لُجبا أطلب العلم عندهم * وقد رد علم العائفين الى لُهب
فقال جرى الطير السنيح بينها ^(١) * فدونك فاهيل جدّ منمير سكب
فإلا تكن ماتت فقد حال دونها * سواك خليل باطن من بنى كعب

حدثني أبو سفيان الغنوى قال حدثني خالد بن يزيد الصّفّار قال حدثنا همام بن
يحيى عن قتادة عن حُضْرَمَى بن لَاحِق أو عن أبي سَلَمَةَ أن النبي صلى الله عليه وسلم
كتب الى أمراءه : « اذا أبردتم الى بريدا فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم » .
[خرج عمر الى حرة وأقيم فلقى رجلا من جُهَيْنَةَ فقال له : ما اسمك ؟ قال :
شهاب . قال : ابن من ؟ قال : ابن بَجْرَة . قال : ومن أنت ؟ قال : من الحُرقة .

(١) كذا بالأصل وقد حذف من الشعر بيتان يتصل بهما المعنى وهما .

فيمت شيخا منهم ذا أمانة * بصيرا بزجر الطير منحني الصلب

فقلت له ماذا ترى فى سوانح * وصوت غراب يفحص الأرض بالترب

(٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

ثم قال : ممن ؟ قال : من بنى ضرام . فقال له عمر : أدرك أهلك وما أراك تدرّكهم إلا وقد احترقوا ، فأتاهم وقد أحاطت النار بهم] .

خرج ابن عامر الى المدينة فاذا هو في طريقه بنعامات خمس ، فقال لأصحابه : قولوا في هذه . فقال بشر بن حسان : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا عدوى ولا طيرة » ومن علم شيئاً فليقله ولكني أقول : فتنة خمس سنين .
قوات في كتب العجم أن كسرى بعث وهرز الى اليمن لقتال الحبشة فلما اصطفوا قال وهرز لغلام له : أخرج الى من الجعبة نُسابة وكان الأسوار يكتب على كل نُسابة في جعبته ، فمنها ما يكتب عليه اسم الملك ، ومنها ما يكتب عليه اسم نفسه ، ومنها ما يكتب عليه اسم ابنه ، ومنها ما يكتب عليه اسم امرأته . فأدخل العبيده فأخرج له نُسابة عليها اسم امرأته فتطير وقال : أنت المرأة وعليك طائر السوء . رُدّها وهات غيرها . فردّها وضرب بيده فأخرج تلك النُسابة بعينها ففكر وهرز في طائره ثم آتبه فقال : زنان . وزنان بالفارسية : النساء . ثم قال : زن آن ، فاذا ترجمتها اضرب ذلك قال : نعم الطائر هذا . ثم وضعها في كبد قوسه ثم قال : صفوا لي ملكهم ، فوصفوه بياقوتة بين عينيهِ . ثم إنه مَغَط في قوسه حتى اذا مَلَأَهَا سَرَحَهَا فَأَقْبَلَتْ لأنها رِشَاء منقطع حتى فَصَّت الياقوتة فطار فُضاضها ثم فُلَقَتْ هامته وهُزِمَ القوم . وقال المعلوط

تَنَادَى الطَّائِرَانِ بَيْنَ سَلْمَى ■ عَلَى غَصْنَيْنِ مِنْ غَرْبٍ وَبَانَ

فَكَانَ الْبَانُ أَنْ بَانَتِ سَلِيمَى ■ وَفِي الْغَرْبِ اغْتَرَابٌ غَيْرُ دَانِي

أخذ معناها أبو الشَّيْص فقال

أَشَاقُكَ وَاللَّيْلُ مُلْقَى الْحَرَانِ ■ غَرَابٌ يَنُوحُ عَلَى غَصْنِ بَانَ

أَحْصُ الْجَنَاحَ شَدِيدَ الصَّيَاحِ ■ يَبْكِي بَعِينِينَ مَا تَذَرِفَانِ

وَفِي نَعَابَاتِ الْغَرَابِ اغْتَرَابٌ ■ وَفِي الْبَانِ بَيْنَ بَعِيدِ التَّدَانِي

(١) الأسوار بالضم والكسر قائد الفرس . (٢) في الفتوغرافية « أبيه » .

(٣) في الفتوغرافية : « حتى صَلَّت الياقوتة فطارَتْ فُضاضًا » .

وقال الطائيّ

أَتَضَعُضْتُ عِبْرَاتُ عَيْنِكَ أَنْ دَعْتُ * وَرَقَاءُ حِينَ تَضَعُضُ الْإِظْلَامَ
لَا تَنْشِجْنَ لَهَا فَإِنْ بَكَاءَهَا * ضَحْكُ وَإِنْ بَكَاءُكَ اسْتَفْرَامَ
هَنْ الْحَمَامِ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَافَةً * مِنْ حَائِزٍ فَانْهِنِ حِمَامَ

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثني موسى بن مسعود عن عكرمة بن عمار عن
إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال: جاء رجل منا إلى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إنا نزلنا دارا فكثرت فيها عددنا وكثرت فيها أموالنا ثم
تحوّلنا منها إلى أخرى فقلّلت فيها أموالنا وقلّ فيها عددنا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم «ذروها وهي ذميمة» .

بلغني عن ابن كُكَّاسة عن مبارك بن سعيد أني سفيان الثوريّ قال: بلغنا أن
أعرابيا أضاع ذوداله فخرج في الطلب حتى أدركه العطش، فتر بأعرابي يحتلب ناقة
فنشده ضالته فقال له: متى خرجت في الطلب؟ ادن مني حتى أسقيك لبنا وأرشدك .
قال: قبل طلوع الفجر . قال: فما سمعت؟ قال: عواطيس حولي: نُغَاءُ الشَّاءِ
وَرُغَاءُ البعير ونباح الكلب وصياح الصبيّ . قال: عواطيس تنهاك عن الغدو . قال:
فلما طلع الفجر عرّض لي ذئب . قال: كسوب ذو ظفر . قال: فلما طلعت
الشمس لقيت نعامة . قال: ذات ريش واسمها حسن ، هل تركت في أهلِكَ
مريضا؟ قال: نعم . قال: ارجع فانك ستجد ضالتك في منزلك .

حدثني عبد الرحمن عن حفص بن عمر الخبّطيّ قال حدثنا أبو زرعة يحيى بن أبي
عمرو الشيبانيّ عن ^(١)يُليع عن كعب قال: كانت الشجرة تنبت في محراب سليمان
النبي صلى الله عليه وسلم وتكلمه بلسان ذئب فقول: أنا شجرة كذا وفي دواء كذا .
فيأمر بها سليمان فيكتب اسمها ومنفعتها وصورتها وتقطع وترفع في الخزان حتى كان
(١) في الأصل «الشيباني» بالشين المعجمة وهو تحريف والتصويب والضبط عن تقريب التهذيب .

أحرما جاء منها الخزوبة فقالت: أنا الخزوبة . فقال سليمان : الآن نُعِيتُ الى نفسى وأُذِنَ فى خراب بيت المقدس . قال الطائي يصف عمورية

بكرُفها افتَرَعَتْها كُفُّ حادثة * ولا تَرَقَّتْ اليها هِمةُ النُوبِ
جرى لها الفأل برُحا يوم أنْقَره * اذْغُودِرَتْ وَحْشَةُ السَّاحاتِ والرَّحَبِ
لَمَّا رَأَتْ أختها بالامس قد خربت * كان الخراب لها أَعْدَى من الحربِ ٥

مذاهب العجم فى العِيافة والاستدلال بها

قرأت فى الآيين : كانت العجم تقول : اذا تحولت السَّباع والطير الجبلية عن
أماكنها ومواضعها دلَّت بذلك على أن المَشْتَى سيشتد ويتفاقم . واذا نَقَلَت الجُرْذَانُ
بُراً وشعيْراً أو طعَما الى رب بيت رُزق الزيادة فى ماله وولده ، وإن هى قَرَضَتْ ثيابه
دلَّت بذلك على نقص ماله وولده ، فينبغى أن يُقَطَعَ ذلك القَرَضُ ويُصْلَحَ . وإذا
شَبَّتِ النارُ شَبُوباً كالصَّخَبِ دلَّت على فرح شديد ، واذا شَبَّتْ شَبُوباً كالْبِكاءِ دلَّت
على حزن ، وأما النار التى تَشْتَعِلُ فى أسفل القُدُورِ فانها تدل على أمطار تكثر أو ضيف
يَحْضُرُ . وإذا فشا المَوْتُ فى البقر وقع المَوْتانُ فى البشر ، وإذا فشا الموت فى الخنازير
عم الناس السلامة والعافية ، وإذا فشا الموت فى السباع والوحوش أصاب الناس
ضَيْقَةً ، وإذا فشا الموت فى الجرذان أَخْصَبَ الناسُ . وإذا أَكْثَرَتِ الضفادع
النَّعِيقَ دلَّت على موتان يكون . واذا أَنَّ دِيكَ فى دار فشا فيها مرض الرجال ، واذا
أُنْتُ دجاجة فشا فيها مرض النساء ، واذا صرخت ديوكُ صُراخاً كالْبِكاءِ فشا الموت
فى النساء ، واذا صرخ الدجاج مثل ذلك الصراخ فشا الموت فى الرجال . واذا نَعَبَ
غراب أسود بغاوبته دجاجة دل ذلك على خراب يُعْمَرُ . واذا قَوَّتْ دجاجة وجاوبها
غراب دل على عُمران يُحْرَبُ . وإذا غَطَّ الرجل الحسيب فى نومه بِلُغَسًا ورفعة ،
ومن نفخ فى نومه أفسد ماله ، ومن صَرَّتْ أَسْنَانُهُ فى نومه دل ذلك منه على نَمِيمة ، ١٥ ٢٠

وينبغي أن يضرب على فيه بخفٍّ متخَرِّق . ومن سقطت قدَّامه حية من جُحْر أصابته
 معرّة ومضرة . وإذا رُئِيَ في الهواء دُخْنٌ وظلمة من غير علة تُخَوِّف على الناس الوباء
 والمريض . وإذا رُئِيَ في آفاق السماء في ليلة مصحّية كاختلاف النيران غَشِيَ البلاد
 التي رُئِيَ ذلك فيها عدوٌّ ، فإن رُئِيَ ذلك وفي البلاد عدوٌّ انكشف عنها . وإذا نبح
 كلب بعد هدأةٍ نجحة بغتة دل على أن الشَّرَّاق قد اجتمعوا بالغارة على بعض ما في
 تلك الدار أو ما جاورها . وإذا صقّق ديك بجناحيه ولم يصرخ دل على أن الخير
 محتبس عن صاحبه . وإذا أكثر اليوم الصراخ في دار برئ مريض إن كان فيها .
 وإذا سُمِعَ لبيت تنقّض شخص من فيه عنه ، وإذا عوت ذئاب من جبال وجاوبتها
 كلاب من قرى تفاقم الأمر في التحارب وسفك الدماء . وإذا عوت كلاب
 وجاوبتها ذئاب كان وباء وموتان جارفاً ، وإذا أكثر الكلاب في البغات الهريـر
 دلت بذلك على إتيان العدو البلاد التي هي فيها ، وإذا صرخ ديك في دار قبل وقت
 صراخ الديوك كان ذلك محاولة لدفع بليّة قد شارفت تلك الدار ، وإذا صرخت دجاجة
 في دار كصراخ ديك كان ذلك تحذيراً لمن فيها من آفة قد أشرفوا عليها . وإذا أكثر
 ديك التزّوان على تُكَّاة رب الدار نال شرفاً ونباهة ، وإن فعلت ذلك دجاجة ناله نحول
 وضعة . وإذا ذرّق ديك على فراشه نال مالا رغبيا وخيرا كثيرا وذلك إذا كان
 من غير تضييع من حشمة لفراشه ، فإن ذرقت دجاجة على فراشه نالت زوجته
 منه خيرا كثيرا . وكانوا يقولون : إن الموت من المريض الشبيه للصحيح قريب
 وإن الصحيح الشبيه بالمريض مستشعر للشر وينبغي مباعده . وينبغي أن يُعرف
 كُنْه من كان منطبقا لعلّه لا يبيد العمل ، وحال من كان سيّكنا مترمّنا لعله
 بعيد الغور . وكانوا يكرهون استقبال المولود ساعة يوضع إلا أن يكون ناقص الخلق
 فإن بليته وآفته قد صارتا على نفسه ، ويكرهون استقبال الزّين والكريه الاسم والجارية

- البكر والغلام الذاهب الى المكتب ، وكانوا يكهون الثيران المقرونة بقران والحيوان الموثق والدابة المقودة وحاملة الشراب والخطب والكلب ، ويستحبون الصحيح البدن الرضى الاسم والمرأة الوسيمة الثيب والغلام المنصرف من المكتب والدواب التى عليها حُمولة من طعام أو تبن أو زبل . وكانوا لا يُتَحَوَّن عن سماع الملك ألحان المغنيات وتَقْيِض الصواري وصهيل الخيل والبرّاذين ويتخذون فى مبيته ديكا ودجاجة . وإذا أهديت له خيل سُئِنَح بها عليه من يساره الى يمينه وكذلك الغنم والبقر ، وأما الرقيق والسباع وما أشبهها فكان يُبرَح بها من يمينه الى يساره .

باب فى الخيل

- حدثني محمد بن عيسى قال حدثنا سفيان بن عيينة عن شبيب بن غَرَقَدَةَ ^(١) عن عُرْوَةَ [البارقي قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « الخيل معقود فى نواصيها ١٠ الخير الى يوم القيامة » .

- حدثني يزيد بن عمرو قال حدثني أشهل بن حاتم قال حدثني موسى بن علي بن رباح التميمي عن أبيه قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني أريد أن أَعِدَّ فرسا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فاشتره إذا أَدَهَمَ أو كُمَيْتًا أَقْرَحَ أَرْتَمَ أو محجلاً مُطَلَقَ اليمين » وفى حديث آخر « فانها ميامين الخيل ثم أغرُ تسلم وتغنم إن شاء الله » . ١٥

- حدثني سهل بن محمد قال أخبرني أبو عبيدة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عليكم بآيات الخيل فان ظهورها حرز و بطونها كثر » قال : وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستحب من الدواب الشقرو يقول : « لو جمعت خيل العرب كلها فى صعيد ٢٠ (١) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية لأن المنسوب الى بارق - وهو كما قال السمعاني جبل ينزله الأزد فيما أظن ببلاد اليمن - عروة بن الجعد بن أبي الجعد البارقي الصحابي .

واحد ماسبقها إلا أشقر» . وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى المال خير . قال «سكة مأبورة» يعنى النخل «ومُهْرَة مأبورة» يريد كثيرة التاج . قال : وكان يكره الشَّكَّال فى الخيل . [قال أبوذر : ما من ليلة إلا والفرس يدعو فيها ربه ويقول : اللهم سخرتنى لأبن آدم وجعلت رزقى بيده فاجعلنى أحبَّ اليه من أهله وماله ، اللهم ارزقه وارزقنى على يديه] . سأل المهدي مطر بن دزاج : أى الخيل أفضل ؟ قال : الذى إذا استقبلته قلت نافر ، وإذا استعرضته قلت زافر ، وإذا استدبرته قلت زاجر . قال : فأى البرادين شر ؟ قال : الغليظ الرقبة الكثير الحلبة الذى إذا أرسلته قال أمسكنى وإذا أمسكته قال أرسانى . قال : فأى البرادين خير ؟ قال : ما طرفه إمامه وسوطه عنانه .

[وصف رجل يزدونا فقال : ان تركته نَعَس وان حركته طار] . وقال ابن أقيصر : خير الخيل الذى إذا استقبلته ألقى وإذا استدبرته جى وإذا استعرضته استوى وإذا مشى ردى وإذا عدا دحا .

محمد بن سلام قال : أرسل مسلم ابن عمرو ابن عم له الى الشام ومصر يشترى له خيلا فقال : لا علم لى بالخيل قال : ألسنت صاحب قنص ؟ قال : بلى . قال :

(١) ان تكون ثلاث قوائم محجلة والواحدة مطلقه وعكسه أيضا . قاموس .

(٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

(٣) فى العقد الفريد « زاجر » ولا معنى له ، ولعل المراد بالزافر عظيم الزفرة بالضم وهى وسط الفرس ويكون كأنه زافر أبدا من عظم جوفه وإجفار جنبه وذلك مما يمدح فى الخيل .

(٤) كذا بالسختين وفى العقد الفريد « زاجر » ولعله الصواب ويكون المعنى أنك إذا استدبرته رأيت عظم الكفل مثله وذلك مما يمدح فى الخيل أيضا .

(٥) جى : انكب عن وجهه وقد أوردته فى الأمالى « جئا » وهو أيضا بمعناه . وقال أبو على القالى الرديان أن يرحم الأرض رجما بين المئى الشديد والعدو . والدحو أن يرمى بيديه رميا لا يرفع سنبكه عن الأرض .

فانظر، كُلُّ شَيْءٍ تَسْتَحْسِنُهُ فِي الْكَلْبِ فَاطْلُبْهُ فِي الْفَرَسِ . فَقَدِمَ بِخَيْلٍ لَمْ يَكْ فِي الْعَرَبِ مِثْلُهَا . وَقَالُوا : سُمِّيَتْ خَيْلًا لِاخْتِيَالِهَا .

وَذَكَرَ أَعْرَابِي فَرَسًا وَسَرَعَتُهُ فَقَالَ : لَمَّا خَرَجْتَ الْخَيْلَ جَارِيً بِشَيْطَانٍ ^(١) فِي أَشْطَانٍ فَلَمَّا أُرْسِلَتْ لَمَعَ لَمْعَةً سَحَابٍ فَكَانَ أَقْرَبَهَا إِلَيْهِ الَّذِي تَقَعُ عَيْنُهُ عَلَيْهِ .

وَسُئِلَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ : أَتَعْرِفُ الْفَرَسَ الْكَرِيمَ قَالَ أَعْرِفُ الْجَوَادَ الْمُرَّ مِنَ الْمُبْطِئِ ^(٢) الْمُقْرِفِ . أَمَّا الْجَوَادُ الْمُرُّ فَالَّذِي لَهْزَ لَهْزَ الْعَيْرِ وَأَنْفٌ تَأْنِيفُ السَّيْرِ ، الَّذِي إِذَا عَدَا أَسْلَهَبَ ^(٣) وَإِذَا قَيْدَ أَجْلَعَبَ وَإِذَا انْتَصَبَ أَتَلَّابٌ . وَأَمَّا الْمُبْطِئُ الْمُقْرِفُ فَالْمَدْلُوكُ الْجَبَّةُ الضَّخِيمُ ^(٤) الْأَرْنَبَةُ الْغَلِيظُ الرَّقَبَةُ [الْكَثِيرُ الْجَلْبَةُ] ^(٥) الَّذِي إِنْ أُرْسِلَتْهُ قَالَ : أُمْسِكْنِي وَإِنْ أُمْسَكْتَهُ قَالَ : أُرْسِلْنِي وَأَنْشُدِ الرِّيَاشِي ^(٦) ^(٧)

كَمْهُرٍ سَوْءٍ إِذَا سَكَنْتَ سِرَّتَهُ * رَامَ الْجَمَّاحَ فَإِنْ رَفَعَتْهُ سَكَا ^(٨)
حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنِي الْأَصْمَعِيُّ عَنْ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ أَنَّ عَمْرًا بْنَ الْخَطَّابِ شَكَى فِي الْعِتَاقِ وَالْمُجُنِّينَ ، فَدَعَا سَلْمَانَ بْنَ رَبِيعَةَ الْبَاهِلِيَّ فَأَخْبَرَهُ ، فَأَمَرَ سَلْمَانَ بِطُسْتٍ فِيهِ مَاءٌ فَوُضِعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ قُدِّمَتْ الْخَيْلُ إِلَيْهِ فَرَسًا فَرَسًا فَسَاقَتْ مِنْهَا سُنْبُكَةً فَشَرِبَ هَجْنَةً . وَمَا شَرِبَ وَلَمْ يَثْنِ سُنْبُكَةً عَرَبِيَّةً . وَذَلِكَ لِأَنَّ

(١) كَذَا بِالنَّسْخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ فِي الْفَتْوْغَرَاْفِيَّةِ هَكَذَا (جَاوِ الشَّيْطَانِ) الْخُ وَفِي لِسَانِ الْعَرَبِ : وَوَصَفَ أَعْرَابِي فَرَسًا لَا يَجْنِي فَقَالَ كَأَنَّهُ شَيْطَانٌ فِي أَشْطَانٍ . وَلَعَلَّ أَصْلَ عِبَارَةِ النَّسْخَةِ الْفَتْوْغَرَاْفِيَّةِ «جَاءَ كَأَنَّهُ شَيْطَانٌ فِي أَشْطَانٍ» فَخَرَفَهَا النَّاسُ كَمَا تَرَى . (٢) كَذَا بِالْفَتْوْغَرَاْفِيَّةِ مَضْبُوطًا . وَفِي الْقَامُوسِ : الْمَلْهُوزُ الْمَضْبُوعُ وَالْخَلْقُ وَالْتَضْيِيرُ اِكْتِنَازُ الْحِمِّ فَكَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَمْدَحَهُ بِأَنَّهُ مَكْتَنَزُ الْخَلْقِ كَالْعَيْرِ الْوَحْشِيِّ وَيُوَافِقُهُ مَا فِي اللِّسَانِ وَلَكِنَّهُ مَضْبُوطٌ بِالْبَاءِ لِلْفَاعِلِ وَلَعَلَّهُ خَطَأٌ . وَفِي الْأَلْمَانِيَّةِ وَالْعَقْدُ الْفَرِيدُ «لَهْزَ لَهْزَ الْعَيْرِ» . وَفِي اللِّسَانِ نَهَزَتْ الدَّابَّةُ إِذَا نَهَضَتْ بِصَدْرِهَا لِلْسَيْرِ ، وَلَعَلَّ مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَنْدَفِعُ فِي السَّيْرِ كَانْدَفَاعِ الْعَيْرِ الْوَحْشِيِّ .

(٣) فِي اللِّسَانِ : وَإِذَا أَنْفٌ يَأْتِنِفُ السَّيْرَ وَهُوَ تَحْرِيفٌ دَفَعَ إِلَيْهِ تَوْهَمَ أَنَّ السَّيْرَ هُنَا بِمَعْنَى الْمَشْيِ لِأَنَّ الْمُؤَنَّفَ هُوَ الْمُحَدَّدُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَمِنْهُ سَيْرٌ (جَلَدٌ) مُؤَنَّفٌ أَيْ مَقْدُودٌ عَلَى قَدَرٍ وَاسْتَوَاءٍ وَالْمُرَادُ أَنَّهُ قُدِّحَ حَتَّى اسْتَوَى كَمَا يَسْتَوِي السَّيْرُ الْمَقْدُودُ . (٤) أَسْلَهَبَ : مَضَى . وَأَجْلَعَبَ : امْتَدَّ عَلَى الْأَرْضِ . وَأَتَلَّابٌ : اسْتَوَى . (٥) هَجَّةُ الْفَرَسِ مَا أَشْرَفَ عَلَى صَفَاقِ الْبَطْنِ مِنْ وَرْكَيْهِ ، وَمَدْلُوكُهَا الَّذِي لَيْسَ لِحِجَّتِهِ أَشْرَافٌ فَهِيَ مَسَاءٌ مُسْتَوِيَةٌ . (٦) الْأَرْنَبَةُ الْأَنْفُ . (٧) فِي الْأَصْلِ الْكَبِيرِ وَالتَّصْوِيبِ عَنِ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ .

في أعناق الهُجُن قصرا فهي لا تنال الماء على تلك الحال حتى تثني سنانكها وأعناق العتاق طوال .

وحدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال : ذكروا أن كسرى كان إذا أتاه سائسه فقال : الفرس يشتكى حافره، قال : المطبخ . وإذا قال : يشتكى ظهره، قال : البيطار .

وأنشدني أبو حاتم لأبي ميمون العجلي وهو النضر بن سلمة في شعر طويل له يصف الفرس، وقال قرأته على أبي عبيدة وعلى الأصمعي

الخيلُ متى أهل ما أن يُدَنِّي * وأن يُقَرَّبَن وأن لا يُقَصِّين
وأن يُسَابَّان وأن يُفَسِّدِينَ * وأن يكون المحض مما يُسْقِين
وأهل أن يُعْلِنَ أو يُغَالِيَن * بالطَّرفِ والتَّلَدِ وأن لا يُحْفِيَن
وأهل ما حَبَبْنَا أن يُقَفِّيَن * وأهل ما أَعْقَبْنَا أن يُحْزِيَن
أليس عزُّ الناسِ فيما أَلْيَن * والحسب الزاكي إذا ما يُقَنِّيَن
والأجر والزَّيْن إذا رِيَمَ الزَّيْن * كم من كريم جدَّه قد أَعْلِيَن
وكم طريد خائف قد أُنْجِيَن * ومن فقير عائل قد أَغْنِيَن
وكم برأس في لبان أَجَرِيَن * وجسدٍ للعافياتِ أَعْمَرِيَن
وأهل حصنٍ ذى امتناع أَرْدِيَن * وكم لها في الغنم من ذى سهمين
يكون فيما اقتسموا كالرَّحْلَيْن * وكم وأنكحَن من ذى طَمَرِيَن
بغير مهر عاجل ولا دين * والخيل والخيرات في قرينين
لا تستكين عملا ما أُنْقِيَن * ما دام مَحٌّ في سُلَامِي أو عين
ما بلل الصوفة ماءً البحرِين ^(٣)

(١) يقال لها باني أنت، كناية عن الاحتفاظ بها . (٢) يُؤَثَّرَن . (٣) في اللسان : وصوف البحر شيء على شكل هذا الصوف الحيواني واحدة صوفة وفي الأبديات : لا آتيك ما بل بجر صوفة .

وأشدني أبو حاتم عن أبي عبيدة . قال : وقال لي أبو عبيدة لا أعرف قائل
هذا الشعر وعروضه لا يخرج . قال أبو حاتم : أحسبه لعبد الغفار الخزاعي
ذاك وقد أذعر الوحوشا * بصلت الخد رحب لبانه مجفرا^(١)
طويل خمس قصير أربعة * عريض ست مقلص حشور^(٢)
حدت له تسعة وقد عريت * تسع ففيه لمن رأى منظر^(٣)
ثم له تسعة كسين^(٤) وقد أرحب منه اللبان والمنخر^(٥)
بعيد عشر وقد قرب^(٦) له * عشر وخمس طالت ولم تقصر^(٧)

- (١) اللبان الصدر ومجفرا بفتح الفاء واسع الجفرة وهي من الفرس وسطه .
(٢) تعرض أبو صفوان الأسدي في قصيدة له الى مدح فرس وذكر أن ما طال منه تسع وفسرها
ابن الاعرابي بالعتق ووظيفي الرجلين والبطن والذراعين والفتحين . قال أبو علي القالي : وتفسيره غير
موافق لقول الشاعر لأنه ذكر عشرة أشياء وذكرها الشاعر تسعة ونقل عن أبي العباس أن هذا غلط من
الشاعر ثم ذكر أن الذي يستحب طوله في القوائم ثمانية : وظيفا الرجلين والذراعان والثمن وهي الشعر الذي
في مؤخر الرسغ . وقال : فإن كان الشاعر ذهب الى هذا وأراد معها العتق جازو صح قوله .
(٣) عددا صاحب القصيدة السالفة الذكر تسعة فقال ابن الاعرابي في تفسيرها هي أربعة : أرساغه
ووظيفا يديه وعسيبه وساقاه . (٤) عدت في القصيدة المذكورة ثمانية وقال ابن الاعرابي في تفسيرها
هي الفتذان والوركبان والأوظفة . (٥) حشور : متفخ الجنين .
(٦) ذكرت في تلك القصيدة ثمانية وقال ابن الاعرابي : حديد الثمان : عرقوباه وأذناه وقلبه ومنكبه .
كذا في أمالي أبي علي القالي ولم يذكر الثامن .
(٧) عدت في تلك القصيدة سبعة . قال ابن الاعرابي السبعة العارية : خذاه وجبته والوجه كله وقوائمه
فكل هذا يستحب فيه أن يكون عاريا من اللحم .
(٨) عدت في تلك القصيدة سبعة وقال ابن الاعرابي السبع المكسوة : الفتذان وحاميتاه . ووركاه
وحصيراجتيه وتمداتاه وهما في الصدر . وغير ابن الاعرابي يقول فهدتاه بالفاء . قال أبو علي القالي والصحيح
فهدتاه وهما الخمتان اللتان في الزور كالفهدين .
(٩) عد في تلك القصيدة ما قرب منه سبعا وما بعد سبعا وقال ابن الاعرابي السبع التي قربت يريد بها سبع
خصال صالحة قرب من منه وسبع خصال رديئة بعدن منه فليست فيه . ولم يبين هذه الخصال على وجه التفصيل .
(راجع قصيدة أبي صفوان الأسدي وشرحها في الأمالي من صفحة ٢٤٠ - ٢٥٣) .

تَقْفِيهِ بِالْمَحْضِ دُونَ وَلَدَتِنَا * وَعُضِّهِ فِي آرِيهِ ^(١) يُنْثَرُ
نَصْبَحُهُ تَارَةً وَنَغْبِقُهُ * أَلْبَابَ كَوْمٍ رَوَائِمٍ أَظْهَرُ
حَتَّى شَتَاً بَادِنًا يُقَالُ أَلَا * يَطْوُونَ مِنْ بَدْنِهِ وَقَدْ أَضْمِرُ ^(٢)
مُؤَوَّقُ الْخَلْقِ جَرَشَعٌ عَتِدَ ^(٣) * مُنْضَرَجُ الْخَضِرِ حِينَ يَسْتَحْضِرُ
حَاطِي الْحَمَاتَيْنِ لِحْمِهِ زَيْمٌ ^(٤) * نَهْدٌ شَدِيدُ الصَّفَاقِ وَالْأَبْهَرُ
رَقِيقٌ خَمْسٌ غَلِيظٌ أَرْبَعَةٌ * نَائِي الْمَعْدِنِ لِيَنَّ الْأَشْعَرُ ^(٥)

وقد فسرنا هذا الشعر في كتابي المؤلف في أبيات المهاني في خلق الفرس .

أُنشدنا أبو سعيد لبعض الصَّيَّيْنِ فِي وَصْفِ فَرَسٍ

مَتَقَاذِفٌ عِبِلُ الشَّوَى شَنِجُ النَّسَا * سَبَّاقٌ أُنْدِيَةُ الْحِيَادِ عَمِيثِلُ ^(٦)
وَإِذَا تَعَلَّلَ بِالسَّيَاطِ جِيَادُهُ * أَعْطَاكَ نَائِلُهُ وَلَمْ يَتَعَلَّلْ ^(٧)

قِيلَ لَهَا وَضَعْتَ حَرْبَ صَيِّفَيْنِ أَوْ زَارَهَا قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ

سَبَّتَ الْحَرْبُ فَأَعْدَدْتُ لَهَا * مُفَرَّعَ الْحَارِكِ مَرُورَى النَّبِجِ ^(٨)

(١) العُضُّ : العجينُ تُعلفه الأبل ، والقت ، والشعر والحفظة لا يشركهما شيء . (٢) الآرَى : الآخِيَّةُ وهي محبس الدابة . (٣) يقال ضمر الخيل تضميرا : علقها القوت بعد السمن كأضمرها . قاموس . (٤) الجرَشَعُ كقنفذ : العظيم الصدر المنتفخ الجنين . ومنضرج الخضر : شديد العدو . (٥) هكذا في النسخة الألمانية والقنوغرافية وذكر في أسفل النسخة الألمانية أن في بعض النسخ خاطي . وكلاهما غير مناسب للعين ولعلله خاطي بالخاء والظاء . المعجمتين فإن الحماتين من الفرس اللحمتان المجتمعتان في ظاهر الساقين من أعاليهما والخطاطي كما في لسان العرب المكتنز اللحم أو الغليظ الصلب . ولحمه زيم : مكتنز . والصفاق فمره الأصمعي في كتاب الفرس كما في لسان العرب الجلد الأسفل الذي تحت الجلد الذي عليه الشعر والأبهر : عرق في الظهر . (٦) المعدان : موضع دقي السرج . والأشعر : ما استدار بالخافر من منتهى الجلد . (٧) متقاذف ، سريع . وعبل الشوى : غليظ القوائم . والنسا : عرق من الورك إلى الكعب . وشنج النسا متقبضه وهو ممدح للفرس لأنه إذا شنج نسا لم تسترخ رجلاه . والعميثل الشيط . (٨) في القنوغرافية وما يتعلل وهذا إنما يصح إذا كانت القافية مرفوعة . على أنه في العقد الفريد أورد هذا الشعر على نحو ما في الصلب . (٩) الحارك أعلى الكاهل والنبيج ما بين الكاهل إلى الظهر .

جُرُشْعًا أعظمه جُفَرَّتُهُ * فاذا ابتلَّ من الماء حَرَجُ
يصل الشَّدَّ بشَدٍّ فاذا * ونت الخيلُ من الشَّدِّ معج^(١)

ووجدت في كتاب من كتب الروم أن من علامة قَرَاهَةِ المهر الحولى صغر رأسه
وشدة سواد عينيه وأن يكون مُحَدَّدَ الأذنين أَجْرَدَ باطنها كثيف العُرْفِ، في عرفه ميل
من قِبَلِ يمين راكبه عريض الصدر مرتفع الهادى معتدل العضدين مكثَرُ الجَنِينِ
طويل الذنب عريض الكفَلِ مستدير الخواصر صحيح باطنها، ومن علامة قَرَاهَةِ المهر
ألا يكون نَفُورًا [ولا يقف عند دابة إلا مع أمه] وإذا دفع الى عين أو نهر ماء لم يقف
لتجاوزه دابة فيسير بسيرها ولكنه يقطع ذلك النهر والعين .

قالوا ومما يسلم الله به الخيل من العين وأشباه ذلك أن يُجْعَلَ في أعناقها خرزة
من قرون الأيائل^(٢) .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن سفيان عن حصين بن عبد الرحمن
عن هلال بن إساف وعن سُحَيْمِ بْنِ نَوْفَلٍ قالا : كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود
ونحن نعرض المصاحف ، فجاءت جارية الى سيدها فقالت : ما يجلسك ؟ قم فأنتع لنا
راقيا فإن فلانا لقع مهرك بعينه فتركته يدور كأنه فلك . فقال عبد الله : لا تبغ راقيا
ولكن اذهب فأنتفت في منخره الأيمن أربعا وفي الأيسر ثلاثا ثم قل : بسم الله لا باس
لا باس أذهب الباس رب الناس وآشف أنت الشافي لا يكشف الضراء إلا أنت .
قال : فما قمنا حتى جاء الرجل فقال : قد فعلت الذى أمرتني به فبال وراث وأكل .
حدثني أبو حاتم عن أبي عبيدة أنه قال : اذا كان الفرس صُلُودًا لا يعرق سقيته
ماء قد دُفَّت فيه حَمِيرَةٌ أو علفته ضِعْمًا من هِنْدَبَاءٍ فان ذلك يُكثِرُ عرقه ، فان حِمْرًا دخلته^(٣)

(١) في الفتوغرافية « فاذا ونت الخيل من النَّجْجِ » . والشَّد : العدو . ومعج كنع : أسرع . (٢) الأيائل
جمع أيل وهو الوعل . (٣) يقال لقع فلانا بعينه : أصابه بها . (٤) حمر الفرس كفرح : سقى (نخم)
من أكل الشعير أو تغيرت رائحة فيه اد قاموس .

الحمام وأشمه عذرة . فقلت لأبي عبيدة : ما يدريك أن هذا كذا؟ فقال : خبرني به جل الهندي وكان بصيرا . قال : فإن أصابته مغلة وهي وجع البطن من أكل التراب أخذله شيء من بورقي فدق ونحل بفعل في ربع دوق من نمر فخن به وبّل تراب طيب ببول أتان حتى يصير طينا ثم لطخ به بطن الدابة . قال : ومما يذهب العرن دماغ الأرنب .

وقف الهيثم بن مطهر على باب الخيزران على ظهر دابته ، فبعث اليه الكاتب في دارها : أنزل عن ظهر دابتك فقد جاء في الأثر : لا تجعلوا ظهور دوابكم مجالس . فبعث اليه : إني رجل أعرج وإن خرج صاحبي خفت ألا أدركه . فبعث اليه : إن لم تنزل أنزلناك . قال : هو حبيس إن أنزلتني عنه إن أقصمته شهرا فانظر أيما خير له ، راحة ساعة أو جوع شهر؟ فقال : هذا شيطان ، أتركوه .

باب البغال والحمير

قال مسامة : ما ركب الناس مثل بغلة قصيرة العذار طويلة العنان . وكتب رجل الى وكيله : آتني بغلة حصاء الذنب طويلة العنق سوطها عنانها وهواها أممها . عاتب الفضل بن الربيع بعض بني هاشم في ركوبه بغلة ، فقال له : هذا مركب تطأطأ عن خيلاء الخيل وارتفع عن ذلة الحمار وخير الأمور أوساطها .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال أخبرنا أبو عمرو بن العلاء : قال دفع أبو سيارة بأهل المزدلفة أربعين سنة على حمار لا يعتل ، فقالت العرب : «أصح من غير أبي سيارة» قال رجل للفضل الرقاشي وهو جده معتبر لأمه : إنك لتؤثر الحمير على جميع المركوب ، فلم ذلك؟ قال : لأنها أكثرها مرفقا . قال : وما ذاك؟ قال : لا تستبدل بالمكان على

(١) في الفتوغرافية " انسان " .

قدر اختلاف الزمان ثم هي أقلها داء وأيسرها دواء وأسلم صريعا وأسهل تصريفا وأخفض مهوى وأقل حماحا وأشهر فأريها وأقل نظيرا ويذهب رايه وقد تواضع بركوبه، ويكون مقتصدا وقد أسرف في ثمنه . وقال خالد بن صفوان في وصف حمار: قد أركبه عيرا من بنات الكدّاد^(١) أصحّر السربال^(٢) مُحلّج القوائم يحمل الرجل^(٣)ة ويبلغ العقبة ويمتني أن أكون جبّارا عنيدا .

وقال رجل لنخاس : اطلب لي حمارا ليس بالكبير المشتهر ولا القصير المحتقر ولا يُقدّم تقحّا ولا يحجم تبليدا^(٤) يتجنب بي الزحام والرّجّام والإكام خفيف اللّجام اذا ركبته هام واذا ركبه غيرى قام، إن علفته شكر، وإن أجمعته صبر. فقال له النخاس : إن مسح الله القاضى زيادا حمارا رجوت أن أصيب لك حاجتك إن شاء الله . وقال رجل لآخر يوصيه : خذ من الحمار شكره وصبره ومن الكلب نصحه لأهله ومن الغراب كتمانَه للسّفاد .

جريح بن عبد الله عن أبيه قال : لا تركب حمارا فانه إن كان فارها أتعب يديك وإن كان بليدا أتعب رجلك .

باب في الإبل

الهيثم قال قال ابن عباس^(٥) : لا تشتري خمسة من خمسة : لا تشتري فرسا من أسدى ولا جملا من نهدي ولا عيرا من تميمي ولا عبدا من بجلي . ونسب الهيثم الخامس ، يريد أن أهل هذه القبائل عظام الحدود في هذه الأشياء . قيل لبني عباس : أى الإبل

(١) نقل تنسب إليه الحر . قاموس . (٢) كذا بهامش النسخة الألمانية عن نسخة أخرى وفيها كما في الفتوغرافية «يتجنب» . (٣) في النسخة الفتوغرافية «عبدالحديد» وهما واردان معا في كتب التراجم . (٤) كذا بالفتوغرافية وفي الألمانية «ابن عباس» ولعل رواية الفتوغرافية أصح اذ لم تنف في ترجمة ابن عباس على ان الهيثم روى عنه ، ولعل ههنا هذا هو الهيثم بن خزيمة الخراساني فقد روى عن إسماعيل بن عباس كما في تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني .

أصبر عليكم في محاربتكم ؟ قال الرُّمكُ الحَمَّاد . قيل : فأى الخيل وجدتكم أصبر ؟
قالوا : الكُتَّ الحَقَّ . قيل : فأى النساء وجدتكم أصبر ؟ قالوا : بناتِ العم .

المدائني قال قال شُبَّة بن عِقَال : أقبلت من اليمن أريد مكة وخفت أن يفوتني
الحج ، ومعى ثلاثة أجمال فمررت برجل من أهل اليمن على ناقه له فطويته فلما جُرَّته
قام بي بعير لى ثم آخر ثم قام الآخر فظننت أن الحج يفوتنى فتربى اليماني فقال :
مررت بنا ولم تسلم ولم تعرّض . فقلت : أجل يرحمك الله . قال : أنتطيب نفسا عما
أرى ؟ قلت : نعم . فنزل فأرخى أنساع رَحْله ثم قدمه فكاد يضعه على عنقه ثم شدّه
وقال لى : لولا أنك لا تضبط رأسها لقدمتك . ثم قال لى : خذ حُرَّ متاعك إن
لم تطب نفسا به ففعلت ، ثم ارتدفتُ بفعلت تعوم عوما ثم انسلت كأنها ثعبان يسيل
سيلا كالنساء فما شعرت حتى أراى الأعلام وقال : أسمع ؟ فسمعت أصوات الناس
فاذا نحن بجمع^(٢) ، فقضيت حِجَّتى ، وكان قال لى : حاجتى اليك ألا تذكر هذا فان هذه
عندى أثر من ولاية العَرُوض يعنى مكة والمدينة ، أدرك عليها الثأروهى ثمّال العيال
وأصيد عليها الوحش وأوافى عليها الموسم فى كل عام من صنعاء فى أقل من غيب
الجمار فسألته : من أين هى ؟ قال : بُجَاوِيَّة من هَوَامِي نتاج^(٣) [بدو] بجيلة الأولى وهى من
المهاري التى يذكر الناس .

[وكتب سليمان بن عبد الملك الى عامله : أصب لى نجائب كراما . فقدم رجل
على جمل سُبَاعِي عظيم الهامة له خَلَق لم يروا مثله قط فساموا ، فقال : لا أبيعته .
قالوا : لا ندعك ولا نغصبك ولكننا نكتب الى أمير المؤمنين بسببه . قال : فهلا خيرا
من هذا ؟ قالوا : ما هو ؟ قال : معكم نجائب كرام وخيل سابقة ، فدعوني أركب

(١) فى الفتوغرافية "قد كان ذاك رحل الله" . (٢) هى المزدلفة وسميت بذلك لاجتماع الناس بها .

(٣) زيادة فى النسخة الألمانية .

جمل وأبعثه وأتبعوني فإن لحقتموني فهو لكم بغير ثمن . قالوا : نعم . فدنا منه فصباح في أذنه ثم أثاره فوثب وثبة شديدة فجاثم أنبعث وأتبعوه فلم يدروا كيف أخذ، ولم يروا له أثرا فجعل أهل اليمن علما على وثبته يقال له : الكفلان .

أخبار الجبناء

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه الأصمعي قال : أرسل عبيد الله بن زياد رجلا في ألفين إلى مرداس بن أدية وهو في أربعين فهزمه مرداس فعتقه ابن زياد وأغلظ له فقال : يشتمني الأمير وأنا حي أحب إلى من أن يدعوني وأنا ميت . فقال شاعر الخوارج

أألفا مؤمن منكم زعمتم * ويهزمهم بأسك أربعونا
كذبتم ليس ذلكم كذاكم * ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة قد علمتم * على الفئة الكثيرة ينصرونا

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن عون عن الحسن قال ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما ألتقت فئتان قط إلا وكف الله بينهما فإذا أراد أن يهزم إحدى الطائفتين أمال كفه عليها » . [ورفع معاوية ^(١) شُدوته بيده وقال : لقد علم الناس أن الخيل لا تجرى بمثل ، فكيف قال النجاشي

ونجى ابن حرب سابق ذو علالة * أجش هزيم والرماح دواني]
ابن دأب قال ، قال عمرو بن العاص لمعاوية : لقد أعياني أن أعلم أجبان أنت أم شجاع ؟ فقال

شجاع إذا ما أمكنتني فرصة * وإلا تكن لي فرصة بخبان

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

شهد أبو دُلّامة حرباً مع رَوْح بن حاتم فقال له : تقدم فقاتل . فقال
 إني أعوذ بِرَوْح أن يقدمني * إلى القتال فتخزى بي بنو أسد
 إن المهلب حبّ الموت وترنكم * ولم أُوْرث^(١) حبّ الموت عن أحد
 أبو المنذر قال ، حدثنا زيد بن وهب قال ، قال لي علي بن أبي طالب رضي الله
 عنه : عجبا لابن النابغة ! يزعم أني تلعبه أعافيس وأماريس ! أما وشتر القول أكذبُه ،
 إنه يسأل فيلحِف ويُسأل فيبخل ، فإذا كان عند البأس فانه أمرؤ زاجر ما لم تأخذ
 السيوف مأخذها من هام القوم ، فإذا كان كذلك كان أكبرهم أن يُبرِقط ويمنَح
 الناس آستَه . قبحه الله وترّجه . وقال الفرّار السُّلَمي

وكتيبة لبسُها بكتيبة * حتى إذا التبت نفضتُ بها يدي
 وتركتم تقصُ الرماحُ ظهورهم * من بين منجِدِل وآثر مسند
 ما كان ينفعني مقال نسائهم * وقُلت دون رجالهم : لا تبعدُ

وقال آخر

أضحت تشجيني هند وقد علمت * أن الشجاعة مقرون بها العطب
 لا والذي حجت الأنصار كعبته * ما يشتهي الموت عندي من له أرب^(٢)
 للحرب قوم أضل الله سعيهم * إذا دعّتهم إلى حوْبائها وثبوا^(٣)
 ولست منهم ولا أبغى فعالمهم * لا القتل يعجبني منها ولا السلب
 وقال أيمن بن خريم

إن للفتنة ميطا يدي^(٤) * فرويد الميط منها يعتدل

- (١) كذا بالنسخين ، وفي الأغاني : « وما وُِث اختيار الموت عن أحد » .
 (٢) رواه في العقد الفريد « لا والذي منع الأبصار رؤيته » . (٣) في النسخة الألمانية « نيرانها » .
 (٤) هكذا في النسخين الألمانية والفتوغرافية ، وفي العقد الفريد « عاجلا » .

فإذا كان عطاء فأتهم * وإذا كان قتال فاعتزل
إنما يُسْعِرُهَا جُهَاًلَهَا * حطب النار فدعها تشتعل

وقال آخر

كُلُّقِي الْأَعْنَةَ مِنْ كَفِّهِ * وَقَادَ الْجِيَادَ بِأَذْنَانِهَا

وقال جرّان العودى الدهش

يوم ارتحلّت برحلى قبل تودعنى * والقلب مستوهِلٌ بالبين مشغول
ثم اعتضضتُ على نضوى لأدفعه * إثر الجُمُولِ الغَوَادِي وهو معقول^(١)

كان خالد بن عبيد الله من الجبناء خرج عليه المغيرة بن سعيد صاحب المغيرة [من
الرافضة] وهو من بَجِيلَةٍ فقال من الدهش : أطعموني ماء . فذكره بعضهم فقال^(٢)

عاد الظلوم ظليماً حين جدّ به * واستطعم المساء لما جدّ في الحرب ١٠

وقال عبيد الله بن زياد إما للكنة فيه أو لجن أو دهشة : افتحوا سيوفكم .

وقال ابن مفرغ الحميري

ويوم فتمحت سيفك من بعيد * أضعت وكل أمرك للضبايع

وكان معاوية يتمثل بهذين البيتين كثيراً

أكان الجبان يرى أنه * سيقتل قبل انقضاء الأجل ١٥

فقد تدرك الحادثات الجبان * ويسلم منها الشجاع البطل

وقال خالد بن الوليد : لقد لقيت كذا وكذا زحفا وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه

طعنة أو ضربة أو رمية ثم ها أنا أموت على فراشي حتف أنفي ، فلا نامت أعين الجبناء .^(٣)

(١) كذا بالنسخة الألمانية ولا معنى له ، وفي الفتوغرافية « اعترت » بالراء المهملة وهو محرف عن

« اغترزت » بالزاي المعجمة ومعناه ركبت وأصله وضع الرجل في الفرز وهو الركاب . (٢) في النسخة

الألمانية « وهو مولى لبجيلة » . (٣) كذا بالنسخة الفتوغرافية . وفي النسخة الألمانية « أموت

على فراشي كما يموت العير » وفي العقد الفريد « ثم ها نذا أموت حتف نفسي كما يموت العير » .

[^(١) قيل لأعرابي : ألا تغزوا فإن الله قد أندرك . قال : والله إنى لأبغض الموت على فراشي فكيف أمضى إليه ركضاً !] وقال قِرَوَاشُ بن حَوْط وذَكَرَ رجلين صَبْعاً مُجَاهِرَةً وَلَيْثاً هُدْنَةً * وَثُعَيْلِباً تَحْمَرُ إِذَا مَا أَظْلَمَا

وقال عبد الملك بن مروان في أمية بن عبد الله بن خالد
إِذَا صَوْتُ الْعَصْفُورِ طَارَ فَوَادِهِ * وَلَيْثٌ حَدِيدُ النَّابِ عِنْدَ الثَّرَائِدِ
وَنَحْوُهُ قَوْلُ الْآخَرِ^(٢)

ولو أنها عصفورة لحسبتها * مُسَوِّمَةٌ تَدْعُو عُيَيْدًا وَأَزْمَنَا
وقال الله جل وعز (يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ) .

ومن أشعار الشُّطَّارِ فِي الْجَبَانِ

رَأَى فِي النَّوْمِ إِنْسَانًا * فَوَارَى نَفْسَهُ أَشْهَرًا^(٣)

قال ابن المقفع : الجبن مقتلة والحرص محرمة فانظر^(١) (فياً رأيت وسمعت) : من قُتِلَ في الحرب مقبلاً أكثر أم من قُتِلَ مدبراً؟ وانظر من يطلب اليك بالإجمال والتكرم أحق أن تسخو نفسك له بالعطية أم من يطلب اليك بالشره والحرص ؟ وقال حَنْشُ^(٤) ابن عمرو

وَأَتَمَّ سَمَاءٌ يَعْجَبُ النَّاسُ رِزْهًا * لَهَا زَجَلٌ بَاقٌ شَدِيدٌ وَيَدُّهَا
تَقْطَعُ أَطْنَابَ الْبُيُوتِ بِحَاصِبٍ * وَأَكْذَبُ شَيْءٍ بَرَقُهَا وَرَعُودُهَا
فَوَيْلٌ لَهَا خَيْلاً تَهَاوَى شِرَارُهَا * إِذَا لَاقَتْ الْأَعْدَاءَ لَوْلَا صَدُودُهَا

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) هو العوام بن شوذب الشيباني . (٣) هكذا في النسختين
الفتوغرافية والألمانية وفي العقد الفريد "عصفورا" .

(٤) نسب هذه الأبيات في الحماسة لقراد بن حنش الصاردي وروى البيت الأول

وَأَتَمَّ سَمَاءٌ يَعْجَبُ النَّاسُ رِزْهًا * يَابِدَةُ تَحْيَى شَدِيدٌ وَيَدُّهَا

والثالث فَوَيْلٌ لَهَا خَيْلاً تَهَاوَى وَشَارَةً * إِذَا لَاقَتْ الْأَعْدَاءَ لَوْلَا صَدُودُهَا

وقال الفرزدق أو البعيث

سائل سَلِيْطًا إِذَا مَا الْحَرْبُ أَفْرَعَهَا * مَا بَالُ خَيْلِكُمْ قُعْسًا هَوَادِيَهَا

لا يرفعون إلى دأج أعنتها * وفي جواشئها داء يُجَافِيهَا

- كان بالبصرة شيخ من بني نهشل يقال له عروة بن مرثد ويكنى أبا الأغرّ ينزل
 ٥ بنى أخت له في سكة بنى مازن، وبنو أخته من قريش، فخرج رجالهم إلى ضياعهم
 في شهر رمضان وخرج النساء يصلين في مسجدهم فلم يبق في الدار إلا الإماء فدخل
 كلب يعتس فرأى بيتا فدخله وأنصفق الباب فسمع الحركة بعض الإماء فظنوا أن لصا
 دخل الدار فذهبت إحداهن إلى أبي الأغر فأخبرته، فقال أبو الأغر: ما يبتغي اللص؟ ثم
 أخذ عصاه وجاء فوقف على باب البيت وقال: إيه يا ملأمان، أما والله إنك بي لعارف
 ١٠ فهل أنت إلا من لصوص بنى مازن شربت حامضا خبيثا حتى إذا دارت القدوح
 في رأسك منتك نفسك الأمانى وقلت: أطرق ديار بنى عمرو والرجال خُوف والنساء
 يصلين في مسجدهم فأسرقهم. سوء لك، والله ما يفعل هذا ولد الأحرار، وأيم الله
 لتخرجن أولاهن هتفة مشؤومة يلتق فيها الحيان عمرو وحظلة وتجيء سعد بعدد
 الحصى وتسيل عليك الرجال من هاهنا ومن هاهنا ولئن فعلت لتكونن أشأم مولود.
 فلما رأى أنه لا يجيبه أحد أخذ باللين فقال: اخرج بأبي وأمي، أنت مستور، إني
 ١٥ والله ما أراك تعرفني ولو عرفتنى لقنعت بقولي واطمأنت إلى. أنا — فديتُك —
 أبو الأغرّ النهشلي، وأنا خال القوم وجِلْدَة بين أعينهم لا يعصوني، ولن تضارّ الليلة
 فانخرج فأنت في ذمتي وعندى قوصرتان أهدهما إلى ابن أختي البار الوصول فخذ
 إحدهما فانتبذها حالا من الله ورسوله. وكان الكلب إذا سمع الكلام أطرق وإذا
 ٢٠ سكت وثب يُريغُ المخرج، فتهاتف أبو الأغرّ ثم تضحك وقال: يا ألام الناس
 وأوضعهم، لا أرى إلا أنى لك الليلة في واد وأنت لى في واد، أقلب السوداء

والبيضاء فُصِيخَ وَطُورِقَ ، وإذا سَكَتَ عَنْكَ وَثَبْتَ تُرْبِغَ المَخْرَجَ ، والله لتُخْرِجَنَّ
أولَ الْجَنِّ عَلَيْكَ البيتَ . فلما طال وقوفه جاءت إحدى الإماء فقالت : أعرابي
مجنون ، والله ما أرى في البيت شيئا ، فدفعت الباب فخرج الكلب شَدًّا وحاد عنه
أبو الأغر ساقطا على قفاه ، ثم قال : يا الله ما رأيت كالليلة ! والله ما أراه إلا كلبا ،
أما والله لو علمت بحاله لولحت عليه .

وشبهه بهذا حديث لأبي حية الثمري ، وكان له سيف ليس بينه وبين الخشبة فرق ،
وكان يسميه لُعَابَ المِنية . قال جاره : أشرفت عليه ليلة وقد آتتضاه وشمّوهو
يقول : أيها المغترّبنا والمجتريّ علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك ، خير قليل وسيف
صقيل ، لعاب المِنية الذي سمعت به ، مشهور ضربته لا تخاف نبوته . أخرج بالعفو
عنك ، إلا دخلتُ بالعقوبة عليك ، إني والله إن أدعُ قيسا تملأ الأرض خيلا
ورَجَلا . يا سبحان الله ، ما أكثرها وأطيبها ! ثم فتح الباب فاذا كلب قد خرج ،
فقال : الحمد لله الذي مسخك كلبا وكفاني حربا .

وقرأت في كتاب كيلة ودمنة : يخاف غير الخوف طائر يرفع رجله خشية السماء
أن تسقط ، وطائر يقوم على إحدى رجله حذار الخسَف إن قام عليهما ، ودودة تأكل
التراب فلا تشبع خوفا أن يفنى إن شيعت فتجوع ، والخفافيش تستتر بالنهار حذار
أن تُصطاد لحسنها .

بينما عبد الله بن خازم السلمي عند عبيد الله بن زياد إذ دُخِلَ عليه بِجُرَدٍ أبيض
فعجب منه وقال : يا أبا صالح هل رأيت أعجب من هذا ؟ وإذا عبد الله قد تضاءل
حتى صار كأنه فرخ وأصفَر حتى كأنه جرادةٌ كَر . فقال عبيد الله : أبو صالح يعصى
الرحمن ويتهاون بالشیطان ويقبض على الثعبان ويمشي إلى الأسد الورْد ويلقى الراح
بوجهه قد اعتراه من هذا الجُرْد ما ترون ! إن الله على كل شيء قدير !

(١) كذا بالنسخين ، وفي العقد الفريد : « ويتهاون بالسلطان » .

كان الحارث بن هشام أخو أبي جهل بن هشام شهد بدرا مع المشركين وانهزم، فقال فيه حسان

إن كنت كاذبة الذي حدثتني * فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأجابة لم يقاتل دونهم * ونجا برأس طيمرة وجام
فاعتذر الحارث من فراره وقال

الله يعلم ما تركت قتاهم * حتى علوا فرسى بأشقر مُزبد
وعلمت أنى إن أقاتل واحدا * أقتل ولا يضرر عدوى مشهدي
فصددت عنهم والأجابة فيهم * طمعا لهم بعقاب يوم مقسد^(١)

وأسلم يوم فتح مكة وحسن إسلامه ، ونخرج في زمن عمر من مكة الى الشام بأهله وماله ، فأتبعه أهل مكة يبعون ، فرق وبكى ثم قال : أما إنا لو كنا نستبدل دارا بدارنا وجارا بجارنا ما أردنا بكم بدلا ، ولكنها النقلة الى الله ، فلم يزل هنالك مجاهدا حتى مات .

المدائني قال : رأى عمرو بن العاص معاوية يوما يضحك فقال له : مم تضحك يا أمير المؤمنين أضحك الله سنك ؟ قال : أضحك من حضور ذهنك عند إبدائك سوءتك يوم ابن أبي طالب ، أما والله لقد وافقته منانا كريما ، ولو شاء أن يقتلك لقتلك . قال عمرو : يا أمير المؤمنين أما والله إني لعن يمينك حين دعاك الى البراز فاحولت عينك ور با سحر وك بدا منك ما أكره ذكره لك فمن نفسك فاضحك أودع .

وقدم الحجاج على الوليد بن عبد الملك فدخل وعليه درع وعمامة سوداء وقوس عربية وكأنه ، فبعثت اليه أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان فقالت : من هذا الأعرابي المستلثم في السلاح عندك وأنت في غلالة ؟ فبعث اليها أنه الحجاج ، فأعادت

(١) هكذا في النسختين الألمانية والفتوغرافية ، والذي في المعارف للصف " يوم سرمد " .

الرسول اليه، فقال : تقول لك والله لأن يخلو بك ملك الموت أحياناً أحب إلى من أن يخلو بك الحجاج، فأخبره بذلك الوليد وهو يمازحه، فقال : يا أمير المؤمنين، دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول فانما المرأة رِيحانة وليست قَهْرَمَانَةً فلا تُطلعها على سرِّك ومكيدة عدوك . فلما دخل الوليد أخبرها بمقالة الحجاج فقالت : يا أمير المؤمنين حاجتي أن تأمره غداً بأن يأتيني مستلماً، ففعل ذلك وأتاها الحجاج فحجبتة فلم يزل قائماً، ثم قالت : إيه يا حجاج، أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتال ابن الزبير وابن الأشعث، أما والله لو لا أن الله علم أنك شر خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة الحرام ولا بقتل ابن ذات النطاقين أول مولود ولد في الاسلام، وأما نهيك أمير المؤمنين عن مفاكهة النساء وبلوغ لذاته وأوطاره فان كنتَ ينفرجنَ عن مثله فغير قابل لقولك، أما والله لقد نقض نساء أمير المؤمنين الطيب من غداً رهن فيعنه في أعطية أهل الشام حين كنت في أضيق من القرن قد أظلتك رماحهم وأثنك كفاحهم وحين كان أمير المؤمنين أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم فأنجاك الله من عدو أمير المؤمنين بحبهم إياه، قاتل الله القائل حين نظر إليك وسنان غزالة بين كتفيك

أسد على وفي الحروب نعامة * فتخاء تنفر من صغير الصافر

هلاكررت على غزالة في الوغى * بل كان قلبك في جوانح طائر

وغزالة امرأة شبيب الخارجي . ثم قالت : أخرج * نفرج .

وكان في بني ليث رجل جبان بخيل نفرج رهطه غازين وبلغ ذلك ناساً من بني سليم وكانوا أعداء لهم فلم يشعر الرجل إلا بخيل قد أحاطت بهم فذهب يفر فلم يجد مقرأ، ووجدهم قد أخذوا عليه كل وجه فلما رأى ذلك جلس ثم ثل كنانته وأخذ قوسه وقال

(١) في النسخة الفوتوغرافية "القوت" . (٢) هو عاصم بن ثابت كما في اللسان مادة (عنب) ورواه

ما على وأنا طب خائل * والقوس فيها وتر عابِل

* ترل عن صفحته المعابِل *

ما علّتي وأنا جلد نابل * والقوس من نبع لها بلايل
يرز فيها وترعنايل * ان لم أقاتلكم فأمتي هابل
أكل يوم أنا عنكم ناكل * لا أطعم القوم ولا أقاتل
* الموت حق والحياة باطل *

- ٥ ثم جعل يرميهم حتى ردهم * وجاءهم الصريح وقد منع الحى * فصار بعد ذلك شجاعا سمحا معروفا .

ولما قتل عبد الملك مصعب بن الزبير وجه أخاه بشر بن مروان على الكوفة ووجه معه روح بن زنباع الجذامي كالوزير، وكان روح رجلا عالميا داهية غير أنه كان من أجبن الناس وأبخلهم ، فلما رأى أهل الكوفة من بخله مارأوا تحوفوا أن يفسد عليهم أمرهم وكانوا قد عرفوا جبنه فاحتالوا في إخراجهم عنهم فكتبوا ليلا على بابهم ١٠
إن ابن مروان قد حانت منيته * فاحتل لنفسك ياروح بن زنباع

فلما أصبح ورأى ذلك لم يشك أنه مقتول فدخل على بشر فاستأذنه في الشخوص فأذن له وخرج حتى قدم على عبد الملك فقال له : ما أقدمك ؟ قال : يا أمير المؤمنين تركت أخاك مقتولا أو مخلوعا . قال : كيف عرفت ذلك ؟ فأخبره الخبر فضحك ١٥
عبد الملك حتى غصّ برجليه ، ثم قال : احتال لك أهل الكوفة حتى أخرجوك عنهم .
كان أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد وجه إلى أبي فديك فانهزم وأتى الحجاج بدواب من دواب أمية قد وسم على أنفاذها "عدّة" فأمر الحجاج فكتب تحت ذلك : "للفرار" .

[وقال عمر رضي الله عنه : إن الشجاعة والجن غرائز في الرجال ، تجد الرجل ٢٠
يقاتل عن لا يبالى ألا يؤوب إلى أهله ، وتجد الرجل يفر عن أبيه وأمه ، وتجد الرجل
يقاتل ابتغاء وجه الله فذلك هو الشهيد] .

وقال الشاعر

يفتر الجبان عن أبيه وأمه * ويمحي شجاع القوم من لا يناسبه

باب من أخبار الشجعاء والفرسان وأشعارهم

حدثني أبو حاتم قال حدثني الأصمعي قال سمعت الحرسي يقول: رأيت من الجبن والشجاعة عجبا . استترنا من مزرعة في بلاد الشام رجلين يُدريان حنطة، أحدهما أصيفر أحيمس^(١) والآخر مثل الجمل عطاء، فقاتلنا الأصيفر بالمدرى لا تدنو منه دابة إلا نحس أنفسها وضربها حتى شق علينا فقتل ، ولم نصل الى الآخر حتى مات فرقا فأمرت بهما فبقرت بطونهما فإذا فؤاد الضخم يابس مثل الحشفة، وإذا فؤاد الأصيفر مثل فؤاد الجمل يتخضخض في مثل كوز من ماء .

وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا أبو عمرو الصَّفَّار قال : حاصر مسلمة حصنا فندب الناس الى نقب منه ، فما دخله أحد . بجاء رجل من عُرُض الجيش فدخله ففتحه الله عليهم ، فنادى مسلمة : أين صاحب النقب ؟ فما جاءه أحد ، فنادى : إني قد أمرت الأذن بإدخاله ساعة يأتي ، فعزمتُ عليه إلا جاء . بجاء رجل فقال : استأذن لي على الأمير . فقال له : أنت صاحب النقب ؟ قال : أنا أخبركم عنه . فأتى مسلمة فأخبره عنه ، فأذن له فقال له : إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثا : ألا تسودوا اسمه في صحيفة [الى الخليفة] ولا تأمروا له بشيء ، ولا تسألوه من هو . قال : فذاك له . قال : أنا هو . فكان مسلمة لا يصلي بعدها صلاة إلا قال : اللهم اجعلني مع صاحب النقب .

(١) كذا بالألمانية ، وفي الفتوغرافية "أخينس" ولعله "أحيش" مصغرا أحش وهو دقيق الساقين .

(٢) في الألمانية "عثات" وله شعر عليه في كتب التراجم ، ولعله حماد بن واقد أبو عمرو الصَّفَّار كما في كتب التراجم . (٣) زيادة في الألمانية .

حدثني محمد بن عمرو الجرجاني قال كتب أنوشروان إلى مرازبته : عليكم بأهل
الشجاعة والسخاء فإنهم أهل حسن الظن بالله تعالى . وذكر أعرابي قوما تحاربوا
فقال : أقبلت الفحول تمشي مشى الوُعول ، فلما تصاحفوا بالسيوف فغرت المتايا
أفواهها . وذكر آخر قوما اتبعوا قوما أغاروا عليهم فقال : آحشوا كلَّ جمالية عيرانية
فما زالوا يَخْصِفون أخفاف المِطَيَّ بجوافر الخيل حتى أدركوهم بعد ثلاثة فجعلوا المِرَّانَ
أرشيّة الموت وأستقوا بها أرواحهم .

حدثني عبد الرحمن عن عمه عن رجل من العرب قال : انهزمتنا من قطري
وأصحابه فأدركني رجل على فرس فسمعت حسا منكرا خلفي ، فالتفتُ فإذا أنا بقطري
فيئست من الحياة فلما عرفني قال : آشدُّ عنانها وأوجعُ خاصرتها قطع الله يديك .
قال : ففعلت فنجوت منه .

١٠

وحدثني عبد الرحمن عن عمه قال : لما غرق شبيب ^(١) [قالت امرأة : الغرق
يا أمير المؤمنين ، قال ذلك تقدير العزيز العليم قال فـ] أخرج فسُق بطنه وأخرج فؤاده
فإذا مثل الكوز ، فجعلوا يضربون به الأرض فينزو .

حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال أخبرنا صاحب لنا عن أبي عمرو بن العلاء
قال : لما كان يومُ الكلاب خرج رجل من بني تميم ، أحسبه قال : سَعْدِيُّ ، فقال :
لو طلبتُ رجلا له فداءُ ! قال : فخرجت أطلبه ، فإذا رجل عليه مَقْطَعَة يمانية على
فرس ذنوب ، فقلت له : على يمينك . قال : على يساري أَقْصِدْ لِي . قلت : أيَّات
منك الين . قال : العراق مني أبعد . قلت : وتالله لا ترى أهلك العام . قال
لا والله ولا أهلك لا أراهم . قال : فتركته ولما كان بعد أيام ونعتُ نعتَه بعد ذلك ،
فقليل لي : هو وعلّةُ الجرمي .

٢٠

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

حدثنا محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن هشام عن محمد ابن سيرين قال : بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه الأحنف بن قيس على جيش قبل خراسان فيبتهم العدو ليلا وفرقوا جيوشهم أربع فرق وأقبلوا معهم الطبل ففرع الناس وكان أول من ركب الأحنف فأخذ سيفه وتقلده ثم مضى نحو الصوت وهو يقول

إني على كل رئيس حقاً * أن يحضب الصعدة أو تدقاً

ثم حمل على صاحب الطبل فقتله ، فلما فقد أصحاب الطبل الصوت انهزموا . ثم حمل على الكردوس^(١) الآخر ففعل مثل ذلك وهو وحده ، ثم جاء الناس وقد انهزم العدو فاتبعوهم يقتلونهم ، ثم مضوا حتى فتحوا مدينة يقال لها مرو الروذ .

سأل ابن هبيرة عن مقتل عبد الله بن خازم ، فقال رجل ممن حضر : سألنا وكيع ابن الدؤرية كيف قتلته ؟ قال : غلبته بفضل فتاء كان لى عليه فصرعته وجلست على صدره وقلت له : يا لئارات دؤيلة . يعنى أخاه من أبيه . فقال من تحتى : قتلك الله ! تقتل كبش مضر بأخيك وهو لا يساوى كف نوى ! ثم تنخم فلا وجهى نحامة ، فقال ابن هبيرة : هذه والله البسالة ! استدلل عليها بكثرة الريق فى ذلك الوقت .

قال هشام لمسلمة : يا أبا سعيد هل دخلك دعر قط لحرب^(٢) [أو عدو] قال : ما سلمت فى ذلك من دعر ينبه على حيلة ولم يغشني فيها دعر سلبنى رأيى . قال هشام : هذه البسالة .

خرج رهم بن حزم الحلالى ومعه أهله وماله يريد الثقلة من بلد الى بلد فلقيه ثلاثون رجلا من بنى تغلب فعرفهم ، فقال : يا بنى تغلب ، شأنكم بالمال وخلوا

(١) الكردوس : الكتبة من الخيل فى الحرب . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

(٣) فى النسخة الألمانية « زهير » ولم نعر على ما يرجح احدى الروايتين .

الظعينة . فقالوا : رضينا إن ألقيتَ الرمح . قال : وإن رمحي لمحي . وحمل عليهم
فقتل منهم رجلا وصرع آخر وقال

رُداً على آخرها الأتالياً * إن لها بالمشرفي حادياً
■ ذكّرتني الطعنَ وكنتُ ناسياً *

قال الزبيري : ما أستجيا شجاع أن يفتر من عبد الله بن خازم السلمى وقطري
ابن الفجاءة .

أبو اليقظان قال : كان حبيب بن عوف العبدي فاتكاً، فلقى رجلاً من أهل الشام
قد بعثه زياد ومعه ستون ألفاً يتجر بها فسايره، فلما وجد غفلة قتله وأخذ المال فقال
يوماً وهو يشرب [على لذته ^(١)] .

يا صاحبي أقلاً اللوم والعذلاً * ولا تقولاً لشيء فات ما فعلاً
رُداً على كُتبت اللون صافية * إني لقيت بأرض خاليا رجلاً
ضخم الفرائص لو أبصرت قمته * وسط الرجال إذن شبهته جملاً
ضاحكته ساعة طوراً وقلت له * أنفقتَ بيعك إنريثاً وإن عَجلاً ^(٢)
سايرته ساعة ما بي مخافته * إلا التلقت حولى هل أرى دغلاً
غادرته بين آجامٍ ومسبحة * لم يدر غيري بعدى بعد ما فعلاً
يدعو زياداً وقد حانت منيته * ولا زياداً لمن قد وافق الأجل

المفضل الضبي : كان سليل بن سلكة التيمي من أشد فرسان العرب وأذكهم
وأدل الناس بالأرض وأجودهم عدواً على رجله لا تعلق به الخيل وكانت أمه سوداء
وكان يقول : اللهم إنك تهني ما شئت لما شئت إذا شئت ، اللهم إني لو كنت
ضعيفاً كنت عبداً ولو كنت امرأة كنت أمة ، اللهم إني أعوذ بك من الخيبة ،

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) في الفتوغرافية : « إن زينا وإن عسلاً » .

فأما الهيبة فلا هيبة . وأملق حتى لم يبق له شيء ، فخرج على رجله رجاء أن يصيب
غرة من بعض من يمر عليه فيذهب بإبله ، حتى إذا أمسى في ليلة باردة مقمرة
واشتمل الصَّماء ونام إذا هو برجل قد جثم على صدره وقال : استأسر . فرفع سليك رأسه
وقال : « إن الليل طويل وأنت مُقِمِر » بخرى مثلاً ، وجعل الرجل يلهزه ويقول :
استأسر يا خبيث ، فلما آذاه ضمه إليه ضمةً ضَرَطَ منها وهو فوقه ، فقال له سليك :
« أَضِرَّطًا وأنت الأعلى » بخرى مثلاً ، ثم قال له : ما أنت ؟ قال : أنا رجل افتقرت ،
فقلت : لأخرجنّ ولا أرجع حتى أستغنى . قال : فانطلق معي ، فضيا فوجد رجلًا
قصته مثل قصتهما ، فاتوا جوف مُرَاد وهو واد باليمن فاذا فيه نعم كثيرة ، فقال لهما
سليك : كونا قريبًا حتى آتى الرعاء وأعلم لكما علم الحى أقرب هو أم بعيد ، فإن
كانوا قريبًا رجعت إليكما ، وإن كانوا بعيدًا قلت لكما قولاً أُحَى^(١) به لكما فأغيرا .
فانطلق حتى آتى الرعاء ، فجعل يستنطقهم حتى أخبروه بمكان الحى فإذا هم بعيد ،
فقال لهم سليك : ألا أغنيكم ؟ قالوا : بلى . فتغنى بأعلى صوته لسمع صاحبيه :
يا صاحبيّ ألا لا حى بالوادي * إلا عبيدٌ وأم بين أذواد
أتظنّان قليلاً ريث غفلتهم * أم تعدّون فان الرج للعادي
فلما سمعا ذلك أتيا السليك فأطردوا الإبل وذهبوا بها .

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : كان سليك يُحضر فتقع السهام من كائنه
فترتن في الأرض من شدّة إحضاره . وقال له بنو كنانة حين كبر : أرايت أن ترينا
بعض ما بقى من إحضارك ؟ قال : نعم ، اجمعوا لى أربعين شاباً وأبغوني درعا ثقيلة .
فأخذها فلبسها وخرج بالشباب حتى إذا كان على رأس ميل أقبل يُحضر فلاث العدو
لوثاً واهتبصوا في جنبتيه فلم يصحبوه إلا قليلاً بخاء يُحضر مُنبِراً من حيث لا يرونه^(٢)
وجاءت الدرع تحنق في عنقه كأنها خرقة .

(١) من وحى بحى إذا أوما . (٢) عدوا .

قال سهل وحدثني العُتبي قال حدثني رجل من بني تميم عن بعض أشياخه من قومه^(١)
قال : كنت عند المهاجر بن عبد الله وإلى اليمامة فأقَى بأعرابي قد كان معروفا بالسرق
فقال له : أخبرني عن بعض عجائبك ، قال : إنها لكثيرة ، ومن أعجبها أنه كان لي بعير
لا يُسَبِّق وكانت لي خيل لا تُلَحِّق^(٢) ، فكنت لا أخرج فأرجع خائبا فخرجت يوما
فاحتريشت ضبا فعلقته على قَتَبِي ثم مررت بخباء سرى ليس فيه إلا عجوز ، فقلت :
أخلق بهذا الخباء أن يكون له رائحة من غنم وإبل ، فلما أمسيت إذا بإبل مائة فيها
شيخ عظيم البطن مثدن اللحم ومعه عبد أسود وغد ، فلما رأني رحت بي ثم قام إلى ناقة
فاحتلبها وناولني العُلبَة فشربت ما يشرب الرجل فتناول الباقي فضرب به جبهته ثم
احتلب تسع أُنُق فشرب ألبانهم ثم نحر حُوارا فطبخه ثم ألقى عظامه بيضا وحثا
كُومَة من بَطْحَاء وتوسدها وغط غطيطة البَكْر ، فقلت : هذه والله النسيمة . ثم قت
إلى خل إبله فخطمته ثم قرنته إلى بعيري وصحْتُ به فاتبعني الفحل وأتبعته الإبل
إربابا به ، فصارت خلفي كأنها جبل ممدود ، فمضيت أبادر ثنية بيني وبينها مسيرة
ليلة للسرع ، فلم أزل أضرب بعيري بيدي مرة وأقرعه برجل أخرى حتى طلع
الفجر ، فأبصرت الثنية فإذا عليها سواد فلما دنوت إذا أنا بالشيخ قاعدا وقوسه في حجره
فقال : أضيفنا ؟ قلت : نعم . قال : أتسخو نفسك عن هذه الإبل . قلت : لا .
فأخرج سهمما كأن نصله لسان كلب ثم قال : أبصُرِين أذني الضب ، ثم رماه
فصدع عظمه عن دماغه ، ثم قال : ما تقول ؟ قلت : أنا على رأيي الأول . قال :
انظر هذا السهم الثاني في فقرة ظهره الوسطى . ثم رمى به فكأنما قدره بيده ثم
وضعه بأصبعه ، ثم قال : أرايت ؟ قلت : إني أحب أن أستثبت . قال : انظر هذا
السهم الثالث في عكوة ذنبه والرابع والله في بطنك . ثم رماه فلم يخطئ العكوة ، فقلت :
٢٠

(١) كذا بالنسخة الألمانية : وفي الفتوغرافية « عن بعض أهله » وفي العقد الفريد « وحدث العتبي عن
بعض أشياخه قال كنت عند المهاجر الخ » . (٢) في الأصل « تحلف » والتصويب عن العقد الفريد .

أَنْزِلْ آمَنَّا؟ قَالَ : نَعَمْ . فَتَزَلْتُ فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ خِطَامَ خِفْلِهِ وَقُلْتُ : هَذِهِ إِبْلُكَ لَمْ يَذْهَبْ مِنْهَا وَبَرَةٌ وَأَنَا أَنْتَظِرُ مَتَى يَرْمِينِي بِسَهْمٍ يَنْتَظِمُ بِهِ قَلْبِي ، فَلَمَّا تَنَحَّيْتُ قَالَ لِي : أَقْبِلْ . فَأَقْبَلْتُ وَاللَّهِ خَوْفًا مِنْ شَرِّهِ لَا طَمَعًا فِي خَيْرِهِ ، فَقَالَ : أَيُّ هَذَا ، مَا أَحْسَبُكَ جَشِئْتَ اللَّيْلَةَ مَا جَشِئْتَ إِلَّا مِنْ حَاجَةٍ . قُلْتُ : أَجَلْ . قَالَ : فَاقْرَأْ مِنْ هَذِهِ الْإِبْلِ بَعِيرِينَ وَآمِضْ لَطِيفَتِكَ ، قُلْتُ : أَمَا وَاللَّهِ حَتَّى أَخْبِرَكَ عَنْ نَفْسِكَ قَبْلًا . ثُمَّ قُلْتُ : وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَعْرَابِيَا قَطُّ أَشَدَّ ضَرَسًا وَلَا أَعْدَى رِجْلًا وَلَا أَرْمَى يَدًا وَلَا أَكْرَمَ عَفْوًا وَلَا أَصْحَى نَفْسًا مِنْكَ .

وَقَرَأْتُ فِي كِتَابِ سِيرِ الْعَجَمِ أَنَّ بَهْرَامَ جُورَ خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى الصَّيْدِ وَمَعَهُ جَارِيَةٌ لَهُ فَعَرَضْتُ لَهُ ظَبَاءً ، فَقَالَ لِلْجَارِيَةِ : فِي أَيِّ مَوْضِعٍ تَرِيدِينَ أَنْ أَضَعَ السَّهْمَ مِنَ الْوَحْشِ ؟ فَقَالَتْ أُرِيدُ أَنْ تُشَبِّهَ ذُكْرَانَهَا بِالْإِنَاثِ وَإِنَاثَهَا بِالذُّكْرَانِ ، فَرَمَى تِسْعًا مِنَ الظَّبَاءِ بِنُشَابَةٍ ذَاتِ شُعْبَتَيْنِ فَاقْتَلَعَ قَرْنِيهِ وَرَمَى عِزًّا مِنْهَا بِنُشَابَتَيْنِ فَأَثْبَتَهُمَا فِي مَوْضِعِ الْقَرْنَيْنِ . ثُمَّ سَأَلْتُهُ أَنْ يَجْمَعَ أُذُنَ الظَّبْيِ وَظِلْفَهُ بِنُشَابَةٍ وَاحِدَةٍ فَرَمَى أَصْلَ أُذُنِ الظَّبْيِ بِنُشَادَةٍ فَلَمَّا أَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى أُذُنِهِ لِيَحْتَكَّ رِمَاهُ بِنُشَابَةٍ فَوَصَلَ ظِلْفُهُ بِأُذُنِهِ ثُمَّ أَهْوَى إِلَى الْقَيْئَةِ فَضَرَبَ بِهَا الْأَرْضَ وَقَالَ : شَدَّ مَا اسْتَطَطْتُ ^(١) عَلَى وَأَرَدْتُ إِظْهَارَ عَجْزِي !

وَقَرَأْتُ فِي كِتَابِهِمْ أَنَّ كَسْرَى اسْتَعْمَلَ قِرَابَةً لَهُ عَلَى الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ الْمَرْوَزَانُ ، فَأَقَامَ بِهَا حِينًا ثُمَّ خَالَفَهُ أَهْلُ الْمَصَانِعِ — وَالْمَصَانِعُ جِبَلٌ بِالْيَمَنِ مَمْتَنِعٌ طَوِيلٌ وَوَرَاءَهُ جِبَلٌ آخَرٌ بَيْنَهُمَا فَصْلٌ إِلَّا أَنَّهُ مُتَقَارِبٌ مَا بَيْنَهُمَا — فَسَارَ إِلَيْهِمُ الْمَرْوَزَانُ فَنَظَرَ إِلَى جِبَلٍ لَا يَطْمَعُ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَهُ إِلَّا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ يَمْنَعُ ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ وَاحِدٌ . فَلَمَّا رَأَى أَنَّ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِمْ صَعَدَ الْجَبَلَ الَّذِي هُوَ وَرَاءَ الْمَصَانِعِ مِنْ حَيْثُ يُحَازِي حَصْنَهُمْ فَنَظَرَ

(١) فِي الْأَصْلَيْنِ «أَشَدَّ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

الى أضيق مكان فيه وتحتته هواء لا يُقدر قدره، فلم ير شيئاً أقرب الى افتتاح ذلك الحصن من ذلك الجبل، فأمر أصحابه أن يقوموا به صفين ثم يصيحوا به صيحة واحدة ثم ضرب فرسه حتى اذا استجمع حُضراً رمى به أمام الحصن وصاح به أصحابه فوثب الفرس الوادى فاذا هو على رأس الحصن، فلما نظرت اليه خمير قالوا : هذا أيم. والأيم بالحيرية شيطان، فاتهرم بالفارسية وأمرهم أن يربط بعضهم بعضاً ففعلوا واستنزلهم من حصنهم فقتل طائفة وسبي طائفة وكتب بما كان منه الى كسرى، فتعجب كسرى وأمره بالاستخلاف على عمله والقدوم اليه وأراد أن يسأى به أساورته، فاستخلف المروزان ابنه ثم توجه نحوه فلما صار ببعض بلاد العرب هلك فوضعه في تابوت ثم حملوه حتى قدموا به على كسرى فأمر كسرى بذلك التابوت فوضع في خزانته فكان يُخرج في كل عام اليه وإلى من عنده من أساورته فيقول : هذا الذى فعل كذا وكذا .

وروى أبو سؤقة التيمي عن أبيه عن جده عن أبي الأغر التيمي قال : بينا أنا واقف بصقطين مر بي العباس بن ربيعة مكفراً بالسلاح وعيناه تبصان من تحت المغفر كأنهما عينا أرقم ويده صفيحة له وهو على فرس له صعب يمنعه ويلين من عريكته إذ هتف به هاتف من أهل الشام يقال له عرار بن أدهم : يا عباس هلم الى البراز . قال العباس : فالتزول اذا فانه إياس من القُفول . فتزل الشامى وهو يقول

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا * أو تنزلون فانا معشر نزل

وثنى العباس وركه فتزل وهو يقول

وتصدّ عنك مخيلة الرجل العريض موصحة عن العظم
بُحسام سيفك أو لسانك والكلم الأصيل كأرغب الكلم

(١) عبارة الفتوغرافية « ويده صفيحة له يمانية يقلبها وهو على فرس له صعب فيثاهاو يقلبها (ولمّا) »

« ويلين من عريكته هتف به هاتف الخ » .

ثم غَضَّنَ فَصَلَاتِ درعه في حُجْزَتِهِ ودفع قوسه الى غلام له أسود يقال له : اسلم
كأنى أنظر الى فَلَائِلِ شعره ثم دَلَفَ كُلَّ واحد منهما الى صاحبه فذكرت بهما قول
أبي ذؤيب

فتنازلا وتواقفت خيلاهما * وكلاهما بطل اللقاء مُحْدَع

- وكف الناس أَعْنَةَ خيولهم ينتظرون ما يكون من الرجلين فتكافأ بينهما ملياً من
نهارهما لا يصل واحد منهما الى صاحبه لِكَمَالِ لَأَمْتِهِ الى أن لحظ العباس وهياً في درع
الشامى فأهوى اليه بيده فتهتك الى شُدُوْتِهِ ثم عاد لمحاولته وقد أَصْحَرَهُ مفتق الدرع
فضربه العباس ضربة انتظم بها جوائح صدره ونحر الشامى لوجهه وكبر الناس تكبيرة
ارتجَّتْ لها الأرض من تحتهم وَأَنشَامَ العباس في الناس [وَأَنسَاعَ أمره] وإذا قائل
يقول من ورأى (قَاتِلُوهُمْ يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَسْفِ صُدُورَ
قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيَذْهَبُ غَيْظُ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) فالتفت
وإذا أمير المؤمنين رضى الله عنه على بن أبى طالب، فقال : يا أبا الأغر، من المنازل
لعدونا؟ فقلت : هذا ابن أخيك، هذا العباس بن ربيعة. فقال : إنه لهو، يا عباس
الم أنك وابن عباس أن تخلّا بمرزوكما أو تباشرا حرباً؟ قال : إن ذلك . يعنى نعم .
قال : فما عداً مما بدأ؟ قال : فأدعى الى البراز فلا أجيب؟ قال : نعم ، طاعة إمامك أولى
بك من إجابة عدوك . ثم تغيط وأستشاط حتى قلت : الساعة الساعة، ثم تطأ من
وسكن ورفع يديه مبتهلاً فقال : اللهم اشكر للعباس مقامه واغفر له ذنبه، اللهم
إنى قد غفرت له فاغفر له . قال : وتأسف معاوية على عرار وقال متى يَنْطِفُ خُلٌّ
بمثله ! أَيْطَلْ دمه ! لاها الله ذا . ألا لله رجل يَشْرِى نفسه يطلب بدم عرار؟ فأتدب له
رجلان من نخم . فقال : اذهباً فأيتكما قتل العباس برازا فله كذا . فأتياه ودعوا الى
البراز فقال : إن لى سيداً أريد أن أُؤامره . فأتى علياً فأخبره الخبر، فقال على : والله

- لود معاوية أنه ما بقى من هاشم نافعُ ضَرَمَةٍ الا طُعين في نَيطِه إطفاءً لنور الله ويأبى
الله إلا أن يُتِمَّ نوره ولو كره الكافرون، أما والله ليملكنهم منا رجال، ورجال يسؤمونهم
الحسَفَ حتى يحفروا الآبار ويتكفّفوا الناس . ثم قال : يا عباس ناقلنى سلاحك
بسلاحى ، فناقله ووثب على فرس العباس وقصد الخمين . فلم يشكّا أنه العباس
فقالا له : أذن لك صاحبك ؟ خرج أن يقول نعم ، فقال : (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِنُفُسِهِمْ
ظُلُمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) فبرز له أحدهما فضربه ضربة فكأنا أخطاه ،
ثم برز له الآخر فألحقه بالأول ، ثم أقبل وهو يقول : (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ
وَالْحَرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنَ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) ثم قال :
يا عباس خذ سلاحك وهات سلاحى ، فإن عاد لك أحد فعدّ الى ١٠ وئى الخبر الى
معاوية فقال : قبح الله اللجاج إنه لقعود ما ركبته قط إلا خذلت . فقال عمرو
ابن العاص : المخذول والله الخمين لا أنت . قال معاوية : اسكت أيها الرجل
فليس هذه من ساعتك . قال : وإن لم تكن ، رحم الله الخمين وما أراه يفعل . قال :
ذاك والله أخسر لصفتك وأضيق بحرك . قال : قد علمت ذلك ولولا مصر لركبت
المنجاة منها . قال : هى أعمتك ولولا هى لألفيت بصيرا . وقال عمرو بن العاص لمعاوية
معاوى لا أعطيك دينى ولم أنل * به منك دنيا ، فانظرن كيف تصنع
فإن تعطى مصرا فأربح بصفقة * أخذت بها شيخا يضر وينفع
خرج الأخينس الجهنى فلقى الحصين العمرى ، وكانا جميعا فاتكين ، فسارا حتى
لقيا رجلا من كندة فى تجارة أصابها من مسك وثياب وغير ذلك ، فتزل تحت شجرة

(١) كتب فى النسخة الفتوغرافية بعدها (أى فى نفسه) . وقال فى اللسان بعد أن أورد هذه الجملة
فى مادة "نيط" معناه : إلامات . ثم قال : وقيل النيط نياط القلب وهو العرق الذى القلب متعلق به ا هـ .
(٢) فى النسخة الألمانية : "شيئا" . (٣) كذا فى النسخة الفتوغرافية وهو الحصين بن عمرو بن معاوية بن
عمرو بن كلاب كفى لسان العرب وفى الألمانية «العبرى» بالياء وفى اللسان وجمع الأمثال يرويه الحصين الكلابى .

يأكل ، فلما انتهيا اليه سلما . قال الكندي : ألا تضحيان ؟ فتزلا . فبيناهم يأكلون
مرّ ظليم فنظر اليه الكندي^(٢) وأيده بصره فبدت له لَبَتَه ، فاغتره الحصين فضرب بطنه
بالسيف فقتله ، واقتسما ماله وركبا ، فقال الأخينس : يا حصين ما صَعَلَةٌ وصَعْلٌ ؟
قال : يوم شُرب وأكل . قال : فَأَنَعَتْ لِي هذه الْعُقَاب . فرفع رأسه لينظر اليها
فوجأ بطنه بالسيف فقتله مثل قتله الأول . ثم إن أختا للحصين يقال لها صَخْرَةٌ
لما أبطأ عليها خرجت تسأل عنه في جيران لها من مراح وجرم . فلما بلغ ذلك
الأخينس قال

وكم من فارس لا تدرية * إذا شَخَصَتْ لموقفه العيون
يذلّ له العزيز وكل ليث * شديد المَضْرْمسكنه العرين
علوت بياض مَفْرِقه بعَضْب^(٣) * ينوء لوقعه المأم السكون^(٤)
فأمست عِرسه ولها عليه * هدوء بعد ليلته أنين^(٥)
كصَخْرَةٍ أذْ تُسائل في مراح * وفي جرم ، وعلمهما طُنون
تسائل عن حصين كل ركب * وعند جُهينة الخبر اليقين

فذهبت مثلا

(٥)
[نخرج المهديّ وعلى بن سليمان الى الصيد ومعهما أبو دلامة الشاعر . فسنحت
لهم ظباء فرمى المهديّ ظبيا فأصابه ، ورمى على بن سليمان كلبا فعقره ، فضحك
المهدي وقال لأبي دلامة : قل في هذا ، فقال

ورمى المهديّ ظبيا * شكّ بالسهم فؤادَه

(١) في النسخة الفتوغرافية : "تصطحبان" . (٢) كذا في الأصل والصواب أبدّه بالياء الموحدة
يقال أبدّه النظر أى أعطاه بدّته من النظار أى حفظه . (٣) في الفتوغرافية «تق» وهو من تق يتق
بمعنى صوّت . (٤) كذا بالأصل وفي أمثال الميداني :

وأضحت عِرسه ولها عليه * بعُد هدوء ليلتها رنين

(٥) زيادة في النسخة الألمانية .

وعلى بن سليماً * ن رمى كلباً فصاده
فهينثا لهما كل امرئ يأكل زاده

قال أبو دلامة: كنت في عسكر مروان أيام زحف إلى شبيب الخارجي، فلما التقى
الزحفان خرج منهم فارس ينادي: من يبارز؟ فجعل لا يخرج إليه إنسان إلا أعجله
ولم يُنهيه، فغاض ذلك مروان، فجعل يندب الناس على خمسمائة، فقتل أصحاب خمس
المائة، وزاد مروان على نذبه فبلغ بها ألفاً، فما زال ذلك فعله حتى بلغ بالندبة
خمسة آلاف درهم، وتحقق فرس لا أخاف خونه، فلما سمعت بخمسة الآلاف تزقته
واقتحمت الصف. فلما نظر إلى [الخارجي] علم أني خرجت للطمع، فأقبل يتهاى لي
وإذا عليه قروله قد أصابه المطر فارمعل ثم أصابته الشمس فاففعل وعيناه تدران
كأنهما في وقين، فدنا مني وقال:

وخارج أخرج به حب الطمع * فزمن الموت وفي الموت وقع
* من كان ينوى أهله فلا رجع

فلما وقرت في أذني انصرفت عنه هاربا، وجعل مروان يقول: من هذا الفاضح؟
أتوتني به. ودخلت في غمار الناس فنجوت

كان خالد بن جعفر نديما للنعمان، فبينما هو ذات يوم عنده وقد دعا النعمان بتمر
وزبد فهما يأكلان منه إذ دخل عليهما الحارث بن ظالم. فقال النعمان: آدن يا حارث
فكل، فدنا. فقال خالد: من ذا أبيت اللعن؟ قال: هذا سيد قومه وفارسهم
الحارث بن ظالم. قال خالد: أما إن لي عنده يدا. قال الحارث: وما تلك اليد؟
قال: قتلت سيد قومك فتركك سيدهم بعده. يعني زهير بن جديمة، قال الحارث

(١) في الأصلين الخمس مائة وفيهما بالخمسة آلاف، ولم يقل بصحته إلا قليل من العلماء كما في شرح المرادي
على التسهيل. (٢) ابتل. (٣) تقبض. (٤) كتب في الفتوغرافية تحبها كالتفسير لها
«تلوحان». (٥) الوقب تقرر في الصخرة يجتمع فيه الماء.

أما إني سأجزيك بتلك اليد . ثم أخذه الزمّع وأرعدت يده ، فأخذ يعبث بالتمر فقال له
 خالد : أَيْتَهَن تَريدُ فَأَنَا وَلِكَمَهَا ؟ قال الحارث : أَيْتَهَن تَهْمَكُ فَأَدْعُهَا ؟ ثم نهض مغضباً ،
 فقال النعمان لخالد : ما أردت بهذا وقد عرفت فتكّه وسفّهه ؟ فقال : أبيت اللعن ،
 وما يتخوف علىّ منه ؟ فوالله لو كنت نائماً ما أيقظني . فانصرف خالد فدخل قُبّة له من
 أدِيم بعد هدأة من الليل وقام على بابها أخ له يحرسه . فلما نام الناس خرج الحارث
 ٥ حتى أتى القبة من مؤخرها فشَقّها ثم دخل فقتله ، فقال عمرو بن الإطّابة

عَلَّلَانِي وَعَلَّلَا صَاحِبِيَا * وَأَسْقِيَانِي مِنَ الْمُرُوقِ رِيَا
 إِنَّ فِيْنَا الْقِيَانَ يَعْرِفُنَ بِالضَّرِّ * بَ لَفَتِيَانِنَا وَعِيشَا رَحِيَا
 يَتَنَاهِيْنَ فِي النِّعَمِ وَيَضْرِبُنَّ خِلَالَ الْقُرُونِ مَسَكَا ذِكَا
 أَبْلَغَا الْحَارِثَ بِنَ ظَالِمِ الرَّعْثِ ^(١) دِيدٍ وَالنَّاذِرِ النَّذُورِ عَلِيَا
 إِنَّمَا تَقْتُلُ النَّيَّامَ وَلَا تَقْتُلُ يَقْظَانَ ذَا سَلَا حِ كِيَا

وكان عمرو قد آلى ألا يدعوه رجل بلبيل إلا أجابه ولم يسأله عن اسمه . فأناه
 الحارث ليلاً فهتف به ، فخرج إليه ، فقال : ما تريد ؟ قال أَعْنِي عَلَى أبل لبني فلان
 وهي منك غير بعيد فإنها غنيمة باردة . فدعا عمرو بفرسه وأراد أن يركب حاسراً .
 فقال له : البَسْ عَلَيْكَ سَلَا حَكَ فَإِنِّي لَا آمَنُ امْتِنَاعَ الْقَوْمِ ، فَاسْتَلَامَ وَخَرَجَ مَعَهُ ، حَتَّى
 ١٥ إِذَا بَرَزَا قَالَ لَهُ الْحَارِثُ : أَنَا أَبُو لَيْلٍ نَخْذِ حِذْرَكَ يَا عَمْرُو ، فَقَالَ لَهُ : آمَنْتُ عَلَى . فَخَزَّ
 نَاصِيَتَهُ . وَقَالَ الْحَارِثُ

عَلَّلَانِي بَلَدْتِي قَيْسَتِيَا * قَبْلَ أَنْ تَبْكِيَ الْعَيُونَ عَلِيَا
 قَبْلَ أَنْ تَذْكُرَ الْعَوَازِلَ أَنِي * كُنْتُ قَدَمًا لِأَمْرِهِنَّ عَصِيَا
 مَا أَبَالِي إِذَا أَصْطَبَحْتَ ثَلَاثَا ^(٢) * أَرَشِيدًا دَعَوْتَنِي أُمَ غَوِيَا

(١) في الفتوغرافية «الموعد» ولعله محذوف عن «الموعد» كما نقل في هامش النسخة الألمانية عن
 نسخة أخرى . (٢) في الألمانية : أصبت .

غيرَ آلا أُسِرَّ لله إثمًا * في حياتي ولا أخونَ صَفِيًّا
بلغتني مقالة المرء عمرو * بلغتنى وكان ذاك بديًّا
نخرجنا لموعده فالتقيناه * فوجدناه ذا سلاح كميًّا
غيرَ ما نأتمُّ يروِّع بالليل^(١) * لِمُعِدًّا بكفه مَشْرِفِيًّا
فرجعنا بالَمَنِّ مِنَّا عليه * بعد ما كان منه مِنَّا بديًّا^(٢)

ووفد تميم بن مُرّ وبكر بن وائل على بعض الملوك، وكانا ينادمانه بفخرى بينهما تفاخر
فقالا: أيها الملك أعطنا سيفين، فأمر الملك بسيفين من عودين فُتَحَتَا ومُوِّها بالفضة
وأعطاهما إياهما، فجعلوا يضطربان بهما مَلَيَا من نهارهما، فقال بكر
* لو كان سيفانا حديدًا قَطَعَا *

وقال تميم

* أَوْ تُحَتَا من جَنْدَلٍ تَصَدَّعَا *

ففزق الملك بينهما، فقال بكر لميم

* أَسَاجِلَكَ العداوة ما بقينا *

وقال تميم

* وَإِنْ مَتَا نَوْرُهَا بَنِينَا *

فأورثاها بينهما الى اليوم .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن خلف الأحمر قال: كان أبو عمرو السباع يصيح
بالسبع وقد احتمل الشاة فيسقط فيموت فيُشَقُّ بطنه فيوجد فؤاده قد آنخلع . وهو
مثل في شدة الصوت . قال الشاعر^(٣) في ذلك

(١) في النسخة الفتوغرافية "بالقتل" . (٢) كذا بالنسخة الألمانية . وفي النسخة الفتوغرافية:

«بعد من قد كان منّا بديّا» ولعل كلمة «منّا» هذه محرفة عن «منه» فيستقيم المعنى .

(٣) هو النابتة الجعدى كما في اللسان مادة (عرا) .

زَجْرَ ابْنِي عُرْوَةَ السَّبَاعَ إِذَا * أَشْفَقَ أَنْ يَلْتَبَسْنَ بِالْغَنَمِ

قال : وأبو عطية عفيف النصريّ نادى في الحرب التي كانت بين ثقيف وبين بني نصر لما رأى الخيل بعقوته ^(١) : يا سوء صباحاه ، أَيْتَمَ ابْنِي يَرْبُوع ! فألقت الحبالى أولادها ، فقبل في ذلك

وأسقط أحبال النساء بصوته * عفيفٌ لدُنْ نادى بنصرٍ فطرّبا

في أخبار وهب بن منبه أن يهوذا قال ليوسف : لتكفّن أولاً صيحنّ صيحة لاتبيّ حامل بمصر الا ألقت ما في بطنها .

محمد بن الضحاك عن أبيه قال : كان العباس بن عبد المطلب يقف على سَلَعٍ فينادى غلمانَه وهم بالغابة فيُسمِعهم وذلك من آخر الليل . وبين الغابة وبين سلع ثمانية أميال ، وسلع جبل وسط المدينة . وكان شبيب بن ربيعٍ يتنحج في داره فيسمع تنحجه بالكُفاسة ، ويصيح براعيه فيسمع ندأؤه على فرسخ وكان هذا مؤذن سَجَاحٍ التي تنبأت ^(٢) [ذكر هذا خالد بن صفوان ، وسمعه أبو الحبيب النهديّ فقال : ما سمع له بصوت أبعد من صوته بأذانه فإنه كان مؤذنها يعني سجاح] .

ذم رجل الأشتر فقال له قائد ^(٣) : اسكت فإن حياته هزمت أهل الشام وإن موته هزم أهل العراق .

المدائني قال : أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجل يستحمه ، فقال له : خذ بعيرا من إبل الصدقة . فتناول ذنب بعير صعب فجذبه فاقتلعه ، فعجب عمر وقال له : هل رأيت أشد منك ؟ قال : نعم ، خرجت بامرأة من أهل أريد بها

(١) العقوة : ما حول الدار أو ساحتها .

(٢) زيادة في النسخة الألمانية .

(٣) في الفوتوغرافية : « الحسين بن علي عليهما السلام » وفيها بدل « قائد » « يزيد » .

زوجها فترلنا منزلا أهله خُلُوفَ فُقُرْبُتْ من الحوض فبينما أنا كذلك إذ أقبل رجل ومعه دَوْدُ والمرأة ناحيةً فسَرَّبَ دوده الى الحوض ومضى الى المرأة فساورها ونادتني ، فما انتهيت اليها حتى خالطها ، فجئت لأدفعه عنها فأخذ برأسي فوضعه بين عضده وجنبه فما استطعت أن أتحرك حتى قضى ما أراد ثم استلقى . فقالت المرأة : أئى فحل هذا ! لو كانت لنا منه سَخْلَةٌ ! وأمهلتُه حتى امتلأَ نوما فقممت اليه بالسيف .
فضربت ساقه فَأَبْنَتْهَا ، فانتبه وتناول رجله فعدا فغلبه الدم فرماني برجله وأخطأني وأصاب عتق بعيرى فقتله . فقال عمر : ما فعلت المرأة ؟ قال : هذا حديث الرجل . فكرر عليه مرارا لا يزيد على هذا ، فظن أنه قد قتلها .

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا أشهل بن حاتم قال حدثنا ابن عَوْن عن عُمَيْرِ ابن إسحاق قال : كان سعد على ظهر بيت وهو شاكٍ والمشركون يفعلون بالمؤمنين ١٠ ويفعلون . وأبو مَحْجَنٍ في الوثاق عند أم ولد لسعد فأنشأ يقول
كفى حَرَانًا تلتقى الخيلُ بالقنا * وأترك مشدودا على وثاقٍ
إذا شئتُ غنائي الحديد وعُلِّقت * مغاليق من دوني تُصمُّ المناديا

فقالت له أم ولد سعد : أتجعل لى إن أنا أطلقتك أن ترجع الى حتى أعيدك في الوثاق ؟ قال نعم ، فأطلقته فركب فرسا بقاء لسعد وحمل على المشركين فجعل سعد يقول : لولا أن أبا محجن في الوثاق لظننت أنه أبو محجن وأنها فرسى . فأنكشف المشركون وجاء أبو محجن فأعادته في الوثاق وأتت سعدا فأخبرته ، فأرسل الى أبي محجن فأطلقه وقال : والله لا حبستك فيها أبدا . يعنى الخمر ، فقال أبو محجن : وأنا والله لا أشربها بعد اليوم أبدا . وقال الشاعر^(١)

سأغسل عني العار بالسيف جالبا * على قضاء الله ما كان جالبا ٢٠

(١) في النسخة الألمانية « تطن » . (٢) هو سعد بن ناشد المازني كما في اللسان والحاسة .

وأذهل عن داري وأجعل هدمها * لعرضي من باقي المذمة حاجبا
ويصغر في عيني تَلَادِي إذا انتنت * يميني بإدراك الذي كنت طالبا
فِيَا لِرِزَامٍ رَشَّحُوا بِي مُقَدَّمَا * إلى الموت خَوَاضَا إليه الكراثبا^(١)
إذا هم لم يردع كريمة هم * ولم يأت ما يأتى من الأمر هائبا
أخا غَمَرَاتٍ لا يريد على الذي^(٢) * يهيم به من مُقْطِع الأمر صاحبا
إذا هم القى بين عينيه عزمه * ونكب عن ذكر العواقب جانببا
ولم يستشِر في رايه غير نفسه * ولم يرض إلا قائم السيف صاحبا
عليكم بداري فاهدموها فانها * تراث كريم لا يخاف العواقبا
وقال رجل من بني العنبر^(٤)

لو كنت من مازن لم تستبح إبلى * بنو اللَّقِيْطَةِ من دُهل بن شيبانا
إِذَنْ لِقَامٍ بنصرى مَعَشَرُ حُشْنٍ * عند الكريمة إن ذو لُوثَةٍ لَنَا
قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم * طاروا إليه زَرَافَاتٍ ووُحْدَانَا
لكن قومي وإن كانوا ذوى عدد * ليسوا من الشرقي شيء وإن هانا
يَجْزُونَ من ظلم أهل الظلم مغفرة * ومن إساءة أهل سوء إحسانا^(٥)
كَانَ رَبُّكَ لم يخلق نخشيته * سواهم من جميع الناس إنسانا
فليت لي بهم قوما إذا ركبوا * شَنُوا الإِغَارَةَ فُرْسَانَا وَرُكْبَانَا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم * في النَّائِبَاتِ على ما قال برهانا
لكن يطفرون أشتانا إذا فزعوا * وينفرون إلى الغارات وُحْدَانَا

(١) في الحماسة "الكثابا". (٢) في الحماسة "لم تردع عزيمة هم".

(٣) كذا في الحماسة والذي في الأصل «التي يهيم بها من مقطع الأمر».

(٤) هو قريظ بن أئيف كما في الحماسة. (٥) كذا بالحماسة وفي الأصل «غفرانا».

وقال آخر

ولئن عَمَرْتُ لِأَشْفِيَنَّ النَّفْسَ مِنْ تِلْكَ الْمَسَاعِي
وَلَأُعْلِمَنَّ الْبَطْنَ أَنَّ الزَّادَ لَيْسَ بِمُسْتَطَاعٍ
أَمَّا النَّهَارُ فَرَأَى أَصْحَابِي بِمَرْقَبَةٍ يَفَاعُ
أَثْرُ الشَّجَاعِ بِهَا كَسَرَ * دِ الْخَرْزِ فِي سَيْرِ الصَّنَاعِ
تَرْدُ السَّبَاعِ مَعِيَ فَأَلْفَنِي كَالْمِدَلِّ مِنَ السَّبَاعِ

وقال آخر

إِنَّا مَحْيُوكَ يَا سَلَمَى خَيِّينَا * وَإِنْ سَقَيْتَ كِرَامَ النَّاسِ فَاسْقِينَا
إِنَّا لَنَرْخِصُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَنْفُسَنَا * وَلَوْ نُسَامُ بِهَا فِي الْأَمْنِ أَغْلِينَا
بَيْضَ مَفَارِقُنَا تَغْلِي مَرَاجِلُنَا * نَأْسُو بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا

وقال المعلوط

أَلَمْ تَرَى خُلِقْتَ أَخَا حُرُوبٍ * إِذَا لَمْ أَجُنْ كُنْتَ يَمَجَّنَ جَانِي

وقال آخر^(١)

لَعَمْرِي لَقَدْ نَادَى بِأَرْفَعِ صَوْتِهِ * نَعْيُ سُوَيْدٍ أَنَّ فَارِسَكُمْ هَوَى
أَجَلٌ صَادِقًا وَالْقَائِلُ الْفَاعِلُ الَّذِي * إِذَا قَالَ قَوْلًا أَنْبَطَ الْمَاءُ فِي الثَّرَى
فَقِي قَبْلَ لَمْ تَعْنَسِ السِّنُّ وَجْهَهُ * سَوَى خُلْسَةٍ فِي الرَّأْسِ كَالْبَرْقِ فِي الدَّبَجِي

(١) هُوَ سُوَيْدُ الْمَرَاثِدِ الْحَارِثِيُّ كَمَا فِي الْحَمَاسَةِ وَاللِّسَانِ فِي مَادَّةِ «عَنْس» .

(٢) كَذَا بِالْحَمَاسَةِ ، وَفِي الْفَتْوَاغَرَاةِ «نَعْيُ جَوَى» ، وَفِي الْكَامِلِ «نَعْيُ حَيٍّ» . (٣) لَمْ تَعْنَسِ ،

لَمْ تَغْيِرْ . (٤) كَذَا بِالْحَمَاسَةِ وَاللِّسَانِ . وَفِي الْأَصْلِ «شَبَّ» . وَقَدْ ذَكَرَهُ اللَّسَانُ فِي مَادَّةِ «خُلْس»

وقال أبو زيد : أَخْلَسَ رَأْسَهُ فَهُوَ مَخْلَسٌ وَخُلِيسٌ إِذَا أَبْيَضَ بَعْضُهُ فَإِذَا غَلَبَ بَيَاضُهُ سَوَادُهُ فَهُوَ أَعْتَمُ .

أشارت له الحرب العَوَانُ بجاءها * يُقَعِّعُ بِالْأَقْرَابِ أَوَّلَ مَنْ أَتَى
ولم يَجْنِهَا لَكِنْ جَنَاهَا وَلِيَّه * فَاسَى فَادَاهُ فَكَانَ كَنْ جَنَى
وقال بَشَامَةُ

إِنَّا بَنَى نَهْشَلٍ لَا نَدْعِي لِأَب * عَنْهُ وَلَا هُوَ بِالْأَبْنَاءِ يَشْرِينَا
إِنْ تُبْتَدِرَ غَايَةً يَوْمًا لِمَكْرُمَةٍ * تَلَقَّ السَّوَابِقُ مِنَّا وَالْمُصَلِّينَا
إِنَّا لَمِنْ مَعْشَرِ أَفْنَى أَوَائِلِهِمْ * قِيلُ الْحُكَاةِ أَلَا أَيْنَ الْمُحَامِلُونَا
لَوْ كَانَ فِي الْأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَا * مَنْ فَارَسَ؟ خَاطَهُمْ إِيَّاهُ يَعْنُونَا

وقال زهير

يَطْعَنُهُمْ مَا أَرْتَمَوْا حَتَّى إِذَا أَطْعَمُوا * ضَارَبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارَبُوا أَعْتَقَا
وقالت امرأة من كندة

أَبَوَا أَنْ يَفْزُوا وَأَلْقَنَا فِي نَحْوَرِهِمْ * وَلَمْ يَرْتَقُوا مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلْمَا
ولو أنهم فزوا لكانوا أَعِزَّة * وَلَكِنْ رَأَوْا صَبْرًا عَلَى الْمَوْتِ أَكْرَمَا
وقال آخر

بَنَى عَمَّنَا رُدُّوْا فُضُولَ دِمَائِنَا * يَنْمُ لَيْلُكُمْ، أَوْ لَا تَلْمُنَا اللَّوَائِمُ
فإننا وإياكم وإن طال تَرْكُكُمْ * كَذَى الدِّينِ يَنَآى مَا نَأَى وَهُوَ غَارِمُ
وقال أبو سعيد الخزومي وكان شجاعا

وما يريد بنو الأعيار من رجل * بِالْجَمْرِ مُكْتَحِلٍ بِالنَّبْلِ مُشْتِمِلٍ
لا يشرب المساء إلا من قَلْبِ دَم * وَلَا يَبِيتُ لَهُ جَارٌ عَلَى وَجَلٍ

(١) في الأصل «في الأقارب» والذي في الصلب عن الحماسة .

(٢) كذا بالحماسة وفي الأصل «عاطف» .

وقال عبد القدوس بن عبد الواحد من ولد النعمان بن بشير
ندى تحكم الآمال فيه، ونجدة * تحكم في الأعداء بالأسير والقتل
وقال آخر

ضربناكم حتى إذا قام ميلكم * ضربنا العدا عنكم بأيض صارم
تمثل زيد بن علي يوم قتل بقول القائل
أذل الحياة وعز الممات * وكلا أراه طعاما ويبيلا
فان كان لا بد من واحد * فسيروا الى الموت سيرا جميلا

وقال قيس بن الخطيم
أبلغ لا يهيم بالفرار * قد طاب نفسا بدخول النار
وقال آخر^(١)

ومن تكن الحضارة أعجبه * فأى رجال بادية ترانا
ومن ربط المحاش فإن فينا * قنا سلبا وأفراسا حسانا
وكن إذا أغرن على قبيل * فأعوزهن كون حيث كانا^(٢)
أغرن من الضباب على حلال^(٣) * وضبة إنه من حان حانا
وأحيانا نكتر على أخينا * إذا مالم نجد إلا أخانا

وقالت الخنساء

تعرقني الدهر نهسا وحرًا * وأوجعني الدهر قرعا وغمزا

(١) هو القطامي كما في الحماسة . (٢) في الحماسة :

وكن إذا أغرن على جناب * وأعوزهن نهب حيث كانا

(٣) جمع حله بكسر أوله وهي كما في القاموس القوم الزول ، وفي ديوان الحماسة : « حلول » جمع حال
والحي الحلول الذين يكونون في مكان واحد .

وأقنى رجالى فبادوا معا ■ فأصبح قلبي بهم مستفزا
ومن ظن ممن يلاقى الحروب * بأن لا يصاب فقد ظن عجزا^(١)

وفيها تقول

ونلبس للحرب أثوابها * ونلبس في الأمن نحرا وقرا

وهذا كقولهم : البس لكل حالة لبوسها .

وقال عبد الله بن سبرة الحرشي حين قطعت يده^(٢)

ويلم جار غداة الجسر فارقنى * أعزز على به إذ بان فانصدعا
يمنى يدي غدث منى مفارقة * لم أستطع يوم خلطاس لها تبعا^(٣)
وما ضينت عليها أن أصحابها * لقد حرصت على أن نستريح معا
وقائل غاب عن شأني وقائلة * ألا اجتنبت عدوا الله إذ صرعا^(٤)
وكيف أتركه يمشى بمنصله * نحوى وأجن عنه بعدما وقعا
ما كان ذلك يوم الروع من خلق * وإن تقارب منى الموت واكتنعا
ويلمه فارسا ولت كتيبه * حامي وقد ضيعوا الأحساب فارتجعا
يمشى الى مُستميت مثله بطل * حتى اذا مكنا سيفيهما امتصعا
كل ينوء بماضى الحمد ذى شطب * جل الصياقل عن دريه الطبع^(٥)
حاشيته الموت حتى آشف آخره * فما استكان لما لاقى وما جزع^(٦)

(١) كذا في النسخة الفتوغرافية وهو الموافق لما في الكامل للبرد ، وفي النسخة الألمانية « يقاسى » .

(٢) في الأصل الفتوغرافية « الحرشي » ويوافقه ما في الأمل ج ١ ص ٤٩ وصوابه « الحرشي »

قال ابن قتيبة في المعارف وأما الحرشي بن كعب فمهم مطرف بن عبد الله بن الشخير وزير ابن أوفى وعبد الله

ابن سبرة الحرشي الذي قطع يده اطر يانوس الرومى ٥٠ (٣) في الأمل « فاطاس » . (٤) في النسخة

الفتوغرافية « أنكه » . (٥) كذا بالأصل يعنى نلاؤه وإشرافه ، ورواه في اللسان وفي الأمل « ذريه »

والدري فرند السيف وماؤه . (٦) كذا بالأصل وهي محرفة عن « حاسيته » بالسین المهملة .

كَأَنَّ لَيْتَهُ هَذَابُ مُحْمَلَةٍ ^(١) * أَحْمَرُ أَرْقُ لَمْ يَشْمَطْ وَقَدْ صَلَّعَا
فَإِنْ يَكُنْ أَطْرَبُونَ الرُّومَ قَطَعَهَا * فَقَدْ تَرَكْتُ بِهَا أَوْصَالَهُ قِطْعَا
وَإِنْ يَكُنْ أَطْرَبُونَ الرُّومَ قَطَعَهَا * فَإِنْ فِيهَا بِحَمْدِ اللَّهِ مُتَفَعَا
بَنَاتَانِ وَجُدْمُورٌ ^(٢) أَقِيمُ بِهَا * صَدْرُ الْقَنَا إِذَا مَا آتَسَوْا قَزَعَا

وقال بعض الشعراء

إِنْ لَنَا مِنْ قَوْمِنَا نَاصِرَةٌ * بِيضُ الظُّبَا سُمُرُ الْقَنَا شُهْبُ اللَّيْمِ
يَسْتَنْفِرُونَ الْمَوْتَ مِنْ مَجْنَمِهِ ^(٣) * وَيَبْعَثُونَ الْحَرْبَ مِنْ عَقْدِ السَّلَمِ
أُولَئِكَ قَيْسُ قَوْمِنَا أَكْرَمُ بِهِمْ * قَيْسُ النَّدَى قَيْسُ الْعُلَا قَيْسُ الْكَرَمِ

وقال جعفر بن عتبة الحارثي

لَيْتَنِي عَقِيلًا أَتَى قَدْ تَرَكْتُهَا * يَنْوَى بِقَتْلِهَا الذَّنَابَ الْهَوَامِلَ ^(٤)
لَهُمْ صَدْرُ سَيْفِي يَوْمَ بُرْقَةٍ سَحِيلِ * وَلِي مِنْهُ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ الْأَنَامِلِ
إِذَا الْقَوْمُ سَدُوا مَا زَقَا فَرَجَتْ لَنَا * بَأَيْمَانِنَا بِيضُ جَلَّتْهَا الصِّيَاقِلِ

وقال عمرو بن معديكرب

أَعَاذَلْ شِكَّتِي بَرَى وَرَحَى * وَكَلَّ مَقْلَصُ سَلِسِ الْقِيَادِ
أَعَاذَلْ إِنَّمَا أَفْنَى شَبَابِي * رَكُوبٌ فِي الصَّرِيحِ إِلَى الْمَنَادِي

قال أبو ذؤلف

لَقَدْ عَلِمْتُ وَائِلَ أَنَّنَا * نَخُوضُ الْحُتُوفَ غَدَاةَ الْحُتُوفِ
وَلَا نَتَّقِيهَا بَرْخَفِ الْفِرَارِ * إِذَا مَا الصَّفُوفُ آتَبَتْ لِلصَّفُوفِ

(١) كذا بالأصل وهي محرفة عن «أحم» والحمّة كما قال ابن سيده لون بين الدّهمة والكثمة .

(٢) الجُدْمُور هنا ما بقى من يده بعد قطعها . (٣) في النسخة الألمانية «يتغون» .

(٤) في الأصلين : * تيؤء بقتلاها دماء هوامل * وقد أخذنا ما في الأصل عن هامش النسخة الألمانية .

ويوم أفاءت لنا خيلنا * لدى جبل الدَّيْلَمِيِّ المُنِيفِ
 طَوَالَ الفتي بطوال القنا * وبيضَ الوجوه ببيض السيوف
 وكلَّ حصان بكل حصان * أمينَ شَظَاهِ سليم الوَظِيفِ
 ألا نَعْمَانِي مَا نَعَمْتِي * برادعتي عن ركوب المخوف
 لي الصبر عند حلول البلاء * إذا نزلت بي إحدى الصُّروف
 وإن تسألني تخبرني أنني * أقي حسبي بألوف الألوف
 وأحلم حتى يقولوا ضعيف * وما أنا - قد علموا - بالضعيف
 خفيف على فرسي ما ركبت * ولست على ظالمي بالخفيف

باب الحيل في الحروب وغيرها

١٠ قال ابن اسحاق : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر ، مرّ حتى
 وقف على شيخ من العرب فسأله عن محمد وقريش وما بلغه من خبر الفريقين . فقال
 الشيخ : لا أخبركم حتى تجربوني من أتم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « إذا أخبرتنا أخبرناك » . فقال الشيخ : خُبرت أن قريشاً خرجت من مكة وقت كذا ،
 فان كان الذي خبرني صدق فهي اليوم بمكان كذا ، للموضع الذي به قريش . وخُبرت
 ١٥ أن محمداً خرج من المدينة وقت كذا ، فان كان الذي خبرني صدق فهو اليوم بمكان
 كذا ، للموضع الذي به رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال : من أتم ؟ فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن من ماء » ، ثم انصرف . فجعل الشيخ يقول :
 نحن من ماء ! من ماء العراق أو ماء كذا أو ماء كذا !

٢٠ حدّثني سهل بن محمد قال حدّثني الأصمعي قال حدّثني شيخ من بني العنبر قال : أسرت
 بنو شيبان رجلاً من بني العنبر فقال لهم : أرسل الى أهلي ليقتدوني . قالوا : ولا تكلم

- الرسول إلا بين أيدينا . بخاءوه برسول فقال له : أنت قومي فقل لهم : إن الشجر قد أورق وإن النساء قد أشتك . ثم قال له : أتعقل ما أقول لك ؟ قال : نعم أعقل . قال : فما هذا ؟ وأشار بيده . قال : هذا الليل . قال : أراك تعقل . انطلق لأهلي فقل لهم : عروا جملي الأصهب وأركبوا ناقتي الحمراء وسلوا حارثا عن أمرى . فأتاهم الرسول فأخبرهم ، فأرسلوا إلى حارث فقص عليه القصة ، فلما خلا معهم قال لهم : أما قوله : «إن الشجر قد أورق» فإنه يريد أن القوم قد تساحوا . وقوله «إن النساء قد أشتك» فإنه يريد أنها قد اتخذت الشكاء للغزو ، وهى أسقية ، ويقال للسقاء الصغير شكوة . وقوله : «هذا الليل» يريد أنهم يأتونكم مثل الليل أو فى الليل . وقوله : «عروا جملي الأصهب» يريد ارتحلوا عن الصَّمان . وقوله : «اركبوا ناقتي الحمراء» يريد اركبوا الدَّهْناء . قال فلما قال لهم ذلك تحولوا من مكانهم ، فأتاهم القوم فلم يجدوا منهم أحدا .
- ١٠ أرسل على بن أبى طالب رضى الله عنه عبد الله بن عباس لما قدم البصرة فقال : أتت الزبير ولا تأت طلحة فإن الزبير ألين وأنت تجد طلحة كالثور عاقصا قرنه ، يركب الصعوبة ويقول هى أسهل ، فأقرئه السلام وقل له يقول لك ابن خالك : عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق ، فما عدا مما بدا ؟ قال ابن عباس : فأتيته فأبلغته . فقال قل له : بيننا وبينك عهد خليفة ودم خليفة ، واجتماع ثلاثة وانفراد واحد ، وأُمّ مبرورة ، ومشاورة العشرة ، ونشر المصاحف ، نحل ما أحلت ونحرّم ما حرمت .
- ١٥ الهيثم بن عدى قال : مرّ شبيب الخارجي على غلام فى الفرات يستنقع فى الماء ، فقال له شبيب : اخرج إلى أسائك . قال : فأنّا آمن حتى ألبس ثوبى ؟ قال : نعم . قال : فوالله لا ألبسه .
- ٢٠ قال الهيثم : أراد عمر رحمه الله قتل الهرمزان . فاستسقى فأثى بماء فأمسكه بيده وأضطرب ، فقال له عمر : لا بأس عليك ، إني غير قاتلك حتى تشربه . فألقى القدح

من يده وأمر عمر بقتله، فقال : أو لم تؤمنني ؟ قال كيف آمنتك ؟ قال : قلت : لا بأس عليك حتى تشربه ، ولا بأس أمان ، وأنا لم أشربه . فقال عمر : قاتله الله ! أخذ أمانا ولم نشعر به . قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق .

العتبي : بعث يزيد بن معاوية عبيد الله بن عَصَاهُ الأشعري الى ابن الزبير فقال له : إن أول أمرك كان حسنا فلا تفسده بآخره . فقال له ابن الزبير : إنه ليست في عنقي بيعة ليزيد . فقال عبيد الله : يامعشر قريش ، قد سمعتم ما قال وقد بايعتم وهو يأمركم بالرجوع عن البيعة .

المدائني قال : أقبل واصل بن عطاء في رُقَّة فلقيهم ناس من الخوارج ، فقالوا لهم : من أنتم ؟ قال لهم واصل : مستجيرون حتى نسمع كلام الله ، فاعرضوا علينا . فعرضوا عليهم فقال واصل : قد قبلنا . قالوا : فأمضوا راشدين . قال واصل : ما ذلك لكم حتى تُبلغونا مأمننا . قال الله تعالى (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ) فأبلغونا مأمننا . فجاءوا معهم حتى بلغوا مأمنهم .

وقال معاوية : لا ينبغي أن يكون الهاشمي غير جواد ولا الأموي غير حليم ولا الزبيري غير شجاع ولا المخزومي غير تيّاه . فبلغ ذلك الحسن بن علي فقال : قاتله الله ! أراد أن يجود بنو هاشم فينفد ما بأيديهم ، ويحلّم بنو أمية فيتحببوا الى الناس ، ويتشجع آل الزبير فيفتنوا ، ويثيه بنو مخزوم فيبغضهم الناس .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن عيسى بن عمر قال : استقبل الخوارج ابن عِرْبَاضَ اليهودي وهم بحرورى فقال : هل خرج اليكم في اليهود شيء ؟ قالوا : لا . قال : فأمضوا راشدين .

المدائني قال : لما بلغ قتيبة بن مسلم أن سليمان يريد عزله عن خراسان واستعمال يزيد بن المهلب كتب اليه ثلاث صحائف ، وقال للرسول : ادفع اليه هذه ، فان دفعها

الى يزيد فادفع اليه هذه ، فان شئتني عند قراءتها فادفع اليه الثالثة . فلما صار اليه الرسول دفع اليه الكتاب الأول وفيه : يا أمير المؤمنين ، إن من بلائى فى طاعة أبيك وطاعتك وطاعة أخيك كيت وكيت . فدفع كتابه الى يزيد فأعطاه الرسول الكتاب الثانى وفيه : يا أمير المؤمنين ، تأمن ابن دحمة على أسرارك ولم يكن أبوه يأمنه على أمهات أولاده ! فشم قتيبة ، فدفع اليه الرسول الكتاب الثالث وفيه : من قتيبة بن مسلم الى سليمان ابن عبد الملك ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد فوالله لأوثقن لك أخية لا يترعها المهر الأرن . قال سليمان : عجّلنا على قتيبة . يا غلام ، جدّد له عهده على خراسان .

لما صرف أهل مِزة الماء عن أهل دمشق ووجهوه الى الصحارى كتب اليهم أبو الهندام^(١) الى بنى آستها أهل مِزة ، ليمسّين الماء أو لتصبّحنكم الخيل . فوافاهم الماء قبل أن يُعتموا فقال أبو الهندام : «الصدق يُنبئ عنك لا الوعيد» .

ولما بايع الناس يزيد بن الوليد أتاه الخبر عن مروان ببعض التلكؤ والتربص ، فكتب اليه يزيد : أما بعد فإنى « أراك تقدّم رجلا وتؤخر أخرى » فإذا أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيتهما شئت ، والسلام .

ولما هُزم أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد لم يدر الناس كيف يعزّونه ، فدخل عليه عبد الله بن الأهمّ فقال : [مرحبا بالصابر المخدول] الحمد لله الذى نظر لنا عليك ولم ينظر لك علينا ، فقد تعرّضت للشهادة بمجهدك إلا أن الله علم حاجة الإسلام اليك فأبقاك له بخذلان من كان معك لك . فصدر الناس عن كلامه .

وكتب الحارث بن خالد المخزومى — وكان عامل يزيد بن معاوية على مكة — الى مسلم بن عُبّة المُرّى ، فأناه الكتاب وهو بآحرمق وفى الكتاب : أصلح الله

(١) فى النسخة الفتوغرافية : أبو الهندام . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

الأمير، إن ابن الزبير أتاني بما لا قبل لي به فأنحزت . فقال : يا غلام آكتب اليه :
أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر أن ابن الزبير أتاك بما لا قبل لك به فأنحزت . وآيم الله
ما أبالي على أي جنبك سقطت إلا أن شرهما لك أحبهما اليّ ، وبالله لئن بقيتُ
لك لأنزلك حيث أنزلت نفسك والسلام .

٥ أبو حاتم قال ، حدثنا العتيبي قال حدثنا إبراهيم قال : لما أسن معاوية اعتراه
أرق فكان إذا هَوَّم أيقظته نواقيس الروم ، فلما أصبح يوما ودخل عليه الناس قال :
يامعشر العرب ، هل فيكم فتي يفعل ما أمره وأعطيه ثلاث ديات أعجلها له وديتين
إذا رجع ؟ فقام فتي من غسان فقال : أنا يا أمير المؤمنين . قال : تذهب بكتبي^(١) الى
ملك الروم ، فإذا صرت على بساطه أذنت . قال : ثم ماذا ؟ قال : فقط . فقال
١٠ لقد كلفت صغيرا وآتيت كبيرا . فكتب له وخرج ، فلما صار على بساط قصر أذن ،
فتناجرت البطارقة وأحترطوا سيوفهم فسبق اليه ملك الروم بخنًا عليه وجعل يسألهم
بحق عيسى وبحقهم عليه لما كفوا ، ثم ذهب به حتى صعد على سريره ثم جعله بين
رجليه ، ثم قال : يامعشر البطارقة ، إن معاوية رجل قد أسن وقد أرق وقد آذته^(٢)
النواقيس ، فأراد أن يقتل هذا على الأذان فيقتل من قبله منّا ببلاده على النواقيس ،
والله ليرجعن اليه بخلاف ما ظن . فكساه وحمله فلما رجع الى معاوية قال : أو قد
١٥ جئتنى سالما ؟ قال : نعم ، أما من قبلك فلا .

وكان يقال : ما ولي المسلمين أحد إلا ملك الروم مثله إن حازما وإن عاجزا .
وكان الذي ملكهم على عهد عمر هو الذي دُون لهم الدواوين ودوخ لهم المدق ،
وكان ملكهم على عهد معاوية يشبه معاوية في حزمه وحلمه . وبهذا الإسناد قال :
٢٠ كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من أرض العرب وتأتي من قبلهم الدنانير ، وكان

(١) لعلها تذهب بكتبي الخ . (٢) في النسخة الألمانية : يديه .

عبد الملك أول من كتب (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) وذكر النبي صلى الله عليه وسلم في الطوامير، فكتب إليه ملك الروم : إنكم قد أحدثتم في طواميركم شيئا من ذكر نبيكم نكرهه فإنه عنه وإلا أتاكم في دنائيرنا من ذكره ما تكرهون. فكبر ذلك في صدر عبد الملك وكره أن يدع شيئا من ذكر الله قد كان أمر به أو يأتيه في الدناير من ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ما يكره، فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية فقال : يا أبا هاشم إحدى بنات^(٢) طبق، وأخبره الخبر. فقال : ليُفْرِخَ رُوعُكَ، حَرَّمَ دَنَائِيرَهُمْ وَأَضْرَبَ لِلنَّاسِ سِكِّكَ وَلَا تُعْطِهِمْ مِمَّا يَكْرَهُونَ . فقال عبد الملك : فَرَجَّهَا عَنِّي فَرَجَ اللَّهُ عَنْكَ .

حدثنا الرياشي قال : لما هدم الوليد بن عبد الملك كنيسة دمشق كتب إليه ملك الروم : إنك قد هدمت الكنيسة التي رأى أبوك تركها فإن كان حقا فقد أخطأ أبوك، وإن كان باطلا فقد خالفته . فكتب إليه الوليد (وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ) إلى آخر القصة .

حدثنا الزيادي محمد بن زياد قال حدثنا عبد الوارث بن سعيد قال حدثنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال : كتب قيصر إلى معاوية : سلام عليك ، أما بعد فأنبئني بأحب كلمة إلى الله وثانية وثالثة ورابعة وخامسة ، ومن أكرم عباده إليه وأكرم إمامه ، وعن أربعة أشياء فيهن الروح لم يرتكضن في رحم ، وعن قبر يسير بصاحبه ومكان في الأرض لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة ، والحجرة ما موضعها من السماء ، وقوس قزح وما بدء أمره ؟ . فلما قرأ كتابه قال : اللهم آله ! ما أدرى ما هذا ! . فأرسل إلى يسألني فقلت : أما أحب كلمة إلى الله فلا إله إلا الله لا يقبل عملا إلا بها وهي المنجية ، والثانية سبحان الله وهي صلاة الخلق ، والثالثة الحمد لله كلمة الشكر ، والرابعة الله أكبر فواتح الصلوات والركوع والسجود ، والخامسة

(١) بنات طبق . الدواهي .

لا حول ولا قوة إلا بالله . وأما أكرم عباد الله إليه فآدم خلقه بيده وعلمه الأسماء كلها ، وأكرم إمامه عليه مريم التي أحصنت فرجها . والأربعة التي فيهن روح ولم يرتكضن في رحم فآدم وحواء وعصا موسى والكبش . والموضع الذي لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة فالبحر حين انفلق لموسى وبني إسرائيل . والقبر الذي سار بصاحبه فبطن الحوت الذي كان فيه يونس .

أبو حاتم عن العتيبي عن أبيه قال : قدم معاوية من الشام وعمرو بن العاص من مصر على عمر فأقعدهما بين يديه وجعل يسألها عن أعمالها إلى أن اعترض عمرو في حديث معاوية ، فقال له معاوية : أعلّي تعيب وإلّا تقصد؟ هلمّ حتى أخبر أمير المؤمنين عن عملك وتخرجه عن عملي . قال عمرو : فعلت أنه بعملى أبصر منى بعمله وأن عمر لا يدع أول هذا الحديث حتى يأتي على آخره ، فأردت أن أفعل شيئا أقطع به ذلك فرفعت يدي فلطمت معاوية ، فقال عمر : تالله ما رأيت رجلا أسفه منك ، يا معاوية أطمه . فقال معاوية إن لي أميرا لا أقضى الأمور دونه . فأرسل عمر إلى أبي سفيان فلما رآه ألقى له وساده ثم قال معتذرا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه» ثم قص عليه ما جرى بين عمرو ومعاوية فقال : ألهذا بعثت إلي؟ أخوه وأبن عمه وقد أتى غير كبير، قد وهبت له ذلك .

أبو حاتم عن الأصمعي عن نافع قال ذكر بشر بن أرطاة عليا فقال منه فضرب زيد بن عمر — وأمه ابنة علي بن أبي طالب — على رأسه بعصا فشجّه فبلغ ذلك معاوية فبعث إلى زيد بن عمر : أتدرى ما صنعت؟ وثبت على بشر بن أرطاة وهو شيخ أهل الشام فضربت رأسه بعصا، لقد أتيت عظيما . ثم بعث إلى بشر فقال أتدرى ما صنعت؟ وثبت على ابن الفاروق وابن علي بن أبي طالب تسبّه وسط الناس وتزدريه ، لقد أتيت عظيما . ثم بعث إلى هذا بشيء وإلى هذا بشيء .

المداثني قال : كان ابن المقفع محبوبا في خراج كان عليه وكان يعذب ، فلما طال ذلك وخشى على نفسه تعين من صاحب العذاب مائة ألف درهم فكان بعد ذلك يرفق به إبقاء على ماله .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال ، قال المختار : ادعو الى المهدي محمد بن الحنفية . فلما خشي أن ينجى قال : أما إن فيه علامة لا تخفى ، يضربه رجل بالسيف ضربة لا تعمل فيه . قال الأصمعي عرّضه لأن تجرب به .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن عوانة بن الحكم الكلبي قال : ولّى عليّ رضي الله عنه الأشتر مصر فلما بلغ العريش أتى بطراً مصر فقال له مولى لعمنان وكان يقول : أنا مولى لآل عمر . هل لك في شربة من سويق أجدها لك ؟ قال : نعم . فجدها له بعسل وجعل فيها سماً قاضيا فلما شربها يئس ، فقال معاوية لما بلغه الخبر : يا بردها على الكبد ! « إن لله جنودا منها العسل » . وقال عليّ « للبين وللهم » .

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي عن ابن أبي الزناد قال نظر عليّ الى ولد عثمان كأنهم مستوحشون فسألهم فقالوا نُرْمى بالليل ، فقال : من أين يأتاكم الرمي ؟ قالوا : من ههنا . فصعد عليّ ولّف رأسه ثم جعل يرمي وقال : اذا عاد فافعلوا مثل هذا فانقطع الرمي . قال محمد بن كعب القرظي : جاء رجل الى سليمان النبي عليه السلام فقال يا نبي الله : إن لي جيرانا سرقوا إوزتي فنأدى : الصلاة جامعة . ثم خطبهم فقال في خطبته : وأحدكم يسرق إوزة جاره ثم يدخل المسجد والريش على رأسه ! فمسح رجل علي رأسه ، فقال سليمان : خذوه فهو صاحبكم .

(١) العين والعيّة الربا ، وعين التاجر وتعني أخذها .

(٢) في النسخة الفتوغرافية "أبي الزباد" .

أخذ الحكم بن أيوب الثقفي عامل الحجاج إلياس بن معاوية في ظنة الخوارج ، فقال له الحكم : إنك خارجي منافق وشتمه ، ثم قال آتني بمن يكفل بك . قال : ما أجد أحدا أعرف بي منك . قال : وما علمي بك وأنا من أهل الشام وأنت من أهل العراق . قال إلياس : ففيم هذه الشهادة منذ اليوم . فضحك وخلق سبيله .

دخل رجل من بني مخزوم على عبد الملك بن مروان وكان زُبيريا ، فقال له عبد الملك : أليس قد ردك الله على عقبيك ؟ قال : ومن رد عليك فقد رد على عقبيه ؟ فسكت عبد الملك وعلم أنه قد أخطأ .

وكان رجل من النصارى يختلف إلى الضحّاك بن مزاحم فقال له يوما : لو أسلمت ! قال : يمتنع من ذلك حتى للخمر . قال فأسلم وأشربها . فأسلم ، فقال له الضحّاك : إنك قد أسلمت فإن شربت الخمر حددناك وإن رجعت عن الإسلام قتلناك . فحسن إسلامه .

دخلت أمّ أفعى العبديّة على عائشة رضي الله عنها فقالت : يا أم المؤمنين ما تقولين في امرأة قتلت ابنا لها صغيرا ؟ قالت : وجبت لها النار . قالت : فما تقولين في امرأة قتلت من أولادها الأكابر عشرين ألفا ؟ قالت : خذوا بيد عدوة الله .

العتبيّ قال كتب يزيد بن معاوية إلى أهل المدينة : أما بعد فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال . إني والله قد لبستكم فأخلفتكم ورّقعت بكم فأخترتكم ثم وضعتكم على رأسي ثم على عيني ثم على فمي ثم على بطني . وآيم الله لئن وضعتكم تحت قدمي لأطأنكم وطأة أقل بها عددكم وأذلّ غابركم وأترككم أحاديث تُنسخ بها أخباركم مع أخبار عاد وثمود . ثم تمثل

اعمل الحلم دل على قومي * وقد يستضعف الرجل الحليم

ومارست الرجال ومارسوني * فمعوّج على ومستقيم

أبو حاتم قال حدثنا أبو عبيدة قال : أخذ سُرَاقَة بن مُرداس البارقي أسيرا يوم جَبَّانة السَّبَّيع ، فقدم في الأسرى فقال

امننَّ على اليوم يا خيرَ معد * وخيرَ من حلَّ بصحراء الجند^(١)

■ وخير من لي وصلي وسجد ■

فَعفا عنه المختار ثم خرج مع إسحاق بن الأشعث عليه فجيء بسُرَاقَة أسيرا فقال له المختار : ألم أعف عنك ؟ أما والله لأقتلنَّك . قال : إن أبي أخبرني أن الشام ستُفتح لك حتى تهدم مدينة دِمَشق حجرا حجرا وأنا معك فوالله لا تقتلني . ثم أنشده

ألا أبلغ أبا إسحاق أنا * نَزَوْنَا نَزْوَةً كَانَتْ عَلَيْنَا

خرجنا لا نرى الضعفاء شيئا ■ وكان خروجنا بطرا وحينا

نراهم في مَصَفِّهِمْ قَلِيلا * وهم مثل الدِّبَابِ لَمَّا أَلْتَقَيْنَا^(٢)

فَأَسْبَحَ إِنْ قَدَرْتَ فَلَوْ قَدَرْنَا * لَجُرْنَا فِي الْحُكُومَةِ وَأَعْتَدْنَا

تَقَبَّلْ تَوْبَةً مِنِّي فَإِنِّي ■ سَأَشْكُرُ إِنْ جَعَلْتَ التَّقْدِيرَ دِينَا

نفى سبيله ثم خرج إسحاق عليه ومعه سُرَاقَة فأخذ أسيرا فقال : الحمد لله الذي

أمكنني منك يا عدو الله ، فقال سُرَاقَة : ما هؤلاء الذين أخذوني ! فأين هم ؟ لا أراهم !

إنما ألتقينا رأينا قوما عليهم ثياب بيض على خيل بلق تطير بين السماء والأرض .

فقال المختار : خلوا سبيله ليخبر الناس . [ثم عاد لقتاله وقال^(٤)

أَلَا مَنَ نَحْبِرُ الْمُخْتَارَ عَنِّي * بَأَنَّ الْبُلُقَ بِيضَ مَصْمِنَاتِ^(٥)

(١) في النسخة الفتوغرافية "بشجر والجند" وهو محذوف وصوابه كما في الطبري "بشجر والجند" .

(٢) في النسخة الفتوغرافية "عبد الرحمن" وقد صوبه في هامشها بأنه إسحاق ويرجح ما في الطبري والعقد الفريد .

(٣) في النسختين «إن» وفي ابن جرير «فأسبح اذ ملكك» وهو الأنسب . (٤) زيادة في النسخة

الأمسية . (٥) في الطبري .

ألا أبلغ أبا إسحاق اني * رأيت البلق دهما مصمنا

أَرَى عَيْنِي مَا لَمْ تَرَأِيَاهُ * كَلَانَا عَالَمٌ بِالْثُرَاهُ
كَفَرْتُ بِدِينِكُمْ وَجَعَلْتُ نَذْرًا * عَلَى قِتَالِكُمْ حَتَّى الْمَاتِ [

خرج المغيرة بن شعبة مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته وكانت له عترة يتوكأ عليها فرمى بها قارعة الطريق فيمتر بها المار فيأخذها ، فإذا صار الى المنزل عرفها فأخذها المغيرة ففطن له علي رضي الله عنه فقال : لأخبرن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : لئن أخبرتني لأترده بعدها ضالة أبدا . فأمسك علي .

باب من أخبار الدولة والمنصور والطلبين

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا أبو أسامة عن زائدة عن سمالك عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أنه كان إذا سمعهم يقولون : يكون في هذه الأمة اثنا عشر خليفة ، قال : ما أحقكم ! إن بعد الاثني عشر ثلاثة منا : السفاح والمنصور والمهدى يسلمها الى الدجال . قال أبو أسامة : تأويل هذا عندنا أن ولد المهدى يكونون بعده الى خروج الدجال .

وقال محمد بن علي بن عبد الله بن عباس لرجال الدعوة حين اختارهم للدعوة وأراد توجيهم : أما الكوفة وسوادها فهناك شيعة علي بن أبي طالب . وأما البصرة فعثمانية تدين بالكف وتقول كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل . وأما الجزيرة فحرورية مارقة وأعراب كأعلاج ومسلمون في أخلاق النصارى . وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان ، عداوة لنا راسخة وجهلا متراكما . وأما أهل مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر ، ولكن عليكم بخراسان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وصدورا سليمة وقلوبا فارغة لم تنقسمها الأهواء ولم تنوزعها النحل ولم تشغلها ديانة ولم يتقدم فيها فساد وليست لهم اليوم همم العرب ولا فيهم كتحارب

الأتباع بالسادات وكتحالف القبائل وعصبية العشائر ، ولم يزالوا يذألون ويمتهنون ويُظلمون ويكظمون ويمتنون الفرج ويؤملون [الدول] وهم جند لهم أجسام وأبدان ومناكب وكواهل وهامات ولحى وشوارب وأصوات هائلة ولغات نخمة تخرج من أفواه منكرة ، وبعد فكأنى أنفأل الى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق .

- وقال سعيد بن عمرو بن جعدة المخزومي : كنت مع مروان بن محمد بالزَّاب .
فقال لى : يا سعيد من هذا الذى يقابلنى ؟ قلت : عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس . قال : أعرفه ؟ قلت : نعم ، أما تعرف رجلاً دخل عليك حسن الوجه مصفراً رقيق الذراعين حسن اللسان فوقع فى عبد الله بن معاوية ؟ فقال : بلى قد عرفته والله ،
يا بن جعدة ليت على بن أبى طالب [فى الخيل] يقابلنى . إنّ علياً وأولاده لا حظّ لهم
فى هذا الأمر ، وهذا رجل من بنى العباس ومعه ریح خراسان ونصر الشام ، يا بن
جعدة أتدرى لم عقدت لعبد الله ولعبيد الله وتركت عبد الملك وهو أكبر منهما ؟
قلت : لا أدرى . قال : لآتى وجدت الذى بلى هذا الأمر بعدى عبد الله أو عبيد
الله ، فكان عبيد الله أقرب الى عبد الله من عبد الملك .

- وكتب مروان الى عبد الله بن على : إنى لا أظن هذا الأمر إلا صائراً اليكم ، فإذا
كان ذلك فاعلم أن حرماً حرمكم . فكتب اليه عبد الله إنّ الحق لنا فى دمك وإن
الحق علينا فى حرمك .

- سمر المنصور ذات ليلة فذكر خلفاء بنى أمية وسيرهم وأنهم لم يزالوا على استقامة
حتى أفضى أمرهم إلى أبنائهم المترفين فكانت همهم من عظيم شأن الملك وجلالة
قدره قصدة الشهوات وإيثار اللذات والدخول فى معاصى الله ومساخطه جهلاً منهم
باستدراج الله وأمناً لمكره ، فسلبهم الله العز ونقل عنهم النعمة . فقال له صالح بن على :

(١) يا أمير المؤمنين إن عبد الله بن مروان لما دخل أرض النوبة هاربا فيمن معه سأل ملك النوبة عنهم فأخبر فركب إلى عبد الله فكلّمه بكلام عجيب في هذا النحو لا أحفظه وأزعجه عن بلده ، فان رأى أمير المؤمنين أن يدعو به من الحبس بحضرتنا في هذه الليلة ويسأله عن ذلك . فأمر المنصور بإحضاره وسأله عن القصة فقال : يا أمير المؤمنين قدمت أرض النوبة بأثاث سليم لي فافتريته بها وأقيمت ثلاثا ، فأتاني ملك النوبة وقد خبر أمرنا ، فدخل على رجل طوال أقفى حسن الوجه فقعد على الأرض ولم يقرب الثياب ، فقلت : ما يمنعك أن تقعد على ثيابنا ؟ قال : لأنى ملك ، وحق على كل ملك أن يتواضع لعظمة الله إذ رفعه . ثم قال لي : لم تشربون الخمر وهى محرمة عليكم ؟ قلت : آجترأ على ذلك عبيدنا وأتباعنا لأن الملك زال عنا . قال : فلم تطأون الزروع بدوابكم والفساد محرم عليكم ؟ قلت : يفعل ذلك جهالنا . قال : فلم تلبسوا الديباج والحرير وتستعملون الذهب والفضة وذلك محرم عليكم ؟ قلت : ذهب الملك منا وقُل أنصارنا فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا . قال : فأطرق مليا وجعل يقلب يديه وينكت في الأرض [ويقول^(٢) : عبيدنا وأتباعنا دخلوا في ديننا وزال الملك عنا ! يردده مرارا] ثم قال : ليس ذلك كما ذكرت بل أنتم قوم استحلتم ما حرم عليكم وركبتم ما عنه نهيتم ، وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العز واللبسكم الذل بذنوبكم ، والله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها وأخاف أن يحل بكم العذاب وأنتم ببلدى فيصيبني معكم ، وإنما الضيافة ثلاثة أيام فتزودوا ما أحججتم إليه وأرتحلوا عن بلدى ، ففعلت ذلك .

ولما افتتح المنصور الشام وقتل مروان قال لأبى عون ومن معه من أهل خراسان : إن لي في بقية آل مروان تديرا فتأهبوا يوم كذا وكذا في أكل عُدّة ، ثم

(١) في الفتوغرافية « عبيد الله » . (٢) في الفتوغرافية بدل هذه الجملة « وينكت في الأرض ويردد كلامي ثم قال الخ » . (٣) ظاهر هذا أن القصة وقعت مع المنصور ولكن آخر الحكاية ويؤيده ما في الكامل للبرد أنها وقعت مع عبد الله بن علي وقد كان أميرا على الشام من قبل المنصور .

بعث إلى آل مروان في ذلك اليوم بجمعوا وأعلمهم أنه يفرض لهم في العطاء، فحضر منهم ثمانون رجلاً فصاروا إلى بابه ومعهم رجل من كلب قد ولدهم ثم أذن لهم فدخلوا، فقال الآذن للكلبي: ممن أنت؟ قال: من كلب وقد ولدتهم. قال: فانصرف ودع القوم. فأبى أن يفعل وقال: إني خالهم ومنهم. فلما استقر بهم المجلس خرج رسول المنصور وقال بأعلى صوته: أين حمزة بن عبد المطلب؟ ليدخل. فأيقن القوم بالهلكة، ثم خرج الثانية فنادى: أين الحسن بن علي؟ ليدخل، ثم خرج الثالثة فنادى: أين زيد بن علي بن الحسين؟ ثم خرج الرابعة فقال: أين يحيى بن زيد؟ ثم قيل: ائذنوا لهم. فدخلوا وفيهم الغمر بن يزيد وكان له صديقاً فأوماً إليه: أن ارتفع. فأجلسه معه على طنفتيه وقال للباقيين: اجلسوا. وأهل خراسان قيام بأيديهم العمد فقال: أين العبدى الشاهر؟ فقام وأخذ في قصيدته التي يقول فيها

أما الدعاة إلى الجنان فهاشم * وبنو أمية من دعاة النار

فلما أنشد أبياتا منها قال الغمر: يابن الزانية. فانقطع العبدى وأطرق عبد الله ساعة ثم قال: امض في نشيدك. فلما فرغ رمى إليه بصرة فيها ثلاثمائة دينار، ثم تمثل بقول القائل

ولقد ساءنى وساء سواى * قريهم من منابر وكراسى^(٤)

أزلوها بحيث أنزلها الله * بدار الهوان والإتعاس

[لا تُقبلن عبد شمس عثارا * وأقطعوا كل نخلة وغراس^(٥)]

واذكروا مصرع الحسين وزيد * وقتيلاً بجانب المهراس^(٦)

(١) رباهم. (٢) في الفتوغرافية «الحسين» ولكنه يحيى بن زيد بن علي بن الحسين.

(٣) في الفتوغرافية «هشام» ولكنه الغمر بن يزيد بن عبد الملك بن مروان.

(٤) كذا بالنسخة الألمانية «وفي الفتوغرافية «نمارق» ولعله في الكامل للبرد.

(٥) زيادة في النسخة الألمانية. (٦) كذا بالأصل «وفي الكامل للبرد» كل رقعة وأواسى» وقال: الرقعة النخلة الطويلة والأواسى جمع أسية وهي أصل البناء بمنزلة الأساس.

ثم قال لأهل خراسان : دِهِيدُ . فشدخوا بالعمد حتى سالت أدمغتهم وقام الكلبي^(١)
فقال : أيها الأمير : أنا رجل من كلب لست منهم . فقال
ومدّخِل رأسه لم يُدْنِه أحد * بين القرينين حتى لَزّه القَرْنُ

ثم قال : دِهِيدُ . فشدخ الكلبي معهم ثم التفت الى الغمر فقال : لا خير لك في الحياة
بعدهم . قال : أجل ، فقتل ثم دعا بِيَرَاذِعَ فالتقاها عليهم وبسط عليها الأنطاع ودعا
بفدائه فأكل فوقهم وإن أنين بعضهم لم يهدأ ، حتى فرغ ثم قال : ما تهنأت بطعام
منذ عقلت مقتل الحسين إلا يومى هذا . وقام فأمر بهم بجرؤا بأرجلهم وأغنم أهل
خراسان أموالهم ثم صلبوا في بستانه . وكان يأكل يوما فأمر بفتح باب من الرواق
الى البستان فاذا رائحة الجيف تملأ الأنوف ، ف قيل له : لو أمرت أيها الأمير برد هذا

الباب ! فقال : والله لرائحتها أحبّ الى وأطيب من رائحة المسك . ثم قال ١٠

حسبتُ أمةً أن سترضى هاشم * عنها ويذهب زيدها وحسينها
كلّا وربّ محمد وإلهه * حتى تُباح سُهلها وخزونها
وتدُلّ دُلّ حليّةٍ لحليها * بالمشرفى وتُسرتد ديونها

وأنى المهديّ^(٢) برجل من بنى أمة كان يطلبه فتمثل بقول سديف شاعرهم
جَرَدَ السيف وأرفع السوط حتى * لا ترى فوق ظهرها أُمُويًا
لا يغرّتك ما ترى اليوم منهم * إن تحت الضلوع داء دَويًا ١٥

فقال الأموى : لكن شاعرنا يقول

شُمسُ العداوة حتى يُستقاد لهم * وأعظم الناس أحلاما اذا قدروا

فقال المهديّ^(٢) : قال شاعركم ما يشبهكم وقال شاعرنا ما يشبهنا . ثم أمر به فقتل .

٢٠ (١) كلمة فارسية بمعنى اضربوا . (٢) في النسخة الفتوغرافية « المنصور » .

وقال رجل: كنا جلوسا مع عمرو بن عبيد في المسجد، فأناه رجل بكتاب المنصور على لسان محمد بن عبد الله بن الحسن يدعو إلى نفسه، فقرأه ثم وضعه فقال الرسول: الجواب. فقال: ليس له جواب، قل لصاحبك: دعنا نجلس في هذا الظل ونشرب من هذا الماء البارد حتى تأتينا آجالنا في عافية.

وكان عمرو بن عبيد إذا رأى المنصور يطوف حول الكعبة في قرطين يقول: إن يُرد الله بأمة محمد خيرا يُول أمرها هذا الشاب من بني هاشم. وكان له صديقا فلما دخل عليه بعد الخلافة وكله وأراد الانصراف، قال: يا أبا عثمان سل حاجتك. قال: حاجتي ألا تبعث إلى حتى آتيك ولا تعطيني حتى أسألك. ثم نهض فقال المنصور
كلكم ما شئ رُويد * كلكم خاتل صيد
غير عمرو بن عبيد *

١٠

فلما مات عمرو رثاه المنصور فقال

صلى الاله عليك من متوسد * قبرا مررت به على مران
قبرا تضمّن مؤمنا متحنفا * صدق الاله ودان بالقرآن
واذا الرجال تنازعوا في سنة * فصل الحديث بحكمة وبيان
فلو أن هذا الدهر أبى صالحا * أبى لنا حيا أبا عثمان

١٥

قال الوضاح بن حبيب: كنا إذا خرجنا — يعني أصحابه — من عند المنصور صرنا إلى المهدي وهو يومئذ ولي عهده ففعلنا ذلك يوما فأبرز إلى يده، ولم يكن ذلك من عادته، فأكبت عليها فقبلتها وضرب بيدي إلى يده، ثم علمت أنه لم يفعل ذلك إلا لشيء في يده، فوضع في يدي كتابا صغيرا تستره الكف، فلما خرجت فتحتة فإذا فيه: يا وضاح، إذا قرأت كتابي فاستأذن إلى ضياعك بالري، فرجعت فقلت للربيع: استأذن لي. فدخل فاستأذن، فأذن لي، فدخلت فقلت: يا أمير المؤمنين، ضياعي بالري

٢٠

قد اختلّت وبى حاجة الى مطالعتها فقال : لا ، ولا كرامة ، فخرجت . ثم عدت اليه
اليوم الثاني والقوم معى فدخلنا فاستأذنته ، فردّ الى مثل الجواب الأول . فقلت : يا أمير
المؤمنين ما أريد إصلاحها إلا لأقوى بها على خدمتك . فسرى عنه ، ثم قال : اذا شئت
فودّع . فقلت يا أمير المؤمنين : ولى حاجة أذكرها . قال : قل . قلت : أحتاج
الى خلوة . فنهض القوم وبقى الربيع قلت : أخلى . قال : ومن الربيع وبينكما
ما بينكما ! قلت : نعم . ففتح الربيع ، فقال : قد خلوت فقل إن جدت لى بمالك
ودمك . فقلت : يا أمير المؤمنين ، وهل أنا ومالى إلا من نعمتك ، حقنت دمي ودم أبى
ورددت على مالى وآثرتنى بصحبتك . قال : إنه يهيجس فى نفسى أن جهورا على
خلع وليس له غيرك لما أعرفه بينكما ، فإظهر إذا صرت اليه الواقعة فى ^(١) والتقص لى
حتى تعرف ما عنده ، وإن رأيته يهيم بخلع فاكذب الى ، ولا تكتبين على يد بريد ولا
مع رسول ولا يفوتنى خبرك فى كل يوم فقد نصبت لك فلانا القطان فى دار
القطن فهو يوصل كتبك فى كل يوم الى . قال : فضيت حتى أتيت الرى فدخلت
على جهور فقال : أفلت ؟ فقلت : نعم والحمد لله . ثم أقبلت أؤانسه بالواقعة فيه حتى
أظهر ما ظنّ به المنصور فكتبت اليه بذلك .

دخل عبد الله بن الحسن الطالبيّ على المنصور وعنده إسحاق بن مسلم العقيلي
وعبد الملك بن حميد الشامي الكاتب ، فتكلم عبد الله بكلام أعجب إسحاق فغم ذلك
المنصور ، فلما خرج عبد الله قال : يا غلام رده . فلما رجع قال : يا أبا محمد إن
إسحاق بن مسلم حدثنى أن رجلا هلك بدمشق وترك ناضا كثيرا وأرضا ورقيقا وزعم أنه
مولاكم وأشهد على ذلك . قال : نعم يا أمير المؤمنين ، ذلك مولانا قد كنت أعرفه
وأكتبه . فقال المنصور : يا إسحاق ، أعجبك كلامه فأجبته أن تعرفه .

(١) فى النسخة الألمانية : « جوهر » وهو تحريف لاذ هو جهور بن مرار العجلي أحد قواد المنصور .

أبو الحسين المدائني قال : لما بنى أبو العباس المدينة بالأنبار قال لعبد الله ابن الحسن : يا أبا محمد كيف ترى ؟ فتمثل عبد الله فقال

ألم تر حَوْشِبَا أُمِّى يُبْنَى * قصورا نفعها لبنى بُقَيْلَه
يُؤْمَلُ أَنْ يَعْمَرَ عَمْرَ نُوْحٍ ■ وأمر الله يحدث كلَّ ليلة

ثم آتبه فقال : أَقْلَنِي [أَقَالِكَ اللَّهُ] ^(١) . قال : لا أَقَالُنِي اللَّهُ إِنْ بَتَّ فِي عَسْكَرِي ، فَأُخْرِجُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ . [حَنْشُ بْنُ الْمَغِيرَةِ قَالَ : جِئْتُ وَأَبُو ذَرٍّ أَخَذَ بِحُلْقَةِ بَابِ الْكُعْبَةِ وَهُوَ يَقُولُ : أَنَا أَبُو ذَرِّ الْغِفَارِيِّ ، مَنْ لَمْ يَعْرِفْنِي فَأَنَا جُنْدَبُ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : «مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا»] .

١٠ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَزْدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا شَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ إِسْمَاعِيلَ ابْنِ سَالِمٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ ، قِيلَ لِابْنِ عَمْرٍو : إِنْ الْحُسَيْنَ قَدْ تَوَجَّهَ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَلِحَقِّهِ عَلَى ثَلَاثِ لَيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ وَكَانَ عِنْدَ خُرُوجِ الْحُسَيْنِ غَائِبًا فِي مَالٍ لَهُ فَقَالَ : أَيْنَ تَرِيدُ ؟ قَالَ : الْعِرَاقَ . وَأَخْرَجَ إِلَيْهِ كِتَابًا وَطَوَامِيرًا قَالَ : هَذِهِ كِتَابُهُمْ وَبَيْعَتُهُمْ . فَنَاشَدَهُ اللَّهُ أَنْ يَرْجِعَ فَأَبَى فَقَالَ : أَمَا إِنِّي سَأُحَدِّثُكَ حَدِيثًا : إِنْ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَخِيرَهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَأَخْتَارَ الْآخِرَةَ ، وَإِنَّكُمْ بِضِعَةِ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاللَّهُ لَا تَلِيَهَا أَنْتَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ وَمَا صَرَفَهَا اللَّهُ عَنْكُمْ إِلَّا لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ فَارْجِعْ . فَأَبَى فَأَعْتَقَهُ وَبَكَى وَقَالَ : أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُ مِنْ قَتِيلٍ .

١٥ حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مَسْلَمَةَ بْنِ مُخَارِبٍ عَنِ السَّكَنِ قَالَ : كَتَبَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِلَى الْأَحْنَفِ يَدْعُوهُ إِلَى نَفْسِهِ فَلَمْ يَرِدْ الْجَوَابَ وَقَالَ : قَدْ جَرَّبْنَا آلَ أَبِي الْحُسَيْنِ فَلَمْ نَجِدْ عِنْدَهُمْ إِلَّا لَلَّةً لِلْمَلِكِ وَلَا جَمْعًا لِلْمَالِ وَلَا مَكِيدَةً

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

في الحرب . وقال الشعبي : ما لقينا من آل أبي طالب ؟ إن أحببناهم قتلونا ، وإن أبغضناهم أدخلونا النار .

ولما قتل مُصعب بن الزبير خرجت سُكينة بنت الحسين تريد المدينة فأطاف بها أهل الكوفة فقالوا : أحسن الله صحابتك يا بنت رسول الله . فقالت : والله لقد قتلتم جدى وأبى وعمى وزوجى مُصعباً ، أيتمونى صغيرة وأرملتمونى كبيرة فلا عافاكم الله من أهل بلد ولا أحسن عليكم الخلافة . وقال بعض الشعراء

إبكِ حسيناً ليوم مَصْرعه * بالطَّف بين الكَتَائِبِ الخُرُس

أضحت بنات النبيّ اذ قُتلوا * فى مَأْتَمٍ والسباع فى عُرس

روى سنان بن حَكيم^(١) عن أبيه قال : انتهب الناس ورُسا فى عسكر الحسين ابن على يوم قُتل فما تطيبت منه امرأة إلا برِصت . ولما قتل حسين قالت بنت لعقيل بن أبي طالب

ماذا تقولون إن قال النبي لكم * ماذا فعلتم وأنتم أفضل الأمم

بعثتني وبأهلى بعد منطلقى * منهم أسارى وقتلى صُرجوا بدم

[ما كان هذا جزأى أن نصحتكم لكم * أن تخافونى بقتل فى ذوى رحى]^(٢)

فما سمعها أحد إلا بكى .

[دخل زيد بن على^(٣) على هشام فقال : ما فعل أخوك البقرة ؟ قال زيد : سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم باقرا وتسميه بقرة ! لقد اختلفتما .

أخبرنا جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «يا جابر إنك ستعمّر بعدى حتى يولد لى مولود اسمه كاسمى يَبْقَر العلم بقرا فإذا لقيتَه فأقرئه منى السلام» فكان جابر يتردد فى سكك المدينة بعد ذهاب بصره وهو ينادى : يا باقر، حتى قال

(١) كذا بالألمانية وفى الفتوغرافية «سيار بن الحكم» . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

الناس : قد جُنَّ جابر . فبينما هو ذات يوم بالبلاط اذ بَصُرَ بجارية يتوزَّعها صبيٌّ فقال لها : يا جارية ، من هذا الصبي ؟ قالت : هذا محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب . فقال : أدنيه مني فأدنته منه فقبل بين عينيه وقال : يا حبيبي ، رسول الله يقرئك السلام . ثم قال : نُعيت الى نفسي وربَّ الكعبة . ثم انصرف الى منزله وأوصى فمات من ليلته .

[قال هشام بلغني أنك تَرَبَّصُ^(١) نفسك للخلافة وتطمع فيها وأنت ابن أمة . قال له زيد : مهلا يا هشام فلو أن الله علم في أولاد السَّرايى تقصيرا عن بلوغ غاية ما أعطى إسماعيل ما أعطاه . ثم خرج زيد وبعث اليه بهذه الأبيات]

مهلا بنى عمنا عن نحت أثلتنا * سيروا رويدا كما كنتم تسيرونا

لا تجمعوا أن تُهينونا ونُكرمكم * وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا

فالله يعلم أنا لا نحبكم * ولا نلومكم ألا تحبونا

[ثم إن زيدا أعطى الله عهدا ألا يلقى هشاما إلا في كتيبة بيضاء أو حمراء فدخل الكوفة فطبع بها السيوف وكان من أمره ما كان حتى قتل رحمه الله] .

ذكر الأمصار

١٥ قالت الحكماء : المدائن لا تبني إلا على ثلاثة أشياء : على الماء والكلاء والمُحتطَب .

قال ابن شهاب : من قدم أرضا فأخذ من ترابها فجعله في مائها ثم شربه عُوفى من وبائها . وقال معاوية لقوم قدموا عليه : كلوا من خُفَّا^(٢) أرضنا فقلما أكل قوم من خُفَّا أرض فضرهم ماؤها .

(١) هكذا في الأصل ، وفي الجملة حذف . ولعل أصل الكلام : قال هشام لزيد بن علي ، كما يدل عليه باقي القصة ورواية العقد الفريد ، وقد وردت القصة كاملة هكذا في النسخة الألمانية ، واقتصر في الفتوغرافية على قوله « كتب زيد بن علي بن الحسين الى هشام بن عبد الملك » ثم ساق الأبيات .

(٢) الفخا : توابل القدور كالفلفل والكمون ونحوهما : لسان العرب .

حدثني الرياشي قال حدثني الأصمعي قال، قال معاوية: أغبط الناس عندي سعد مولاى، وكان يلى أمواله بالحجاز، يترع جُدة ويتقيظ الطائف ويتشئ مكة .

حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال : أربعة أشياء قد ملأت الدنيا لا تكون إلا باليمن : الخطر والكُنْدُ والعَصَب والوَرَس .

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال : اليهود لا تأكل من بقل سُورَى وتقول: هي مَفيض الطوفان . قال وقال الأصمعي عن مَعْمَرٍ ^(١) قال : سَبْعُ مَحْفُوظَاتٍ وَسَبْعُ مَلْعُونَاتٍ ، فمن المحفوظات تَجْرَانُ ومن الملعونات أَثَافَتْ [وَبَرْدَعَةٌ] . وَأَثَافَتْ بِالْيَمَنِ . ووقفت باليمن على قرية فقلت لامرأة : ما تسمى هذه القرية ؟ فقالت ويحك ! أما سمعت قول الشاعر

أحب أَثَافَتْ عند القَطَاف * وعند عُصَاة أعناها

[قال الأصمعي : سواد البصرة الأهواز ودَشْتِيسَانَ وفارس ، وسواد الكوفة كَسَكِرَ ^(٢) الى التراب الى عمل حُلُوان الى القادسية ، وعمل العراق هَيْثُ الى الصين والسند والهند ثم كذلك الى الرى ونُحْرَاسَانَ الى الديلم والجبال كلها ، وأصبهان صرّة العراق افتتحها أبو موسى الأشعري ، والجزيرة ما بين دجلة والفرات ، والموصل من الجزيرة ، ومكة من المدينة ومصر لا تدخل في عمل العراق] .

حدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال : أول قرية بنيت بعد الطوفان قرية بَقَرْدَى تسمى سوق ثمانين ، كان نوح لما خرج من السفينة ابتناها وجعل فيها لكل رجل آمن معه بيتا وكانوا ثمانين فهى اليوم تسمى

(١) فى النسخة الألمانية «معتمر» وهو تحريف إذ هو أبو عبيدة معمر بن المثنى اللغوى النحوى وقد كان

معاصرا للأصمعي . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

(٣) كذا فى الأصل وهى محرفة عن «الزباب» كما فى ياقوت .

سوق ثمانين . قال : وَحَرَّانُ سُمِّيَتْ بِهَارَانَ بْنِ آزَرَ أَخِي إِبْرَاهِيمَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ أَبُو لُوطٍ .

[^(١) قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِبُرَيْدَةَ : « يَا بُرَيْدَةُ إِنَّهُ سَيُبْعَثُ بَعْدِي بُعُوثٌ فَإِذَا بُعِثَتْ فَكُنْ فِي أَهْلِ بَعْثِ الْمَشْرِقِ ثُمَّ فِي بَعْثِ خِرَاسَانَ ثُمَّ فِي بَعْثِ أَرْضٍ يُقَالُ لَهَا : مَرُوءٌ ، فَإِذَا أَتَيْتَهَا فَانْزِلْ مَدِينَتَهَا فَإِنَّهُ بَنَاهَا ذَو الْقَرْنَيْنِ وَصَلَّى فِيهَا ، غَزِيرَةً أَنْهَارُهَا تَجْرِي بِالْبَرَكَةِ ، فِي كُلِّ نَقَبٍ مِنْهَا مَلَكٌ شَاهِرٌ سَيْفُهُ يَدْفَعُ عَنْهَا السُّوءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » فَقَدِمَهَا بُرَيْدَةُ^(٢) فَمَاتَ بِهَا] .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْخَلِيلِ قَالَ حَدَّثَنِي الْأَصْمَعِيُّ قَالَ أَخْبَرَنِي الثَّوْرِيُّ بْنُ هِلَالٍ الْحَبَّطِيُّ^(٣) عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَبِي جُلْدَةَ قَالَ : الدُّنْيَا كُلُّهَا أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ فَرَسَخٍ فَلَمَّا السُّودَانُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ فَرَسَخٍ وَمَلِكُ الرُّومِ ثَمَانِيَةَ أَلْفِ فَرَسَخٍ وَمَلِكُ فَارِسَ ثَلَاثَةَ أَلْفِ فَرَسَخٍ ١٠ وَأَرْضُ الْعَرَبِ أَلْفَ فَرَسَخٍ .

[^(١) وَقَالَ أَبُو صَالِحٍ كُنَّا عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فَأَقْبَلَ رَجُلٌ بِخَلْسٍ ، فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ أَهْلِ خِرَاسَانَ ، قَالَ : مِنْ أَيِّ خِرَاسَانَ ؟ قَالَ : مِنْ هَرَّاءَ . قَالَ : مَنْ أَيُّ هَرَّاءَ ؟ قَالَ : مِنْ بُوشَنَجٍ . ثُمَّ قَالَ : مَا فَعَلَ مَسْجِدُهَا ؟ قَالَ : عَامِرٌ يُصَلِّي فِيهِ . قَالَ : ١٥ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ مَسْجِدَانِ : الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَمَسْجِدَ بُوشَنَجٍ . ثُمَّ قَالَ : مَا فَعَلْتَ الشَّجَرَةَ الَّتِي عِنْدَ الْمَسْجِدِ ؟ قَالَ : بِحَالِهَا . قَالَ : أَخْبِرْنِي الْعَبَّاسُ أَنَّهُ قَالَ فِي ظِلِّهَا] .

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) في الأصل « يزيد » وهو تحريف .

(٣) كذا بالألمانية . وفي النسخة الفتوغرافية « أبي الجلد » ولم نعر في كتب التراجم على من تكتب بهذه

الكنية . على أن من شيوخ قَتَادَةَ « أبا بردة بن أبي موسى » فلعله محرف عنه .

حدثني محمد بن عبد العزيز قال حدثنا يزيد بن خالد بن عبد الله بن ميمون الخزائي (١) عن عوف بن أبي جميلة عن الحسن البصري قال : لما قدم على رضى الله عنه البصرة ارتقى على منبرها فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل البصرة ، يا بقايا ثمود ويا جند المرأة (٢) يا أتباع البهيمة ، رغا فاتبعتم وعقر فأنهزتم . أما إني لا أقول رغبة فيكم ولا رهبة منكم ، غير أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تُفْتَحُ أَرْضُ يُقَالَ لَهَا الْبَصْرَةُ أَقْوَمُ الْأَرْضِينَ قَبْلَهُ ، قَارِئُهَا أَقْرَأُ النَّاسِ ، وَعَابِدُهَا أَعْبَدُ النَّاسِ ، وَعَالِمُهَا أَعْلَمُ النَّاسِ ، وَمُتَصَدِّقُهَا أَعْظَمُ النَّاسِ صَدَقَةً ، وَتَاجِرُهَا أَعْظَمُ النَّاسِ تِجَارَةً . مِنْهَا إِلَى قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا الْأَبْلَةُ أَرْبَعَةُ فَرَاسِخٍ . يُسْتَشْهَدُ عِنْدَ مَسْجِدِ جَامِعِهَا أَرْبَعُونَ أَلْفًا ، الشَّهِيدُ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ كَالشَّهِيدِ مَعِيَ يَوْمَ بَدْرٍ » .

حدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا أبو سلمة قال أخبرني أبو المهزَّم عن أبي هريرة قال : مُثِّلَتِ الدُّنْيَا عَلَى مِثَالِ طَائِرٍ ، فَالْبَصْرَةُ وَمِصْرُ الْجَنَاحَانِ فَإِذَا خَرَبْتَا وَقَعَ الْأَمْرُ . وحدثني أيضا عن هارون بن معروف عن ضمرة عن ابن شوذب عن خالد بن ميمون قال : البصرة أشد الأرض عذابا وشرها ترابا وأسرعها خرابا . قال وقال ابن شوذب عن يزيد الرشد (٣) : قست البصرة في ولاية خالد بن عبد الله القسري فوجدت طولها فرسخين غير دائق .

وقال محمد بن سلام عن شعيب بن صخر : تذاكروا عند زياد البصرة والكوفة فقال زياد : لو ضلَّتِ البصرة لجعلتُ الكوفة لمن دلتني عليها . قال [محمد بن سيرين] كان الرجل يقول : غضب الله عليك كما غضب أمير المؤمنين على المغيرة ، عزله عن البصرة

(١) كذا النسخة الألمانية ، وفي الفتوغرافية « يزيد بن خالد بن عبد الله بن ميمون المرقى » ولم نعر في كتب التراجم على هذين الاسمين ولعل صواب العبارة « حدثنا يزيد بن خالد بن عبد الله بن ميمون المرقى » إذا الامتنان موجودان معا في كتب التراجم . (٢) يعنى بها عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وبالبهيمة الجمل الذى ركبه . وبه سقى هذا اليوم وهو معروف مشهور . (٣) كذا بالألمانية ، وفي الفتوغرافية « الرشد » وكلاهما محرف عن الرشد بكسر فسكون وهو لقب يزيد بن أبي يزيد الضبعى .

وَأَسْتَعْمَلْهُ عَلَى الْكَوْفَةِ . [وَقَالَ عَلَى حِينَ دَخَلَ الْبَصْرَةَ : يَا أَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ وَيَا جُنْدَ الْمَرْأَةِ رَغَا فَأَجَبْتُمْ وَعُقِرَ فَاثْمُزْمَتُهُمْ ، دِينَكُمْ نِفَاقٌ وَأَخْلَاقُكُمْ رِقَاقٌ وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ ، يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ وَالْبُصَيْرَةِ [و] السَّيِّخَةِ وَالْحَرَبِيَّةِ ، أَرْضُكُمْ أَبْعَدُ الْأَرْضِ مِنَ السَّمَاءِ وَأَبْعَدُهَا مِنَ الْمَاءِ وَأَسْرَعُهَا خَرَابًا وَغَرَقًا .

مر عتبة بن غزوان بموضع المربد فوجد فيها الكذبان الغليظ فقال : هذه البصرة
فانزلوا بسم الله . وقال أبو وائل : اختط الناس البصرة سنة سبع عشرة [.

نخر ناس من بني الحارث بن كعب عند أبي العباس ، فقال أبو العباس لخالد بن صفوان : ألا تكلم يا خالد ؟ قال : أخوال أمير المؤمنين وأهله . قال : فأتتم أعمام أمير المؤمنين وعصبته . قال خالد : ما عسى أن أقول لقوم بين ناسج برد ودابغ جلد وسائس قرد ، دل عليهم هدهد وغرقهم فأرة وملكتهم امرأة .

[سئل خالد عن الكوفة فقال : نحن منابتنا قصب ، وأنهارنا عجب ، وثمارنا رطب ، وأرضنا ذهب . قال الأحنف : نحن أبعد منكم سرية وأعظم منكم بحرية وأغذى منكم برية . وقال أبو بكر الهذلي : نحن أكثر منكم ساجا وعاجا وديباجا وخراجا ونهرا عججا] .

وقال الخليل في ظهر البصرة مما يلي قصر أوس من البصرة

زُرْ وَادِي الْقَصْرِ نَعْمَ الْقَصْرِ وَالْوَادِي * لَا بَدَّ مِنْ زَوْرَةٍ عَنْ غَيْرِ مِيعَادِ
تُرْفًا بِهِ السُّفْنُ وَالظُّلُمَانُ وَاقْفَةٌ * وَالضَّبُّ وَالنُّونُ وَالْمَلَّاحُ وَالْحَادِي
وقال ابن أبي عيينة في مثل ذلك

يَا جَنَّةً فَاتَتْ الْحَنَانَ فَمَا * تَبْلُغُهَا قِيمَةٌ وَلَا ثَمَرُ
أَلْفُهَا فَاتَخَذَتْهَا وَطَنًا * إِنْ فُؤَادِي لِحُبِّهَا وَطَنُ

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) في البيان والتبيين «وأعظم منكم تجربة» .
(٣) هكذا في الأصل ، وفي كتاب البيان للجاحظ أعذى بالعين المهملة وهو الأقرب إلى الصواب يقال عذا البلد يعذو : طاب هواؤه . (٤) كذا في الأصول ، وفي الأغاني : فاقت .

زوج حيتانها الضباب بها * فهذه كنةٌ وذا ختن
 فانظر وفكرٍ فيما يُطيفُ به ^(١) ■ إن الأريب المفكرُ الفطنُ
 من سُفنٍ كالنعام مقبلة * ومن نعامٍ كأنها سفنُ
 أنشد محمد بن عمر عن ابن كُتَّاسة في ظهر الكوفة

وإن بها لو تعلمين أصانثا * وليلا رقيقا مثل حاشية البرد

بلغني عن إبراهيم بن مهدي عن إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن إبراهيم التيمي
 قال: لما أمرت الأرض أن تفيض غاضت إلا أرض الكوفة فلغنت، فجميع الأرض
 تُكرب على ثورين وأرض الكوفة تُكرب على أربعة ثيران. وكان يقال: إذا كان علم
 الرجل حجازيا وسخاؤه كوفيا وطاعته شامية فقد كل.

[لما اجتوى المسلمون المدائن بعد ما نزلوا وآذاهم الغبار والذباب، كتب عمر ^(٢)
 الى سعد في بعثة رواد يرتادون منزلا برّيا فإن العرب لا يصلحها إلا ما يصلح الإبل
 والشاء. فسأل من قبله عن هذه الصفة فيما يليهم، فأشار عليه من رأى العراق من
 وجوه العرب باللسان. وظهر الكوفة يقال له اللسان، وهو فيما بين النهرين الى
 عين بن الحذاء، وكانت العرب تقول: أدلّع البرّ لسانه في الرّيف، فما كان يلى الفرات ^(٣)
 منه فهو الملطاط وما كان يلى الظهر منه فهو النّجاف، فكتب الى سعد يأمره به.] ١٥

وقال النابغة الجعدي يمدح الشام

جاعلين الشام حمالهم ^(٤) * ولئن همّوا لنعم المتقل

موته أجر ونحياء غنى ■ وإليه عن أذاه معتزل

(١) كذا بالأصل وهو محرف عن «نطقت به» كما في الأثافي. (٢) زيادة في النسخة الألمانية.

(٣) في معجم باقوت في الكلام على اللسان «وما كان يلى البطن منه فهو النجاف».

(٤) يقال حمّ حمّة أى قصد قصده.

وقال أيضا

ولكن قومي أصبحوا مثل خيبر ■ بها دأؤها ولا تضرّ الأعادي
قال الأصمعي : لم يولد بغدير خُم مولود فعاش الى أن يحتلم إلا أن يتحول
عنها . قال : وَحَرَّةٌ لَيْلَى رُبَمَا مَرَّ بِهَا الطَّائِرُ فَيَسْقُطُ رِيشُهُ . قال عمرو بن بحر : يزعمون
أن من دخل أرض تُبَّتْ لم يزل ضاحكا مسرورا من غير عَجَبٍ حتى يخرج منها ،
ومن أقام بالموصل عاما ثم تفقد قوته وجد فيها فضلا ، ومن أقام بالأهواز حولا
فتفقد عقله وجد التقصان فيه بيّنا . والناس يقولون : حُمَى خيبر وطحّل البحرين
ودما ميل الجزيرة وطواعين الشام .

قالوا : من أطال الصوم بالمَصِيصَةِ في الصيف خيف عليه الجنون . وأما قصبة
الأهواز فتقلب كل من ينزلها من الأشراف الى طبائع أهلها ، ووباؤها وحماها يكون
في وقت انكسار الوباء ونزوع الحُمَى عن جميع البلدان ، وكل محوم فإن حُمَاهُ إذا أفلعت
عنه فقد أخذ عند نفسه منها البراءة الى أن يعود الى التخليط وإلى أن يجتمع في جوفه
الفساد الا محوم الأهواز فإنها تعاود من فارقتها لغير علة حدثت ، ولذلك جمعت سوق
الأهواز الأفاعى في جبلها المطل عليها والجوّارات في بيوتها ومن ورائها سبخ ومناقع
مياه غليظة وفيها أنهار تشققها مسایل كُنْفَهُمْ ومياه أمطارهم فإذا طلعت الشمس وطال
مُقامها واستمرت مقابلتها لذلك الجبل قبل الصخرية التي فيها الجارات ، فإذا امتلأت
يبسا وحرّا وعادت جمرّة واحدة قذفت ما قبلت من ذلك عليهم وقد بخرت تلك السبخ
وتلك الأنهار ، فإذا التقى عليهم ما بخرت به السبخ وما قذفه ذلك الجبل فسد الهواء

(١) الجراحة بكبابة : عقير قتالة تجر ذنبا اذا مشت لا ترفعه كما تفعل سائر العقارب .

(٢) في الأصل « طالت معاناتها بذلك الجبل » والتصويب عن معجم ياقوت .

(٣) هكذا في الأصل . وفي معجم البلدان « قبل تسبب الصخرية التي فيها تلك الجارات الخ » ولعل
صواب العبارة « قبلت بسبب الصخرية التي فيها تلك الجارات فاذا امتلأت الخ » .

وفسد بفساد الهواء كل ما يشتمل عليه الهواء . وقال إبراهيم بن العباس الكاتب :
 حدثني مشايخ أهل الأهواز عن القوابل أنهم ربما قُتلن الطفل فيجذنه في تلك الساعة
 محمومًا [يعرفن ذلك ويتحدثن به] . قال : ومن قدم من شق العراق إلى بلد الرّنج
 لم يزل حزينا ما أقام بها فإن أكثر من شرب نبيذها وأكل النَّارِجِيل طمس الخُمارُ
 على عقله حتى لا يكون بينه وبين المعتوه إلا شيء يسير . قال : وفي عهد سَجِسْتَان
 على العرب حين افتتحوها ، ألا يقتلوا قنفذا ولا يصيدوه . لأنها بلاد أفاع والقنافذ
 تأكلها ولولا ذلك ما كان لهم بها قرار .

وقال ابن عيَّاش لأبي بكر الهُدَلِي يوم فخره عند أبي العباس : إنما مثل الكوفة
 مثل اللّهُة من البدن يأتيها الماء يبرده وعذوبته ، والبصرة بمنزلة المِثانة يأتيها الماء
 بعد تغيره وفساده .

وقال محمد بن عمير بن عَطَّارِد : إن الكوفة قد سَقَلت عن الشام ووبأها وارتفعت
 عن البصرة وعمقها فهي مَرِيئة مَرِيعة عَدْبَةٌ ثَرِيَّة ، إذا أناتنا الشمال ذهب مسيرة شهر
 على مثل رَضْرَاض الكافور ، وإذا هبت الجنوب جاءتنا بريح السّواد وورده ويأسيه
 وأثرجه ، وماؤة عذب وعيشنا خصب . وقال الحجاج : الكوفة بكر حسناء والبصرة
 عجوز بجّراء أوتيت من كل حلّ وزينة .

اجتمع أهل العراق ليلة في سَمَر يزيد بن عمر بن هُبيرة ، فقال يزيد : أيّ البلدين
 أطيب ثمرة : الكوفة أم البصرة ؟ فقال خالد بن صفوان : بل ثمرتنا أيها الأمير منها الأَزَادُ
 والمَعْقِلُ وكذا وكذا . فقال عبد الرحمن بن بَشِير العَجَلِي : لست أشك أيها الأمير أنكم
 قد اخترتم لأمر المؤمنين ما تبعثون به اليه . قال : أجل ، قال : قد رضينا باختيارك
 لنا وعلينا . قال : فأى الرُّطب تحملون اليه ؟ قال : المُشَان . قال : ليس بالبصرة منه
 واحدة . ثم أية ؟ قال : السَّارِي . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال خالد بن
 (١) كذا بالأصول ، وفي معجم البلدان : « وحرها » .

صفوان : بلى عندنا بالبصرة منه شيء يسير . قال : فأى التمر تحملون اليه ؟ قال :
النَّزِيَّان . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال . ثم أية ؟ قال : الهَيْرُونَ أَزَاد .
قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال : فأى النَّسَب تحملون اليه ؟ قال : قَسَب
العنبر . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال ابن هبيرة لخالد : ادعى عليك خمسا
فشاركته في واحدة وسلمت له أربعا، ما أراه إلا قد غلبك .

دخل فقي من أهل المدينة البصرة ثم انصرف ، فقال له أصحابه : كيف رأيت
البصرة ؟ قال : خير بلاد الله للجائع والعزب والمفلس : أما الجائع فيأكل خبز الأرز
والصَّحْنَاء ^(١) لا ينفق في الشهر درهمين ، وأما العزب فيتزوج بشق درهم ، وأما المحتاج
فلا عيلة عليه ما بقيت عليه آسته يخراً ويبيع .

أبو الحسن المدائني قال قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة لمعاوية :
أما والله لو كنا بمكة على السواء لعلمت . قال معاوية : إذا كنت أكون ابن
أبي سفيان منزلي الأبطح ينشق عنه سيله ، وكنت ابن خالد منزلك أجياد أعلاه مدرّة
وأسفله عذرة .

رأى رجل من قريش رجلا له هيئة رثة ، فسأل عنه فقالوا : من بنى تغلب .
فوقف له وهو يطوف بالببيت ، فقال له : أرى رجلين قلما وطئنا البطحاء . قال له
التغلبى : البطحاهات ثلاث : بطحاء الجزيرة وهي لي دونك ، وبطحاء ذى قار
وأنا أحق بها منك ، وهذه البطحاء ، وسواء العاكف فيه والبادى .

وقال بعض الأعراب : اللهم لا تنزلى ماء سوء فأكون أمراً سوء . قال خالد
ابن صفوان : ما رأينا أرضاً مثل الأبلّة أقرب مسافة ولا أعذب نطفة ولا

(١) إدام يتخذ من السمك الصغير .

أوطأ مطية ولا أريج لتاجر ولا أخفى لعابد . وقال ابن أبي عيينة يذكر قصر انس بالبصرة

فيا حسن ذاك القصر قصرا ونزهة * بأفيع سهل غير وعمر ولا ضنك
بغرس كأبكار الجوارى وتربة * كأن ثراها ماء ورد على مسك
كأن قصور الأرض ينظرون حوله * الى ملك مؤف على منبر الملك
يُدلُّ عليها مستطيلا بحسنه ■ ويضحك منها وهي مطرقة تبيكي

قال جعفر بن سليمان ^(١) : العراق عين الدنيا ، والبصرة عين العراق ، والمربد عين البصرة ، ودارين عين الربد . وقالوا : من خصال الحرم أن المطر إذا أصاب الباب كان الخصب من شق العراق ، وإذا أصاب المطر الناحية من شق الشام كان الخصب بالشام ، وإذا عم جوانب البيت كان المطر عاما . قال : [وذرع الكعبة أربعائة وتسعون ذراعا] .

المدائني قال قال الحجاج : لما تبوأ الأُمُور منازلها قالت الطاعة : أنزل الشام ، قال الطاعون : وأنا معك . وقال النفاق : أنزل العراق ، قالت النعمة : وأنا معك . وقالت الصحة : أنزل البادية ، قالت الشقوة : [وأنا معك] .

(١) في الفتوغرافية «مسلم» وفي الألمانية «سليمان» ويوافق ما في لطائف المعارف للتحالبي . ١٥

(٢) زيادة في النسخة الألمانية .

نجز كتاب الحرب ويتلوه في الجزء الثالث كتاب السؤدد

كتاب السُّودد

مخايل السُّودد وأسبابه ومخايل السوء

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبَةَ رحمه الله : حَدَّثَنِي عبد الرحمن بن عبد الله ابن قُرَيْب عن عمه الأصمعي قال : أخبرنا جميع بن أبي غاضرة وكان شيخاً مُسِنَّاً من أهل البادية وكان من ولد الزَّبْرِقَان بن بدر من قِبل النساء ، قال : كان الزَّبْرِقَان يقول :
أَبْغَضُ صَبِيَانِنَا إِلَى الْأَقْيَعْسُ الذَّكَرُ الَّذِي كَأَنَّمَا يَطْلُعُ فِي حَجْرِهِ ، وَإِنْ سَأَلَهُ الْقَوْمُ أَيْنَ أَبُوكَ ، هَرَّ فِي وَجُوهِهِمْ وَقَالَ : مَا تَرِيدُونَ مِنْ أَبِي . وَأَحَبُّ صَبِيَانِنَا إِلَى الطَّوِيلُ الْغُرْلَةُ السَّبْطُ الْغُرَّةُ الْعَرِيضُ الْوَرْدُ الْأَبْلَهُ الْعَقُولُ الَّذِي يَطْبِيعُ عَمَّهُ وَيَعْصِي أُمَّهُ ، وَإِنْ سَأَلَهُ الْقَوْمُ أَيْنَ أَبُوكَ ، قَالَ : مَعَكُمْ .

قال وقال الأصمعي قال معاوية : ثلاث من السُّودد : الصَّلَعُ ، واندحاق البطن ، وترك الإفراط في الغيرة .

قال وقيل لأعرابي : بم تعرفون سودد الغلام فيكم ؟ فقال : إذا كان سائل الغُرَّة طویل الْغُرْلَةُ مُلْتَأَتِ الْإِزْرَةِ وكانت فيه لَوْنَةٌ فَلَسْنَا نَشْكُ فِي سَوْدَدِهِ . وقيل لآخر : أَى الْغُلْمَانِ أَسْوَدُ ؟ قال : إذا رَأَيْتَهُ أَعْتَقَ أَشَدُّقَ أَحْمَقَ فَأَقْرَبَ بِهِ مِنَ السُّودد . وكان يقال : إذا رأيت الغلام غائر العينين ضيق الجبهة حديد الأرنبة كأنما جيئته صَلَايَةً فَلَا تَرْجُهُ ، إِلَّا أَنْ يَرِيدَ اللَّهُ أَمْرًا فَيَبْلُغَهُ .

حدّثنا الرياشيّ عن الأصمعيّ قال : قريش تمدح بالصِّلَع . وأنشد

إن سعيّدا وسعيّدا فرُع * أصلع تميمه رجال صُلَع

ونظر رجل إلى معاوية وهو غلام صغير فقال : إني أظن هذا الغلام سيسود قومه . فقالت هند : ثكلته إن كان لا يسود إلا قومه .

قال شبيب بن شيبّة لبعض فرسان بني منقر : ما مُطِلّت مَطْلَ الفرسان ولا فُتِقَت

فُتَقُ السادة . وقال آخر ليسنان بن سَلَمَة الهذليّ : ما أنت بأَرْسَحَ فتكون فارسا

ولا بعظيم الرأس فتكون سيّدا . وقال بعض الشعراء

فقبِلت رأسا لم يكن رأس سيّد * وكفّا ككف الضبّ أو هي أحقر

وقال آخر

دعا ابنُ مُطِيعٍ للبياع بختُسه * إلى بيعة قلبي لها غير ألف

فناولني خشناء لما لمستها * بكفّي ليست من أكف الخلائف

وقرأت في كتاب للهند أنه قد قيل في الفِراسة والتَّوسّم : إنه من صغرت عينه

[و] دام اختلاجها وتتابع طرفها ومال أنفه إلى أيمن شقيقه وبعد ما بين حاجبيه

وكانت منابت شعره ثلاثا ثلاثا وطال إكبابه إذا مشى ، وتلقّت تارة بعد أخرى ،

غلبت عليه أخلاق السوء .

كان يقال : أربع يُسوّدن العبد : الأدب ، والصدق ، والعفة ، والأمانة . وقال

بعض الشعراء في النبي صلى الله عليه وسلم

لوم تكن فيه آياتٌ مبيّنة * كانت بداهته تُنيك بالخبر

وقال معاوية : إني لأكره البكارة في السيد وأحب أن يكون عاقلا متغافلا .

(١) قليل لحم العجز والفخذين .

(٢) هكذا بالنسخ التي بأيدينا ولعلها محزقة عن « الغباوة أو البلادة » كما يقتضيه السياق .

وقال الشاعر في هذا المعنى

ليس الغنيّ بسيد في قومه * لكنّ سيّد قومه المتغاي

ويقال في مثله : « ليس أمير القوم بالخَبّ الخدع » . وقال الفرزدق

لاخير في خبّ من تُرجى فواضله * فاستمطروا من قریش كل مُنخدع

كانت فيه إذا حاولته بلها * عن ماله وهو وافي العقل والورع

وقال إياس بن معاوية : لست يُحبّ والخبّ لا يخدعني . وقال مالك بن أنس

عن ابن شهاب : الكريم لما تُحكّمه التجارب .

قال بعض الشعراء

غير أنّي أراك من أهل بيت * ما على المرء أن يسودوه عار

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : السيد الجواد حين يُسأل ، الحليم حين

يُسْتَجْهَل ، البار بمن يعاشر . قال عديّ بن حاتم : السيد الذليل في نفسه ، الأحمق

في ماله ، المُطْرَح لحقده ، المعنيّ بأمر عاقته . سئل خالد بن صفوان عن الأحنف بم ساد ،

فقال : بفضل سلطانه على نفسه . وقيل لقيس بن عاصم : بم سدت قومك ؟ فقال :

ببذل القرى وترك المِرا ونُصرة المولى . وقال علي بن عبد الله بن عباس : سادة الناس

في الدنيا الأستخياء وفي الآخرة الأتقياء . وقال سلم بن قتيبة لولده : إنكم لن تسودوا

حتى تصبروا على سرار الشيوخ البُخر . وقال : الدنيا هي العافية ، والصحة هي

الشباب ، والمرءة الصبر على الرجال . قال عمرو بن هذّاب : كنّا نعرف سُودد سلم

ابن قتيبة بأنه كان يركب وحده ويرجع في خمسين . وقال رجل للأحنف وأراد

عبيه : بم سدت قومك ؟ قال : بتركى من أمرك ما لا يعنينى كما عناك من أمرى

مالا يعينك . وقال عبد الملك بن مروان لابن مطاع العتريّ^(١) : أخبرني عن مالك

(١) هكذا بالنسخة الألمانية ، وهو في النسخة الفتوغرافية غير واضح * وذكر في العقد الفريد في باب

السؤدد هذه القصة وقال إنه روح بن زنباع .

ابن مسمع . فقال له : لو غضب مالك لغضب معه مائة ألف لا يسألونه في أي شيء غضب . فقال عبد الملك : هذا وأبيك السُّودد ، ولم يل شيئاً قط . وكذلك أسماء ابن خزيمة لم يل شيئاً قط . قيل لعزابة الأوسى : بم سُدَّت قومك ؟ فقال بأربع : أخذع لهم عن مالي ، وأذل لهم في عِرْضِي ، ولا أحقير صغيرهم ، ولا أحسد ربيعهم . وقال المُقنَّع الكِنْدِي وهو محمد بن عميرة

ولا أحمِلُ الحَقْدَ القديم عليهم * وليس رئيسُ القوم من يحملُ الحَقْدَا
وليسوا إلى نَصْرِي سِرَاعاً وإن هم * دعوني إلى نصر أيتهم شدا
إذا أكلوا لحِي وفَرَّتْ لحومهم * وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجدا
يعيرني بالدين قومي وإنما * ديوني في أشياء تكسبهم حمدا

وقال آخر

هَيْنُونَ لَيُنُونَ أَيَسَارُ ذَوو يَسِير * سُوَاسَ مَكْرَمَةِ أَبْنَاءِ أَيَسَارِ
لا ينطقون على الفحشاء إن نطقوا * ولا يُيَارُونَ إن ماروا بِأَكْثَارِ
مَنْ تَلَقَّ منهم ثَقُلَ لَاقِيَتُ سَيِّدِهِمْ * مثل النجوم التي يسرى بها السارى

وقال آخر

واب سيادة الأَقْوَامِ فَأَعْلَمُ * لها صُعْدَاءُ مَطْلَعُهَا طَوِيلُ

وقال رجل من العرب : نحن لا نسود إلا من يُوطئنا رَحْلَهُ وَيُفَرِّشُنَا عِرْضَهُ وَيُمْلِكُنَا مَالَهُ . وفي الحديث المرفوع : « مَنْ بَذَلَ مَعْرُوفَهُ وَكَفَّ أَذَاهُ فَذَلِكَ السَّيِّدُ » . ويقال : لَأَسُودِدُ مع انتقام . والعرب تقول « سيد مُعَمَّم » يريدون أن كل جِنَايَةٍ يَجْنِيهَا أَحَدٌ من عشيرته معصوبة برأسه . ويقال : بل السيد منهم كان يَعْتَمُّ بِعِمَامَةٍ صَفْرَاءَ لا يَعْتَمُّ بِهَا غَيْرُهُ . وإنما سُمِّيَ الزُّبَيْرِيُّ قَانُ بِصَفْرَةِ عِمَامَتِهِ . يقال : زَبَرَقَتِ الشَّيْءُ إذا صَفَّرْتَهُ ، وكان اسمه حُصَيْنًا . قيل لابن هُبَيْرَةَ : مَنْ سَيِّدُ النَّاسِ الْيَوْمَ ؟ قال : التَّمَرُزْدَقُ ، هَجَانِي مَلِكًا وَمَدَحَنِي سُوْقَةً . وقال عامر بن الطفيل

إني وإن كنت ابن سيد عامر * وفارسها المشهور في كل موكب
فما سودتني عامر عن وراثته * أبي الله أن أسمو بأثم ولا أب
وليكنني أحمى حماها وأتقى * أذاها وأرمى من رماها بمنكب
هذا نحو قول الآخر

نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الصكر والإقداما
* وصيرته ملكا هماما ■

وعصام عبد كان للنعمان بن المنذر . وله يقول النابغة
فإني لا ألوم على دخول * ولكن ما وراءك يا عصام ؟

الكمال والتناهي في السؤدد

حدثني أبو حمزة الأنصاري عن العتبي قال ، قال الأحنف : الكامل من
عدت هفواته . وكتب معاوية الى زياد : انظر رجلا يصلح لثغر الهند فوله ،
فكتب اليه : إن قبلي رجلين يصلحان لذلك : الأحنف بن قيس ، وسنان بن سلمة
الهدلي . فكتب اليه معاوية : بأي يوحى الأحنف نكافيه : أخذلانه أم المؤمنين ، أم بسعيه
علينا يوم صفين ؟ فوجه سنانا ، فكتب اليه زياد : إن الأحنف قد بلغ من الشرف
والحلم والسؤدد ما لا تتفعه الولاية ولا يضره العزل . وقال أبو نواس يمدح رجلا
أوحده الله فما مثله * لطالب ذاك ولا ناشد
وليس لله بمستنكر ■ أن يجمع العالم في واحد

وقال أيضا في نحو هذا

ياناق لا تسامى أو تبلى رجلا * تقيل راحته والركن سنان
متى تحطى اليه الرجل سالمة * تستجمعي الخلق في تمثال إنسان

محمد خير من يمشى على قَدَم * ممن برا الله من إنس ومن جان
تنازع الأحمدان الشَّبه فاشتبهها * خَلَقَا وَخُلِقَا كَمَا قُدَّ الشَّرَا كَانَ
سَيِّانٍ لافرق في المعقول بينهما * معاهما واحد والعِدَّة اثنان

وقال الطائي

لو أن إجماعنا في فضل سُودده * في الدين، لم يختلف في المِلَّة اثنان

وقال أيضا

فلو صَوَّرَت نفسك لم تَردها * على ما فيك من كرم الطَّبَاع

وقال خالد بن صَفْوَان : كان الأحنف يفتر من الشرف والشرف يتبعه .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : وفد الأحنف والمنذر بن الجارود الى معاوية ، فتهيأ المنذر وخرج الأحنف على قعود وعليه بَت ، فكلمتا مرة المنذر قال الناس : هذا الأحنف ، فقال المنذر : أراي تزيتُ لهذا الشيخ . وقالت بنو تميم للأحنف : ما أعظم مِنتنا عليك ! فضلناك وسودناك ، فقال : هذا شبيل بن معبد ، من سوده وليس بالحِضرة بجلى غيره ؟ أو قال بالبصرة .

قال عبد الملك بن مروان لعبد الله بن عبد الأعلى الشاعر الشَّيباني : مَنْ أكرمُ العرب أو مَنْ خيرُ الناس ؟ قال : مَنْ يُحِبُّ النَّاسُ أَنْ يَكُونُوا مِنْهُ ، وَلَا يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَحَدٍ ، يَعْنِي بَنِي هَاشِمٍ . قال : مَنْ أُمُّ النَّاسِ ؟ قال : مَنْ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مِنْ غَيْرِهِ ، وَلَا يُحِبُّ غَيْرَهُ أَنْ يَكُونُوا مِنْهُ . قال رجل من أشراف العجم لرجل من أشراف العرب : إِنْ الشَّرَفُ نَسَبٌ مَفْرَدٌ ، فَالشَّرِيفُ مِنْ كُلِّ قَوْمٍ نَسِيبٌ . وَكَانَ يُقَالُ : أكرمُ الصَّفَايا أشدها وَلَهْمَا إِلَى أَوْلَادِهَا ، وَأكرمُ الْإِبِلِ أَحَبُّهَا إِلَى أَوْطَانِهَا . وَأكرمُ الْأَفْلَاءِ أَشَدُّهَا مَلَاذِمَةً لِأَمَهَاتِهَا ، وَخيرُ النَّاسِ أَلْفُ النَّاسِ لِلنَّاسِ .

(١) جمع فُلُوْبال كسر أو كهدق وسمو ، وهو الجحش أو المهر إذا فطما أو بلغا السنة .

السيادة والكمال في الحدائنة

قال الأحنف : السؤدد مع السواد ، يريد أنه يكون سيدا من أئمة السيادة في حدائته وسواد رأسه ولحيته ، وقد يُذهب بمعناه إلى سواد الناس وعاقبتهم يُراد أن السؤدد يكون بتسويد العاقمة . وقال أبو اليقظان ولّى المجاج محمد بن القاسم ابن محمد بن الحكم الثَّقَفِيّ قتال الأكراد بفارس فأباد منهم ، ثم ولّاه السند فافتتح السند والهند وقاد الجيوش وهو ابن سبع عشرة سنة ، فقال فيه الشاعر

إن السماحة والمروءة والندى ■ لمحمد بن القاسم بن محمد

قاد الجيوش لسبع عشرة حجة * يا قوب ذلك سؤددا من مولد!

ويروى * يا قرب ذلك سورة من مولد * السورة المترلة الرفيعة . قال أبو اليقظان : وهو جعل شيراز معسكرا ومترلا لولاية فارس . وقال حمزة بن بيض لمخلد بن يزيد بن المهلب (١)

١٠ باغت لعشر مضت من سديك ما يبلغ السيد الأشيب
فهمك فيها جسام الأمور ■ وهم لداك أن يلعبوا

نظر الخطيئة الى ابن عباس يتكلم في مجلس عمر ، فقال : من هذا الذي نزل عن الناس في سنه وعلاههم في قوله ! وقال ابن مسعود : لو بلغ أسناننا ما عشره منا (٢)

١٥ رجل . ونظر رجل إلى أبي دلف في مجلس المأمون فقال : إن همته ترمي به وراء سنه . وولى عبيد الله بن زياد نخراسان وهو ابن ثلاث وعشرين سنة ، وليها لمعاوية . وقيل لزياد عند موته : استخلف عبيد الله ، فقال : إن يك فيه خير فسيوليه عمه ، فلما مات زياد شخص عبيد الله الى همه معاوية فقال له : ما منع أباك أن يوليوك ؟ أما إنه لو فعل فعلت ، فقال عبيد الله : يا أمير المؤمنين ، لا يقولتها أحد

(١) قال ابن بري هو بكسر الباء لا غير ، وضبطه الحافظ بالفتح .

(٢) هكذا بالأصل وعبارة اللسان عاشره وقال في بيانها : لو كان في السن مثلنا ■ بلغ أحد منا عشر عليه .

بعدك ، ما منع أباه وعمه أن يكونا استعماله ، فرغب فيه فاستعمله على خراسان .
 وولى معاذ اليمن وهو ابن أقل من ثلاثين سنة . وحمل أبو مسلم أمر الدولة والدعوة
 وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، وحمل الناس عن ابراهيم النخعي وهو ابن ثمانين
 عشرة سنة . وولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد مكة وهو ابن
 خمس وعشرين سنة . وسودت قريش أبا جهل ولم يطر شاربه فأدخلته مع الكهول
 دار الندوة . قال الكميت

رُفِعَتْ إِلَيْكَ وَمَا تُغَرِّبُ^(١) ■ تَ عَيُونُ مُسْتَمِعٍ وَنَاضِرٍ
 وَرَأَوْا عَلَيْكَ وَمَنْكَ فِي الْـ * مَهْدِ النَّهْيِ ذَاتَ الْبَصَائِرِ

قال قدم وفد على عمر بن عبد العزيز من العراق ، فنظر إلى شاب منهم يتحوز يريد
 الكلام . فقال عمر : كبروا كبروا ، فقال الفتى : يا أمير المؤمنين إن الأمر ليس
 بالسن . ولو كان كذلك كان في المسلمين من هو أسن منك ، قال صدقت فتكلم .
 قال الشاعر في خلاف هذا المعنى

إِنَّمَا الْهَلْكَ أَنْ يُسَاسُوا بِغَيْرٍ ■ لَمْ تُعْرِهِ الْأَيَّامُ رَأْيَا وَثِيقًا

وقال آخر

أَلَا قَالَتِ الْحَسَنَاءُ يَوْمَ لَفَيْتَهَا ■ كَبُرَتْ ، وَلَمْ تَجْزَعْ مِنَ الشَّيْبِ جَزْعًا
 رَأَتْ ذَا عَصَا يَمْشِي عَلَيْهَا وَشَيْبَةً ■ تَقْنَعُ مِنْهَا رَأْسَهُ مَا تَقْنَعَا
 فَقُلْتُ لَهَا : لَا تَهْزَيْ بِي فَقَلَّمَا ■ يَسُودُ الْفَتَى حَتَّى يَشِيبَ وَيَصْلَعَا
 وَلَلْقَارِحُ الْيَعْبُوبُ خَيْرٌ عِلَالَةً ■ مِنَ الْجَدْعِ الْمُجَرَّى وَأَبْعَدُ مَرْءًا

رأى بكير بن الأخنس المهلب وهو غلام فقال

خَذُونِي بِهِ إِنْ لَمْ يَسُدَّ سَرَوَاتِهِم ■ وَيَبْرَحْ حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُ مِثْلُ

(١) يقال ثغر الغلام إذا سقطت أسنانه الرواضع .

الهمة والخطار بالنفس

قال أخبرنا خالد بن جويرية عن محمد بن ذؤيب القُقيمي^(١) وهو العُماني الراجز عن
 دُكين الراجز قال : أتيت عمر بن عبد العزيز بعد ما استُخلف أستعجز منه وعدا كان
 وعنديه وهو والى المدينة ، فقال لى : يا دُكين إن لى نفسا تواقه ، لم تزل تتوق إلى
 الإمارة ، فلما نلتها تاققت إلى الخلافة ، فلما نلتها تاققت إلى الجنة . وما رزأت من
 أموال المسلمين شيئا ، وما عندى إلا ألفا درهم ، فاختر أيهما شئت ، وهو يضحك .
 فقلت : يا أمير المؤمنين ، قليلك خير من كثير غيرك ، ويقال قليلك خير من كثير
 غيرك ، فاختر لى أنت ، فدفع إلى ألفا وقال : خذها بارك الله لك فيها ، فأبتعت بها
 إبلا وسُقمتا إلى البادية فرمى الله فى أذنانها بالبركة بدعوته حتى رزقنى الله ماترون .

قال معاوية لعمر بن العاص حين نظر معسكر على عليه السلام : من طلب
 عظيما خاطر بعظيمته . وكان عمرو يقول : عليكم بكل أمر مزلة مهلكة . أى عليكم
 بحسام الأمور . وقال كعب بن زهير

وليس لمن لم يركب الهول بُغية ۖ وليس لرجل حظه الله حامِلُ

إذا أنت لم تُقصر عن الجهل والحنأ * أصبت حليما أو أصابك جاهل

وفى كتاب للهند : ثلاثة أشياء لا تنال إلا بارتفاع همة وعظيم خطر : عمل
 السلطان ، وتجارة البحر ، ومناجزة العدو . وفيه أيضا : لا ينبغي أن يكون الفاضل من
 الرجال الا مع الملوك مكرما أو مع النساك متبتلا ، كالقيل لا يحسن أن يرى إلا
 فى موضعين : فى البرية وحشيا أو للملوك مكرما . وفيه أيضا : ذواهمة إن حطّ فنفسه
 تأبى إلا علوا كالشعلة من النار يصوبها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعا . وقال العتّابي

تلوم على ترك الغنى باهليّة ۖ طوى الدهر عنها كلّ طرف وتالد

(١) نسبة إلى قديم دارم ، قال فى القاموس : والنسبة إلى قديم كنانة قُقيمي كُعرفى وهم نساة الشهور فى الجاهلية
 وإلى قديم دارم قُقيمي ه .

يسرك أنى نلت ما نال جعفر * من الملك أو ما نال يحيى بن خالد
وأن أمير المؤمنين أغصنى * مفضهما بالمشركات البوارد؟
ذرىنى تحيىنى ميتى مطمئنة * ولم أتقحم هول تلك الموارد
فإن كريات المعالى مشوبة * بمستودعات فى بطون الأساود

وقال الطائي

وأخرى لحتى يوم لم أمنع التوى * قيادى ولم يتقضى زماعى ناقض
أرادت بأن يحوى الغنى وهو وادع * وهل يفرس الليث الطلاء وهو رابض؟

وقال أيضا

فاطاب هدوء فى التقلل^(١) وأستر * بالعيس من تحت الشهاد هجودا
ما إن ترى الأحساب بيضا وصحفا * إلا بحيث ترى المنايا سودا

وقال آخر

■ ما العز إلا تحت ثوب الكد *

وقال آخر

الذل فى دعة النفوس ولا أرى * عز المعيشة دون أن يسقى لها

وقال بعض المحدثين وأظنه البحتري

فاطلبا ثالثا سواى فإنى * رابع العيس والدجى والبيد
لست بالواهن المقيم ولا القا * ثل يوما إن الغنى بالجدود
وإذا استصعبت مقادة أمير * سهلتها أيدى المهارى القود

وقال عبد الله بن أبى الشيص

أظن الدهر قد آلى فبرا * بأن لا يكسب الأموال حرا
لقد قعد الزمان بكل حرا * ونقض من قواه المستمرا
كان صفائح الأحرار أردت * أباه فحارب الأحرار طرا

(١) فى النسخة الألمانية : التقلد ، وفى الفتوغرافية : التقلل ، والتصويب عن الديوان .

فأصبح كل ذي شرف ركوبا * لأعناق الدجى برأ وبحرا
فَهتَكَ جَيْبُ دِرْعِ اللَّيْلِ عَنْهُ * إِذَا مَا جَيْبُ دِرْعِ اللَّيْلِ زُرَا
يَرَأْبُ لِلْغَنَى وَجْهًا ضَحُوكًا * وَوَجْهًا لِلنِّيَّةِ مُكْفَهَرًا
وَمَنْ جَعَلَ الظَّالِمَ لَهُ قَعُودًا * أَصَابَ بِهِ الدَّجَى خَيْرًا وَشَرًا

- وكان يقال : مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَعِيشَ مَسْرُورًا فَلْيَقْنَعْ ، وَمَنْ أَرَادَ الذِّكْرَ فَلْيَجْهَدْ . قيل
للعنّابى : فلان بعيد الهمة ، قال : إذن لا يكون له غاية دون الجنة . وقيل لبعض الحكماء :
مَنْ أَسْوَأَ النَّاسِ حَالًا ؟ قال : مَنْ أَسْمَعَتْ مَعْرِفَتُهُ وَضَاقَتْ مَقْدَرَتُهُ وَبُعِدَتْ هِمَّتُهُ

وقال عديّ بن الرقاع

والمرءُ يورثُ جودَه أنباءَه * ويموتُ آخرُ وهو فى الأحياء

- أبو اليقظان قال : كان أول عمل وليه الحجاج تبالة ، فسار إليها فلما قرب منها
قال للدليل : أين هي وعلى أى سمت هي ؟ قال : تسترها عنك هذه الأكمة . قال
لا أرانى أميرا إلا على موضع تستر منه أكمة ! أهون بها ولاية ! وكرّ راجعا . فقبل
فى المثل : «أهون من تبالة على الحجاج» . وقال الطائي

وطولُ مقامِ المرءِ فى الحى مُخْلِقٌ * لِدِيَّاجَتِيهِ فَأَعْتَرَبُ نَتِجَتِدِ

- فإنى رأيت الشمسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً * إِلَى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدِ

وقال رجل لآخر : أبوك الذى جهل قدره وتعدى طوره فشق العصا وفتق
الجماعة ، لا جرم لقد هُزِمَ ثم أُسِرَ ثم قُتِلَ ثم صُاب . قال الآخر : دعنى من ذكر
هزيمة أبى ومن صلبه ، أبوك ما حدث نفسه بشىء من هذا قط . قال حاتم طيئ

لحى الله صُعلوكًا مُناه وَهَمَّهُ * مِنْ الْعِيشِ أَنْ يَلْقَى لَبُوسًا وَمَطْعَمًا

- يرى الخنص تعذيبا وإن يلقى شبعة * يَبْتَ قَلْبُهُ مِنْ قَلَّةِ الْهَمِّ مَبْهَمًا
وَلَنِّهِ صُعلوكٌ يُساورُ هِمَّهُ * وَيَمْضَى عَلَى الْأَهْوَالِ وَالْدَهْرِ مُقَدِّمًا

يرى قوسه أورشحه ومجنه * وذا شطبي لذن المهزة محذما
وأحناء سرج قاتر^(١) ولجامه * معدا لدى الهيحا وطرفا مسوما
فذلك إن يهلك حتى شأوه * وإن يحي لا يقعد لئما مدمما

وقال آخر

لا يمنعك خفض العيش تطلبه * نزاع شوق الى أهل وأوطان
تلو بكل بلاد إن حلت بها * أهلا بأهل وجيرانا بجيران
ويقال: ليس بينك وبين البلدان نسب نخير البلاد ما حلك. وقال عروة بن الورد
لحي الله صعلوكا إذا جن ليله * مصافي المشاش ألفا كل مجزر^(٢)
بعد الغنى من دهره كل ليلة * أصاب قراها من صديق مسير
ينام عشاء ثم يصبح قاعدا * تحت الحصا من جنبه المتعير
يعين نساء الحى لا يستعنه * ويمسى طايحا كالبعير المحسر^(٣)
ولله صعلوك صفيحة وجهه * كضوء شهاب القابس المستور
مطل على أعدائه يزجرونه * بساحتهم زجر المنيع المشر

وقال آخر

تقول سليمي: لو أقت بأرضنا! * ولم تدر أنى للقام أطوف

وقال الطائي في نحوه

ألفه النحيب كم افتراق * ألم فكان داعية اجتماع^(٤)
وما إن فرحة الاوبات إلا * لموقوف على ترح الوداع

(١) القاتر والمقتر من الرحال والسروج الجيد الوقوع على الظهر أو اللطيف منها . قاموس .

(٢) المشاش جمع مشاشة وهي رأس العظم المصكن مضغه . (٣) كذا في الأصول والأغاني ،

وفي الحماسة : « ولكن صعلوكا الخ » . (٤) في الأصول اظل ، والتصويب عن الديوان .

نظر رجل إلى روح بن حاتم واقفا في الشمس على باب المنصور فقال له : قد طال وقوفك في الشمس . فقال روح : لِيَطُولَ مَقَامِي فِي الظل . وقال خَدَّاشُ بْنُ زُهَيْرٍ
ولن أكون كمن ألقى رِحَالَهُ * على الحمار وخطى صهوة الفرس

وقال آخر

لا أنت قصرت عن مجدٍ ولا أنا ، إذ * أَسْمُوْا إِلَيْكَ بِنَفْسِي ، قَصَرَتْ هِمَمِي
قال عمر بن الخطاب : أَشْنَعُوا بِالْكُنَى فَإِنَّهَا مَنِيَّةٌ . دخل عبيد الله بن زياد بن ظبيان
التيمي على أبيه وهو يجود بنفسه فقال له : أَلَا أَوْصِي بِكَ الْأَمِيرَ ؟ فقال عبيد الله :
إذا لم يكن للحيّ إِلَّا وَصِيَّةُ الْمَيِّتِ فَالْحَيُّ هُوَ الْمَيِّتُ . وقال الشاعر في نحوه
إذا ما الحيّ عاش بَعِظُ مَيِّتٍ * فذاك العظمُ حيٌّ وهو مَيِّتٌ

وقال معاوية لعمر بن سعيد وهو صبيّ : إلى مَنْ أَوْصِي بِكَ أَبُوكَ ؟ قال :
أَوْصِي إِلَى وَلَمْ يُوصِ بِي . نظر أبو الحارث حمير إلى رِذْوَنٍ يُسْتَقَى عَلَيْهِ ، فقال : المرء
حيث يجعل نفسه ، لو هَمَلَجَ هذا لَمْ يُبَلِّ بِمَا تَرَوْنَ . قال الطائيّ

وقلقل نأبي من خراسان جاشها * فقلت أطمئنني أنضر الرّوض عازبه
وركب كأطراف الأسنّة عرسوا * على مثلها ، والليل تسطو غياهبه
لأمرٍ عليهم أن تَمَّ صدوره ، * وليس عليهم أن تَمَّ عواقبه

وقال آخر

وعش ملكاً أو مت كريماً ، وإن تمت * وسيفك مشهور بكفك تُعَذِّرُ
والمشهور في هذا قول امرئ القيس

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة * كفاني ولم أطلب قليل من المال
ولكنّا أسعى لتجديد مؤنل * وقد يدركُ المجد المؤنل أمثالي

وقوله

بكي صاحبي لما رأى الدربَ دونه * وأيقنَ أَنَا لاحقانَ بقيصرا
فقلت له : لا تبتك عينُك ، إنما * نُحاول مُلكاً أو نموتَ فنعذراً

وقال أبو نُوَّاس

سأبغى الغنى إفاً جليسَ خَليفةٍ * تقوم سَوَاءً ، أو تُخيفَ سبيل
وقيل ليزيد بن المهلب : ألا تبنى داراً ! فقال : منزلي دارُ الإمارة أو الحبس .
والمشهور في سقوط الهمة قولُ الحُطَيْثَةِ

دَعِ المكارمَ لا ترحلِ لُبغيتِها * وأقعدُ فإنك أنت الطاعِم الكاسِي

وقال مالك بن الرِّيب

فإن تُصِفونا آلَ مروانَ نَقْتَرِبْ * إليكم وإلا فاذنوا بتَعَادِي^(١)
فإن لنا عنكم مَرَّاحاً ومرحلاً * بعيس إلى ريحِ الفلاةِ صَوَادِي
وفي الأرض عن دارِ المَذَلَّةِ مَذْهَبٌ * وكلُّ بلادٍ أُوطِنْتَ بِلَادِي
فماذا عسى الحجاجَ يبلُغُ جهدهُ * إذا نحن جاوزنا حَفِيرَ زِيَادِ
فبِأَسْتِ أبا الحجاجِ وَأَسْتِ عَجُوزَه * عَتِيدَ^(٢) بهم يَرْتَعِي بُوَهَادِ
فلولا بنو مروانَ كانَ ابنُ يُوْسُفٍ * كما كانَ عبداً من عبيدِ إِيَادِ
زَمَانٌ هُوَ الْمُقَرِيُّ الْمُقَرُّ بِذَلَّةٍ^(٣) * يَرَاوِحُ غِلْمَانُ القُرَى وَيُعَادِي

بعث ينجاب خليفته إلى ابن عائشة المحدث وهو عبيد الله بن محمد بن حفص
التيَّمي ، فأنابه في حلقة في المسجد فقال له : أبو من ؟ قال : هلاً عرفت هذا قبل مجيئك !

(١) في الكامل للبرد طبع ليترج : « ببعاد » بدل « تعادي » وهو الأنسب للسياق .

(٢) العتيد تصغير عتود وهو كما في لسان العرب من أولاد المغز مارعى وقوى وأتى عليه حول ، يصفه بالضعف .

(٣) المقري طالب الضيافة ، وفي الحماسة والكامل : « العبد » . (٤) كذا بالأصل ؟

قال: أريد أن تُخْلِيَنِي . قال : في حاجة لك أم في حاجة لي؟ قال : في حاجة لي .
قال : فَأَلْقَيْتُ فِي الْمَنْزِلِ . قال : فَإِنْ الْحَاجَةُ لَكَ . قال : ما دون إخواني سرّاً .

وقال بعض لصوص همدان وهو مالك بن حريم

كذبتُم وبيتَ الله لا تأخذونها * مرأغمةً ما دام للسيف قائمُ
متى تجمع القلب الذكي وصارماً * وأنفأ حمياً تجتنبك المظالمُ
ومن يطلب المال المنع بالفتا * يعيش مثرياً أو تحتريمه المخارمُ
وكنْتُ إذا قومٌ غزَوْنِي غزوتُهُم ■ فهل أنا في ذا يالَ همدان ظالمُ

وقال أبو النّشاش، من اللصوص

إذا المرء لم يَسْرَحْ سَواماً ولم يُرِح * سَواماً ولم تعطف عليه أقاربه
فلَمَمْتُ خيراً للفتى من حياته * فقيراً ومن مَوَلَى تَدَبَّ عَقاربه
وسائلةً بالغيب عني وسائل * ومن يسأل الصعلوك أين مذهبُهُ؟
وطامسةً الأعلام ماثلة الصوى * سَرَتْ بأبي النّشاش فيها ركائبه
فلم أر مثلاً للفقّر ضاجعه الفتى ■ ولا كسواد الليل أخفق صاحبه^(١)

وقال آخر من اللصوص

وإني لأستحي من الله أن أرى * أطوف بأرض ليس فيه بعيرُ
وأن أسأل المرء اللئيم بعيره * وبعراً ربي في البلاد كثيرُ
فليل إن وارانِي الليلُ حكمةً * وللشمس إن غابت على تدورُ
عوى الذبّ فاستأثرت للذبّ إذعوى * وصوت إنسان فكدتُ أطيُرُ
رأى الله إني لأليس لسانِي * وتبغضهم لي مقلّةٌ وضميرُ

(١) في الحماسة : «طالبه» . أى الطالب فيه .

وقال التمر بن تَوَلَّب

خاطرِ نفسك كَي تُصِيبَ غَنِيمَةً * إِنَّ الْجُلُوسَ مَعَ الْعِيَالِ قَيْسُحٌ
فَالْمَالُ فِيهِ تَحِلَّةٌ وَمَهَابَةٌ * وَالْفَقْرُ فِيهِ مَذَلَّةٌ وَقُبُوحٌ

وقال آخر

تقول ابنتي : إِنَّ انْطِلَاقَكَ وَاحِدًا * إِلَى الرَّوْعِ يَوْمًا تَارِكِي لَا أَبَالِيَا
دَرِيخِي مِنَ الْإِشْفَاقِ أَوْ قَدَمِي لَنَا * مِنَ الْحَدَثَانِ وَالْمَنِيَّةِ وَأَقِيَا
سَتَتَلَفُ نَفْسِي أَوْ سَأَجْمَعُ هَجْمَةً * تَرَى سَاقِيهَا يَأْمَانِ التَّرَاقِيَا

وقال أوس بن حجر

وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتَرًا * مِنَ الْمَالِ يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحٍ
لِيُبْنِيَ عُذْرًا أَوْ لِيُبْلَغَ حَاجَةً * وَمُبْلَغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مَنْجِيحٍ

وقال آخر

رمى الفقرُ بالأقوامِ حتى كَانَهُمْ * بِأَطْرَارِ آفَاقِ الْبِلَادِ نَجْمُ
قال كسرى : احذروا صَوْلَةَ الْكَرِيمِ إِذَا جَاعَ * وَاللَّيْمِ إِذَا شَبِعَ . وقال الشاعر
خُلُقَانٍ لَا أَرْضَى اخْتِلَافَهُمَا : * تِيَهُ الْغَنَى ، وَمَذَلَّةُ الْفَقْرِ
فَإِذَا غَنَيْتَ فَلَا تَكُنْ بِطَرًّا * وَإِذَا افْتَقَرْتَ فَتَهُ عَلَى الدَّهْرِ
وَأَصْبِرْ ، فَلَسْتُ بِوَاجِدٍ خُلُقًا * أَذْنَى إِلَى فَرْجٍ مِنَ الصَّبْرِ

كان أعرابي يمنع ابنه من التصرف إشفافاً عليه ، فقال شعراً فيه

إِذَا مَا الْفَتَى لَمْ يَتَّبِعْ إِلَّا لِبَاسَهُ * وَمَطْعَمَهُ ، فَالْخَيْرُ مِنْهُ بَعِيدُ
يَذَكِّرُنِي خَوْفَ الْمَنَآيَا ، وَلَمْ أَكُنْ * لِأَهْرَبَ مِمَّا لَيْسَ مِنْهُ حَمِيدُ
فَلَوْ كُنْتُ ذَا مَالٍ لَقُرْبَ مَجْلِسِي * وَقِيلَ إِذَا أَخْطَأْتُ : أَنْتَ رَشِيدُ
رَأَيْتُ الْغَنَى قَدْ صَارَ فِي النَّاسِ سُودَدًا ، * وَكَانَ الْفَتَى بِالْمَكْرُمَاتِ يَسُودُ

وإن قلتُ لم يُسمعَ مقالِي وإني * مُبْدِي حَقِّ بَيْنِهِمْ وَمُعِيدُ
فَذَرْنِي أَجُولُ فِي الْبِلَادِ لَعَلَّه * يَسُرُّ صَدِيقُ أَوْ يَسَاءُ حَسُودُ
أَلَا رَبِّمَا كَانَ الشَّفِيقُ مَضَرَّةً * عَلَيْكَ مِنَ الْإِشْفَاقِ وَهُوَ وَدُودُ

وقال أعرابي من باهلة

سَأَعْمَلُ نَصْرَ الْعِيسَى حَتَّى يَكْفَى * غِنَى الْمَالِ يَوْمَا أَوْغْنَى الْحَدَثَانِ
فَلَمَمْتُ خَيْرَ مَنْ حَيَاةٍ يَرَى لَهَا * عَلَى الْحَزَنِ بِالْإِقْلَالِ وَسَمَّ هَوَانِ
مَتَى يَتَكَلَّمُ يُلْغِ حُسْنَ كَلَامِهِ * وَإِنْ لَمْ يَقُلْ قَالُوا : عَدِيمُ بَيَانِ
كَأَنَّ الْغِنَى عَنْ أَهْلِهِ - بَوْرِكَ الْغِنَى - * بَغِيرِ لِسَانٍ نَاطِقٍ بِلِسَانِ

الشرف والسؤدد بالمال ودم الفقر والحض على الكسب

أنشد ابن الأعرابي

١٠

وَمَنْ يَفْتَقِرُ فِي قَوْمِهِ يَجِدِ الْغِنَى * وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ مَا جَدَّ الْعَمُّ مُحَوَّلَا
يَمْنُونَ إِنْ أَعْطُوا وَيَخْلُ بَعْضُهُمْ * وَيُحْسَبُ عَجْزًا سَكَنُهُ إِنْ تَجَمَّلَا
وَيُزَرَى بِعَقْلِ الْمَرْءِ قَلَّةُ مَالِهِ * وَإِنْ كَانَ أَقْوَى مِنْ رِجَالٍ وَأَحْوَلَا

وقرأت في كتاب للهند : ليس من خلة يُمدح بها الغني إلا دُم بها الفقير، فان

كان شجاعا قيل أهوج ، وإن كان وقورا قيل بليد ، وإن كان آسنا قيل مهذار ،
وإن كان زمينا قيل عبي ^(١) . وقال آخر

الفقر يُزري بأقوام ذوى حسبي * وقد يسود غير السيد المال

وأنشد ابن الأعرابي

٢٠

رَزَقْتُ أَبَا وَلَمْ أَرْزُقْ مَرْوَةً * وَمَا الْمَرْوَةُ إِلَّا كَثْرَةُ الْمَالِ
إِذَا أَرَدْتُ مُسَامَاةً يُقْعِدُنِي * عَمَّا يَنْوَهُ بِأَسْمَى رِقَّةِ الْحَالِ

(١) الزيت : كثير الوفاة .

وقال آخر

يُغَطِّي عيوبَ المرءِ كثرةُ ماله * يُصَدِّقُ فيما قال وهو كَذُوبُ
وَيُزِيرِي بعقل المرءِ قِلَّةُ ماله * يُحَقِّقُهُ الأَقْصَاومُ وهو لَيْبُ

وقال آخر

كم من لئيم الجُدودِ سَوْدَه السَّمالِ، أبوه وأُمُّه الْوَرِقُ
وكم كريم الجُدودِ ليس له * عَيْبٌ سِوَى أَنْ تُوْبَهُ خَلْقُ
أَدْبِه سَادَةٌ كَرَامُ فَمَا * تُوْبَاهُ إِلَّا الْعَفَافُ وَالْحُلُقُ

وأنشد الترياشي

غَضَبَانِ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَالَ سَاقٍ لَهُ * مَا لَمْ يَسْقِهِ لَهُ دِينَ وَلَا خُلُقُ
لَوْلَا ثَلَاثُونَ أَلْفًا سُقَّتْهَا بَطَرًا * إِلَى ثَلَاثِينَ أَلْفًا ضَاقَتْ الطَّرُقُ
فَمَنْ يَكُنْ عَنْ كِرَامِ النَّاسِ يَسْأَلُنِي * فَأَكْرَمُ النَّاسِ مَنْ كَانَتْ لَهُ وَرِقُ

وقال أحيحة بن الجلاح

اسْتَغْنِ أَوْمَتْ وَلَا يَغُرُّكَ ذُو نَسَبٍ * مِنْ أَبْنِ عَمٍّ وَلَا عَمٍّ وَلَا خَالٍ
يَلُوونَ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ حَقِّ أَقْرَبِهِمْ * وَعَنْ صَدِيقِهِمْ وَالْمَسْأَلِ بِالْوَالِي
وَلَا أَزَالُ عَلَى الزُّورَاءِ أَعْمُرُهَا، * إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْإِخْوَانِ ذُو الْمَالِ
كَلَّ النَّسَاءُ إِذَا نَادَيْتُ يَخْدُلُنِي * إِلَّا نَدَائِي إِذَا نَادَيْتُ يَا مَالِي

وقال حسان

رُبَّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَسَدَمُ الْمَالِ * لَوْ جَهِلَ غَطَّى عَلَيْهِ النِّعَمُ

وقال الهذلي

رَأَيْتُ مَعَاشِرًا يُنْتَنَى عَلَيْهِمْ * إِذَا شَبِعُوا وَأَوْجُهُهُمْ قَبَاحُ

(١) في العقد الفريد «حيران» . (٢) في الأصل «قلت له الناس انخ» والتصويب عن العقد الفريد .

(٣) في الأصول بعزرك بالعين والزاي . والتصويب عن الأغاني . (٤) في القاموس : الزوراء مال لأحيحة .

يَظَلُّ الْمُضْرِمُونَ^(١) لَهُمْ سُبُودًا * وَلَوْ لَمْ يُسَقَّ عَنْدهُمْ ضِيَا^(٢)

ويروى يُلَفُّ . وقال بعضهم : وددت أن لي مثل أحد ذهباً لا أنتفع منه بشيء .

قيل له : فما تصنع به ؟ قال : لكثرة من يخدمني عليه . قال الصَّلَتَانِ

إذا قلت يوماً لمن قد ترى : * أروني السَّريَّ ، أروك الغني

وسرك ما كان عند أمري * وسرّ الثلاثة غير الخفي

وقال آخر

لا تسألني النَّاسَ : ما جدي وما شرفي ، * الشَّأنُ في فِضْتي والشَّأنُ في ذهبي

لو لم يكن لي مال لم يطر أحد * بابي ولم يعرفوا مجدي ومجد أبي

وقال آخر

أجلك قوم حين صرّت إلى الغني ، * وكلّ غني في العيون جليل

ولو كنت ذا عقل ولم تؤث ثروة * ذلّت لديهم والفقير ذليل

إذا مالت الدنيا على المرء رغبت * إليه ومال الناس حيث يميل

وليس الغني إلّا غنيّ زين الفتى * عشيّة يقسري أو غداة يُقيل

وقال آخر

وكلّ مُقْسَلٍ حين يفسدو لحاجة * إلى كلّ من يعدو من الناس مذنب

وكان بنو عمي يقولون مرحباً * فلما رأوني مُعْدِماً مات مرحب

وقال آخر

أبا مصلح أصلح ولا تلك مفسدا * فإن صلاح المال خير من الفقر

ألم تر أن المرء يزداد عِزَّةً * على قوميه إن يعلموا أنه مُثْرَى

وقال عمرو بن الورد

ذريني للغنيّ أسعى فإني * رأيتُ النَّاسَ شرَّهم الفقيرُ

(١) المصرم : الفقير الكثير العيال . (٢) الضياح : اللبن الرقيق الممزوج بالماء .

(٣) كذا بالأصول ، وفي العقد الفريد « يلق » .

وأبعدهم وأهونهم عليهم * وإن أمسى له حسبٌ وخيرُ
ويُقصيه الندى وتزدرية * حليته وينهره الصغيرُ
وتُلغى ذا الغنى وله جلالُ * يكاد فؤاد صاحبه يطيرُ
قليلُ ذنبه والذنبُ جَمٌّ * ولكن للغنى ربٌ غفورُ

وقال زيد بن عمرو بن نفيل

ويَكُنْ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَسَبٌ يُحْسَبُ * ومن يَفْتَقِرْ يَعِشْ عَيْشَ ضَرٍّ^٥
ويُجَنَّبُ سِرَّ النَجِيِّ * ولكن أَخَا الْمَالِ مُحْضَرٌ كُلَّ سِرٍّ

وقال آخر

ألم تَرَيْتَ الْفَقْرَ يُهْجِرُ أَهْلَهُ * وَبَيْتَ الْغِنَى يُهْدِي لَهُ وَيُزَارُ^٥

وقال آخر

إِذَا مَا قَلَّ مَالُكَ كُنْتَ فَرْدًا * وَأَيُّ النَّاسِ زُورَارُ الْمُقِلِّ^{١٠} ؟

وقال عبد العزيز بن زُرَّارة

وما لبَّ اللَّيْبُ بغيرِ حَظٍّ * بأغنى في المَعِيشَةِ من فَتِيلِ
رَأَيْتُ الْحَظَّ يَسْتُرُ عَيْبَ قَوْمٍ * وَهِيَاتِ الْحُظُوظُ مِنَ الْعُقُولِ

وقال الطائي

الصَّبْرُ كَالسِّ وَبَطْنُ الْكَفِّ عَارِيَةٌ * وَالْعَقْلُ عَارٍ إِذَا لَمْ يُكْسَ بِالنَّسَبِ^{١٥}
مَا أَضْيَعَ الْعَقْلَ إِنْ لَمْ يَرَّعْ ضِعَّتْ * وَفَرٌّ وَأَيُّ رَحًا دَارَتْ بِلَا قُطْبٍ ؟

وقال آخر

عِشْ بِجَدٍّ وَلَا يَضُرْكُ نَوْكُ^(١) * إِنَّمَا عِيشٌ مِنْ تَرَى بِالْجُدُودِ
عِشْ بِجَدٍّ وَكُنْ هَبْنَقَةً الْقَيْدِ * نَوْكًا أَوْ خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ^(٢)

(١) في الأصول « فلم » والتصويب عن البيان للجاحظ .

(٢) في البيان للجاحظ « شبيهة بن الوليد » وهو الموافق لما في اللسان في مادة هبتق .

وقال الطائي

يَنَالُ الفَقِي من عَيْشِهِ وهو جَاهِلٌ * وَيُكْذِبُ الفَقِي في دَهْرِهِ وهو عَالِمٌ
ولو كانت الأرزاقُ تَجْرِي على الْجَمَا * هَلَكْنَ إِذَا من جَهْلِهِنَّ البِهَائِمُ
وقال المرّار

إذا لم تُرَافِدْ في الرَّفَادِ ولم تُسَقِّ * عدوّا ولم تستغنِ فالموت أروحُ
وقال ابن الدُّمَيْنَةِ الثَّقَفِي

أَطْعَمْتُ العَرَسَ في الشّهواتِ حتّى * أَعَادَتْنِي عَيْسِيًّا عَبْدَ عَبِيدٍ
إذا ما جِئْتُهَا قد بَعَثَ عَذْقًا * تُعَانِقُ أو تُقَبِّلُ أو تُفَسِّدِي
وقال الأسْعَرُ الجُعْفِي

وَحَصَاصَةُ الجُعْفِي ما دَايَلَتْهُ * لَا يَنْقُضِي أَبَدًا وَإِنْ قِيلَ انْقَضَى
إِخْوَانُ صَدِيقٍ ما رَأَوْكَ بِغِبْطَةٍ * فَانْأَفْتَقَرْتَ فَقَدْ هَوَى بِكَ ما هَوَى

وقال آخر

إذا المرءُ لم يَكْسِبْ معاشًا لِنَفْسِهِ * شَكَا الْفَقْرَ أَوْلَا قَى الصَّدِيقَ فَأَكْثَرَا
وَصَارَ على الْأَدْنَيْنِ كَلًّا وَأَوْشَكَتْ * صِلَاتُ ذَوِي الْقُرْبَى لَهُ أَنْ تَنْكَرَا
فَسِرَ في بِلَادِ اللَّهِ وَأَلْتَمَسَ الْغِنَى * تَعِيشُ ذَا يَسَارٍ أَوْ تَمُوتَ فَتُعْذَرَا
وَمَا طَالِبُ الْحَاجَاتِ مِنْ حَيْثُ تُبْتَغَى * مِنَ النَّاسِ إِلَّا مِنْ أَجَدِّ وَشَمَّرَا
فَلَا تَرْضَ مِنْ عَيْشٍ بِدُونٍ وَلَا تَتَمَّ * وَكَيْفَ يَنَامُ اللَّيْلَ مَنْ كَانَ مُعْسِرَا

وقال آخر

مَنْ يَجْعُجُ الْمَسَالَ لَا يُثَبِّ بِه * وَيَتْرِكُ الْعَامَ لِعَامٍ جَدِّ بِه
يَهْنُ عَلَى النَّاسِ هَوَانُ كَلْبِهِ *

٢٠

قال أبو اليَقْظَان : ما سَادَ مُمْلِقٌ قَطُّ إِلَّا عَتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ .

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي عن حماد بن سلمة عن عبيد الله بن العيرار عن عبد الله بن عمرو أنه قال: احْرُثْ لدنياك كأنك تعيش أبداً وأحْرُثْ لآخرتك كأنك تموت غداً .

قال حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال حدثني أصحاب أيوب عن أيوب قال : كان أبو قلابة يَحْتَنِي على الاحتراف ويقول : إِنَّ الْغِنَى مِنَ الْعَافِيَةِ .

قال وقال الأصمعي : سأل اعرابي عن رجل فقالوا : أحقُّ مرزوقٌ ، فقال : ذاك والله الرجل الكامل . وكان يقال : من حفظ ماله فقد حفظ الأكرمين : الدين والعرض . ويقال في بعض كتب الله : أظنني فيما أمرك ولا تُعلمني بما ينفَعُكَ وأمدد يدك لباب من العمل أفتح لك باباً من الرزق . وكان يقال : من غلَى دماغه في الصيف غلَّتْ قِدرُهُ في الشتاء . ويقال : حفظُ المال أشدُّ من جمعه . وقال الحسن : إذا أردتم أن تعلموا مِنْ [أين] ^(١) أصاب المال فانظروا فيم ينفقه فإن الخبيث يُنْفِقُ سَرَفاً . ونحوه قولهم : من أصاب مالا من ^(٢) مهاوش ^(٣) أذهبه الله في نهاره . ويقال في مثل «الكَدَّ قبل المَدَّ» يراد الطلب قبل العجاجة والعجز . وقال لقيط ^(٤) «الغزو أدر للّقاح وأحد للسّلاح» . وقال أبو المعافى

وإن التواني أنكح العجز بنته * وساق إليها حين زوّجها مهراً

فراشاً وطيثاً ثم قال لها آتكني * قصارهما لا بد أن يلدا الفقرا

(١) زيادة يقتضها السياق . (٢) في الأصل «مهاوش» بالميم . والنصح عن لسان العرب في مادة نهير . (٣) هكذا بالأصول ولعلها محرفة عن الحاجة . (٤) في النسخة الألمانية هكذا : « وقال لقيط الفرزاري دَرَّ للّقاح وأحد للسّلاح » وفي الفتوغرافية «العز» بغير واو ، والتصويب عن مجمع الأمثال للبديائي .

وقال زيد بن جبلة : لا فقير أفقر من غني آمن الفقر . وروى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : ما دون أربعة آلاف درهم نفقة ، وما فوقها كثر . ويقال : القبر ولا الفقر . ويقال : ما سبق عيال مالا قط إلا كان صاحبه فقيرا . وقيل لرجل من البصريين : مالك لا ينبغي مالك ؟ قال : لأني اتخذت العيال قبل المال واتخذ الناس المال قبل العيال . ويقال : العيال سوس المال .
وقيل لمديني : كيف حالك ؟ قال : كيف يكون حال من ذهب ماله وبقيت عادته . ويقال : الغنى في الغربة وطن والفقر في الوطن غربة .

حدثني محمد بن يحيى بإسناد ذكره قال : شكاني من الأنبياء الى الله شدة الفقر فأوحى الله اليه : هكذا جرى أمرك عندي أفتريد من أجلك أن أعيد الدنيا .

قال أبو حاتم قال حدثنا العتي قال سمعت يونس بن حبيب يقول : ما أجذب أهل البادية قط حتى تسويهم السنة ثم جاءهم الحصب إلا عاد الغنى الى أهل الغنى . قال الأصمعي رأيت أعرابية ذات جمال رائع تسأل بمنى فقلت : يا أمة الله تسألين ولك هذا الجمال ! قالت : قدر الله فما أصنع ؟ قلت : فمن أين معاشكم ؟ قالت : هذا الحاج تتقممهم ونفسل ثيابهم . فقلت : فاذا ذهب الحاج فمن أين ؟ فنظرت الى وقالت : يا صلب الجبين ! لو كنا إنما نعيش من حيث نعلم لما عشنا . وقال الشاعر
أتراني أرى من الدهر يوما * لي فيه مطية غير رجلى
واذا كنت في جميع فقالوا * قربوا للرحيل قدمت نعل
حيما كنت لا أخلف رجلا * من رآني فقد رآني ورجلي

قيل لمديني : ما عندك من آلة الحج ؟ قال : التلبية . وقيل لآخر : ما عندك من آلة العصيدة ؟ قال : الماء . وقيل لآخر : ما عندك من آلة القريس ؟ قال : الشتاء .

ذم الغنى ومدح الفقر

قال شريح : الحِدة كنية البهل . وقال أكرم بن صبيح : ما يسرنى أنى مكفى كل أمر الدنيا . قيل : وإن أسمنت وألبنت ؟ قال : نعم ، أكره عادة العجز . وكان يقال : عيب الغنى أنه يورث البله ، وفضيلة الفقر أنه يورث الفكرة . وقال محمد بن حازم الباهلي :

ما الفقر عار ولا الغنى شرف * ولا سخاء فى طاعة سرف

مالك إلا شئ تقدمه * وكل شئ أخرته تلف

تركك مالا لو ارث يتهناه وتصلى بحره أسف

وقال ابن منذر

رضينا قسمة الرحمن فينا * لنا علم وللتقى مال

وما التقى إن جادت كساه * وراعك شخصه إلا خيال

وقال أنس بن مالك : لما خرج مروان من المدينة مر بماله بذي خُشب فلما نظر إليه قال : ليس المال إلا ما أُشْرِجَتْ عليه المناطق . ورؤى عن المسيح أنه قال : فى المال ثلاث خصال ، قالوا : وما هى يا روح الله : قال : لا يكسبه من حله قالوا : فإن فعل قال : يمنعه من حقه ، قالوا : فإن لم يفعل ، قال : يسغله إصلاحه عن عبادة ربه . قيل لأبن عمر : توفى زيد بن حارثة وترك مائة ألف درهم ، قال : لكنها لا تتركه . وقال المعلوط

ولا سؤد المال الدنى ولا دنا * لذاك ولكن الكريم يسود

مى ما ير الناس الغنى وجاره * فقيرا يقولوا عاجز وجليد^(٣)

(١) فى النسخة الألمانية : « يسونى » . وهو خطأ .

(٢) فى القاموس : وخشب كحطب واد بالمدية ، وفى المرتضى فى شرح القاموس وابن الأثير فى النهاية أنه واد على مسيرة ليلة من المدينة وله ذكر كثير فى الأحاديث والمغازى ويقال له ذو خشب .

(٣) كذا بالأصل ، وفى الجماسة : « وجاره فقير » بالرفع على أن الواو لفتح .

وليس الغنى والفقر من حيلة الفتي * ولكن أحاط قُسمت وجُدودُ
فكم قد رأينا من غنى مُدَمَّم * وصُعولك قوم مات وهو حديدُ
إذا المرء أعينته المُرودة ناشئا * فمطلبها كهلاً عليه شديدُ

وقال آخر

ولا تُهينَ الفقيرَ علك أن * تركع يوماً والدهر قد رَفَعَه
الأخفَش قال : قال المبرد : أريد النونَ الخفيفةُ في ولا تهينَ فأسقط التنوين لسكونه
وسكون اللام . وقال آخر

ولستُ بنظارٍ الى جانب الغنى * إذا كانت العلياءُ في جانب الفقر
وإني لصَبَّارٌ على ما يُنوبني * لأنني رأيتُ الله أثنى على الصبر

وقال أعرابي يمدح قومًا

إذا افتقروا عَضُوا على الصبرِ حَسْبَةً * وإن أيسروا عادوا سِرَاعًا الى الفقر

يقول : يُعطون ما عندهم حتى يفتقروا . قال الحسن : عيرت اليهود عيسى بن
مريم بالفقر فقال : من الغنى أُتَيْتُمْ ، وقال : حسبك من شرف الفقر أنك لا تَرَى
أحدًا يعصى الله ليفتقر . أنشد ابن الأعرابي

المال يغشى رجالا لا طَبَّاحَ بهم * كالسَّيل يغشى أصولَ الدَّندِنِ البالي

وقال الطائي

لا تنكروا عَطلَ الكريم من الغنى * فالسَّيلُ حَرَبٌ للمكانِ العالى

قال عمر بن الخطاب : من دخل على الأغنياء خرج وهو ساخط على الله . قال

أعرابي : الغنى من كثرت حسناته والفقير من قل نصيبه منها . وقال ذو الأصبغ

(١) عبارة المبرد في الكامل بعد أن أورد البيت : أراد ولا تهين بالنون الخفيفة لحذفها لالتقاء الساكنين
فلعل ما هنا محرف عن «فأسقط النون لسكونها وسكون اللام» . (٢) عزاه في اللسان الى حسان
ابن ثابت ، ثم قال وورد هذا البيت في شعر لحية بن خلف الطائي . (٣) الطباخ : القوة ، قال في اللسان
ومعناه في البيت : لا عقل لهم . (٤) ما يلي وعفن من أصول الشجر .

لِي أَبْنُ عَمٍّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ * مَخَالَفٌ لِي أَقْلِيهِ وَيَقْلِبُنِي
أَزْرَى بِنَا أَنَا شَأَلْتُ نَعَامَتُنَا * نَخَالِنِي دُونَهُ بَلْ خَلَّتْهُ دُونِي

وقال آخر

إِن الْحَرَامَ غَزِيرَةٌ حَلَبَاتُهُ * وَوَجَدْتُ حَالِبَةَ الْحَلَالِ مَصُورًا

٥ قيل لأعرابي : ان فلانا أفاد مالا عظيما قال : فهل أفاد معه أياما يُنفقه فيها ؟
وفي كتاب للهند : ذو المروءة يكرم مُعَدِّمَا كَالْأَسَدِ يُهَابُ وَإِنْ كَانَ رَابِضًا ، وَمَنْ لَا مَرْوَةَ
لَهُ يُهَانُ وَإِنْ كَانَ مُوسِرًا كَالْكَلْبِ وَإِنْ طَوَّقَ وَحَلَى . وقال خَدَّاشُ بْنُ زُهَيْرٍ

أَعَاذِلْ إِنِّ الْمَالَ أَعْلَمُ أَنَّهُ ■ وَجَامِعُهُ لِلْعَائِلَاتِ الْغَوَائِلِ

مَتَى تَجْعَلُنِي فَوْقَ نَعَشِكَ تَعَالَمِي * أَتَغْنِي مَكَانِي أَبْكُرِي وَأَفَائِلِي

وقال آخر

١٠ إِذَا الْمَرْءُ أَثَرَى ثُمَّ قَالَ لِقَوْمِهِ * أَنَا السَّيِّدُ الْمَقْضَى إِلَيْهِ الْمَعْظَمُ

وَلَمْ يُعْطِهِمْ خَيْرًا أَبَوًا أَنْ يَسُودَهُمْ * وَهَانَ عَلَيْهِمْ رَغْمُهُ وَهُوَ أَظْلَمُ

وقال زَبَّانُ بْنُ سَيَّارٍ

وَلَسْنَا كَقَوْمٍ مُحَدِّثِينَ سَيَادَةً ■ يَرَى مَا لَهَا وَلَا يُحْسِنُ فَعَالَهَا

١٥ مَسَاعِيهِمْ مَقْصُورَةٌ فِي بَيْوتِهِمْ * وَمَسْعَاتُنَا ذُبْيَانُ طُرًّا عِيَالَهَا

وقال أبو عبيد الله الكاتب : الصبرُ على حقوق المروءة أشدُّ من الصبر على ألم الحاجة ، وذِلَّةُ الفقر مانعةٌ من عزِّ الصبر كما أنَّ عزَّ الغنى مانعٌ من كرم الإنصاف .
وقال بعض المتكلمين في ذمِّ الغنى : ألم تر ذا الغنى ما أَدْوَمَ نَصَبَهُ ، وَأَقْلَلَ رَاحَتَهُ ، وَأَخْسَ مِنْ مَالِهِ حِفْظَهُ ، وَأَشَدَّ مِنَ الْأَيَّامِ حَذَرَهُ ، وَأَغْرَى التَّهَرُّ بِثَلْمِهِ وَتَقْضَاهُ ، ثُمَّ هَوَيْنِ
٢٠ سُلْطَانَ يَرْعَاهُ ، وَحَقُوقَ تَسْتَرْثِيهِ ، وَأَكْفَاءَ يَتَنَافَسُونَهُ ، وَوَلَدٍ يَوَدُّونَ فِرَاقَهُ ، قَدْ بَعَثَ عَلَيْهِ الْغِنَى مِنْ سُلْطَانِهِ الْعَنَاءَ ، وَمِنْ أَكْفَائِهِ الْحَسَدَ ، وَمِنْ أَعْدَائِهِ الْبَغْنَى ، وَمِنْ ذَوِي

الحقوق الذم، ومن الولد الملامة، لا كذى البلغة فَنِعْ فدام له السرور، ورفض الدنيا
فسلم له الجسد، ورضى بالكفاف فتَنَكَّبَ الحقوق. صَجِرَ أعرابيُّ بكثرة العيال والولد
مع الفقر وبلغه أن الوباء بَحِيرَ شديد فخرج إليها بعباله يُعرضهم للوت، وأنشأ يقول

قُلْتُ لِمَ خِيبَ اسْتِعْدَى * هَالِكِ عِيَالِي وَأَجْهَدِي وَجَدِّي

وَبَاكِرى بِصَالِبٍ وَوَرْدٍ * أَعَانِكَ اللَّهُ عَلَى ذَا الْجَنَدِ

٥

فأخذته الحمى فمات هو وبقى عياله. وكتب عمر بن الخطاب إلى ابنه عبد الله:
يا بني، اتق الله، فإنه من اتقى الله وقاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن شكره زاده، فلتكن
التقوى عماد عينيك وجلاء قلبك، وأعلم أنه لا عمل لمن لا نية له ولا أجر لمن
لا حسبة له، ولا مال لمن لا رفق له، ولا جديد لمن لا خلق له. وقال محمود الوراق

يَا عَائِبَ الْفَقْرِ أَلَا تَزْدَحِرُ * عَيْبُ الْغِنَى أَكْثَرُ لَوْ تَعْتَبِرُ

١٠

مِنْ شَرَفِ الْفَقْرِ وَمِنْ فَضْلِهِ * عَلَى الْغِنَى إِنْ صَحَّ مِنْكَ النَّظَرُ

أَنْتَ تَعْصِي اللَّهَ تَبْغِي الْغِنَى * وَلَسْتَ تَعْصِي اللَّهَ كَيْ تَفْتَقِرَ

وقال آخر

لَيْسَ لِي مَالٌ سِوَى كَرَمِي * فِيهِ لِي أَمْنٌ مِنَ الْعُدْمِ

١٥

لَا أَقُولُ : اللَّهُ أَعْدَمَنِي * كَيْفَ أَشْكُو غَيْرَ مَتَّهِمِ

فَنِعْتُ نَفْسِي بِمَا رَزَقْتُ * وَتَمَطَّتْ بِالْعُلَى هِمَمِي

وَجَعَلْتُ الصَّبْرَ سَابِغَةً * فَهِيَ مِنْ قَرْنِي إِلَى قَدَمِي

فَإِذَا مَا الدَّهْرُ عَاتَبَنِي * لَمْ يَحْذَنِي كَافِرًا نَعَمِي

التجارة والبيع والشراء

قال : حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن ابن إسحاق عن حمزة بن عمار
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بُعِثْتُ مَرْغَمَةً وَمَرْحَمَةً وَلَمْ أُبْعَثْ تَاجِرًا
وَلَا زَرَّاعًا وَإِنَّ شَرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ التَّجَارُ وَالزَّرَاعُونَ إِلَّا مَنْ شَخَّ عَنْ دِينِهِ ». وفي حديث

٢٠

آخر رواه أبو معاوية عن الأعمش عن وائل بن داود عن سعيد بن جبيرة: سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الكسب أطيب قال : « عمَلُ الرجل بيده وكلُّ بيع مبرور » .

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا عون بن عُمارة عن هشام بن حسان عن الحسن أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : من تَجَرَ في شيء ثلاث مرات فلم يُصِبْ فيه فليتحول منه الى غيره . وقال : فزقوا بين المتبايأ ، وأجعلوا الرأس رأسين ولا تُلثُوا بدار معجزة . وقال : اذا اشتريتَ بغيراً فاشتريه عظيمَ الخلق فإن أخطأك خيرٌ لم يُخطئك سوقٌ . وقال : بيع الحيوان أحسن ما يكون في عينك . وقال الحسن : الأسوأ موائد الله في الأرض فمن أتاها أصاب منها . ابن المبارك عن معمر عن الزُّبيري قال : مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل يبيع شيئاً ، فقال : « عليك بالسَّوْمِ أوَّلَ السوق فإن الرِّبَّاح مع السَّباح » . وكان يقال : اسْمَحْ يُسْمَحْ لك . وفي بعض الحديث المرفوع : « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الأغنياءُ باتخاذ الغنم والفقراءُ بالدجاج » . وقيل للزُّبيري : بم بلغت ما بلغت من اليسار ؟ قال : لم أرِدْ ربحاً ولم أشتُرْ عبداً . دخل ناسٌ على معاوية فسألهم عن صنائعهم ، فقالوا : بيع الرقيق . قال : بئس التَّجارة ضمان نفيس ومُؤنة ضرس .

باع رجلٌ ضيعةً فقال للشترى : أما والله لقد أخذتها ثقيلة المئونة قليلة المنفعة ، فقال : وأنت والله لقد أخذتها بطيئة الاجتماع سريعة التفرق . واشترى رجل من

(١) رواه ابن الأثير في النهاية وابن منثور في اللسان « فزقوا عن المتبايأ واجعلوا الرأس رأسين الخ » وقالوا في تفسيره : اذا اشتريتم الرقيق أو غيره من الحيوان فلا تغالوا في الثمن واشتروا بثن الرأس الواحد رأسين فان مات الواحد بقي الآخر فكأنكم فرقتم ما لكم من المتبايأ ولا تلتوا بدار معجزة أى لا تقيموا بدار بعجزكم فيها طلب الرزق وتحولوا عنها الى غيرها .

رجل داراً فقال له المشتري: لو صبرتَ لا شريتُ منك الذراعَ بعشرة، فقال: وأنت لو صبرتَ بعثتك الذراع بدرهم.

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي أن أبا سفيان بن العلاء باع غلاماً له بثلاثين ألفاً فقال عمر بن أبي زائدة: هذا أحق، قالوا: كيف؟ قال: لأنه لم يبلغ ثلاثين ألفاً حتى أعطى قبل ذلك عشرون ألفاً فكيف آتتظر ولم يغتنمها. ورؤي عبد الله ابن جعفر يُمَا كس في درهم فقيل له: أئما كس في درهم وأنت تجود من المال بما تجود به؟ قال: ذلك مالي جدتُ به وهذا عقلي بَحْلَتُهُ. ابتاع ابن عمر شيئاً فحَثَّاهُ البائعُ على المكيال فقال له ابن عمر أرسل يدك ولا تُمسِكْ على رأسه فإنما لي ما يحمله المكيال. كان جرير بن عبد الله إذا اشترى شيئاً قال لصاحبه: إن الذي أخذنا منك خيرٌ مما أعطيناك إذ أظن أنه كذلك فأنت بالخيار. اشترى عمرو بن عبيد إزاراً للحسن بستة دراهم ونصف فأعطاه سبعة دراهم فقال الرجل: إنما بعته بستة دراهم ونصف، فقال عمرو: إني اشتريته لرجل لا يقاسم أخاه درهما.

قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي الزناد قال: إذا عَزَبَ المالُ قَلَّتْ فواضِلُهُ، لا بَلَحَةٌ ولا بُسْرَةٌ ولا رُطْبَةٌ ولا كُرْأَفَةٌ. ونحوه قول بعض المجازيين سَأَيْفِيكَ مَالاً بِالْمَدِينَةِ إِنِّي أَرَى عَازِبَ الْأَمْوَالِ قَلَّتْ فَوَاضِلُهُ

قال عمر بن عبد الرحمن بن عوف: قَسَمَ سَهْلُ بْنُ حَنِيفٍ بَيْنَنَا أَمْوَالَنَا وَقَالَ لِي: يَا بْنَ أَخْتِي إِنِّي أَوْثَرُكَ بِالْقَرَابَةِ، أَعْلَمُ أَنَّهُ لَا مَالَ لِأَخْرَقَ وَلَا عَيْلَةً عَلَى مُصْلَحٍ، وَخَيْرُ الْمَالِ مَا أَطْعَمَكَ لَا مَا أَطْعَمْتَهُ، وَإِنَّ الرِّقِيقَ جَمَالٌ وَلَيْسَ بِمَالٍ. قال زياد: ليس لذي ضَعْفٍ

مثل أرض عُثْرٍ وليس لدى جاه مثلُ خَرَّاجٍ وليس لتاجرٍ مثلُ صامِتٍ . قال رجل
لآخر: بكم تباع الشاة؟ قال: أخذتها بستة وهي خير من سبعة وقد أعطيتُ بها ثمانية
فإن كانت من حاجتك بتسعة فزَنُ عشرة . كان يقال: خيرُ المالِ عينُ خَرَّارةٍ،
في أرض خَوَّارة . تُفَجِّرُهَا القارة . تسهرُ إذا نِمْتَ ، وتشهدُ إذا غِبْتَ ، وتكون عِقْباً
إذا مِتَّ . عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال: إن الله
إذا أبغض عبداً جعل رزقه في الصَّياح . وقال الفضيل مثل ذلك وقال: أما سمعت
إلى أهل دارِ البطيخِ والملاحين ودويهم .

قال حدثنا أحمد بن الخليل قال حدثنا أحمد بن الحارث الهجيمي قال حدثنا
المبارك بن سعيد عن بُرد بن سنان عن نافع عن ابن عمر أنه كان لا يرى بالمكائسة
والممأكسة في الشراء والبيع بأساً .

قال حدثني محمد قال حدثني الأصهباني عن يحيى بن أبي زائدة عن مجالد عن
أبي بردة . قال: أتى عمرُ غلاماً له يبيع الحُللَ ، فقال له: إذا كان الثوب عاجزاً فأنشره
وأنت جالسٌ وإذا كان واسعاً فأنشره وأنت قائم . قال، فقلتُ له: الله الله يا عمرُ .
قال: إنما هي السوق . قال عبد الله بن الحسين: غَلَّةُ الدورِ مُسَكَّةٌ وغَلَّةُ النخلِ
كَفَافٌ وغَلَّةُ الحَبِّ الغِنَى . قال أعرابي

زيادةُ شيءٍ تُلِحِقُ النفسَ بالمُتَى * وبعضُ الغلاءِ في التجارة أَرْبَحُ
ولمَّا بلغ عُبَّةُ بْنُ غَزْوَانَ أنَّ أهلَ البصرة قد اتخذوا الضِّياعَ وعَمَرُوا الأرضين
كتب إليهم: لا تُنْهَكُوا وجهَ الأرضِ فإنَّ شَحْمَتَهَا في وجهها . قال أعرابي
وفي السوق حاجاتٌ وفي النَّقْدِ قِلَّةٌ * وليس مُقْضَى الحاجِ غيرُ الدراهمِ .^(١)

قال ميمون بن ميمون: من آشتري الأشياءَ بِنَعْتِ أهلها غِنٍ .
(١) كذا بالأصل . ولم نجد في القاموس أو اللسان أُنْقَضِيَ بمعنى قضى . ولعله: وليس مُقْضَى الخ .

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي . قال : حدثني شُكْرُ الحَرِثِيِّ ^(١) قال : جاء الحسن بشاة فقال لي بعها وأبرأ من أنها ثقب الملعف وتترع الوتد من قبل البيع لئلا يقولوا ندم . قال الشاعر

إذا ما تاجر لم يؤف كلاً * فصُبَّ على أنامله الجُدام

ابن الزيات في الطائي

رَأَيْتُكَ سَهْلَ الْبَيْعِ سَمَحًا وَإِنَّمَا * يُغَالِي إِذَا مَا ظَنَّ بِالشَّيْءِ بَائِعُهُ ^(٢)
هو الماء إن أحميته طاب شربه * ويَكْدُرُ يَوْمَا أَنْ تُبَاحَ مِشَارِعُهُ

حدثت عن شيبان بن فروخ عن أبي الأشهب عن الحسن قال : كان رجل يتجور في البحر ويحمل الخمر يأتي بها قوماً ، فعمد إليها فمزجها نصفين وأتاهم بها فباعها بحساب الصِّرف واشترى قرداً فغمله معه في السفينة ، فلما لجَّح في البحر لم يشعر إلا وقد أخذ القرد الكيس وعلا على الصَّاري وجعل يُلْقِي ديناراً في البحر وديناراً في السفينة حتى قسمه قسامين . قال رجلٌ من الحُجَّاج : أتانا رجل من الأعراب بالرمْل في طريق مكة بفرارة فيها كجاة ، فقلنا له : بِكَمْ الْفِرَارَةُ ؟ فقال : بدرهمين ، فقلنا : لك ذلك ، فأخذناها ودفعنا إليه الثمن ، فلما نهض قال له رجل منا : في آست المغبون عودٌ ، فقال : بل عودان وضرب الأرض برجله فاذا نحن على الكجاة قيام . قيل لأعرابي : ألا تشتري لابنك بطيخة . فقال : لا ، أو يبلغ من كساده أن يكون إذا تناول من بين يدي البقال وأخذه وعداً رماه بأخرى ولم يعد خلفه . اشترى أعرابي غلاماً فقال للبائع : هل فيه من عيب ، فقال : لا ، غير أنه يبول في الفراش . فقال : ليس هذا بعيب ، إن وجد فراشاً فليبل فيه .

(١) في الألمانية « الحارثي » .

(٢) هكذا بالأصل ظن بالفاء وله من الضاد المعجمة بمعنى يجل .

الدِّين

قال ثابت قُطْنَةُ : الدِّينُ عُقْلَةُ الشَّرِيفِ . وقال دُلَيْمٌ

اللَّهُ لَقِيَ مِنْ عَرَابَةٍ بَيْعَةً * عَلَى حِينِ كَادَ النَّقْدُ يَعْسُرُ عَاجِلُهُ
وَلَوْ بَنَانُ الْكَفِّ يَحْسُبُ رِبْحَهُ ■ وَلَمْ يَحْسُبِ الْمَطْلَ الَّذِي أَنَا مَاطِلُهُ
سِيرَضِي مِنَ الرَّبْحِ الَّذِي كَانَ يَرْتَجِي ■ . أَسَ الَّذِي أَعْطَى وَهَلْ هُوَ قَابِلُهُ

عبد الرازق عن ابن جُرَيْجٍ قال : رَأَى عَمْرُو أَنَا مُتَقَنَّعٌ ، فَقَالَ : يَا أَبَا خَالِدٍ ، إِن لَقِيتَ
كَانَ يَقُولُ : الْقِنَاعُ بِاللَّيْلِ رَيْبَةٌ وَبِالنَّهَارِ مَذَلَّةٌ ، فَقُلْتُ : إِن لَقِيتَ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ دِينَ .
كَتَبَ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ إِلَى بَعْضِ الْعُبَّادِ يُسْأَلُهُ الْقُدُومَ عَلَيْهِ ، فَأَتَى مُحَمَّدُ بْنُ النَّضْرِ
الْحَارِثِيُّ فَاسْتَشَارَهُ وَقَالَ : لَعَلَّ اللَّهَ يَقْضِي دِينَي ، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ النَّضْرِ : لِأَنَّ تَلَقَّى اللَّهَ
وَعَلَيْكَ دِينَ وَلَكَ دِينَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَلْقَاهُ وَقَدْ قَضَيْتَ دِينَكَ وَذَهَبَ دِينَكَ ، . قَالَ
عِيَّاضُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : الدِّينُ رَايَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُنْذِلَ عَبْدًا جَعَلَهَا طَوْقًا
فِي عُنُقِهِ . دَخَلَ عُتْبَةُ بْنُ عَمْرٍو عَلَى خَالِدِ الْقَسْرِيِّ . فَقَالَ خَالِدٌ يُعَرِّضُ بِهِ : إِن هَهُنَا
رَجَالًا يَدَّانُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ فَإِذَا فَنِيَتْ آدَانُوا فِي أَعْرَاضِهِمْ . فَقَالَ عُتْبَةُ : إِن رَجُلًا
لَا تَكُونُ مُرُوءَتُهُمْ أَكْثَرَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَيَدَّانُونَ عَلَى سَعَةِ مَا عِنْدَ اللَّهِ ، نَخْجَلُ خَالِدٌ وَقَالَ :
إِنَّكَ مِنْهُمْ مَا عَلِمْتُ . وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ يَذْكُرُ غُرْمَاءَ لَهُ

جَاءُوا إِلَى غَضَابًا يَلْغَطُونَ مَعَا * يَسْفِي أَدَانَهُمْ أَنْ غَابَ أَنْصَارِي
لَمَّا أَبَوْا جَهْرَةً إِلَّا مَلَازِمِي * أَجْمَعْتُ مَكْرًا بِهِمْ فِي غَيْرِ إِنْكَارِ
وَقُلْتُ إِنِّي سَيِّئُتِي غَدًا جَلِي * وَإِنْ مَوْعِدَكُمْ دَارُ آبِ بْنِ هَبَّارِ
وَمَا أَوْاعِدُهُمْ إِلَّا لِأَرْبِهِمْ * عَنِّي فَيُخْرِجُنِي تَقْضِي وَإِمْرَارِي

(٢) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ : لِأَدْرَاهِمِ .

(١) فِي الْأَلْمَانِيَةِ عَمِيرٌ بِالتَّصْغِيرِ .

وما جلبتُ اليهم غيرَ راحلةٍ * تَحْدِي بِرَحْلِ وَسَيْفٍ جَفْنُهُ عَارِي
 إن القضاء سيأتي دونه زمنٌ * فاطوِ الصَّحِيفَةَ وَأَحْفَظْهَا مِنْ الْفَارِ^(١)

وقال آخر لغرمائه

ولو علقتموني كلَّ يوم * برجلي أويدي في المنجنيق
 لما أعطيتُكم إلا تُراباً * يُطَيَّرُ فِي الْخِيَاشِمِ وَالْخُلُوقِ

وقال آخر

إِن أَخَيْتَ الْأَمِيرَ فَقُلْ سَلَامٌ * عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ الرَّحِيمِ
 وأما بعد ذلك فلي غريمٌ * من الأعراب قُبْحٌ مِنْ غَرِيمِ
 له أَلْفٌ عَلَى وَنِصْفُ أَلْفٍ * وَنِصْفُ النِّصْفِ فِي صَكِّ قَدِيمِ
 دراهم ما آتَفَعْتُ بِهَا وَلَكِنْ * وَصَلْتُ بِهَا شَيْوْخَ بَنِي تَمِيمِ

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي . قال : جاء رجل من بني مخزوم الى الحارث بن عبد الله بن نوفل وهو يقضي عن أخيه ديناً فقال : إن لي على أخيك حقاً، قال : ثَبَّتْ حَقَّكَ تُعْطَهُ . قال : أَقْنِ مَلَأَةَ أَخِيكَ وَوَفَانَهُ نَدَعِي عَلَيْهِ مَا لَيْسَ لَنَا؟ فقال : أَمِنْ صَدَقِكَ وَبَرَكَ نَقْبِلَ قَوْلَكَ بغير بينة ؟ . لزم سهل بن هارون دينٌ كثيرٌ، فقال أعرابيٌ يوصيه بالتَّوَارِي عَنْ غُرْمَائِهِ

انزل أبا عمرو على حدِّ قريةٍ * تَرَبَّعَ إِلَى سَهْلٍ كَثِيرِ السَّلَاقِ
 وَخَذَ نَفَقَ الْبَرْبُوعِ فَاسْلُكْ طَرِيقَهُ * وَدَعْ عَنْكَ إِنِّي نَاطِقٌ وَأَبْنُ نَاطِقِ
 وَكُنْ كَأَبِي قُطْبٍ عَلَى كُلِّ رَائِعٍ * لَهُ بَابُ دَارِ ضَيْقِ الْعَرَضِ سَامِقِ
 وَأَبُو قُطْبَةَ خَنَاقٍ كَانَ بِالْكُوفَةِ مَوْلَى لِكِنْدَةَ .

حدثني محمد بن عبيد . قال : حدثني سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ عَنْ
 عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُبَايِعُ النَّاسَ وَيَدَايِنُهُمْ، وَكَانَ لَهُ كَاتِبٌ وَمَتَجَرٌّ، فَيَأْتِيهِ

(١) في العقد الفريد : النار .

المُعْسِرُ وَالْمُسْتَنْظِرُ فيقول لكتابه : أَكَلْتُ وَأَسْتَنْظِرُ وَتَجَاوَزَ لِيَوْمٍ يَتَجَاوَزُ اللَّهُ عَنَّا فِيهِ ،
فَمَا لَا يَعْمَلُ عَمَلًا غَيْرَهُ فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ . قَالَ شُقْرَانُ الْقُضَاعِيُّ

لَوْ كُنْتُ مَوْلَى قَيْسِ عِيلَانَ لَمْ تَجِدْ * عَلَى إِنْسَانٍ مِنَ النَّاسِ دَرَاهِمًا
وَلَكِنِّي مَوْلَى قُضَاعَةَ كُلِّهَا * فَلَسْتُ أَبَالِي أَنْ أَدِينَ وَتَغْرَمَا

بلغني عن يحيى بن أيوب عن الأعمش عن إبراهيم . قال : أرسل عمر إلى
عبد الرحمن بن عوف يستسلفه أربع مائة درهم ، فقال عبد الرحمن : أَسْتَسْلِفُنِي وَعِنْدَكَ
بَيْتُ الْمَالِ ، أَلَا تَأْخُذُ مِنْهُ ثُمَّ تَرُدُّهُ ، فقال عمر : إِنِّي أَتَخَوَّفُ أَنْ يَصِيبَنِي قَدَرِي ،
فَتَقُولُ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ : اتْرَكُوا هَذَا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . حَتَّى يُؤْخَذَ مِنْ مِيزَانِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،
وَلَكِنِّي أَسْتَسْلِفُهَا مِنْكَ لِمَا أَعْلَمُ مِنْ شُحِّكَ فَإِذَا مِتُّ جِئْتَ فَاسْتَوْفَيْتَهَا مِنْ مِيرَاثِي .

كتب أبو عباد المهلب^(١) إلى صديق له مكثر يستسلفه مالا ، فأعتل عليه بالتعذر
وضيق الحال ، فكتب إليه ابن عباد^(١) : إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا بِفَعْلِكَ اللَّهُ صَادِقًا وَإِنْ كُنْتَ
مَلُومًا بِفَعْلِكَ اللَّهُ مَعذُورًا . أَبُو الْيَقْظَانِ قَالَ : كَانَ الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ
أَبِي هَمْبٍ الشَّاعِرُ يُعَيِّنُ النَّاسَ فَإِذَا حَلَّتْ دِرَاهِمُهُ رَكِبَ حِمَارًا لَهُ يَقَالُ لَهُ شَارِبُ الرِّيحِ
فَيَقِفُ عَلَى غَرْمَانِهِ وَيَقُولُ

بَنِي عَمْنَا رُدُّوْا الدِّرَاهِمَ إِنَّمَا * يُفَرِّقُ بَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الدِّرَاهِمِ

وكان رجل من بني الدَّيْلِ عَسِرَ الْقَضَاءُ فَإِذَا تَعَلَّقَ بِهِ غَرْمَاؤُهُ فَرَزَ مِنْهُمْ وَقَالَ
فَلَوْ كُنْتُ الْحَدِيدَ لَكَسَرُونِي وَلَكِنِّي أَشَدُّ مِنَ الْحَدِيدِ

فَعَيْنَةُ الْفَضْلِ فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ الْحِمْلِ جَاءَ فَبْنَى مَعْلَقًا عَلَى بَابِ دَارِهِ ، وَكَانَ يَقَالُ
لِلرَّجُلِ عَقْرَبُ فَلَقِيَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ صَاحِبِهِ شِدَّةً ، فَهَجَاهُ الْفَضْلُ فَقَالَ

(١) فِي الْأَمَانَةِ الْمُهَلَّبِ وَلَمْ يَقِفْ عَلَى مَنْ اشْتَهَرَ بِأَبِي عِبَادٍ وَهُوَ ابْنُ عِبَادٍ سَوَى أَبِي عِبَادٍ يَحْيَى بْنُ عِبَادٍ
الضَّبْعِيُّ الْبَصْرِيُّ وَلَكِنْ الْمُنْسَوْبُ إِلَى الْمُهَلَّبِ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عِبَادٍ بْنِ حَبِيبِ الْمُهَلَّبِيِّ .

قد نَجَرْتُ في دارنا عَقْرُبٌ * لا مَرَجَبًا بالعقرب الناجره
 إن عَادَتِ العَقْرُبُ عُدْنَا لها * وكانت التَّعَلُّ لها حاضره
 كُلُّ عَدُوٍّ يَتَّقِي مُقْبِلًا * وعَقْرُبٌ تُخَشَى من الدَّائِرَه
 إِنْ عَدَوْا كَيْدُهُ في آسَتِه * لَغَيْرِ ذِي كَيْدٍ وَلَا نَائِرِه

- ٥ قال بعضهم : ثلاثة من عازهم عادت عزته ذلة : السلطان ، والوالد ، والغريم .
 وفي الحديث المرفوع : « لصاحب الحق اليد واللسان » . المدائني قال : سائر بعض خلفاء
 بنى أمية رجلاً وهو يحادثه ثم قطع حديثه وأصفى لونه ، فقال له الرجل : ما هذا
 الذي رأيت منك ؟ قال : رأيت غريباً لي ، قال الشاعر
 إذا ما أخذت الدين بالدين لم يكن ■ قضاءً ولكن كان غُرماً على غُرم

وقال آخر

- ١٠ أخذتُ الدينَ أدفع عن تِلَادِي * وأخذُ الدينَ أهلكُ للتِلَادِ
 كان لرجل من يَحْصُبَ على رجل من باهلة دينٌ ، فلما حل دينه هرب الباهلي
 وأنشأ يقول

- إذا حلَّ دينُ اليَحْصِي قفل له : ■ تزود بزاد وأستعين بدليل
 ١٥ سَيَصْبِحُ فوقَ أقمِ الرأسِ واقعاً ■ بقالي قَلَا أو من وراء دَبِيلِ

- قال المحدث بهذا : فحدثني من رآه بقالي قَلَا أو بدبيل وهو مصلوب وقد وقعت
 عليه عِقَابٌ . وقف أبو فرعون الأعرابي على باب قوم يسألهم ، خلفوا له : ما عندهم
 شيء يُعْطُونَهُ ■ فقال : استقرضوا لنا شيئاً ، فقالوا : ما يُقرضنا أحد شيئاً ، فقال
 أبو فرعون : ذلك لأنكم تأخذون ولا تعطون ، أو قال ولا تقضون . أتى قومٌ عبادياً
 ٢٠ فقالوا : نحب أن تُسَلِّفَ فلاناً ألف درهم وتؤخره بها سنة ، قال : هذه حاجتنا ،

(١) الذي في اللسان : سيصبح فوق أقم الریش واقعاً .

وسأقضى لكم إحداهما، وإذا أنا فعلت فقد أنصفتُ، أنا أو أخره ماشاء . كتب عمر ابن عبد العزيز إلى رجل له عليه دين : قد آن للحق الذي عندك أن يرجع إلى أهله ، وتستغفر الله تعالى من حبسه .

اختلاف الهمم والشهوات والأمانى

اجتمع عبد الله بن عمر وعروة بن الزبير ومُصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان بفناء الكعبة ، فقال لهم مصعب : تمتوا فقالوا : ابدأ أنت . فقال : ولاية العراق وتزوج سَكينة ابنة الحسين وعائشة بنت طاحه بن عبيد الله ، فنال ذلك وأصدق كل واحدة خمسمائة ألف درهم وجهزها بمثلها . وتمنى عروة بن الزبير الفقه وأن يحمل عنه الحديث فنال ذلك . وتمنى عبد الملك الخلافة فنالها . وتمنى عبد الله بن عمر الجنة .

قال قُتيبة بن مسلم لخصين بن المنذر : ما السرور ؟ قال : امرأة حسناء ، ودأر قوراء ، وفرس مُرتبط بالفناء . وقيل لضرار بن الحسين : ما السرور ؟ قال : لواء منشور ، وجلوس على السرير ، والسلام عليك أيها الأمير . وقيل لعبد الملك بن صالح : ما السرور ؟ فقال

كل الكرامة نلتها * إلا التحية بالسلام

يريد أنه لم يُسلم عليه بالخلافة . وأخذه من قول الآخر
من كل ما نال الفتي * قد نلتُه إلا التحية

يريد الملك . قيل لعبد الملك بن الأهم : ما السرور ؟ فقال : رفع الأولياء ، وخط الأعداء ، وطول البقاء ، مع القدرة والنماء . وقال آخر

أطيب الطيبات قتل الأعدى * واختيال على متون الحيات
وأيايد جَبوتين كريمة * إن عند الكريم تزكو الأيادي

(١) في النسخة الألمانية « والنهي » .

قيل للفضل بن سهل : ما السرور؟ فقال : توقيعٌ جائز وأمرٌ نافذ . وقال يزيد بن أسد يوما : أي شيء أسرَّ إلى القلوب؟ فقالوا : رجل هوى زمانا ثم قدر، فقال : إن هذا السرور . وقال آخر : رجل طلب الولد زمانا فلم يولد له ثم بُشِّرَ بـغلام ، فقال يزيد : أسرَّ من هذا كله قفلةً على غفلة . قيل لبعض الحكماء : تمنّ ، فقال : مُحادثة الإخوان ، وكفّاف من عيش يسدّ خاتمي ويستر عورتى ، والانتقال من ظلّ إلى ظل . قيل لآخر : ما بقى من ملأذك؟ قال : مناقلة الإخوان الحديث على التلاع العُفْرِى اللبلى القمر . قيل لامرئ القيس : ما أطيّب عيش الدنيا؟ فقال : بيضاء رُعبوبة ، بالطيب مشوبة ، بالشحم مكروبة . وقيل لطرفة مثل ذلك فقال : مطعم شهى وملبس دفى ، ومركب ويطى . وقيل للأعشى مثل ذلك ، فقال : صهباء صافية ، تمزجها ساقية ، من صوب غادية . وقال طرفة

١٠

ولولا ثلاث هنّ من عيشة الفتى * وجدك لم أحفل متى قام عودى
فمنهن سقى العاذلات بشربة * كُمت متى ما تُعلّ بالماء تُزید
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب * بهكنة تحت الطراف المعمد
وكرى اذا نادى المضاف محبا * كسيد الغضا نهته المتورد

وقال أبو نواس

١٥

قلت بالقفص ليحيى * وندامى نيام
يا رضىي ندى أم * ليس لي عنه فطام
إنما العيش سماع * ومدام وندام
فاذا فاتك هذا * فعلى العيش السلام

وقال سحيم

٢٠

تقول حذراء: ليس فيك سوى الـ * خمر معاب يعيبه أحد

(١) كذا بالأصل ولعله « مشبوبة » .

فقلت: أخطأت، بل معافرتي السخمر وبذلي فيها الذي أجد
هو السناء الذي سمعت به * لا سبد محتدى ولا لبْدُ^(٢)
ويحك لولا الخمر لم أخفيل العيش ولا أن يضمني لحد
هي الحيا والحياة والله لا أنت ولا ثروة ولا ولد
وقال أبو الهندي

تركت الخمر لأربابها * وأصبحت أشرب ماء قرا
وقد كنت حيناً بها معجبا * كحب الغلام الفتاة الردا
وما كان تركي لها أتى * يخاف ندي على اقتضا
ولكن قولي له مرحبا * وأهلاً مع السهل وأنعم صباحا

وقال آخر

أسقني بالكبير إني كبير * إنما يشرب الصغير الصغير
لا يغرّنك يا عبيد خشوعي * تحت هذا الخشوع فسق كثير
كان ابن عائشة ينشد

لما رأيت الحظ حظ الجاهل * ولم أر المغبون غير العاقل
رحلت عساً من كروم بابل * فبنت من عقلي على مراحل

وقال آخر

شربنا من الداذى حتى كأننا * ملوك لهم بر العراق والبحر
فلما أنجلت شمس النهار رأيتنا * تولى الغنى عنا وعاودنا الفقر

قال بعضهم : العيش كله في كثرة المال وصحة البدن ونحو ذلك . وكان

يقال : ليس السرور للنفس بالحدة ، إنما سرور النفس بالأمل . قال يزيد بن معاوية :

(١) في النسخة الألمانية : الثناء . (٢) في النسخة الألمانية : تخلص .

ثلاث تُحْلِقُ العقلَ وفيها دليلٌ على الضَّعف : سرعةُ الجواب ، وطولُ التَّنَيُّ ، والاستغراب
في الضحك . وكان يقال : المُنَى والحُلُمُ أخوان . وسئل ابنُ أبي بَكْرَةَ : أَيُّ شَيْءٍ أَذْوَمُ
إِمتاعاً ؟ فقال : المُنَى . وقال الشاعر

إِذَا تَمَتَّيْتُ بِتِّ اللَّيْلِ مُغْتَبِطًا * إِنَّ المُنَى رَأْسُ أَمْوَالِ المَفَالِيسِ

وقال آخر

مَا فَاتَنِي مِنْكَ فَإِنَّ المُنَى * تَدْنِيهِ مَنِي فَكَأَنَّا مَعَا ^(١)

وقال آخر

وَإِنْ لَوْ أَلِيسَ شَيْئًا سَوَى * تَسْلِيَةِ اللَّوْمَاءِ بِالْبَاطِلِ

وقال بعض الأعراب

مُنَى إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ المُنَى * وَإِلَّا فَقَدْ عَشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغْدًا ١٠
أَمَانِيٍّ مِنْ سُعْدَى عِذَابًا كَأَنَّمَا * سَقَّتْهَا سُعْدَى عَلَى ظَهْمٍ بَرْدًا

وقال بشار

كَرَرْنَا أَحَادِيثَ الزَّمَانِ الَّذِي مَضَى * فَلَدَّ لَنَا مَجْمُودُهَا وَذَمِيمُهَا

وقال المجنون

أَيَا حَرَاجَاتِ الحَيِّ حَيْثُ تَحْمَلُوا * بَذَى سَلَمٍ لَا جَادَ كُنَّ رُبْعُ ١٥
وَحَيْمَاتِكَ اللَّاتِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى * بَلَيْنٌ بَلَى لَمْ تَبْلَهَنَّ رُبُوعُ
فَقَدْ دُكَّ مِنْ نَفْسِ شَعَاعٍ فُطُلَا ^(٢) * نَهَيْتُكَ عَنْ هَذَا وَأَنْتِ جَمِيعُ
فَقَرَّبْتِ لِي غَيْرَ القَرِيبِ وَأَشْرَفَتْ * إِلَيْكَ شَايَا مَا هُنَّ طُلُوعُ ^(٣)

(١) في الأصل « يدنيه » . (٢) كذا في الأغاني واللسان . وفي الأصول « قلب » .

(٣) في الأصول « مثال شايها الخ » . والتصويب عن الأغاني .

وقال ابن أبي الدُّمينة^(١)

يا ليتنا فردًا وحش ندور معًا * نرعى المِثَان ونَحْفَى في نواحيها
أوليت كُدْرَ القَطَا حلقن بي وبها * دون السماء فَعِشْنَا في خَوَافِهَا
أَكْثَرْتُ مِن لَيْتِنَا لو كَانَ يَنْفَعُنِي * وَمِن مَنِي النَّفْس لو تُعْطَى أَمَانِهَا

وقال كثير

فيا ليتنا يا عز من غير ريبة * بعيان نرعى في الفلاة ونَعْرُبُ
نكونُ لذي مالٍ كثيرٍ يُضِيعُنَا * فلا هو يرعانا ولا نحن نُطَلِّبُ

وقال جرّان العود

ألا ليتنا طارت عُقَابٌ لنا معًا * لها سببٌ عند المَجَرَّةِ أو وَكْرُ

وقال مالك بن أسماء

ولما نزلنا منزلًا طَلَّه النَّسْدَى * أُنْبِقَا وبُستَانَا مِن النُّورِ حَالِيَا
أَجَدْتُ لِنَا طِيبُ المَكَانِ وحسنُهُ * مُنَى فَمَتْنِيَا فمَكْنَتِ الأَمَانِيَا

وأنشدنا الرّياشي

نهارى نهارُ الناسِ حتّى إذا دجا * لي اللَّيْلُ مَلَنِّي هَنَّاكَ المَضَاجِعُ
أَقْضَى نهارى بالحديث وبالمنى * ويَجْمَعُنِي والهمم بالليل جامعُ

وأنشد أبو زيد

كأنّي إذ أسعى لأظفرَ طائرٌ * مع النجم في جَوِّ السَّمَاءِ يَطِيرُ
فَيَ مُتَلَهِّى بِالْمُنَى في خِلَالِهِ * وهنّ وإن حَسَنَتْهُنَّ غُرُورُ

(١) كذا بالأصول بزائدة أبي، والصواب ابن الدمينة .

(٢) المِثَان جمع من وهو ما صلب من الأرض وارتفع .

(٣) في ديوان ابن الدمينة : « هزّتنى إليك » بدل « ملّتنى هناك » .

أبو حاتم عن الأصمعي قال : زعم شيخ من بني القُحَيْف قال : تَمَيَّتُ داراً
فكشْتُ أربعة أشهر مُغْتَمًّا للدرجة أين أضعُها . قال الوليد بن عبد الملك لبُدَيْجِ المَغْنِيِّ :
خذ بنا في التَّمَيُّ فوالله لأغلبنك . قال : والله لا تغالبني أبداً . قال : بلى . قال بُدَيْجُ :
فإني أتمنى كَفَلَيْنِ من العذاب ، وأن يلعنني الله لعنا كثيراً نَحْذِضُكَ ذلك . قال :
غلبتني لعنك الله . قيل لِمُزَيْدٍ : أيسرك أن هذه الجنة لك ؟ قال : وأُضْرَبُ عشرين
سوطاً . قالوا : ولم تقول هذا ؟ قال : لأنه لا يكون شيء إلا بشيء .

الأصمعي عن مُبَشِّرِ بْنِ بَشِيرٍ أن رجلاً كان يطلبه الحجاج فترس بأباط فيه كلب بين
جَبَيْنِ يَقْطُرُ عليه ماؤه . فقال : ياليتني مثلُ هذا الكلب ، فما لبث ساعة أن مرَّ
بالكلب في عنقه حبلاً ، فسأل عنه ، فقالوا : جاء كتابُ الحجاج يأمر فيه بقتل
الكلاب . قال مَدِينِيُّ الكوفي : ما بلغ من حبك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال :
وَدِدْتُ أَنِّي وَقَيْتُهُ ولم يكن وصل إليه يوم أُحُدٍ ولا غيره شيء من المكروه إلا كان بي
دونه . قال المديني : وَدِدْتُ أن أبا طالب كان أسلمَ فسرَّ به رسولُ الله صلى الله
عليه وسلم وأتى كافراً .

تَمَنَّى ابن أبي عَتِيقٍ أن يَهْدَى له مسلوخٌ يَتَّخِذُ منه طعاماً ، فسمعتُه جارةً له
فظننت أنه قد أمر أن يُشْتَرَى له ، فانتظرت إلى وقت الطعام ثم جاءت تدقُّ الباب ،
وقالت : شِمْتُ رِيحَ قُدُورِكُمْ بَخْتٌ لِيَطْعِمُونِي ، فقال ابن أبي عتيق : جيرانِي يَشْمُونَ
ريحَ الأمانِي .

وفي كتاب للهند أن ناسكا كان له غسل وسمن في جرة ، ففكر يوماً فقال : أبيعُ
الجرةَ بعشرة دراهم ، وأشتري خمسة أَعْرَ فَأُولِئِهِنَّ في كل سنة مرتين ، ويبلغ النَّتَاجُ
في سنين مائتين ، وأبتاعُ بكل أربع بقرة ، وأصيب بذراً فأزرع ، ويُنَمِّي المَالُ
في يدي ، فَأَتَّخِذُ المساكِنَ والعبيدَ والإماءَ والأهلَ ويُولِدُ لي ابنٌ فأسميه كذا وأخذه

بالأدب ، فإن هو عصافى ضربتُ بعصاى رأسه وكانت فى يده عصا فرفعها حاكيا للضرب ، فأصابت الجزة فانكسرت ، وانصبَّ العسلُ والسمنُ على رأسه .

ابن الكلبي قال : كان رجل من ولد عمر بن الخطاب إذا كان مسرورا قال
ليت آيا منّا ببرقة خاخ * وليالك ياطويلُ تعودُ

وإذا كان مغتما قال

ترى الشيءَ مما تتقى فتخافه ■ وما لا ترى مما يبقى الله أكثرُ

الأصمعيّ عن أبيه قال قال زياد : أىّ الناس أنعم ؟ قالوا : معاوية . قال :
فأين ما يلقى من الناس ! قالوا : فأنت . قال : فأين ما ألقى من الثغور والخراج !
قالوا : فمن ؟ قال : شابُّ له سِدَادٌ من عيش ، وامرأةٌ قد رضيها ورضيته ، لا يعرفنا
ولا نعرفه ، فإن عرفنا وعرفناه أفسدنا عليه دينه ودنياه .

التواضع

قال حدثني محمد بن خالد بن خدّاش قال حدّثنا مسلم بن قتيبة عن شيخ من
أهل المدينة قال [قال] رجاء بن حيوة : قام عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فأصلح من
السراج فقلت : يا أمير المؤمنين لم لا أمرتني بذلك ، أو دعوت له من يصلحه ؟
فقال : قمت وأنا عمر وعدت وأنا عمر .

قال حدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : كتب محمد بن كعب فانتسب وقال : القرطبي ،
ف قيل له : أو الأنصاري . فقال : أكره أن أُمَنَ على الله بما لم أفعل .

قال حدثني أحمد بن الخليل قال حدّثنا عبد الله بن مسleme عن يعقوب بن حماد
المدنيّ عن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه قال : كان عمر بن الخطاب إذا سافر
لا يقوم في الظلّ ، وكان يراجلنا رجالنا ويُرْحَلُ رحله وحده . وقال ذات يوم

(١) لا يأخذ الليل عليك بالهم * والبس له القميص واعتم
وكن شريك نافع وأسلم * ثم أخدم الأقسام حتى تُخدم

وروى وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال : جاء رجل
إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأصابته رعدة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « هوَن
عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » .

قال حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : جالس الأحنف على باب دار ، فمرت به
ساقية فوضعت قيرتها وقالت : يا شيخ ، احفظ قيرتي حتى أعود ومضت ، فأتاه الأذن
وقال : انهض . فقال : إن معي وديعة ، وأقام حتى جاءت

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن جرير بن حازم عن الزبير بن الحارث عن
أبي ليبيد ، قال : مرّ بنا زياد وهو أمير البصرة ومعه رجل أو رجلان وهو على بغلة
قد طوق الحبل في عنقها تحت الجمام .

الأصمعي قال ، قال يحيى بن خالد : الشريف إذا نُقِرَ تواضع والوضيع إذا نُقِرَ
تكبر . الأصمعي قال : لا أراه أخذه إلا من كيس غيره .

حدثنا حسين بن حسن المروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن
أيوب عن عمارة بن غزية عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال : إلى الله أشكو
حمدي مالا آتي ، وذمي مالا أترك .

قال حدثني أحمد بن الخليل عن أبي نعيم عن مُنْدَلٍ عن حميد عن أنس قال :
مرّ النبي صلى الله عليه وسلم وأنا في غلمان فسلم علينا .

وحدثني أحمد بن الخليل عن عمر بن عامر عن شعبة عن جابر عن طارق التيمي
عن جرير بن عبد الله البجلي قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ينسوة فسلم عليهن .

(١) كذا ورد هذا الشطر في الأصول وهو مختل الوزن . (٢) يقال نقر إذا نودى باسمه من بين الأسماء .

قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال : أخبرني معمر قال : قلت لجار لعطاء السلمي : من كان يخدم عطاء ؟ قال : مُحْتَثُونَ كانوا في الدار يستقون له وضوءه . فقلت : أيوضئه مُحْتَثُونَ ! فقال : هو كان يظنهم خيرا منه . الأصمعي عن رجل عن البتي قال : آذى ابن محمد بن واسع رجلا ، فقال له محمد : أتؤذيه وأنا أبوك وإنما اشتريت أملك بمائة درهم .

قال عامر بن الظرب العدواني : يا معشر عدوان ، إن الخير ألوف عروف عزوف ، وإنه لن يفارق صاحبه حتى يفارقه ، وإنى لم أكن حكيما حتى صحبت الحكماء ، ولم أكن سيدكم حتى تعبدت لكم . قال عروة بن الزبير : التواضع أحد مصايد الشرف . كان يقال : اسمان متضادان بمعنى واحد : التواضع والشرف . وقال بزرجهر : ثمرة القناعة الراحة ، وثمره التواضع المحبة . وقال الوليد : خدمة الرجل أخاه شرف . وقال عبد الله بن طاهر

أميل مع الذمام على ابن عمي * وأحتمل الصديق على الشقيق
وإن ألفتني ملكا مطاعا * فإنك واجدى عبد الصديق
أفرق بين معروفي ومنى * وأجمع بين مالى والحقوق

وقال آخر

وإنى لعبد الضيف من غير ذلة * وما فى إلا تلك من شيمة العبد^(١)

ويقال : كل نعمة محسود عليها إلا التواضع . قال المسيح عليه السلام لأصحابه : إذا اتخذكم الناس رءوسا فكونوا أذنانا . اعتم هشام بن عبد الملك فقام الأبرش ليسوى عمامته ، فقال هشام : مه إنا لا نتخذ الإخوان خولا . كان عمر بن الخطاب يلقط النوى ويأخذ النكت من الطريق ، فإذا مرّ بدار رعى بها فيها وقال : انتفعوا بهذا .

(١) جاء هذا البيت في الحماسة من أبيات مفتوحة الروى للقعن الكندى هكذا :

وإنى لعبد الضيف مادام نازلا * ولا شيمة لى غيرها تشبه العبد

قال يوسف بن أسباط : يَجْزِي قَلِيلُ الْوَرَعِ مِنْ كَثِيرِ الْعِلْمِ ، وَيَجْزِي قَلِيلُ التَّوَاضُعِ مِنْ كَثِيرِ الْاجْتِمَادِ . وقال بكر بن عبد الله : إِذَا رَأَيْتَ أَكْبَرَ مِنْكَ فَقُلْ : سَبَقَنِي بِالْإِسْلَامِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، وَإِذَا رَأَيْتَ أَصْغَرَ مِنْكَ فَقُلْ : سَبَقْتُهُ بِالذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، وَإِذَا رَأَيْتَ إِخْوَانَكَ يُكْرِ مُونَكَ فَقُلْ : نِعْمَةٌ أَحْدَثُوهَا ، وَإِذَا رَأَيْتَ مِنْهُمْ تَقْصِيرًا فَقُلْ : بِذَنْبِ أَحَدِهِمْ . قال عبد الملك بن مروان : أَفْضَلُ ٥ الرِّجَالِ مَنْ تَوَاضَعَ عَنْ رِفْعَةٍ ، وَزَهَدَ عَنْ قُدْرَةٍ ، وَأَنْصَفَ عَنْ قُوَّةٍ . قال ابن السَّكَّكِيسِ بن موسى : تَوَاضَعُكَ فِي شَرَفِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ شَرَفِكَ . وقال عبد الملك بن مروان : ثَلَاثَةٌ مِنْ أَحْسَنِ شَيْءٍ : جُودٌ لغيرِ ثَوَابٍ ، وَنَصَبٌ لغيرِ دُنْيَا ، وَتَوَاضَعٌ لغيرِ ذُلٍّ .

قال إبراهيم النَّخَعِيُّ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُجِيبُ دَعْوَةَ الْعَبْدِ وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ رِدْفًا . الْأَعْمَشُ عَنْ أَنَسٍ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُدْعَى ١٠ إِلَى حُبْرِ الشَّعِيرِ وَالْإِهَالَةِ السَّنَخَةِ ^(١) فَيُجِيبُ . قَالَ غَيْرُهُ : وَكَانَ لَا يَأْكُلُ مَتَكًّا وَيَأْكُلُ بِالْحَضِيضِ ، وَهُوَ الْأَرْضُ ، وَيَقُولُ : إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ . قَالَ أَوْسُ بْنُ الْحَدَّثَانِ : رَأَيْتُ أَبَا هُبَيْرَةَ وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ رَاكِبًا عَلَى حِمَارٍ عُرِّي يَقُولُ : الطَّرِيقَ الطَّرِيقَ ، قَدْ جَاءَ الْأَمِيرُ . قَالَ حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ : رَأَيْتُ الْأَعْمَشَ خَارِجًا إِلَى الْعِيدِ عَلَى حِمَارٍ مَقْطُوعِ الذَّنَبِ قَدْ سَدَّلَ رِجْلِيهِ مِنْ جَانِبٍ . الْمَدَائِنِيُّ قَالَ : بَيْنَا عُمَرُ بْنُ ١٥ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْمَنْبَرِ إِذْ أَحْسَسَ مِنْ نَفْسِهِ بَرِيحَ خَرَجَتْ مِنْهُ ، فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ مَيَّلْتُ بَيْنَ أَنْ أَخَافَكُمْ فِي اللَّهِ وَبَيْنَ أَنْ أَخَافَ اللَّهُ فِيكُمْ ، فَكَانَ أَنْ أَخَافَ اللَّهُ فِيكُمْ أَحَبَّ إِلَيَّ ، أَلَا وَإِنِّي قَدْ فَسَوْتُ ، وَهَآنَذَا أَنْزِلُ لِأَعْيِدَ الْوَضُوءَ . كَانَ يَقَالُ : مَنْ لَمْ يَسْتَحْيِ مِنَ الْحَلَالِ قَلَّتْ كِبَرِيَاؤُهُ وَخَفَّتْ مَوَازِينُهُ . قَالَ مَعَاوِيَةُ : مَا مَنَّا أَحَدٌ إِلَّا قُتِّسَ عَنْ جَائِفَةٍ أَوْ مُنْقَلَةٍ ^(٢) خَلَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ . الْمُنْقَلَةُ الشَّجَةُ الَّتِي يَخْرُجُ مِنْهَا ٢٠

(١) الإِهَالَةُ : مَا يُؤْتَدَمُ بِهِ مِنَ الْأَدْهَانِ ، وَالسَّنَخَةُ : الْمُنْقَرَةُ الرَّيْحِ .

(٢) يَرِيدُ : لَيْسَ فِينَا أَحَدٌ إِلَّا وَفِيهِ عَيْبٌ عَظِيمٌ ، فَاسْتَعَارَ الْجَائِفَةَ وَالْمُنْقَلَةَ لِذَلِكَ .

العظام ، والجائفة التي تبلغ جوف الدماغ . يحيى بن آدم عن محمد بن طلحة عن أبي حمزة قال
[قال] إبراهيم : لقد تكلمتُ ولو وجدتُ بدءاً ما تكلمت ، وإن زماناً تكلمتُ فيه لزمانٌ
سوء . كان رجل من خَنَعَمَ رَدَى فقال في نفسه

لو كنتُ أَصْعَدُ في التَّكْرُمِ وَالْعُلَا * كَتَحْدَرِي أَصْبَحْتُ سَيِّدَ خَنَعِمِ

فباد أهل بيته حتى ساد فقال

خَلَّتِ الدِّيَارُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُسَوِّدٍ * وَمِنَ الشَّقَاءِ تَفَرَّدِي بِالسُّودِ

أُشْدَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ فِي مِثْلِهِ

إِنْ بِقَوْمِ سَوْدُوكِ لِحَاجَةٌ * إِلَى سَيِّدٍ لَوْ يَظْفَرُونَ بِسَيِّدٍ

قال يحيى بن خالد : لست ترى أحداً تكبر في إمارته إلا وهو يعلم أن الذي نال

فوق قدره ، ولست ترى أحداً يضع نفسه في إمارة إلا وهو في نفسه أكثر مما نال

في سلطانه . ومثله ، قيل لعبيد الله بن بسام : فلان غيـرته الإمارة ، فقال : إذا ولي

الرجل ولايةً فرآها أكثر منه تغير ، وإذا ولي ولايةً يرى أنه أكثر منها لم يتغير .

ويقال : التواضع مع السخافة والبخل أحد من السخاء والأدب مع الكبر ، فأعظم

بنعمة عفت من صاحبها بسيئتين ، وأقبح بسيئة حرمت صاحبها حسنتين . وفي بعض

كتب العجم : علامة الأحرار ، أن يلقوا بما يحبون ويحرموا أحب إليهم من أن يلقوا

بما يكرهون ويُعطوا ، فأنظر إلى خلة أفسدت مثل الجود فاجتنبها ، وأنظر إلى خلة

عفت مثل البخل فالزمها . كان يقال : الشرف في التواضع ، والعز في التقوى ، والغنى

في القناعة . أبو الحسن قال : خطب سلمان إلى عمر فأجمع على تزويجه ، فشق ذلك

على عبد الله بن عمرو وشكاه إلى عمرو بن العاص فقال : أنا أردته عنك ، فقال : إن ردَّته

بما يكره أغضبت أمير المؤمنين ، قال : على أن أردته عنك راضياً ، فأتى سلمان فضرب

بين كتفيه بيده ، ثم قال : هنيئاً لك أبا عبد الله ، هذا أمير المؤمنين يتواضع بتزويحك ،

فالتفت إليه مُغْضِبًا وقال، أبا يتواضع ! والله لا أتزوجها أبدا . وقال المزاري بن
مُنْقِذُ الْعَدَوِيِّ^(١)

يا حَبِذا حين تُمَسِّي الرِّيحُ بارِدةً^(٢) * وادِي أشيٍّ، وفتيانٌ به هُضمٌ
يُخَدِّمُونَ، كرامٌ في مجالسهم، * وفي الرجال إذا لاقيتهم خَدَمٌ
وما أوصاحبٌ قوما ثم أذكُرهم ■ إلا يزيدهم حُبًّا إلى هُم

ابن المبارك عن دَرِّ عن الشعبي قال : ركب زيد بن ثابت ، فدنا عبد الله بن
عباس ليأخذ بركابه ، فقال : لا تفعل يا بن عم رسول الله ، فقال : هكذا أمرنا
أن نفعل بعلمائنا . فقال زيد : أرى يدك ، فأخرج يده فقبلها زيد ، ثم قال : هكذا
أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا عليه السلام . قال عبد الله بن مسعود : رأس
التواضع أن تبدأ من لقيت بالسلام ، وأن ترضى بالدون من المجلس . ابن أبي الزناد
عن أبيه أن العباس بن عبد المطلب لم يترك بعمر ولا بعثمان وهما راكبان إلا ترجلا
حتى يحوزهما إجلالا له أن يمر وهما راكبان وهو يمشي . كان سلمان يتعوذ بالله من
الشیطان والسلطان والعُلاج إذا استعرب . المدائني قال : سلم رجل على حسان
ابن أبي سنان فدعا له ، فقيل : أتدعو لمثل هذا ! فقال : إن مما يفضلني به أن يرى
أني خير منه . قال عبد الله بن شداد : أربعٌ من كن فيه فقد برئ من الكبر : من
اعتقل العنز ، وركب الحمار ، ولبس الصوف ، وأجاب دعوة الرجل الدون .

باب الكبير والعجب

حدثني إبراهيم بن مسلم قال حدثنا أبو السكين قال حدثني عم أبي زحر بن
حصن قال ، قال رجل للحجاج : أصلح الله الأمير ، كيف وجدت منزلك بالعراق ؟

(١) جاءت هذه الأبيات في الحماسة ضمن قصيدة معزوة إلى زياد بن حمل بن سعد بن عميرة بن حريث
قال التبريزي : ويقال زياد بن منقذ . (٢) كذا في الأصل ، وفي الحماسة « باردة » .

قال : خير منزل لو كان الله بلغني أربعة فتقربتُ بدمائهم إليه . قال : ومن هم ؟
 قال : مقاتل بن مسمع ، ولي سحستان فأتاه الناس فأعطاهم الأموال ، فلما عُزل
 دخل مسجد البصرة فبسط الناس له أرديتهم فمشی عليها ، وقال لرجل يماشيه : لمثل
 هذا فليعمل العاملون . وعُبد الله بن زياد بن طبيان التميمي ، حرب أهل البصرة
 أمر فخطب خطبة أوجز فيها ، فنادى الناس من أعراض المسجد : أكثر الله فينا
 أمثالك . فقال : لقد كلفتم الله شططا . ومعبد بن زرارة ، كان ذات يوم جالسا
 في طريق ، فمرت به امرأة فقالت : يا عبد الله كيف الطريقُ إلى موضع كذا ،
 فقال : لهد عبد الله ! أنا لهد ؛ أراد كفى بك أنا ، يريد الفخر . وأبو سماك الأسدي ،
 أضل راحلته فآلتسها الناس فلم يجدوها ، فقال : والله لئن لم يردد علي راحلتي
 لا صليتُ له أبدا ، فآلتسها الناس حتى وجدوها ، فقالوا : قد رد الله عليك راحلتك
 فصل ، فقال : إن يميني كانت صريا .

قال أبو حاتم عن الأصمعي عن كُرْدِين المِسمعي . قيل لرجل متكبر : هل مرّت
 بك أجرة ؟ فقال للسائل : تلك دواب لا يراها عمك . قال وقال كُرْدِين : رآني
 ابن ميادة الشاعر فأعجبته لما رأى من جلدي وبياني . فقال : ممن أنت ؟ قلت :
 من بكر بن وائل ، فقال : وفي أي الأرض يكون بكر بن وائل ؟

قال أبو اليقظان : جلس رافع بن جبير بن مطعم في حلقة العلاء بن عبد الرحمن
 الخرق وهو يُقريُّ الناس . فلما فرغ قال : أتدرون لم جلستُ إليكم ؟ قالوا :
 لتسمع ، قال : لا ، ولكن أردتُ التواضع لله بالجلوس إليكم . قال : ومرة محمد

(١) هكذا بالنسخ التي بأيدينا ، وفي العقد الفريد الجزء الأول صفحة ٢٤ — فقال : لمثل يقال
 يا عبد الله ! ويلي ! (٢) كذا بالأصول ، وفي العقد الفريد : « وأبو سماك الحنفي » وفي اللسان في مادة
 صرى : « أبو سماك الأسدي » . (٣) كذا بالفتوغرافية ، وفي الألمانية « ضريا » والذي في اللسان
 والصاحح « علم ربي أنها مني صرى » . بكسر الصاد وفتح الراء المشددة أي عزيمة قاطعة ويمين لازمة .

ابن المنذر بن الزبير بن العوام في حاجة له ، فانقطع ^(١) قِبَالُ نعله ، فززع الأخرى بقدمه ومضى وتركهما ولم يُعَرِّج عليهما . قال بعض الشعراء

وأُعْرِضْ عن ذي المال حتى يُقالَ لي * قد أحدث هذا نَحْوَةً وتعظما
وما نى كبر عن صديقي ولا أُنَج * ولكنه فِعْلِي إذا كنت مُعْدِمَا

قيل لبعضهم : ما الكبر . قال : حُمُقٌ لم يدر صاحبه أين يضعه . قال معاوية بن أبي سفيان : قَدِمَ عَاقِمَةُ بْنُ وائِلِ الحَضْرَمِيِّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ أَنْ أَتْلُقَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ أُزِيلُهُ عَلَيْهِ ، وَكَانَ مَنْزِلُهُ فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ ، فَأَنْطَلَقْتُ مَعَهُ وَهُوَ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ وَأَنَا أَمْشِي فِي سَاعَةِ حَارَّةٍ وَلَيْسَ عَلَيَّ حِذَاءٌ ، فَقُلْتُ : احْمَلْنِي يَا عَمُّ مِنْ هَذَا الْحَرِّ فَانْه لَيْسَ عَلَيَّ حِذَاءٌ ، فَقَالَ : لَسْتَ مِنْ أَرَادَفِ الْمَلُوكِ ، قُلْتُ : إِنِّي ابْنُ أَبِي سُفْيَانَ ، قَالَ : قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَذْكُرُ ذَلِكَ ، قَالَ ١٠
قُلْتُ : فَأَتَيْتُ إِلَى نَعْلِكَ ، قَالَ : لَا تَقْبِلُهَا قَدَمَاكَ وَلَكِنْ أَمْشِ فِي ظِلِّ نَاقَتِي فَكَفَّاكَ بِذَلِكَ شَرَفًا ، وَإِنْ الظِّلُّ لَكَ لَكَثِيرٌ . قَالَ معاوية : فَمَا مَرَّ بِي مِثْلُ ذَلِكَ الْيَوْمَ قَطُّ ، ثُمَّ أَدْرَكَ سُلْطَانِي فَلَمْ أُؤَاخِذْهُ بَلْ أَجْلَسْتُهُ مَعِيَ عَلَى سُرِيرِي هَذَا . قَالَ ابْنُ يَسَّارٍ
وَلَوْ لَحِظَ الْأَرْضَ لِي وَالِدٌ * تَطَاطَأَتِ الْأَرْضُ مِنْ لَحْظَتِهِ .

وقال آخر

١٥

أَتَيْتُهُ عَلَى جَنِّ الْبِلَادِ وَإِنْسَاهَا * وَلَوْ لَمْ أَجِدْ خَلْقًا لَتَهَتُّ عَلَى نَفْسِي
أَتَيْتُهُ فَمَا أَدْرَى مِنَ التَّيِّهِ مَنْ أَنَا * سَوَى مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيَّ وَفِي جَنْسِي
فَانْزَعُمُوا أَتَى مِنَ الْإِنْسِ مِثْلُهُمْ * فَمَا لِي عَيْبٌ غَيْرَ أَنِّي مِنَ الْإِنْسِ

وكان عند الرُّسَمِيِّ قوم من التجار حضرت الصلاة فنهض ليصلي فنهضوا فقال :

٢٠ ما لكم ولهذا وما أتم منه ! الصَّلَاةُ رُكُوعٌ وَسُجُودٌ وَخُضُوعٌ ، وَإِنَّمَا فَرَضَ اللَّهُ هَذَا

(١) قبال النعل : زمام بين الأصبع الوسطى والى تليها .

يريد به المتكبرين والمتجبرين والملوك والأعظم مثلي ومثل فرعون ذى الأوتاد
 ومُمرود وأنوشروان . وكان يقال : مَنْ رضى عن نفسه كثر الساخطون عليه .
 قال الحسن : ليس بين العبد وبين ألا يكون فيه خير إلا أن يرى أن فيه خيراً .
 رأى رجلٌ رجلاً يختال في مشيته ويتلفت في أعطافه ، فقال : جعلني الله مثلك
 في نفسك ولا جعلني مثلك في نفسي . قيل لعبد الله بن المبارك : رجلٌ قتل رجلاً
 ٥ فقلتُ إني خيرٌ منه ، فقال : ذنبك أشدُّ من ذنبه . قال الأحنف : عجبتُ لمن جرى
 في مجرى البول مرتين كيف يتكبر . ابن عُليَّة عن صالح بن رستم عن رجل عن
 مُطَّرف ، قال : لأنَّ أبيتَ نائماً وأصبحَ نادماً أحبُّ إلىَّ من أن أبيتَ قائماً وأصبحَ
 مُعجباً . وقال هشام بن حسان . سيئةُ تسوءك خير من حسنة تُعجبك . قال أبو حازم :
 ١٠ إن الرجلَ ليعمل السيئةَ ما عمل حسنةً قطَّ أنفعَ له منها وإنه ليعمل الحسنةَ ما عمل
 سيئةً قطَّ أضرَّ عليه منها . قال الشاعر

أما ابنُ فَرَوَةَ يُوَسُّ فكأنَّه * من كِبَرِه أيرُ الحمارِ القائمِ
 ما النَّاسُ عندك غيرَ نفسك وحدها * والنَّاسُ عندك ما خَلَكَ بهائمُ

قال المسعودي

مُسَا تَرَابَ الْأَرْضِ مِنْهَا خُلِقْتَا * وَفِيهَا الْمَعَادُ وَالْمَصِيرُ إِلَى الْحَشْرِ
 ١٥ وَلَا تَعْجَبَا أَنْ تَرِجَعَا قُسُلتَا * فَمَا خَشِيَ الْأَقْوَامُ شَرًّا مِنَ الْكِبَرِ
 وَلَوْ شِئْتُ أَدْلَى فَيَكَا غَيْرُ وَاحِدٍ * عَلَانِيَةً أَوْ قَالَ عِنْدِي فِي سِتْرِ
 فَإِنَا لَمْ أَمْرُ وَلَمْ أَنَّهُ عِنْدَنَا * ضَحَكْتُ لَهُ حَتَّى يُلَاحَ وَيَسْتَشِيرِي
 الْأَصْمَعِي قَالَ قَالَ رَجُلٌ : مَا رَأَيْتُ ذَا كِبَرٍ قَطُّ إِلَّا تَحَوَّلَ دَاوُهُ فِي ، يَرِيدُ أَنْ يُتَكَبَّرَ عَلَيْهِ .
 ٢٠ وَقَالَ آخَرُ : مَا تَاهَ أَحَدٌ قَطُّ عَلَى مَرَّتَيْنِ ، يَرِيدُ إِذَا تَاهَ مَرَّةً لَمْ أَعَاوِدْهُ . قال الشاعر
 يَأْمُظْهَرُ الْكِبَرُ إِعْجَابًا بِصُورَتِهِ * أَنْظِرْ خَلَاءَكَ إِنِ الْتَنَ تَثْرِيْبَ

لو فكر الناس فيما في بطونهم ■ ما استشعر الكبر شبان ولا شيب
هل في ابن آدم غير الرأس مكرمة * وهو يحمس من الأقدار مضروب
أنف يسيل وأذن ريحها سبك * والعين مرمصة والثغر ملعوب
يا بن التراب وما كول التراب غدا * أقصر فإنك ما كول ومشروب

- ٥ دفع أردشير الملك الى رجل كان يقوم على رأسه كتابا، وقال له : اذا رأيتني قد
أشتد غضبي فادفعه اليّ ، وفي الكتاب : أمسك فلست بإله انما أنت جسد يوشك
أن يأكل بعضه بعضا ويصير عن قريب للدود والتراب . كان للسندي والى الحسر
غلام صغير قد أمره بأن يقوم اليه اذا ضرب الناس بالسياط فيقول له : ويلك
ياسندي ، اذكر القصاص . كتب إبراهيم بن العباس الى محمد بن عبد الملك
أبا جعفر عرج على خلطائك * وأقصر قليلا عن مدى غلوائكا
١٠ فإن كنت قد أعطيت في اليوم رفة ■ فان رجائي في غد كرجائك
قال لي بعض أصحابنا وأحسبه محمد بن عمر : سمعت رجلا يشد
ألا رب ذي أجل قد حضر * طويل التني قليل الفكر
اذا هز في المشي أعطافه * تينت في منكيه البطر

- ١٥ قال : فغدوت عليه لأكتب تمام القصيدة فوجدته قد مات . المدائني قال :
رأيت فلانا مولى باهلة يطوف بين الصفا والمروة على بغلة ثم رأيته بعد ذلك راجلا
في سقر، فقلت له : أراجل في هذا الموضع ؟ قال : نعم ، إني ركبت حيث يمشي
الناس فكان حقا على الله أن يرجلني حيث يركب الناس . وقال أبو نواس في جعفر
ابن يحيى البرمكي

- ٢٠ وأعظم زهوا من ذباب على نحر * وأبخل من كلب عقور على عرق
ولو جاء غير البخل من عند جعفر * لما وضعوه الناس إلا على محق

(١) هذا وارد على لغة من يلحق الفعل علامة الفاعل قبل ذكره وهي لغة أزدشنوة .

وقال آخر

أَلَجُّ لِحَاجًا مِنْ الْخُنْفَسَاءِ * وَأَزْهَى إِذَا مَا مَشَى مِنْ غِرَابِ

قيل لرجل من بني عبد الدار : ألا تأتي الخليفة ، قال : أخشى ألا يَحِلَّ الحُسْرُ شرفي . وقيل له : البس شيئاً فان البرد شديد ، فقال : حَسْبِي يُدْفِنُنِي . قال أبو اليقظان : كان الحجاج آستعمل بلالاً الصَّبِيَّ على جيش وأغزاه قلاع فارس ، وكان يقال لذلك الجيش : بَيْبِي ، سُمِّيَ بذلك لأنه فرض فرضاً من أهل البصرة فكان أهلهم وأمهاتهم يأتونهم يقولون : بَيْبِي . وفي جيشه قال الشاعر

إلى الله أشكو أنني بت حارساً * فقام بلالٌ فبال على رجلي
فقلت لأصحابي آقطعوها فإنني * كريمٌ وإني لن أبلغها رجلي

مد أعرابي يده في الموقف وقال : اللهم إن كنت ترى يداً أكرم منها فاقطعها .
قال نوح : سمعتُ الحجاج بن أَرْطاة يقول : قتلني حُبُّ الشرف . وقيل له : مالك لا تحضر الجماعة ؟ قال : أكره أن يزحمني البقالون . كان جَذِيمَةُ الأبرش — وهو الوضاح سُمِّيَ بذلك لبرص كان به — لا يُنادِمُ أحداً ذهاباً بنفسه ، وقال : أنا أعظمُ من أن أنادِمَ إلا الفرقدين ، فكان يشرب كأساً ويصب لكل واحد منهما في الأرض كأساً ، فلما أتاه مالك وعقيل بابن أخته الذي آستهوته الشياطين قال لهما : احتكما ، فقالا له : مُنادمتك ، فنادماه أربعين سنةً يحادثانه فيها ما أعادا عليه حديثاً . وفيهما يقول مُتَمِّمُ بن نُؤيرة وَكَا كَنَدَمَانِي جَذِيمَةَ حَقْبَةَ * من الدهر حتى قيل لن تتصدعا

(١) كذا بالأصل وفي لسان العرب في مادة زها . وأورد الميداني المثل هكذا «ألحن الخنفساء» بالخاء المهملة ولم يشرحه ، وعلمه في كتاب فرائد الآل بأن الخنفساء إذا وقعت عن موضع عادت إليه .
(٢) أصله بآبي ، أبدلت الهمزة فيه ياء . انظر اللسان في مادة آبي . وفي الأغاني ج ٢ ص ١٥٥ أن الحجاج ضرب البعث على المختلين ومن أثبت من الصبيان فكانت المرأة تجي إلى ابنها وقد مجرد فضته إليها وتقول له بآبي جزعا عليه فسمى ذلك الجيش جيش بآبي .

وقال الهذليّ

ألم تعلّمي أن قد تفرّق قبلنا * خليلاً صفاء مالك وعقيل

قيل لإياس بن معاوية : ما فيك عيب إلا أنك مُعجَبٌ ، قال : أفأعجبكم؟ قالوا : نعم
قال : فأنا أحق أن أُعجب بما يكون مني . ويقال : للعادة سلطانٌ على كلّ شيء ،
وما استنبط الصوابُ بمثل المشاورة ، ولا حصّنت النعمُ بمثل المواساة ، ولا اكتسبت
البغضة بمثل الكبر .

باب مدح الرجل نفسه وغيره

قال الله عز وجل حكايةً عن يوسف : (اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظٌ
عالمٌ) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أنا سيدُ ولد آدم ولا فخر" . وقال للأَنْصار :
"والله ما علمتكم إلا تَقَلُّون عند الطمع وتَكْثُرُونَ عند الفزع" . وذَكَرَ أعرابيٌّ قومًا
فقال : والله ما نالوا بأطراف أناملهم شيئًا إلا وقد وطئناه بأخامص أقدامنا ، وإن
أقصى مُناهم لأدنى فعالنا . ابن إدريس عن إسماعيل بن أبي خالد ، قال : كنتُ
أمشي مع الشَّعْبِيِّ وأبي سَلَمَةَ ، فسأل الشَّعْبِيُّ أبا سَلَمَةَ : مَنْ أعلمُ أهل المدينة؟ فقال :
الذي يمشي بينكما ، يعني نفسه . وقال الشَّعْبِيُّ : ما رأيتُ مثلي ، وما أشاءُ أن ألقى رجلًا
أعلم مني بشيء إلا لقيته . قال معاوية لرجل : مَنْ سيّدُ قومك؟ قال : أنا . قال :
لو كنتَ كذلك لم تَقُل . الوليد بن مُسلم عن خلود عن الحسن قال : ذمَّ الرجل نفسه
في العلانية مدحًا لها في السر . كان يقال : مَنْ أظهر عيب نفسه فقد زكّاها . الأعمش
عن إبراهيم عن عبيد الله قال : إذا أثبت على الرجل بما فيه في وجهه لم تُزكّه .
قال عمر بن الخطاب : المدح ذُبْحٌ . ويقال : المدح وإفد الكبر . وقال علي بن الحسين :
لا يقول رجل في رجل من الخير ما لا يعلم إلا أوشك أن يقول فيه من الشر ما لا يعلم ،
ولا يصطحب آثان على غير طاعة الله إلا أوشكا أن يفترقا على غير طاعة الله .
قال وهب بن منبه : إذا سمعت الرجل يقول فيك من الخير ما ليس فيك فلا تأمن

أن يقول فيك من الشر ما ليس فيك . ويقال في بعض كتب الله عز وجل : عجبا لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح ! ولمن قيل فيه الشر وليس فيه كيف يغضب ! وأعجب من ذلك من أحب نفسه على اليقين وأبغض الناس على الظنون ! . وكان يقال : لا يقلين جهل غيرك بك علمك بنفسك . وقال أعرابي : كفى جهلا أن يمدح المادح بخلاف ما يعرف الممدوح من نفسه ، وإني والله ما رأيت أعشق للعروف منه . قال ابن المقفع : إياك إذا كنت واليا أن يكون من شأنك حب المدح والتركية وأن يعرف الناس ذلك منك فتكون ثلثة من الثلث يفتحمون عليك منها ، وبابا يفتتحونك منه ، وغيبة يغتابونك بها ويضحكون منك لها . وأعلم أن قابل المدح كإدح نفسه ، والمرء جدير أن يكون حبه المدح هو الذي يحمله على رده ، فإن الراد له ممدوح والقابل له معيب . وقال البيهقي

ولست بمفراج إذا الدهر سرّني * ولا جازع من صرفه المتقلب
ولا أمتنى الشر والشر تاركى * ولكن متى أحمل على الشر أركب
ويعتده قوم كثير تجارة * ويمتنع من ذاك ديني ومنصبي
فان مسيرى في البلاد ومنزلى * لبالمزلة الأقصى إذا لم أقرب

قول الممدوح عند المدحة

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : كان أبو بكر يقول عند المدحة : اللهم أنت أعلم بي مني بنفسى وأنا أعلم بنفسى منهم . اللهم أجعلني خيرا مما يحسبون وأغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون . قال حدثنا الرياشي عن الأصمعي عن حماد بن سلمة قال : أثنى رجل على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في وجهه ، وكان ثمة ، فقال علي : أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك .

(١) لا يظهر ارتباط هذه الجملة بما قبلها . وكأنه سقط من تمام الجملة ما ينظم به السياق ، ففي العقد الفريد صحيفة ١٠٩ ج ٢ ما نصه : وذكر أعرابي رجلا فقال : ما رأيت أعشق للعروف منه . وفي الصحيفة نفسها : ودخل أعرابي على بعض الملوك فقال : ان جهلا أن يقول المادح بخلاف ما يعرفه من الممدوح وإني والله ما رأيت أعشق للكريم في زمان اللوم منك .

قيل لأعرابي : ما أحسنَ الثناءَ عليك ! فقال : بلاءُ الله عندي أحسنُ من وصف
المساحين وإن أحسنوا ، وذنوبي إلى الله أكثر من عيب الدائمين وإن أكثروا ،
فيا أسفاً على ما فرطتُ ويا سوءاً مما قدَّمْتُ . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل
الثناءَ إلا من مكافئ^(١) . ومن احسن ما قيل في مدح الرجل نفسه قولُ أعشى بن ربيعة

ما أنا في أهلي ولا في عشيرتي * بمهتضمٍ حتى ولا قاريجٍ سني
ولا مُسلمٍ مولايَ عند جنائية * ولا خائفٍ مولاي من سوء ما أجنِي
وإن فؤاداً بين جنبيَّ عالمٌ * بما أبصرت عيني وما سمعت أُذني
وفضّلني في الشعر واللّب أتى * أقول على علم وأعلم ما أعني
فأصبحتُ إن فضلتُ مروانَ وآبته * على الناس قد فضلتُ خير أبٍ وآبني

وقال آخر

إذا المرء لم يمدحه حسنُ فعّاله * فمادحه يهذي وإن كان مُفصّحاً

وقال آخر

لعمري أبوك الخير إني لخادمٌ * لصحبي وإني إن ركبْتُ لفارس

وقال آخر

ونحن ضياءُ الأرض ما لم نسر بها * غضاباً، وإن نغضب فتحن ظلامها
وأشَدَّ الحسنُ البصريُّ قولَ الشاعر^(٢)

لولا بحرٌ هلكَتَ يَجِيلُهُ * نعم القتي وبئسَ القَيْيلُهُ

(١) في اللسان مادة كفا بعد أن أورد الحديث : قال القتيبي معناه إذا أنعم على رجل نعمة فكافأه بالثناء عليه قبل ثناءه وإذا أثنى قبل أن ينعم عليه لم يقبلها . قال ابن الأثير وقال ابن الأنباري هذا غلط إذ كان أحد لا ينفعك من إنعام النبي صلى الله عليه وسلم لأن الله بعثه رحمة للناس كافة فلا يخرج منها مكافئ ، ولا غير مكافئ ، والثناء عليه فرض لا يتم إلا سلام الأب ، وإنما المعنى أنه لا يقبل الثناء عليه إلا من رجل يعرف حقيقة إسلامه ولا يدخل عنده في جملة المنافقين الذين يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم . قال وقال الأزهري وفيه قول ثالث : الأمن مكافئ . أي مقارب غير مجاوز حد مثله ولا مقصر عما رفعه الله إليه أهـ ومثله بالحرف في ابن الأثير .

(٢) في الأصل « الحسن بن البصري » وظاهر أن لفظة « ابن » من زيادات النساخ .

قال الحسن : ما مَدَحَ رجلٌ هُجِيَ قومه . وقال أبو الهيثم
يقولون : الحديدُ أشدُّ شَيْءٍ * وقد ثُنِيَ الحديدُ وما ثُنِيَ
تَحَرُّ الأَرْضِ إِنْ نُودِيَ بِاسْمِي * وَتَهْدُ الجبالُ إِذَا كُنِيَ
وَمَدَحَ النَّفْسَ فِي الشَّعْرِ كَثِيرٌ ، وَهُوَ فِيهِ أَسهلُ مِنْهُ فِي الكَلَامِ الْمَثُورِ .

باب الحياء

حدَّثني أبو مسعود الدارمي ، قال : حدَّثني جَدِّي نِخَاشُ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ » . وَرَوَى أَبُو ثُمَيْرٍ عَنِ الْأَحْوَصِ
ابْنَ حَكِيمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو عَوْنٍ الْمَدَنِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيْبِ يَقُولُ :
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قِلَّةُ الْحَيَاءِ كُفْرٌ » . وَرَوَى جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ عَنْ يَعْلَى
ابْنَ حَكِيمٍ عَنْ رَجُلٍ عَنْ أَبِي عَمْرٍ ، قَالَ : الْحَيَاءُ وَالْإِيمَانُ مَقْرُونَانِ جَمِيعًا فَإِذَا رُفِعَ
أَحَدُهُمَا أَرْتَفَعَ الْآخَرُ . وَكَانَ يَقَالُ : أَحْيُوا الْحَيَاءَ بِمَجَالَسَةِ مَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ . ذَكَرَ
أَعْرَابِيُّ رَجُلًا فَقَالَ : لَا تَرَاهُ الدَّهْرَ إِلَّا وَكَأَنَّهُ لَا غَنَى بِهِ عَنْكَ وَإِنْ كُنْتَ إِلَيْهِ أَحْوَجَ ،
فَإِنْ أَذْنِبْتَ غَفَرَ وَكَأَنَّهُ الْمَذْنُوبُ ، وَإِنْ أَسَأْتَ إِلَيْهِ أَحْسَنَ وَكَأَنَّهُ الْمُسِيءُ . وَقَالَتْ
لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةُ

وَمُقَدَّرٌ عَنْهُ الْقَمِيصُ تَخَالُهُ * وَسَطَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيمًا

حَتَّى إِذَا رُفِعَ اللَّوَاءُ رَأَيْتَهُ * تَحْتَ اللَّوَاءِ عَلَى الْخَمِيْسِ زَعِيمًا

وَنَحْوَهُ قَوْلُ الْآخَرِ إِلَّا أَنَّهُ فِي التَّوَاضُعِ

يَبْدُو وَيَبْدُو ضَعِيفًا مِمَّنْ تَوَاضَعَهُ * وَيَكْفَهُزُ فَيُلْفَى الْأَسْوَدَ الْخَلْمَا

وَقَالَ أَبُو دَهْبِيلٍ الْجَمْعِيُّ^(١)

إِنَّ الْبُيُوتَ مَعَادِنَ فَنِجَارُهُ^(٢) * ذَهَبٌ وَكُلُّ جُدُودِهِ ضَخْمٌ^(٣)

(١) يمدح النبي صلى الله عليه وسلم . (٢) في الأصول . « فنجارة » وهو تحريف والتصويب

عن الحماسة . (٣) في الحماسة « بيوت » يعني القبائل التي اكتنفتها من أخواله وأعمامه .

مَتَهَلَّلَ نِعَمَ لِّلَاءِ مُجَانِبٍ ■ سَيَّانٍ مِنْهُ الْوَفَرُ وَالْعُدْمُ
نَزَرَ الْكَلَامَ مِنَ الْحَيَاءِ تَخَالُهُ * صَمِنًا وَلَيْسَ بِجِسْمِهِ سُقْمُ
عُقِمَ النِّسَاءُ فَلَا يَلِدْنَ شَبِيهَهُ * إِنَّ النِّسَاءَ بِمَثَلِهِ عَقْمُ

حَدَّثَنَا أَبُو الْخَطَّابِ قَالَ : حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ ، قَالَ : سَمِعْتُ لَيْثَ بْنَ أَبِي سَلِيمٍ يُحَدِّثُ
عَنْ وَاصِلِ بْنِ حَيَّانٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : كَانَ آخِرُ مَا حَفِظْتُ
مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ « إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ » . قَالَ الشَّاعِرُ
تَخَالُمُ لِلْحَلَمِ صُمًّا عَنْ الْخَنَا * وَخُرْسًا عَنِ الْفَحْشَاءِ عِنْدَ التَّهَابِ
وَمَرْضَى إِذَا لَوْقُوا حَيَاءً وَعِفَةً * وَعِنْدَ الْخِفَافِ كَاللِّيُوثِ الْخَوَادِرُ
وَقَالَ آخِرُ

- ١٠ عليه من التقوى رداءً سَكِينَةً * وَلِلْحَقِّ نَوْرٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ سَاطِعُ
- وَقَالَ الشَّعْبِيُّ : تَمَاشَى النَّاسُ زَمَانًا بِالذِّينِ وَالتَّقْوَى ، ثُمَّ رُفِعَ ذَلِكَ فَتَعَايَشُوا بِالْحَيَاءِ
وَالزَّكَاةِ ، ثُمَّ رُفِعَ ذَلِكَ فَمَا يَتَعَايَشُ النَّاسُ إِلَّا بِالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ، وَأَظْنُهُ سَيَجِيءُ مَا هُوَ
أَشَدُّ مِنْ هَذَا .

باب العقل

- ١٥ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الشَّهِيدِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَارِثُ بْنُ النَّعْمَانِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا
خَالِيدُ بْنُ دَعْلَجٍ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُزَّةٍ يَرْفَعُهُ ، قَالَ : « إِنَّ النَّاسَ يَعْمَلُونَ الْخَيْرَ وَإِنَّمَا
يُعْطَوْنَ أَجُورَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَدَرِ عَقُولِهِمْ » . مَهْدِيُّ بْنُ غَيْلَانَ بْنِ جَرِيرٍ قَالَ :
سَمِعْتُ مُطَرِّفًا يَقُولُ : عُقُولُ النَّاسِ عَلَى قَدَرِ زَمَانِهِمْ .

- حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ عَبْدِ الْمُنْعَمِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ : وَجَدْتُ
فِي حِكْمَةِ دَاوُدَ : يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ لَا يَشْغَلَ نَفْسَهُ عَنْ أَرْبَعِ سَاعَاتٍ ، سَاعَةً يُنَاجِي فِيهَا
رَبَّهُ ، وَسَاعَةً يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ ، وَسَاعَةً يَخْلُو فِيهَا هُوَ وَإِخْوَانُهُ وَالَّذِينَ يَنْصَحُونَ لَهُ
- ٢٠

في دينه وَيَصْدُقُونَهُ عَنْ عِيوبِهِ ، وَسَاعَةً يُحَلِّي بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ لَذَاتِهَا فِيمَا يَحِلُّ وَيُحْتَدُّ
فَإِنْ هَذِهِ السَّاعَةُ عَوْنٌ لِهَذِهِ السَّاعَاتِ وَفَضْلٌ بِلُغَةٍ وَاسْتِجَامٌ لِلْقُلُوبِ . وَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ
أَنْ لَا يَرَى إِلَّا فِي إِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ : تَرْقُودٌ لِمَعَادٍ ، أَوْ مَرَمَةٌ لِمَعَاشٍ ، أَوْ لَذَّةٌ ،
فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ . وَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ عَارِفًا بِزَمَانِهِ ، حَافِظًا لِّلْسَانِهِ ، مُقْبِلًا عَلَى شَانِهِ .

٥ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا هِلَالُ بْنُ حِقِّ قَالَ ، قَالَ عَمْرُو بْنُ
الْعَاصِ : لَيْسَ الْعَاقِلُ الَّذِي يَعْرِفُ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَعْرِفُ خَيْرَ الشَّرِّينَ ،
وَلَيْسَ الْوَاصِلُ الَّذِي يَصِلُ مَنْ يَصِلُهُ وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ . وَقَالَ زِيَادُ :

لَيْسَ الْعَاقِلُ الَّذِي يَحْتَالُ لِلْأَمْرِ إِذَا وَقَعَ وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَحْتَالُ لِلْأَمْرِ أَلَّا يَقَعَ فِيهِ .
قَالَ مَعَاوِيَةُ لِعَمْرُو : مَا بَلَغَ مِنْ دَهَانِكَ يَا عَمْرُو ؟ قَالَ عَمْرُو : لَمْ أَدْخُلْ فِي أَمْرٍ قَطَّ
فَكَرِهْتُهُ إِلَّا خَرَجْتُ مِنْهُ . قَالَ مَعَاوِيَةُ : لَكِنِّي لَمْ أَدْخُلْ فِي أَمْرٍ قَطَّ فَأَرَدْتُ الْخُرُوجَ

١٠ مِنْهُ . وَقَرَأْتُ فِي كِتَابٍ لِلْهِنْدِ : النَّاسُ حَازِمَانٍ وَعَاجِزٌ ، فَأَحَدُ الْحَازِمِينَ الَّذِي إِذَا نَزَلَ بِهِ
الْبَلَاءُ لَمْ يَنْتَظِرْ بِهِ وَتَلْقَاهُ بِحِيلَتِهِ وَرَأْيِهِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْهُ ، وَأَحْزَمُ مِنْهُ الْعَارِفُ بِالْأَمْرِ إِذَا
أَقْبَلَ فَيَدْفَعُهُ قَبْلَ وَقُوعِهِ ، وَالْعَاجِزُ فِي تَرْدِيدِهِ وَتَثْنٍ حَائِرٌ بَائِرٌ لَا يَأْتِمُرُ رَشْدًا وَلَا يُطِيعُ
مُرْشِدًا . وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : لَوْ صُوِّرَ الْعَقْلُ لِأَظْلَمَتِ مَعَهُ الشَّمْسُ ، وَلَوْ صُوِّرَ الْحَقُّ

١٥ لِأَضَاءِ مَعَهُ الدَّلِيلُ . قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَا عُبِدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَقْلِ
وَمَا عُصِيَ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ السُّتْرِ . أَبُو رَوْحٍ عَنِ الضُّحَّاكِ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ (لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا) قَالَ : مَنْ كَانَ عَاقِلًا . ذَكَرَ الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ
فَقَالَ : كَانَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يُخَدَعَ وَأَعْقَلَ مِنْ أَنْ يُخَدَعَ .

٢٠ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَبِيبٍ عَنِ الشَّهِيدِ عَنْ قُرَيْشِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ حَبِيبِ
ابْنِ الشَّهِيدِ قَالَ ، قَالَ إِيَّاسُ : لَسْتُ بِحَبِّبٍ وَالْحَبِّ لَا يُخَدَعُنِي وَلَا يُخَدَعُ ابْنُ سِيرِينَ
وَيُخَدَعُ أَبِي وَيُخَدَعُ الْحَسَنُ . قَالَ غَيْرُهُ : وَكَانَ كَثِيرًا مَا يُنْشِدُ

أَبَا بَلَى الْبَلَاءَ وَإِنِّي أَمْرُوٌّ * إِذَا مَا تَنَبَّأْتُ لَمْ أَرْتَبْ

وفي كتاب كيلة ودمنة : الأدب يُذهب عن العاقل السكر وَيَزِيدُ الأحمق سُكْرًا ،
كما أن النهار يَزِيدُ كُلَّ ذِي بَصِيرَةٍ وَبَصْرًا وَيَزِيدُ الخفايشُ سُوءَ بَصِيرٍ . وفيه : ذو العقل
لا يُبْطِرُهُ المِزْلَةُ والعِزُّ كالْجبل لا يترعزُ وإن آشتدت عليه الرِّيحُ ، والسَّخِيفُ يُبْطِرُهُ
أَدْنَى مِزْلَةٍ كالْحَشِيشِ يُحَرِّكُهُ أضعفُ رِيحٍ . وقال تَابُطُ شَرًّا فِي هَذَا الْمَعْنَى ^(١)
ولستُ بِمَفْرَاجٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَنِي * ولا جازِعٌ مِنْ صَرَفِهِ الْمُتَقَلِّبِ
ولا أَمْنِي الشَّرَّ وَالشَّرُّ تَارِكِي * ولكن متى أَهْمَلْتُ عَلَى الشَّرِّ أَرْكَبُ

وفي كتاب كيلة : رأسُ العقلِ التَّيْبِيرُ بين الكائن والممتنع ، وحسنُ العِزَاءِ عما
لا يُسْتَطَاعُ . وفيه : العاقلُ يُقِلُّ الكلامَ وَيُبَالِغُ فِي الْعَمَلِ وَيَعْتَرِفُ بِلَا عَقْلِهِ وَيَسْتَقِيلُهَا
كالرجلِ يَعْتَرُ بِالْأَرْضِ وَبِهَا يَنْتَعِشُ . ويقال : كُلُّ شَيْءٍ مَحْتَاجٌ إِلَى الْعَقْلِ ، وَالْعَقْلُ
مَحْتَاجٌ إِلَى التَّجَارِبِ . قال يحيى بن خالد : ثَلَاثَةُ أَشْيَاءٍ تَدُلُّ عَلَى عَقُولِ الرِّجَالِ : الْكِتَابُ ،
وَالرَّسُولُ ، وَالْهَدْيَةُ . وكان يقال : دَلَّ عَلَى عَقْلِ الرَّجُلِ اخْتِيَارُهُ ، وَمَا تَمَّ دِينَ أَحَدٍ حَتَّى
يَتِمَّ عَقْلُهُ ، وَأَفْضَلُ الْجِهَادِ جِهَادُ الْهَوَى . سُئِلَ أَنْوِشُرَوَانُ : مَا الَّذِي لَا تَعْلَمُ لَهُ ، وَمَا
الَّذِي لَا تَغَيِّرُ لَهُ ، وَمَا الَّذِي لَا مَدْفَعَ لَهُ ، وَمَا الَّذِي لَا حِيلَةَ لَهُ . فقال : تَعْلَمُ الْعَقْلُ ، وَتَغَيِّرُ
الْعُنْصُرَ ، وَدَفْعُ الْقَدَرِ ، وَحِيلَةُ الْمَوْتِ . وكان يقال : كِتَابُكَ عَقْلُكَ تَضَعُ عَلَيْهِ خَاتَمَكَ .
وقالوا : كِتَابُ الرَّجُلِ مَوْضِعُ عَقْلِهِ ، وَرَسُولُهُ مَوْضِعُ رَأْيِهِ . كان الحسنُ إذا أُخْبِرَ
عن رجلٍ بِصَلاحٍ قال : كَيْفَ عَقْلُهُ . وفي الحديث ” أن جبريلَ عليه السلام أتى
أدَمَ عليه السلام فقال له : إِنِّي أَتَيْتُكَ بِثَلَاثٍ فَاخْتَرِ وَاحِدَةً ، قال : وَمَا هِيَ يَا جَبْرِيْلُ ؟
قال : الْعَقْلُ وَالْحَيَاءُ وَالِدِينُ . قال : قَدْ اخْتَرْتُ الْعَقْلَ فَخَرَجَ جَبْرِيْلُ إِلَى الْحَيَاءِ وَالِدِينِ
فقال : ارجعَا فقد اختار العقل عليكما ، فقالا : أَمْرُنَا أَنْ نَكُونَ مَعَ الْعَقْلِ حَيْثُ كَانَ “

(١) تقدّم هذان البيتان يتصل بهما بيتان آخران في باب مدح الرجل نفسه ص ٢٧٦ والأربعة
منسوبة هناك للبعيث .

كان يقال : العقل يظهر بالمعاملة وشيم الرجال تظهر بالولاية . ويقال : العاقل يقي ما له بسلطانه ، ونفسه بماله ، ودينه بنفسه . قال الحسن : لو كان للناس جميعاً عقولٌ لخربت الدنيا . خير رجل فأبى أن يختار وقال : أنا محطى أوثق منى بعقلي فأقرعوا بيننا .

باب الحلم والغضب

قال حدثني الزبائدي قال : حدثنا حماد بن زيد عن هشام عن الحسن قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أيعجز أحدكم أن يكون كأبي صمّيم كان إذا خرج من منزله قال : اللهم إني قد تصدّقت بعرضي على عبادك" .

حدثنا زياد بن يحيى قال : حدثنا بشر بن المفضل عن يونس عن الحسن قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الغضب جمرَةٌ تُوقَدُ في جوف ابن آدم ، ألم تروا إلى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ وَأَنْتَفَاحِ أَوْدَاجِهِ" . قال حدثني أحمد بن الخليل قال حدثني عبد الله بن رجاء عن إسرائيل عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال ، قال رجل : يا رسول الله أوصني ، فقال : لا تغضب ، ثم أعاد عليه فقال : لا تغضب ، ثم أعاد عليه فقال : لا تغضب . قال حدثني أحمد بن الخليل قال ،

حدثني عبد الله بن نافع عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب" . قال : حدثنا حسين بن الحسن المروزي ، قال : حدثنا عبد الله بن المبارك قال : حدثنا حبيب بن حجر القيسي قال ، كان يقال : ما أحسن الإيمان يزينه العلم وما أحسن العلم يزينه العمل وما أحسن العمل يزينه الرفق ، وما أضيف شيء إلى شيء أزين من حلم إلى علم ومن عفواً إلى مقدرة . وكان يقال : من حلم ساد ومن تفهم ازداد . والعرب تقول : أحلم تسد . وقال : سمي الله يحيى

سيداً بالحلم . وقال عبد الملك بن صالح : الحِلْمُ نَجْمٌ بِحَيَاةِ السُّودِّدِ . أغلظ رجلٌ لمعاوية فلم عنه ، فقيل له : تحلم عن هذا ! فقال : إني لا أحول بين الناس وبين أسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا . شتم رجلٌ الأحنف وألح عليه ، فلما فرغ قال له : يابن أنحى ، هل لك في الغداء ؟ فانك منذ اليوم تحذو بجعلٍ ثقال .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن بكر المزنيّ . قال : جاء رجل فشم الأحنف فسكت عنه ، وأعاد فسكت ، فقال : والهفاه ! ما يمنعه من أن يردّ عليّ إلا هواني عليه .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : أخبرنا عبد الله بن صالح من آل حارثة بن لأم ، قال : نزلت برجلٍ من بني تغلب فأتاني بقرى فأنفلت مني فقال (١) والتغليّ إذا تخرج للقرى * حكّ أسنّه وتمثّل الأمثالا فانقبضت فقال : كل أيها الرجل فإنما قلت كلمة مقولة .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ ، قال : أسمع رجلاً الشعبيّ كلاماً فقال له الشعبيّ : إن كنت صادقاً فغفر الله لي وإن كنت كاذباً فغفر الله لك . ومّر بقوم ينتقصونه فقال هنيئاً مريئاً غير داءٍ نحامٍ * لعزةٍ من أعراضنا ما استحلّت

وأسطال رجلٌ على أبي معاوية الأسود فقال : أستغفر الله من الذنب الذي سلّطت به عليّ . قال معاوية : إني لأرفع نفسي أن يكون ذنبٌ أوزن من حلمي . وقال معاوية لأبي جهم العدويّ : أنا أكبر أم أنت يا أبا جهم ؟ قال : لقد أكلتُ في عرس أمك هيد ، قال : عند أيّ أزواجها ؟ قال : عند حفص بن المغيرة ، قال : يا أبا جهم ، إياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبيّ ويعاقب عقوبة الأسد ، وإن قليله يغلب كثير الناس . وأبو الجهم هذا هو القائل في معاوية

(١) هكذا بالنسخ التي بين أيدينا ، ولعل الصواب "فقلت" . (٢) في النسخة الفتوغرافية يا أبا الجهم .

نَمِيلُ عَلَى جَوَانِبِهِ كَأَنَّا * إِذَا مِلْنَا نَمِيلُ عَلَى أَيْبِنَا
نَقْلَبُهُ لِنَخْبِرَ حَالَتِيهِ * فَخَبِرَ مِنْهُمَا كَرَمًا وَلِينَا

(١)

سَمِعَ الْأَحْنَفُ رَجُلًا يَنَازِعُ رَجُلًا فِي أَمْرٍ فَقَالَ لَهُ الْأَحْنَفُ : حَسْبُكَ إِلَّا ضَعِيفًا
فِيمَا تُحَاوِلُ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : مَا عَلَى ظَنِّكَ خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ أَهْلِي ، فَقَالَ الْأَحْنَفُ لِأَمْرِي مَا
قِيلَ : احْذَرُوا الْجَوَابَ . جَعَلَ رَجُلٌ جُعْلًا لِرَجُلٍ عَلَى أَنْ يَقُومَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَسْأَلُهُ
عَنْ أُمِّهِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ وَهُوَ يَخْطُبُ عَلَى مَنْبَرٍ تَنِيَسَ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الرَّجُلُ أَخْبِرْنَا مَنْ أُمُّكَ ،
فَقَالَ : كَانَتْ امْرَأَةً مِنْ عَتَرَةِ أُصَيِّبٍ بِأَطْرَافِ الزَّمَاحِ فَوَقَعَتْ فِي سَهْمِ الْفَاكِهِ بْنِ
الْمَغِيرَةِ فَاشْتَرَاهَا أَبِي فَوَقَعَ عَلَيْهَا ، انْطَلَقَ وَخَذَ مَا جُعِلَ لَكَ عَلَى هَذَا . قَالَ الشَّاعِرُ
قُلْ مَا بَدَلَكَ مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبٍ * حِلْمِي أَصَمُّ وَأُذُنِي غَيْرُ صَمَاءَ

نَظَرَ مَعَاوِيَةُ إِلَى ابْنِهِ يَزِيدَ وَهُوَ يَضْرِبُ غُلَامًا لَهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَتَفْسِدُ أَدَبَكَ بِأَدْبِهِ
فَلَمْ يَرْضَارِبًا غُلَامًا لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ . قِيلَ لِيَحْيَى بْنِ خَالِدٍ : إِنَّكَ لَا تُؤَدِّبُ غُلَامَانِكَ
وَلَا تَضُرُّهُمْ ، قَالَ : هُمُ أَمْنَاؤُنَا عَلَى أَنْفُسِنَا فَإِذَا نَحْنُ أَخَفْنَاهُمْ فَكَيْفَ نَأْمَنُهُمْ . وَكَانَ
يَقَالُ : « الْحَلِيمُ مَطِيَّةُ الْجَهْلِ » . وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا فَقَالَ : كَانَ أَحْلَمَ مِنْ فَرْخِ طَائِرٍ .
وَفِي الْإِنْجِيلِ : كُونُوا حُلَمَاءَ كَالْحَيَاتِ وَبَلَهَاءَ كَالْحِمَامِ . قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ
إِنِّي لِأَعْرِضُ عَنْ أَشْيَاءَ أَسْمَعُهَا * حَتَّى يَقُولَ رَجُلًا إِنْ بِي حُمَقًا
أَخَشَى جَوَابَ سَفِيهِ لَا حَيَاءَ لَهُ * فَسَلَّ ، وَظَنَّ أَنَايِسَ أَنَّهُ صَدَقًا

قَالَ الْأَحْنَفُ : مَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى كَلِمَةٍ سَمِعَ كَلِمَاتٍ وَرُبَّ غِيظٍ قَدْ تَجَرَّعَتْهُ مَخَافَةٌ
مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ . قَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ : الْعِزُّ وَالْغَلْبَةُ لِلْحِلْمِ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ

(١) هَكَذَا بِالْأَصُولِ . وَلَهُ « لَا أَحْسَبُكَ » . (٢) فِي النُّسَخَةِ الْأَلْمَانِيَةِ « الْجُود » ، وَفِي الْفَتْوَعَرَاغِيَةِ
« الْجَوْلُ » وَكِلَاهُمَا تَحْرِيفٌ وَالتَّصْوِيبُ عَنْ تَجْمِيعِ الْأَمْثَالِ لِلْيَدَانِ .

(٣) يَهَامِشُ النُّسَخَةُ الْفَتْوَعَرَاغِيَّةُ : الْفَسْلُ مِنْ لَا خَيْرَ فِيهِ . وَفِي الْقَامُوسِ : الرِّذْلُ الَّذِي لَا مَرُوءَةَ لَهُ .

(٤) فِي الْأَصْلِ الْأَلْمَانِي « أَخَافَ » وَفِي الْفَتْوَعَرَاغِيَةِ « يَخَافُ » وَالتَّصْوِيبُ عَنِ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ .

عليه السلام : أَوَّلُ عَوْضِ الْحَلِيمِ مِنْ حِلْمِهِ أَنْ النَّاسَ أَنْصَارُهُ عَلَى الْجَهْلُولِ . وقال المنصور : عقوبةُ الحلماءِ التعريضُ ، وعقوبةُ السفهاءِ التصريحُ .

قال حدثني سُهَيْل قال حدثنا الأصمعيّ قال : بلغني أن رجلاً قال لآخر : والله لئن قلت واحدةً لتسمعنَّ عشرًا ، فقال له الآخر : لكك إن قلتَ عشرًا لم تسمعْ واحدةً . قال : وبلغني أن رجلاً شتمَ عمر بنَ ذَرِّفَقال له : يا هذا لا تُغْرِقْ في شتمنا ودعْ للصالح موضعًا ، فاقى أُمَّتُ مُشَاتِمَةِ الرجالِ صغيراً ولن أحياها كبيراً ، وإني لأكافئُ مَنْ عَصَى اللَّهَ فِيَّ بِأَكْثَرِ مَنْ أَنْ أَطِيعَ اللَّهَ فِيهِ . وقال بعضُ المحدثين

وإِنَّ اللَّهَ ذُو حِلْمٍ وَلَكِنْ * يَقْدِرُ الْحِلْمُ يُنْقِذُ الْحَلِيمَ
لَقَدْ وَلَّتْ بِدَوْلَتِكَ اللَّيَالِي * وَأَنْتَ مُعَلَّقٌ فِيهَا ذَمِيمٌ
وَزَالَتْ لَمْ يَعِشْ فِيهَا كَرِيمٌ * وَلَا أَسْتَغْنَى بِثَرَوَتِهَا عَدِيمٌ
فَبُعْدًا لَا انْقِضَاءَ لَهُ وَشُحْقًا * فَغَيْرُ مُصَابِكِ الْخِطِّ الْعَظِيمِ

المدائني قال : كان شَيْبِ بنُ شَيْبَةَ يقول : مَنْ سَمِعَ كَلِمَةً يَكْرَهُهَا فَسَكَتَ عَنْهَا أَنْقَطَعَ عَنْهُ مَا يَكْرَهُ ، فَإِنْ أَجَابَ عَنْهَا سَمِعَ أَكْثَرَ مِمَّا يَكْرَهُ ، وَكَانَ يَتَمَثَّلُ بِهَذَا الْبَيْتِ وَتَجَزَعُ نَفْسُ الْمَرْءِ مِنْ وَقْعِ شَتْمَةٍ * وَيُشْتَمُّ أَلْفًا بَعْدَهَا ثُمَّ يَصِيرُ

قَاتِلَ الْأُحْنَفِ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا أَبَا بَحْرٍ ، أَيْنَ الْحِلْمُ قَالَ : عِنْدَ الْحَيِّ . وقال مسلم بن الوليد

حَيٌّ لَا يَطِيرُ الْجَهْلُ فِي جَنَابَاتِهَا * إِذَا هِيَ حُلَّتْ لَمْ يَقِفْ حَلْمُهَا دَحْلُ
أَغْضَبَ زَيْدُ بْنُ جَبَلَةَ الْأُحْنَفَ ، فَوَثِبَ إِلَيْهِ فَأَخَذَ بِعِمَامَتِهِ وَتَنَاصَبَا ، فَقِيلَ لِلأُحْنَفِ : أَيْنَ الْحِلْمُ الْيَوْمَ ! فَقَالَ : لَوْ كَانَ مِثْلِي أَوْ دُونِي لَمْ أَفْعَلْ هَذَا بِهِ . كان يقال : آفَةُ الْحِلْمِ الضَّعْفُ . وقال الجعديّ

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ ■ بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا

وقال إياس بن قتادة

تُعاقِبُ أَيْدِينَا وَيَحْلُمُ رَأَيْنَا * وَتَشْتِمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلُّمِ

وَأَنشَدَ الرَّيَّاشِيُّ

إِنِّي أَمْرٌ يُذَبُّ عَنْ حَرِيمِي * حِلْمِي وَتَرَكِي اللَّوْمَ لِلثِّمِ

* وَالْعِلْمُ أَحْمَى مِنْ يَدِ الظُّلْمِ^(١)

وقال الأحنف : أصبَتْ الحِلْمَ أَنْصَرَلِي مِنَ الرِّجَالِ . قال أبو اليقظان : كان
الْمَتَشَمِّشُ بْنُ مَعَاوِيَةَ عَمُّ الْأَحْنَفِ يُفْضِلُ فِي حِلْمِهِ عَلَى الْأَحْنَفِ قَبْلُ ، فَأَمَرَهُ أَبُو مُوسَى
أَنْ يَقْسِمَ خِيَلًا فِي بَنِي تَمِيمٍ فَقَسَمَهَا ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَعْدِ : مَامَنْعَكَ أَنْ تُعْطِيَنِي
فَرَسًا وَوَتْبَ عَلَيْهِ قَرَشَ وَجْهِهِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ قَوْمٌ لِيَأْخُذُوهُ ، فَقَالَ : دَعُونِي وَإِيَّاهُ ، إِنِّي
لَا أَعَانُ عَلَى وَاحِدٍ ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِهِ إِلَى أَبِي مُوسَى ، فَلَمَّا رَأَاهُ أَبُو مُوسَى سَأَلَهُ عَمَّا بَوَّجَهُهُ
فَقَالَ : دَعُ هَذَا وَلَكِنْ أَبْنُ عَمِّي سَاخِطٌ فَأَحْلِهِ عَلَى فَرَسٍ ، فَقَعَلَ .

قِيلَ لِلْأَحْنَفِ : مَا أَحْلَمَكَ قَالَ : تَعَلَّمْتُ الْحِلْمَ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَاصِمِ الْمُنْقَرِيِّ ، بَيْنَا
هُوَ قَاعِدٌ يَفِينَانَهُ مُحْتَبٍ بِكَسَائِهِ ، أَلْتَهُ جَمَاعَةٌ فِيهِمْ مَقْتُولٌ وَمَكْتُوفٌ وَقِيلَ لَهُ : هَذَا
أَبْنُكَ قَتَلَهُ ابْنُ أَخِيكَ ، فَوَاللَّهِ مَا حَلَّ حُبُّوتُهُ حَتَّى فَرَّغَ مِنْ كَلَامِهِ ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى ابْنِ لَهُ
فِي الْمَجْلِسِ ، فَقَالَ لَهُ : قُمْ فَاطْلُقْ عَنْ ابْنِ عَمِّكَ وَوَارِ أَخَاكَ وَأَحْلِلْ إِلَى أُمِّهِ مَائَةً مِنْ
الْإِبِلِ فَإِنَّهَا غَرِيْبَةٌ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ^(٢)

إِنِّي أَمْرٌ لَا شَأْنَ حَسْبِي * دَسَّ يَغْيِرُهُ وَلَا أَفْنُ^(٣)

مِنْ مَنَقَرٍ فِي بَيْتِ مَكْرُمَةٍ * وَالْغُصْنُ يَنْبُتُ حَوْلَهُ الْغُصْنُ

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ وَلَعَلَّهُ «وَالْحِلْمُ» . (٢) فِي الْأَصْلَيْنِ «عَرِيْبَةٌ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ وَالنَّصْرُوبُ عَنْ

الْعَقْدِ الْفَرِيدِ . (٣) رَوَاهُ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ .

إِنِّي أَمْرٌ لَا يَطْبِي حَسْبِي * دَسَّ يَهْجُهُ وَلَا أَفْنُ

حُطَبَاءُ حِينَ يَقُولُ قَائِلُهُمْ * بِيَضِّ الْوُجُوهِ، أَعِفَّةُ لُسُنٍ
لَا يَقْطَنُونَ لِعَيْبِ جَارِهِمْ * وَهُمْ لِحَفِظِ جَوَارِهِ فُطُنُ

ثم أقبل على القاتل فقال : قَتَلْتَ قَرَابَتَكَ ، وَقَطَعْتَ رَحِمَكَ ، وَأَقَلَّتْ عَدَدَكَ ،
لَا يُبْعِدُ اللَّهُ غَيْرَكَ . وفي قيس بن عاصم يقول عبدة بن الطبيب ، إسلامي
عليك سلامُ الله قيس بن عاصم * ورحمته ما شاء أن يترحمًا
نَحِيَّةَ مَنْ أَلْبَسَتْهُ مِنْكَ نِعْمَةً * إِذَا زَارَ عَنْ شَحْطِ بِلَادِكَ سَلَامًا
وما كان قيس هلكه هلك واحد * وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهْدَمًا

وقال الأحنف : لقد آختلنا إلى قيس بن عاصم في الحِلْمِ كما نَحْتَلِفُ إلى الفقهاء
في الفقه . شتم رجلُ الأحنف وجعل يتبعه حتى بلغ حَيَّه ، فقال الأحنف : يا هذا
إِنْ كَانَ بَقِيَ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ فَهَاتِهِ وَأَنْصِرِفْ لَا تَسْمَعْكَ بَعْضُ سُفْهَانَا فَتَلْقَى مَا تَكْرَهُ .
شتم رجلُ الحسن وأرَبَى عليه ، فقال له : أَمَأَنْتَ فَمَا أَبْقَيْتَ شَيْئًا ، وَمَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَكْثَرُ .
قال بعضُ الشعراء

لَنْ يُدِيرَكَ الْمَجْدَ أَقْوَامٌ وَإِنْ كَرُّوا * حَتَّى يَذِلُّوا — وَإِنْ عَزَّوْا — لِأَقْوَامٍ
وَيُسْتَمِرُّ أَفْتَرَى الْأَلْوَانِ مُشْرِقَةً * لَا صَفْحَ ذَلٍّ وَلَكِنْ صَفْحَ أَحْلَامٍ

قال [حدثني] أبو حاتم عن الأصمعي قال : لَا يَكَادُ يَجْتَمِعُ عَشْرَةٌ إِلَّا وَفِيهِمْ مُقَاتِلٌ
وَأَكْثَرُ ، وَيَجْتَمِعُ أَلْفٌ لَيْسَ فِيهِمْ حَلِيمٌ . ابن عيينة قال : كَانَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ إِذَا
أَسْرَعَ إِلَيْهِ رَجُلٌ يَشْتُمُ أَوْ قَوْلٍ سَيِّئٍ لَمْ يُجِبْهُ وَقَالَ : أَتَى أَتْرَكَكَ رَفْعًا لِنَفْسِي عَنْكَ ، بَغْرِي
بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ كَلَامٌ ، فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : خَفِّضْ عَلَيْكَ أَيْهَا
الرَّجُلُ فَإِنِّي أَتْرَكَكَ الْيَوْمَ لِمَا كُنْتَ تَتْرَكَ لَهُ النَّاسَ .

قال حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال ، قال رجل : لِمِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ كُنْتُ أَدْعُ
الْفَحْشَ عَلَى الرِّجَالِ ، فَقَالَ لَهُ خَصْمُهُ : فَإِنِّي أَدْعُ الْفَحْشَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ لِمَا تَرَكْتَهُ

أَنْتَ لَهُ قَبْلَ الْيَوْمِ . وَأَغْلَظَ عَبْدٌ لِسِيدِهِ ، فَقَالَ : إِنِّي أَصْبِرُ لِهَذَا الْغَلَامِ عَلَى مَا تَرَوْنَ
لَأَرَوْضَ نَفْسِي بِذَلِكَ ، فَإِذَا صَبَرْتُ لِلْمَلُوكِ عَلَى الْمَكْرُوهِ كَانَتْ لِعَبْدِ الْمَلُوكِ أَصْبَرَ .

كَلَّمَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَجُلًا مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ وَقَدْ وَلَدَتْهُ نِسَاءُ بَنِي مُرَّةٍ فَعَابَ عَلَيْهِ جَفَاءً
رَأَاهُ مِنْهُ ، فَقَالَ : قَبِّحَ اللَّهُ شَبَهًا [غَلَبَ] عَلَيْكَ مِنْ بَنِي مُرَّةٍ . وَبَلَغَ ذَلِكَ عَقِيلَ بْنَ عُقْلَةَ
الْمُرِّيَّ وَهُوَ بِجَنَفَاءَ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى أُمِّيَالٍ فِي بَلَدِ بَنِي مُرَّةٍ ، فَرَكِبَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى عُمَرَ
وَهُوَ بِدَيْرِ سَمْعَانَ ، فَقَالَ : هَيْه يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! بَلَّغْنِي أَنْكَ غَضِبْتَ عَلَى فَقِيٍّ مِنْ بَنِي
أُبَيَّكَ ، فَقُلْتُ : قَبِّحَ اللَّهُ شَبَهًا غَلَبَ عَلَيْكَ مِنْ بَنِي مُرَّةٍ ، وَإِنِّي أَقُولُ : قَبِّحَ اللَّهُ الْأَلَمَ
طَرَفِيهِ ، فَقَالَ عُمَرُ : دَعْ وَيْحَكَ هَذَا وَهَاتِ حَاجَتَكَ . فَقَالَ : وَاللَّهِ مَالِي حَاجَةٌ غَيْرَ
حَاجَتِهِ ، وَوَلَّى رَاجِعًا مِنْ حَيْثُ جَاءَ ، فَقَالَ عُمَرُ : يَا سَبْحَانَ اللَّهِ ! مَنْ رَأَى مِثْلَ هَذَا
الشَّيْخِ ؟ جَاءَ مِنْ جَنَفَاءَ لَيْسَ إِلَّا يَسْتَمِنُنَا ثُمَّ أَنْصَرَفَ ! فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي مُرَّةٍ : إِنَّهُ
وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا شَتَمَكَ وَمَا شَتَمَ إِلَّا نَفْسَهُ ، نَحْنُ وَاللَّهُ الْأَلَمَ طَرَفِيهِ .

الْمَدَائِنِيُّ قَالَ : لَمَّا عَزَلَ الْحِجَاجَ أُمَيَّةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ خِرَاسَانَ أَمَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي
تَمِيمٍ فَعَابَهُ بِخِرَاسَانَ وَشَتَعَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا قَفَلَ لِقِيهِ التَّمِيمِيُّ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ
لَا تُؤْمِنُنِي فَإِنِّي كُنْتُ مَأْمُورًا ، فَقَالَ : يَا أَخَا بَنِي تَمِيمٍ أَوْحَدْتُكَ نَفْسُكَ أُنِّي وَجَدْتُ
عَلَيْكَ ؟ قَالَ : قَدْ ظَنَنْتُ ذَلِكَ ، قَالَ : إِنْ لِنَفْسِكَ عِنْدَكَ قَدْرًا ! . كَانَ يُقَالُ : طَيَّرُوا
دِمَاءَ الشَّبَابِ فِي وَجُوهِهِمْ . وَيُقَالُ : الْغَضَبُ غَوْلُ الْحَلَمِ . وَيُقَالُ : الْقُدْرَةُ تُذْهِبُ
الْحَفِيفَةَ . وَكُتِبَ كِسْرَى أَبْرُويزَ إِلَى ابْنِهِ شِيرَوِيَهَ مِنَ الْخَبَسِ : إِنْ كَلِمَةً مِنْكَ
تَسْفِكَ دِمَاءً ، وَإِنْ كَلِمَةً أُخْرَى مِنْكَ تَحْقِنُ دِمَاءً ، وَإِنْ سَخَطَكَ سَيْفُكَ مَسْلُولَةً ^(٣) عَلَى
مَنْ سَخَطْتَ عَلَيْهِ ، وَإِنْ رِضَاكَ بَرَكَةٌ مُسْتَفِيزَةٌ عَلَى مَنْ رَضِيتَ عَنْهُ ، وَإِنْ نَفَازَ

(١) زيادة في العقد الفريد .

(٢) رسم في النسخة الفتوغرافية هكذا «حاجه» ولعل النسخة حرفها عن «هذه» كما يقتضيه السياق .

(٣) لعله «وان سخطك سيوف مسلوله الخ» بالتكرير ليتناسب في السياق مع ما بعده .

أمرك مع ظهور كلامك ، فاحترس في غضبك من قولك أن يُحِطَى ومن لونك أن يتغير ومن جسدك أن يَحْفَ ، وإن الملوكة تُعاقب قدرةً وحزماً ، وتعفو تفضلاً وحلماً ، ولا ينبغي للقادر أن يُسَخَفَ ولا للحليم أن يَزهو ، وإذا رَضِيتَ فأبلغ بمن رَضِيتَ عنه يَحْرِضُ من سواه على رضاك ، وإذا سَخِطْتَ فَضَعُ من سَخِطْتَ عليه يَهْرُبُ من سواه من سَخِطَكَ ، وإذا عاقبتَ فأنهك^(١) لئلا يُعَرِّضَ لعقوبتك ، وأعلم أنك تَجِلُّ عن الغضب وأن غضبك يصغر عن ملكك ، فقدّر لسَخِطَكَ من العقاب كما تُقدّر لرضاك من الثواب . قال محمد بن وهيب

لئن كنت محتاجاً إلى الحلم إني * إلى الجهل في بعض الأحيان أخرج
ولي فرس للحلم بالحلم ملجئ * ولي فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن رام تقويي فإني مقوم * ومن رام تعويجي فإني معوج
وما كنت أرضى الجهل خذاً وصاحباً * ولكنني أرضى به حين أخرج
ألا ربّما ضاق الفضاء بأهله * وأمكن من بين الأسنة مخرج
وإن قال بعض الناس فيه سماجة * فقد صدقوا ، والذل بالحر أسمع

وقال ابن المقفع : لا ينبغي للملك أن يغضب لأن القدرة من وراء حاجته ، ولا يكذب لأنه لا يقدر أحد على استكراهه على غير ما يريد ، ولا يخجل لأنه لا يخاف الفقر ، ولا يخجل لأن خطره قد جَلَّ عن المجازاة . قال سويد بن الصامت^(٢)

إني إذا ما الأمر بين شكك * وبدت بصائر لمن يتأمل
أدع التي هي أرفق الحالات بي * عند الحفيظة التي هي أجمل

أتى عمر بن عبد العزيز رجل كان واجداً عليه ، فقال : أولا أني غضبان لعاقبتك ، وكان إذا أراد أن يعاقب رجلاً حبسه ثلاثة أيام ، فإذا أراد بعد ذلك أن يعاقبه عاقبه ،

(١) نهك السلطان : بالغ في العقوبة . (٢) في الأغاني ج ٢ ص ١٦٩ سويد بن صامت بدون الألف واللام .

كراهة أن يعجل عليه في أول غضبه . وأسمعه رجل كلاما فقال له : أردت أن يستغفرني الشيطان بعز السلطان فأنا لك منك اليوم ما تناله متى غدا ، انصرف رحمك الله . قال لقمان الحكيم : ثلاث من كن فيه فقد استكمل الإيمان : من إذا رضى لم يخرج به رضاه إلى الباطل ، وإذا غضب لم يخرج به غضبه من الحق ، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له . وقال لابنه : إن أردت أن تؤاخي رجلا فأغضبه ، فإن أنصفك في غضبه وإلا فدعه .

خطب معاوية يوما فقال له رجل : كذبت ، فنزل مغضبا فدخل منزله ، ثم خرج عليهم تقطر لحية ماء ، فصعد المنبر فقال : أيها الناس إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان من النار ، فإذا غضب أحدكم فليطفيه بالماء ، ثم أخذ في الموضع الذي بلغه من خطبته . وفي الحديث المرفوع : "إذا غضب أحدكم فإن كان قائما فليقعده وإن كان قاعدا فليضطجع" . وقال الشاعر

إحذر مغايظ أقوام ذوى أنف ■ إن المغيظ جهول السيف مجنون

وقال عمر بن عبد العزيز : متى أشفني غيظي ؟ أحين أقدر فيقال لي : لو عفوت ، أو حين أنجز فيقال لي : لو صبرت ؟ . والعرب تقول : «إن الرئيثة ^(١) مما يفتأ الغضب» والرئيثة اللبن الحامض يُصب عليه الحليب ، وهو أطيب اللبن .

كان المنصور ولي سلم بن قتيبة البصرة وولى مولى له كور البصرة والأبلة ، فورد كتاب مولاة أن سلما ضربه بالسياط ، فاستشاط المنصور وقال : على تجزأ سلم ! لأجعلنه نكالا ، فقال ابن عيَّاش — وكان جريئا عليه — يا أمير المؤمنين ، إن سلما لم يضرب مولاك بقوة ولا قوة أبيه ، ولكك قلدته سيفك وأصعدته منبرك ، فأراد مولاك أن يطأطئ منه مارفعت ويفسد ما صنعت ، فلم يحتمل ذلك ، يا أمير المؤمنين

(١) في الأصل «الرئيثة» وهو تحريف . (٢) كذا في الأصل ، وهو مثل . ونصه كما في اللسان وجمع الأمثال ليداني «ان الرئيثة فتأ الغضب» وفتأ الغضب سكه وكسر حدته .

إِنْ غَضِبَ الْعَرَبِيُّ فِي رَأْسِهِ فَإِذَا غَضِبَ لَمْ يَهْدَأْ حَتَّى يُحَرِّجَهُ بِلِسَانِ أَوْيَدٍ، وَإِنْ غَضِبَ النَّبْطِيُّ فِي آسْتِهِ فَإِذَا غَضِبَ [و] تَحَرَّى ذَهَبَ غَضِبُهُ، فَضَحَكَ أَبُو جَعْفَرٍ وَقَالَ :
فَعَلَ اللَّهُ بِكَ يَا مَتُوفٌ وَفَعَلَ، فَكَفَّ عَنْ سَلِيمٍ .

كَانَ يُقَالُ : إِيَّاكَ وَعِزَّةُ الْغَضَبِ فَإِنَّهَا مُصِيرَتُكَ إِلَى ذَلِّ الْإِعْتِزَارِ . قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ
النَّاسُ بَعْدَكَ قَدْ خَفَّتْ حُلُومُهُمْ ■ كَأَنَّمَا نَفَخَتْ فِيهَا الْأَعَاصِيرُ

أَبُو بَكْرٍ عِيَّاشٌ عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ : كُنْتُ مَعَ رَجُلٍ فَوَقَعَ فِي إِبْرَاهِيمَ ، فَأَتَيْتُ إِبْرَاهِيمَ
فَأَخْبَرْتُهُ وَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَهَمَمْتُ بِهِ ، فَقَالَ : لَعَلَّ الَّذِي غَضِبْتَ لَهُ لَوْ سَمِعَهُ لَمْ يَقِلْ شَيْئًا .

باب العز والذل والهبة

أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ السَّكَنِ قَالَ قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ
لِيزِيدِ بْنِ الْمُهَلَّبِ : فِيمَنْ الْعِزُّ بِالْبَصْرَةِ ؟ فَقَالَ : فِينَا وَفِي حُلَفَائِنَا مِنْ رِبِيعَةٍ ، فَقَالَ
عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْعِزُّ فِيمَنْ تُحُولَفُ عَلَيْهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .
قَالَتْ قَرِيبَةُ : إِذَا كُنْتُ فِي غَيْرِ قَوْمِكَ فَلَا تُنَسِّ نَصِييَكَ مِنَ الذَّلَّةِ . قَالَ رَجُلٌ مِنْ
قُرَيْشٍ لَشَيْخٍ مِنْهُمْ : عَلَّمَنِي الْحِلْمَ ، قَالَ : هُوَ يَابِنُ أَخِي الذَّلِّ ، أَتَصْبِرُ عَلَيْهِ ؟ . وَقَالَ
الْأَحْنَفُ : مَا يَسُرُّنِي بِنَصِييٍ مِنَ الذَّلِّ حُمُرُ النَّعَمِ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : أَنْتَ أَعَزُّ
الْعَرَبِ ، فَقَالَ : إِنْ النَّاسَ يَرَوْنَ الْحِلْمَ ذَلًّا ، فَقُلْتُ مَا قُلْتُ عَلَى مَا يَعْلَمُونَ .

وَقُرِئَتْ فِي كِتَابِ الْهِنْدِ أَنَّ الرِّيحَ الْعَاصِفَ تَحْطِمُ دَوَحَ الشَّجَرِ وَمُشِيدَ الْبَنِيَانِ وَيَسْلُمُ
عَلَيْهَا ضَعِيفُ النَّبْتِ لِلِينِهِ وَتَثْنِيهِ . وَيُقَالُ فِي الْمَثَلِ : « تَطَاطَأُ لَهَا تُحْطِئُكَ » . وَقَالَ
زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ حِينَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ هِشَامٍ مُغَضَّبًا : مَا أَحَبُّ أَحَدٍ قَطَّ
الْحَيَاةَ إِلَّا ذَلًّا ، وَتَمَثَّلَ

شَرْدَهُ الْخَوْفُ وَأَزْرَى بِهِ * كَذَاكَ مَنْ يَكْرَهُ حَرَ الْجِلَادِ

منخرقُ الخُفَّينِ يشكو الوجي * تنكبه أطرافُ مَرٍ وحَدَّادٍ
قد كان في الموت له راحة * والموت حتم في رقاب العباد

وقال المتلمس

إن الهوان، حمارُ البيت يعرفه * والمرء ينكره والجسرة الأجد^(١)
ولا يُقيم بدار الذلَّ يعرفها * إلا الحمارُ حمارُ الأهل والوتد

وقال الزبير بن عبد المطلب

ولا أُقيم بدار لا أشدُّ بها * صوتي إذا ما آعرتني سورة الغضب

وقال آخر

إذا كنت في قومٍ عداً لست منهم * فكلُّ ما علقت من خبيث وطيب

وقال العباس بن مرداس

أبلغ أبا سلمٍ رسولاً نصيحة * فإن معشرٌ جادوا بعرضك فابخل
وإن بؤءوك منزلاً غير طائل * غليظاً فلا تنزل به وتحول
ولا تطعمن ما يعلفونك إنهم * أتوك على قُرْبانهم بالمشمل
أراك إذ قد صرت للقوم ناضحاً * يقال له بالغرب أدير وأقبل

وقال آخر

فأبلغ لديك بنى مالك * على نايها وسرة الرّباب
بأنَّ امرأاً أنتم حوله * تحقون قُبته بالقباب
يُبينُ سَرائِكُمُ عامداً * ويقتلكم مثل قتل الكلاب
فلو كنتم إبلا أَمَلَحَتْ^(٢) * لقد نَزَعَتْ للبياهِ العذاب
واحكنكم غمَّ تُصْطَفَى * ويترك سائرُها للذئاب

(١) ناقة أحد : قوية موثقة الخلق متصلة فقار الظهر، خاص بالاناث . فاموس .

(٢) يقال : أَمَلَحَتِ الإبل أى وردت ماء ملحا وفي الأصل أَمَلَجَتْ بالجيم ولم يظهر له معنى مناسب .

وقال آخر

تالله لولا أنكسار الرشح قد علموا * ما وجدوني ذليلا كالذي أجده
قد يُحطَّم الفحل قسرا بعد عزته * وقد يرد على مكروهه الأسد

وقال بعض العبدین

ألا أبلغا خلتي راشدا * وصنوي قديما إذا ما اتصل
بأن الدقيق يبيح الجليل * وأن العزيز إذا شاء ذل
وأن الحزامة أن تصرفوا * لحي سوانا صدور الأسئل
فان كنت سيدنا سدتنا ■ وإن كنت للخال فأذهب نخل

وقال البعیت

ولو ترمي بلؤم بني كليب * نجوم الليل ما وصحت لسايرى
ولو ليس النهار بنو كليب * لدنس لؤمهم وصح النهار
وما يغدو عزيز بنى كليب * ليطلب حاجة إلا يجار

جاور ابن سيابة مولى بني أسد قوما فأزعجوه، فقال لهم : لم ترجعوني من جواركم؟
فقالوا : أنت مريب، فقال : فن أذل من مريب ولا أحسن جوارا . أبو عبيدة
عن عوانة قال : إذا كنت من مضر ففاخر بكثانة وكاثر بتميم وألق بقيس ، وإذا كنت
من حطان فكاثر بقضاعة وفاخر بمدحج وألق بكلب ، وإذا كنت من ربيعة ففاخر
بشبيان وألق بشبيان وكاثر بشبيان . كان يقال : من أراد عزرا بلا عشيرة وهيبة بلا
سلطان فليخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعة الله . قيل لرجل من العرب : من
السيد عندكم ؟ قال : الذي إذا أقبل هبناه وإذا أدبر أغتبناه . ونحوه قول مسلم
وكم من مبد في الضمير إلى الأذى * رآني فألقى الرعب ما كان أضمرأ

وقال أيضا

يا أيها الشامي عرضى مسارقة * أعلن به ، أنت إن أعلنته الرجل

ومن أحسن ما قيل في الهيبة

في كفه خَيْرَانِ رِيحُهَا عَيْقُ * من كف أرْوَعَ في عِرْنِينِهِ شَمُّ
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ * فما يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَتَسَمُّ

وقال ابن هرمة في المنصور

له لَحَظَاتٌ عَنْ حِفَافٍ سَرِيرِهِ * إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عَقَابٌ وَنَائِلُ
فَأَمَّ الَّذِي آمَنَتْ أَمْنُهُ الرَّدَى * وَأَمَّ الَّذِي أَوَعَدَتْ بِالشُّكْلِ ثَاكِلُ
كريم له وجهان وجه لدى الرضا * أَسِيلٌ، وَوَجْهٌ فِي الْكِرِيهَةِ بَاسِلُ
وليس بُمَعْطَى الْعَفْوِ عَنْ غَيْرِ قَدْرَةٍ * وَيَعْفُو إِذَا مَا أَمَكَّتْهُ الْمَقَاتِلُ

وقال آخر في العفو بعد القدرة

أَسَدٌ عَلَى أَعْدَائِهِ * مَا إِنْ يَلِينُ وَلَا يَهُونُ
فَإِذَا تَمَكَّنَ مِنْهُمْ * فَهَنَّاكَ أَحْلَمَ مَا يَكُونُ

وقال آخر في مالك بن أنس

يَأْبَى الْجَوَابَ فَمَا يُرَاجِعُ هَيْبَةً * وَالسَّائِلُونَ نَوَاكِسُ الْأَذْقَابِ
هَدَى التَّقَى وَعِزُّ سُلْطَانِ اثْنَيْ^(١) * فَهُوَ الْمُطَاعُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

وقال آخر

وَإِذَا الرِّجَالُ رَأَوْا زَيْدَ رَأَيْتَهُمْ * خُضِعَ الرِّقَابُ نَوَاكِسَ الْأَبْصَارِ

وقال أبو نواس

أُضْمِرُ فِي الْقَلْبِ عَنَابًا لَهُ * فَإِنْ بَدَأُتُ نَسِيتُ مِنْ هَيْبَتِهِ

أمدائي قال : قال ابن شبرمة القاضي لابنه : يَا بُنَيَّ لَا تُمَكِّنِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ ،
فَإِنْ أَجْرَأَ النَّاسَ عَلَى السَّبَاعِ أَكْثَرُهُمْ لَهَا مُعَايَنَةً . قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : كَيْفَ تَقُولُ :
اسْتَخَذْتُ أَوْ اسْتَحْذَيْتُ ؟ قَالَ : لَا أَقُولُهُ ، قِيلَ : وَلَمْ ؟ قَالَ : لِأَنَّ الْعَرَبَ لَا تَسْتَخْذِي .
وَكَانَ يُقَالُ : اصْنَمَحْ أَوْ اذْبَحْ .

(١) في العقد الفريد ج ١ ص ٢٠٢ : هَدَى الْوَقَارِ .

باب المروءة

في الحديث المرفوع : قام رجل من مُجَاشِع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال :
 يا رسول الله، أَلَسْتُ أَفْضَلَ قَوْمِي؟ فقال : "إِنْ كَانَ لَكَ عَقْلٌ فَلَكَ فَضْلٌ، وَإِنْ كَانَ
 لَكَ خُلُقٌ فَلَكَ مَرْوَةٌ، وَإِنْ كَانَ لَكَ مَالٌ فَلَكَ حَسَبٌ، وَإِنْ كَانَ لَكَ تَقِيٌّ فَلَكَ
 دِينٌ" وفيه أيضا « إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ مَعَآلِيَ الْأُمُورِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا » . روى كثير بن هشام
 عن الحكم بن هشام الثَّقَفِيِّ قال : سمعت عبد الملك بن عُثْمَرَ يقول : إِنْ مِنْ مَرْوَةٍ
 الرَّجُلُ جَلُوسَهُ بِيَابِهِ . قال الحسن : لَا دِينَ إِلَّا بِمَرْوَةٍ . قيل لابن هبيرة : مَا الْمَرْوَةُ؟
 قال : إِصْلَاحُ الْمَالِ، وَالرِّزَانَةُ فِي الْمَجْلِسِ، وَالْغَدَاءُ وَالْعِشَاءُ بِالْفِئَاءِ . قال إبراهيم :
 لَيْسَ مِنَ الْمَرْوَةِ كَثْرَةُ الْإِلْتِفَاتِ فِي الطَّرِيقِ وَلَا سُرْعَةُ الْمَشْيِ . ويقال : سُرْعَةُ الْمَشْيِ
 تُذْهِبُ بَهَاءَ الْمُؤْمِنِ .

١٠

قال معاوية : المروءة ترك اللذة . وقال عمرو : مَا أَلَذُّ الْأَشْيَاءِ؟ فقال عمرو : مُرُّ
 أَحْدَاثٍ قَرِيشٍ أَنْ يَقُومُوا ، فَلَمَّا قَامُوا قَالَ : إِسْقَاطُ الْمَرْوَةِ . قال جعفر بن محمد
 عن أبيه ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "وَرَوْا^(١) الذَّوِي الْمَرْوَاتِ عَنْ عَثَرَاتِهِمْ ،
 فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ أَحَدَهُمْ لِيَعْتَرُ وَإِنْ يَدُهُ لَفِي يَدِ اللَّهِ" . كان عمرو بن الزبير يقول
 لولده : يَا بَنِيَّ أَلْعَبُوا ، فَإِنَّ الْمَرْوَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بَعْدَ اللَّعِبِ . قيل للأحنف : مَا الْمَرْوَةُ؟
 فقال : الْعِفَّةُ^(٢) وَالْحِرْفَةُ . قال محمد بن عمران التَّمِيمِيُّ : مَا شَيْءٌ أَشَدَّ حِمْلًا عَلَى^(٣) مِنَ الْمَرْوَةِ ،
 قِيلَ : وَأَيُّ شَيْءٍ الْمَرْوَةُ؟ قال : لَا تَعْمَلُ شَيْئًا فِي السِّرِّ تَسْتَحْيِي مِنْهُ فِي الْعِلَانِيَةِ .
 وقال زهير في نحو هذا

السَّتَرُ دُونَ الْفَاحِشَاتِ ، وَلَا يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِتْرٍ

٢٠

(١) كذا في الأصول ، وفي العقد الفريد « تجاوزوا » .

(٢) في الأصول « المروءة » والتصويب عن العقد الفريد .

وقال آخر

فيسرى كإعلانى ، وتلك خليقتى * وظلمة ليلى مثل ضوء نهاريا

قال عمر بن الخطاب : تعلموا العربية فإنها تزيد فى المروءة ، وتعلموا النسب
 فرب رَجِمَ بمجهولةٍ قد وُصِلَتْ بنسبها . قال الأصمعى : ثلاثة تحكّم لهم بالمروءة حتى
 يعرفوا : رجل رأيتُه راجبا ، أو سمعته يُعرب ، أو شِمتَ منه رائحةٌ طيبة . وثلاثة
 تحكّم عليهم بالدناءة حتى يعرفوا : رجل شِمتَ منه رائحةٌ نبيذ فى مخيل ، أو سمعته يتكلم
 فى مصرٍ عربى بالفارسية ، أو رأيتُه على ظهر الطريق ينازع فى القدر . قال ميمون
 ابن ميمون : أول المروءة طلاقة الوجه ، والثانى التودد ، والثالث قضاء الحوائج .
 وقال : من فاته حسَبُ نفسه لم ينفعه حسَبُ أبيه . قال مسلمة بن عبد الملك :
 مروءتان ظاهران : الرياسة والفصاحة . وقال عمر بن الخطاب : المروءة الظاهرة
 الثياب الطاهرة . قالوا : كان الرجل اذا أراد أن يشين جاره طلب الحاجة إلى غيره .
 وقال بعض الشعراء

نومُ الغداةِ وشربُ العِشِيَّاتِ * موكلان بهتدِيم المروءات

باب اللباس

حدثني محمد بن عبيد قال ، حدثنا ابن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة عن طاوس
 عن ابن عباس ، قال : كُلُّ ما شئتَ والبَس ما شئتَ اذا ما أخطأك شيئان : سَرَفٌ
 أو مَحِيلَةٌ .

قال حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا المنهال بن حماد عن خارجة بن مصعب
 عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن أبيه ، قال : كانت مَلْحَفَةٌ رسول الله صلى الله
 عليه وسلم التى يلبسُ فى أهلِه مَوْزَسَةٌ^(١) حتى إنها لتردع^(٢) على جلده .

(١) مصبوغة بالورس وهو نبات أصفر باليمن . وفى الأصول : ” موزشة ” بالشين المعجمة وهو تحريف .

(٢) تنفض صبغها .

حدثني أبو الخطاب ، قال حدثنا أبو عتاب قال حدثنا المختار بن نافع عن ^(١) إبراهيم التيمي عن أبيه عن علي ، قال : رأيت لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما إزارا فيه إحدى وعشرون رقعة من آدم ورقعة من ثيابنا .

حدثنا الزياتي قال حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن الجريري عن ابن عباس ، قال : رأيت عمر بن الخطاب يطوف بالبيت وإزاره مرقوع بآدم . نظر معاوية إلى النّخار العُذريّ المناسب في عباءة فازدراه في عباءة ، فقال : يا أمير المؤمنين إن العبادة لا تكلمك وإنما يكلمك من فيها . قال سحيم بن وثيل ^(١) ألا ليس زين الرجل قطعاً يُمزق * ولكن زين الرجل يامى راكبة

وقال آخر

١٠ إياك أن تردري الرجال فما * يدريك ماذا يَكِنُّه الصدف
نفس الجسود العتيق باقية * يوماً وإن مس جسمه العجف
والحر حر وإن ألم به الضر وفيه العفاف والأنف

وقال آخر من المحدثين

١٥ تعجبت دُر من شبي فقلت لها * لا تعجبي قد يلوح الفجر في السدف
وزادها عجباً أن رُحْتُ في سَمَل * وما دَرْتُ دُر أن الدر في الصدف

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي أن ابن عون اشترى بُرْئاً من عمر بن أنس بن سيرين فتر على معاذة العدوية ، فقالت : أمثلك يلبس هذا ! قال : فذكرت ذلك لابن سيرين فقال : ألا أخبرتها أن تُميا الداري اشترى حلة بألف يَصلي فيها . ^(٢)

(١) كذا في النسختين .

(٢) في الاصل : ألا أخبركم . والتصويب عن العقد الفريد . ج ٣ ص ٣٤٨

حدثني أحمد بن الحليل قال حدثنا مُصعبُ بن عبد الله من ولد عبد الله بن الزبير عن أبيه، قال أخبرني إسماعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيه، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ثوبان مصبوغان بالزعفران : رداءً وعمامةً .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا علي بن عاصم قال أخبرنا أبو اسحاق الشَّيباني قال : رأيت محمد بن الحنفية واقفا بعرفات على رُذونٍ عليه مُطَرَفٌ خَرَّ أَصْفَرُ .

حدثني الرباشي عن الأصمعي عن حَفْص بن القُرَافِصَةِ ^(١) قال : أدركت وجوه أهل البصرة، شقيق بن ثور فمن دونه وآنيهم في بيوتهم الحفائ والعيسسة فإذا قعدوا بأفئتهم لبسوا الأكسية وإذا أتوا السلطان ركبوا ولبسوا المطارف .

قدم حماد بن أبي سليمان البصرة بخاءه فرقد السبخي وعليه ثياب صوف فقال حماد : ضَعْ نصرانيتك هذه عنك، فلقد رأيتنا ننظر إبراهيم فيخرج علينا وعليه مُعَصْفَرَةٌ ونحن نرى أن الميتة قد حلت له .

وروى زيد بن الحباب عن الثوري عن ابن جريح عن عثمان بن أبي سليمان أن ابن عباس كان يرتدي رداءً بألف . قال معمر : رأيت قميص أيوب يكاد يمس الأرض، فكلمته في ذلك فقال : إن الشهرة فيما مضى كانت في تذييل القميص وإنها اليوم في تسميره .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال أخبرني بعض أصحابنا قال : جاء سيار أبو الحكم إلى مالك بن دينار في ثيابٍ أشتمرها مالك ^(٢)، فقال له مالك : ما هذه الشهرة؟ فقال له سيار : أتضعني عندك أم ترفعي؟ قال : بل تضعك، قال : أراك تنهاني عن التواضع، فتزل مالك فقعد بين يديه .

(١) في لسان العرب : كل ما في العرب فراصة بضم الفاء الافراصة أبا نائلة امرأة عثمان رحمه الله فإنه بفتح الفاء لا غير . (٢) اشتمرها : شنع بها .

قال أبو يعقوب الحريري : أراد جعفر بن يحيى يوما حاجة كان طريقه إليها على باب الأصمعيّ فدفع الى خادم كيسا فيه ألف دينار وقال : إني سأزل في رجعتي الى الأصمعيّ وسيحدثني وإذا ضحكني فاذا ضحكك فضع الكيس بين يديه ، فلما رجع ودخل عليه رأى حبا مكسور الرأس وجرّة مكسورة العنق وقصعة مشعبة وجفنة أعشارا وراه على مصليّ بالٍ وعليه برّكان^(٢) أجرد فغمز غلامه ألا يضع الكيس بين يديه ولم يدع الأصمعيّ شيئا ، ما يضحكك التكلان إلا أوردته عليه فما تبسم وخرج ، فقال لرجل كان يسأله : "من آسترعى الذئب ظم" ومن زرع سبعة حصد الفقر ، فأني والله لو علمت أن هذا يكتم المعروف بالفعل لما حقلت نشره له باللسان ، وأين يقع مدح اللسان من مدح آثار الفنى ، لأن اللسان قد يكذب والحال لا تكذب . والله دز نصيب حيث يقول

١٠

فعاजूوا فاثنوا بالذى أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقايب

ثم قال له : أعلمت أن ناووس أبرويز أمدح لأبرويز من شعر زهير لآل سنان . قال ربعة بن أبى عبد الرحمن : رأيت مشيخة بالمدينة فى زى الفتيان لهم الغدائر وعليهم المؤرد والمعصفرو فى أيديهم المخاصرو بها أثرا الحناء ، ودين أحدهم أبعد من الثريا إذا أريد دينه . ذم ابن التوهم رجلا فقال : رأيتُه مشحما النعل درن الجورب مفضن الخلف دقيق الخزامة . أنشد ابن الأعرابي

١٥

فإن كنت قد أعطيت خرا تجزه * تبدلته من فروة وإهاب
فلا تأيسن أن تملك الناس إتنى * أرى أمة قد أدبرت لذهاب

قال أيوب يقول الثوب : أطويني أجملك . هشام بن عروة عن أبيه قال ، يقول المال : أرني صاحبي أعمرو ، ويقول الثوب : أكرمني داخلا أكرمك خارجا .

٢٠

(١) فى اللسان وغيره : الحب الخابية فارسى معرب . (٢) كساء أسود .

ويقال: لكل شيء راحة، فراحة البيت كنسه، وراحة الثوب طيه. قيل لأعرابي: إنك تكثير لبس العمامة، فقال: إن عظمًا فيه السمع والبصر لجدير أن يكن من الحر والقتر. ويقال: حبي العرب حيطانها، وعمائمها تيجانها. وذكروا العمامة عند أبي الأسود الدؤلي فقال: جنة في الحرب، ومكنة في الحر والقتر، وزيادة في القامة، وهي بعد عادة من عادات العرب. وقال طلحة بن عبيد الله: الدهن يذهب البؤس، والكسوة تطهر الغنى، والإحسان إلى الخادم مما يكتبت الله به العدو.

أبو حاتم قال حدثنا العتيبي قال: سمعت أعرابيا يقول: لقد رأيت بالبصرة برودا كأنما نصحت^(١) بأنوار الربيع وهي تروغ، واللابسوها أروع. قال يحيى بن خالد للعتابي في لباسه: -- وكان لا يبالي ما لبس --: يا أبا علي أنزى الله أمرا رضى أن يرفعه هيئته من جماله وماله، فإنما ذلك حظ الأدياء من الرجال والنساء، لا والله حتى يرفعه أكبراه: همته ونفسه، وأصغراه: قلبه ولسانه. وفي الحديث المرفوع: "إن الله إذا أنعم على عبيد نعمته أحب أن يرى أثرها عليه". قال حبيب بن أبي ثابت: أن تعز في خصفة خير لك من أن تدل في مطرف، وما اقترضت من أحد خير من أن اقترض من نفسي. قال عمرو بن معديكرب

ليس آجال بمثير * فأعلم وإن رديت بردا

إن آجال معادن * وموارث أورثن مجدا

وقال ابن هرمة

لو كان حول بنو أمية لم * ينطق رجال إذا هم نطقوا

إن جلسوا لم يصق مجالسهم * أو ركبوا ضاق عنهم الألق

(١) نصح الثوب: خاطه.

كَمْ فِيهِمْ مَنْ أَخَذَ ثِقَةً * عَنْ مَنِيَّهِ الْقَمِيصُ مُنْخَرِقُ
تَجْهَمُ عَوْدَ النِّسَاءِ إِذَا * مَا أَحْمَرَتْ تَحْتَ الْقَوَانِسِ الْحَدَقُ
فَرِيحُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ أُنْدَى مِنْ أَلْمَسِ * وَفِيهِمْ لِحَابِطُ وَرَقُ

قال حدثني أحمد بن إسماعيل قال : رأيت على أبي سعد المخزومي الشاعر

كردوانيا مصبوغا بسواد ■ فقلت له : يا أبا سعد، هذا خير؟ فقال : لا ، ولكنه
دَعَى عَلَى دَعَى ، وكان أبو سعد دعيا في بني مخزوم ، وفيه يقول أبو البرق

لَمَّا تَاهَ عَلَى النَّاسِ ■ شَرِيفُ يَا أَبَا سَعْدِ

فَنِي مَا شِئْتُ إِذْ كُنْتُ ■ بَلَا أَصْلٍ وَلَا جَدِّ

وَإِذْ حَظُّكَ فِي النَّسَبِ بَيْنَ الْحَزِّ وَالْعَبْدِ

وَإِذْ قَاذُفُكَ الْمُفْحِحِشُ فِي أَمْنٍ مِنَ الْحَدِّ

قال عمر بن عبد العزيز لمؤدبه : كيف كانت طاعتي إياك وأنت تؤدبني ؟ قال :

أَحْسَنَ طَاعَةٍ ، قَالَ : فَأَطَعْنِي الْآنَ كَمَا كُنْتُ أَطِيعُكَ . خَذَ مِنْ شَارِبِكَ حَتَّى تَبْدُوَ

شَفَتَاكَ ، وَمِنْ ثَوْبِكَ حَتَّى يَبْدُوَ عَقِبَاكَ . وَكَيْعَ قَالَ : رَاحَ الْأَعْمَشُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَقَدْ

قَلَبَ فُرُوءَ جِلْدِهَا عَلَى جِلْدِهِ وَصَوَّفُهَا إِلَى خَارِجِ ■ وَعَلَى كَتِفَيْهِ مِندِيلُ الْحَوَانِ مَكَانَ

الرِّدَاءِ . قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو الْخَطَّابِ عَنْ أَبِي دَاوُدَ عَنْ قَيْسٍ عَنْ أَبِي حُصَيْنٍ قَالَ : رَأَيْتُ

أَلْشَّعْبِيَّ يَقْضِي عَلَى جِلْدِهِ . قَالَ الْأَحْنَفُ : أَسْتَجِيدُوا النَّعَالَ فَانْهَاجُوا خَلَاخِيلَ الرِّجَالِ .

أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ قَالَ : دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ عَلَى قَتِيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ فِي مِذْرَعَةٍ

صَوَّفَ فَقَالَ لَهُ قَتِيْبَةُ : مَا يَدْعُوكَ إِلَى لُبْسِ هَذِهِ ؟ فَسَكَتَ ، فَقَالَ لَهُ قَتِيْبَةُ : أَكَلَمَكَ

فَلَا تَجِيبُنِي ! قَالَ : أَكْرَهَ أَنْ أَقُولَ زَهْدًا فَأَرْكَبَ نَفْسِي ، أَوْ أَقُولَ فَقْرًا فَأَشْكُورَبِّي .

(١) في الأصول : "سعد" والتصويب عن الأغاني وهو الموافق لما في البيت الأول .

قال ابن السَّكِّ لأصحاب الصوف : والله إن كان لباسكم هذا موافقا لسرايركم لقد أحببتهم أن يطَّلَعَ الناسُ عليها ، وإن كان مخالفا لها فقد هلكتم . وقال بعض المحدثين يعتذر من أطارٍ عليه

فما أنا إلا السَّيْفُ يا كُلُّ جَفَنَةٍ * له حَلِيَّةٌ من نفسه وهو عَاطِلٌ

التَّخْتُمُ

قال حدثني أبو الخطاب زياد بن يحيى الحَسَّانِيُّ قال حدثنا عبد الله بن ميمون قال حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله : أن النبي صلى الله عليه وسلم تحمَّ في يمينه .

قال حدثني أبو الخطاب قال حدثنا سهل بن حماد قال حدثنا أبو خَلْدَةَ خالد بن دينار قال : سألت أبا العالِيَةَ ما كانت نقشُ خاتم النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : ١٠ «صَدَقَ اللهُ» قال : فألحق الخلفاء بعد صدق الله «محمد رسول [الله]» .

قال أبو الخطاب حدثنا عَتَّابٌ ^(٢) قال حدثنا سالم بن عبد الأعلى عن نافع عن ابن عمر : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يذكر الشيء أَوْتَقَى في خاتمه خيطا . حدثني أبو الخطاب قال حدثنا عبد الله بن ميمون قال : حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه أن خاتم علي كان من وَرِيقٍ نقشه «نِعَمَ الْقَادِرُ اللهُ» . كان على خاتم علي بن الحسين بن علي «عَلِمْتَ فَأَعْمَلْ» . كان نقش خاتم صالح بن عبيد الله بن علي «تَبَارَكَ مَنْ ١٥

(١) زيادة لم توجد بالأصل ولعلها سقطت من النسخ . ويؤيده ما في «شرح المواهب اللدنية» للزرقاني في رواية ابن سعد عن أبي العالِيَةِ : أن نقش خاتم «صدق الله» ثم ألحق الخلفاء «محمد رسول الله» . أنظر ج ٥ ص ٤٥ طبع بولاق .

(٢) هكذا بالأصل ولعل الصواب أبو عتاب فانا لم نجد في شيوخ أبي الخطاب إلا أبا عتاب وهو سهل ابن حماد المذكور آنفا . وقد جاءت الرواية عنه في أوَّل سطر من صحيفة ٢٩٧ بكتيبته أبي عتاب . ٢٠

نَحَرِي بَأْنِي لَهُ عَبْدٌ، وَنَقَشَ خَاتَمُ شَرِيحٍ "الْخَاتَمُ خَيْرٌ مِنَ الظَّنِّ". وَنَقَشَ خَاتَمُ طَاهِرٍ
 "وَضَعُ الْخَاتَمَ لِلْحَقِّ عِزٌّ". وَكَانَ لِأَبِي نَوَاسٍ خَاتَمَانِ : أَحَدُهُمَا عَقِيقُ مَرَبَعٍ وَعَلَيْهِ
 تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا عَدَلْتُهُ * بَعَفُوكَ رَبِّي كَانَ عَفُوكَ أَعْظَمًا
 وَالْآخَرُ حَدِيدٌ صِينِيٌّ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ : "الْحَسَنُ يَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا"
 فَأَوْصَى عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ يُقْلَعَ الْقَصُّ وَيُغْسَلَ وَيُجْعَلَ فِي فَمِهِ .

باب الطيب

- قال حدثنا محمد بن عبيد قال حدثنا سفيان بن عيينة عن عاصم الأحول عن
 أبي عثمان التَّهْدِيّ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «خَيْرُ طِيبِ الرِّجَالِ مَا ظَهَرَ
 رِيحُهُ وَخَفِيَ لَوْنُهُ، وَخَيْرُ طِيبِ النِّسَاءِ مَا ظَهَرَ لَوْنُهُ وَخَفِيَ رِيحُهُ» .
- ١٠ حدثنا القطيعي قال حدثنا بشر عن ابن لهيعة قال حدثني بكير عن نافع : أن ابن
 عمر كان يستجمر بعودٍ غيرِ مُطَرَّى ويجعل معه الكافور ويقول : هكذا كان رسول
 الله يستجمر .
- قال حدثنا زياد بن يحيى قال حدثنا زياد بن الربيع عن يونس، قال قال أبو قلابة :
 كان ابن مسعود إذا خرج إلى المسجد عرف جيرانه ذاك بطيب ريحه .
- ١٥ حدثني القومسي قال حدثنا أبو نعيم عن شقيق عن الأعمش قال قال أبو الضحى :
 رأيتُ على رأس ابن الزبير من المسك ما لو كان لي كان رأس مال .
- قال حدثني أبو الخطاب قال حدثنا أبو قتيبة وأبو داود عن الحسن بن زيد الهاشمي
 عن أبيه قال : رأيت ابن عباس حين أحرم والغالية على صلته كأنها الرب .
- قال حدثني أحمد بن الحليل عن عمرو بن عون عن خالد عن عمرو بن يحيى عن
 محمد بن يحيى بن حبان قال : كان عبد الله بن زيد يتخلق بالخلوق ثم يجلس في المجلس .
- ٢٠

وحدثني أيضا عن سويد بن سعيد عن ضمام بن إسماعيل عن عمارة بن غزيرة قال :
لما أولم عمر بن عبد العزيز بفاطمة بنت عبد الملك أسرج في مسارجه تلك الليلة
الغالية .

قال وحدثني عن أبي عبد الرحمن المقرئ عن سعيد بن أبي أيوب عن عبيد الله
ابن أبي جعفر عن الأعرج ، قال : قال أبو هريرة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم :
« لا تَرُدُّوا الطَّيِّبَ فَإِنَّهُ طَيِّبُ الرِّيحِ خَفِيفُ الْحَمَلِ » .

قال حدثني زيد بن أنجم قال حدثنا أبو داود قال حدثنا أنس بن مالك قال حدثنا
عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه عن عائشة قالت : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَيِصِصِ الطَّيِّبِ
فِي مَفَارِقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُحْرِمٌ . إبراهيم بن الحكم عن أبيه قال
[قال] عكرمة : كان ابن عباس يطلي جسده بالمسك فاذا مرَّ بالطريق قال ابن عباس :

أمر ابن عباس أم مر المسك ؟ . قال المسيب بن علس يمدح بن شيان

تبيت الملوكة على عتبها * وشيان إن غضبت تعتب

وكالشهد بالراح أحلامهم * وأحلامهم منهما أعذب

وكالمسك ترب مقاماتهم * وترب قبورهم أطيب

أخذه العباس بن الأحنف فقال

وأنت إذا ما وطئت التراب * ب صار ترابك للناس طيبا

وقال كعب بن زهير يمدح قوما

المطعمون إذا ما أزممة أزممت * والطيبون ثيابا كلما عرقوا

(١) هكذا بالنسخة الألمانية « وظاهر السياق يقتضى « بنى » أما النسخة الفتوغرافية فالعمل فيها

محذوف سهوا .

(٢) كذا بالأصل ولعلها قال الناس .

وأنشد ابن الأعرابي

خَوْدُ يَكُونُ بِهَا الْقَلِيلُ تَمْسُهُ ^(١) مِنْ طَيْبِهَا عَيْقًا يَطِيبُ وَيَكْثُرُ
شَكَرَ الْكَرَامَةَ جِلْدُهَا فَصَفَا لَهَا * إِنَّ الْقَيْحَةَ جِلْدُهَا لَا يَشْكُرُ

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : ذُكِرَ لأَيُّوبَ هؤلاء الذين يتقشّفون فقال :
ما علمتُ أن القدرَ من الدين .

باب المجالس والجلساء والمحادثات

قال حدثني أحمد بن الخليل عن حبان بن موسى قال حدثنا ابن المبارك عن معمر
عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«الرجل أحقُّ بمجلسه إذا قام لحاجةٍ ثم رجع» .

وحدثني أيضا عن سعيد بن سليمان عن إسحاق بن يحيى عن المسيّب بن رافع عن
عبد الله بن يزيد الخطمي عن عبد الله بن الغسيل قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«المرءُ أحقُّ بصدر بيته وصدر دابته وصدر فراشه ، وأحقُّ أن يؤمَّ في بيته» .

قال حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي جعفر
محمد بن علي قال : ألقى لعلّ وسادةً بجلس عليها وقال : إنه لا يأتي الكرامة إلا حماراً .
وفي الحديث المرفوع عن أبي موسى قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَثَلُ
الجلس الصالح مَثَلُ الدَّارِيّ إِنْ لَمْ يُحْذَكْ ^(٢) مِنْ طَيْبِهِ عَلَقَكَ مِنْ رِيحِهِ ، وَمَثَلُ الْجَلِيسِ
السَّوِّءِ مَثَلُ الْكَبِيرِ إِنْ لَمْ يَحْرِقْكَ بِشَرِّ نَارِهِ عَلَقَكَ مِنْ نَنْتِهِ» . قال أبو إدريس الخولاني :

(١) في النسخة الألمانية : الغليل وفي الفتوغرافية : العليل ، وكلاهما محذوف عن «القليل» إذ هو الذي
يقتضيه السياق .

(٢) أحذاه : أعطاه .

المساجد مجالس الكرام . قال الأحنف : أطيّب المجالس ما سافر فيه البصر وأتدع^(١) فيه البدن ، فأخذه علي بن الجهم فقال

صَحُونُ تُسَافِرُ فِيهَا الْعْيُونُ وَتَحْسِرُ عَنْ بَعْدِ أَقْطَارِهَا

وقال المهلب : خير المجالس ما بعد فيه مدى الطرف وكثرت فيه فائدة الجليس . قيل للأوسية : أي منظر أحسن ؟ فقالت : قصور بيض في حدائق خضراء ونحوه قول عدي بن زيد

كَدَمِي الْعَاجَ فِي الْحَارِيبِ أَوْ كَالسَّيِّضِ فِي الزَّوْضِ زَهْرُهُ مُسْتَنِيرُ

حدثنا سهل بن محمد قل حدثنا الأصمعي قال : كان الأحنف إذا أتاه إنسان أوسع له ، فإن لم يجد موضعا تحرك ليريه أنه يوسع له . وكان آخر لا يوسع لأحد ويقول «ثَهِلَانُ ذَوِ الْهَضَبَاتِ مَا يَتَحَلَّلُ»^(٢) .

قال ابن عباس : جليسي علي ثلاث : أن أرميه بطرفي إذا أقبل ، وأن أوسع له إذا جلس ، وأصغني إليه إذا تحدث . وقال الأحنف : ما جلست مجلساً نخفت أن أقام عنه لغيري . وكان يقول : لأن أدعى من بعيد فأجيب أحب إلى من أن أقصى من قريب .

كان القعقاع بن شور إذا جالسه رجل فعرفه بالقصد إليه جعل له نصيباً في ماله ، وأعانته على عدوه ، وشفع له في حاجته ، وغدا إليه بعد المجالسة شاكراً . وقسم معاوية يوماً آنية فضة ودفع إلى القعقاع حظها منها . فأثر به القعقاع أقرب القوم إليه فقال

(١) من «ودع» ككرم ووضع : سكن .

(٢) هذا شطرييت من قصيدة للفرزدق وقد جاء في الأصل وفي معجم البلدان هكذا «ثَهِلَانُ ذَوِ الْهَضَبَاتِ» بالرفع . وقال ابن بري فيما حكاه صاحب اللسان : صوابه «ثَهِلَانُ ذَا الْهَضَبَاتِ» بالنصب لأن صدره : فرفع بكفك إن أردت بناءً .

وكنْتُ جليْسَ قَعْقَاعِ بنِ شَوْر * ولا يَشَقِّ قَعْقَاعِ جليْسُ
ضُخْوَكَ السَّنَّ إنْ نَطَقُوا بِخَيْرٍ * وعند الشَّرِّ مِطْرَاقُ عَبَّوسُ

كان يقال : إياك وصدر المجلس فإنه مجلس قلعة . قيل لمحمد بن واسع : ألا
تجلس متكئاً ! فقال : تلك جلسة الآمنين . قال عمرو بن العاص : ثلاثة لا أمْلَهُمْ :
جليسي ما فهم عني ، وثوبي ما سترني ، ودابتي ما حملت رجلي . وزاد آخر : وأمرأتي
ما أحسنَتْ عِشْرَتِي .

ذكر رجل عبد الملك بن مروان فقال : إنه لا خِذُّ بأربع ، تاركٌ لأربع : أخذٌ
بأحسن الحديث إذا حدث ، وبأحسن الاستماع إذا حدث ، وبأحسن البشر إذا لقي ،
وبأيسر المؤونة إذا خولف . وكان تاركاً لمحادثة اللئيم ، ومنازعة الجَّوَج ، وممارة
السفيه ، ومصاحبة المأبون .

كان رجل من الأشراف إذا أتاه رجل عند آتقضاء مجلسه قال : إنك جلستَ
إلينا على حين قيامٍ منا أفتأذن ؟ . قال الفضيل بن عياض للثوري : دُلّني على مَنْ
أجلس إليه ، قال : تلك حالةٌ لا تُوجد . قال مطرّف : لا تُطعم طعامك مَنْ
لا يشتهيهِ ، يُريد : لا تُقبل بحديثك على مَنْ لا يُقبل عليك بوجهه . وقال سعيد بن
سَلَم : إذا لم تكن المحدث أو المحدث فانهض . ونحوه قول ابن مسعود : حدِّث
القوم ما حدّجوك بأبصارهم .

قال زياد مولى عيَّاش بن أبي ربيعة : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، فلما
رأني رحل عن مجلسه وقال : إذا دخل عليك رجل لا ترى لك عليه فضلاً فلا
تأخذْ عليه شرف المجلس . وقال ابن عباس : ما أحدٌ أكرم على من جليسي ، إن

(١) في النسخة الألمانية : رحلي . (٢) في العقد الفريد : لمجاوبة .

(١)

الذباب يقع عليه فيشق على . ذكر الشعبي قوما فقال : ما رأيت مثلهم أشد تناوبا في مجلس ولا أحسن فهما عن محدث .

قال سليمان بن عبد الملك : قد ركبنا الفسار ووطننا الحسنة وليسنا اللين وأكلنا الطيب حتى أجفنا ، ما أنا اليوم الى شيء أحوج مني الى جليس أضع عني مؤنة التحفظ فيما بيني وبينه .

روى ابن أبي ليلى عن حبيب بن أبي ثابت عن يحيى بن جعدة قال ، قال عمر بن الخطاب : لولا أن أسير في سبيل الله أو أضع جبهتي في التراب لله أو أجالس قوما يلتقطون طيب القول كما يلتقط طيب الثمر لأحببت أن أكون قد لحقت بالله . قال عامر بن عبد قيس : ما آسى على شيء من العراق إلا على ظمأ الهواجر ، وتجارب المؤذنين ، وإخوان لي منهم الأسود بن كَثُوم . وقال آخر ما آسى من البصرة إلا على ثلاث : قصب السكر ، وليل الحرير ، وحديث ابن أبي بكرة . وقال المغيرة : كان يجالس إبراهيم صيرفي ورجل متهم برأى الخوارج ، فكان يقول لنا : لا تذكروا الربا إذا حضر هذا ، ولا الأهواء إذا حضر هذا . وكان إمام مسجد الحرام لا يقول (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) إلا عند ختم القرآن في شهر رمضان من أجل اللهيين .

كان يقال : محادثة الرجال تُلَقِّحُ ألبابها . كان بعض الملوك في مسير له ليلا فقال لمن حوله : إنه لا يُقَطَّعُ سرى الليل بمثل الحديث فيه فليَنفُضْ كل رجل منكم بنا

(١) في الأصول : تنابذا ، والتصويب عن العقد الفريد .

(٢) أجم الطعام وغيره : كرهه وملة .

(٣) في الأصول : رطب والتصويب عن ثمار القلوب للثعالبي .

(٤) في الأصول : الحزين وهو تحريف والتصويب عن ثمار القلوب ، قال الجاحظ : في أعلى جبانة البصرة موضع يقال له الحرير . يقال إن الناس لم يروا قط هواء أعدل ولا نسيا أرق ولا أطيب من ذلك الموضع .

جَوْشًا مِنْهُ ^(١) . قال معاوية لعمر بن العاص : ما بقى من لذة الدنيا تلذّه ؟ قال :
محادثته أهل العلم ، وخبرُ صالح يأتيني من ضيقتي . قال أبو مُسَهِرٍ : ما حدثت رجلاً
قط إلا حدثني إصغافه : أفهم أم صَبَع .

باب الثَّقَلَاءِ

قال ابراهيم : إذا علم الثَّقِيلُ أنه ثَقِيلٌ فليس بثَقِيلٍ . كان يقال : مَنْ خاف أن
يُثَقِّلَ لم يثَقِّل . قيل لأَيُّوبَ : ما لك لا تكتبُ عن طاوُسٍ ؟ فقال : أتيتُه فوجدته
بين ثَقِيلَيْن : ليث بن أبي سليم ، وعبد الكريم بن أبي أمية .

قال الحسن : قد ذكر الله الثَّقَلَ في كتابه قال : (فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا) . كان
أبو هريرة إذا استثقل رجلاً قال : اللهم آغفر له وأرحنا منه . وكتب رجل على
خاتمه : أَبْرَمَتَ فَقْمٌ ، فكان إذا جلس إليه ثَقِيلٌ ناوله إياه . قال بِحْتِيشُوعُ لِلْأَمُونِ :
لا تُجَالِسِ الثَّقَلَاءَ فَإِنَّا نَجِدُ في الطب : مجالسةُ الثَّقِيلِ حُمَّى الروح . قال بعض الشعراء

إِنِّي أَجَالِسُ مَعْشَرًا * نَوَكِي أَخَقَّهُمْ ثَقِيلُ
قَوْمٌ إِذَا جَالَسْتَهُمْ * صَدِئَتْ بِقَرَبِهِمُ الْعُقُولُ
لَا يُفْهِمُونِي قَوْلَهُمْ * وَيَدِقُّ عَنْهُمْ مَا أَقُولُ
فَهُمْ كَثِيرٌ وَأَعْلَمُ أَنَّي بِهِمْ قَلِيلُ

أخبرنا النَوْشَجَانِيُّ عن عمر بن سعيد القرشي قال حدثني صدقة بن خالد قال :
أتيت الكوفةَ فجلستُ إلى أبي حنيفة ، فقام رجل من جلسائه فقال
فما القيلُ تحمله مِتًّا * بأثقل من بعض جُلَّاسِنَا
فما حملت عنه شيئاً .

(١) في القاموس : الجَوْشُ القطعة العظيمة من الليل أو من آخره . والجَوْشَنُ زيادة النون لغة فيه .

مر رجل بصديق له ومعه رجل ثقيل ، فقال له : كيف حالك ؟ فقال
وقائل كيف أنت قلت له * هذا جليسي فما ترى حالي

وقال بشار

ربما يثقل الجليس وإن كا * ن خفيفا في كفة الميزان
ولقد قلت حين وتد في الأر * ض ثقيل أربي على ثهلان^(١)
كيف لم تحمِل الأمانة أرض * حملت فوقها أبا سفيان !

وقال آخر

هل غربة الدار منك منجيتي * إذا أغدت بي قلائص ذمل^(٢)
وما أظن الفلاة تنجيني * منك ولا الفلك أيها الرجل
ولو ركبت البراق أدركني * منك على نأي دارك النقل
هل لك فيما ملكك نافلة * تأخذه جملة وترتحل

وقال أعرابي

كأني عند حمزة في مقيامي * ألا حيت عنا يا مدينا
بليتاً عنده حتى كأنا * ألا هبي بصحنك فاصبحنا

وقال آخر

ثقل يطالعنا من أمم * إذا سره رغم أنفى ألم^(٣)
لطاعته وخزة في الحشا * كوخز المشارط في المحتجم
أقول له إذ بدا طالعا * ولا حملته إلينا قدم^(٤)
فقدت خيالك لا من عمي * وأذني كلامك لا من صمم

(١) في العقد الفريد، ج ١ ص ٢٢٣ : أباعمران . (٢) هكذا بالنسختين الفتوغرافية والألمانية
”تنجيني“ ولعلها ”منجيتي“ . (٣) في العقد الفريد، ج ١ ص ٢٢٣ : «اذ بدا لا بدا» وفي ديوان
ناظمه أبي نواس لا آني . (٤) في العقد الفريد والديوان : وصوت كلامك .

قال سهيل بن عبد العزيز : مَنْ ثَقُلَ عَلَيْكَ بِنَفْسِهِ وَغَمَّكَ فِي سَوَالِهِ فَأَلْزَمَهُ أَذْنَآ صَمَاءَ وَعَيْنًا عَمِيَاءَ .

وكتب بعض الكتاب في فصل من كتابه : ما آمَنُ نَزْعَ مُسْتَمِيعِ حَرَمَتِهِ ، وَطَالِبِ حَاجَةٍ رَدَدْتُهُ ، وَمُثَابِرِ ثَقِيلِ حُجَّتِهِ ، أَوْ مَنَسِيطِ نَآبِ قَبْضَتِهِ ، وَمُقْبِلِ بَعَانِهِ عَلَى لَوَايِتِ عَنْهُ ، فَقَدْ فَعَلْتَ هَذَا بِمُسْتَحْقِقِينَ وَبَتَعَذُّرِ الْحَالِ ، فَتَثَبَّتْ رَحِمَكَ اللَّهُ ، وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ .

وقال بعض المحدثين للخليل

خرجنا نريد غُرَّةً لَنَا • وَفِينَا زِيَادٌ أَبُو صَعَصَعَةٍ
فَسَتُهُ رَهِيطٌ بِهِ خَمْسَةٌ • وَخَمْسَةُ رَهِيطٍ بِهِ أَرْبَعَةٌ

باب البناء والمنازل

الهيثم بن عديّ عن مُجَالِدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ قَالَ السَّائِبُ بْنُ الْأَقْرَعِ لِرَجُلٍ مِنَ الْعَجَمِ : أَخْبَرْنِي عَنْ مَكَانٍ مِنَ الْقَرْيَةِ لَا يَخْرُبُ حَتَّى أَسْتَقْطَعَ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ ، فَقَالَ لَهُ : مَا بَيْنَ الْمَاءِ إِلَى دَارِ الْإِمَارَةِ ، فَاخْتَطَّ لثَقِيفٍ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ • قَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ : فَبِتُّ عَنْدهُمْ فَإِذَا لَيْلُهُمْ بِمَنْزِلَةِ النَّهَارِ .

وقال قائل في الدار : لَيْكُنْ أَوَّلُ مَا تَبْتَاعُ وَآخِرُ مَا تَبِيعُ .

وقال يحيى بن خالد لأبْنِهِ جَعْفَرٍ حِينَ اخْتَطَّ دَارَهُ لِبَنِيهَا : هِيَ قِيصُكَ فَإِنْ شِئْتَ فَوَسَّعْهُ ، وَإِنْ شِئْتَ فَضَيِّقْهُ . وَأَتَاهُ وَهُوَ يَبْنِي دَارَهُ الَّتِي بِبَغْدَادَ بِقَرْبِ الدَّوْرِ ، وَإِذَا هُمْ يُبَيِّضُونَ حِيطَانَهَا فَقَالَ : أَعْلَمُ أَنَّكَ تُغَطِّي الذَّهَبَ بِالْفِضَّةِ ، فَقَالَ جَعْفَرُ : لَيْسَ فِي كُلِّ مَكَانٍ يَكُونُ الذَّهَبُ أَنْفَعُ مِنَ الْفِضَّةِ ، وَلَكِنْ هَلْ تَرَى عَيْبًا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، مَخَالِطُهَا دَوْرَ السُّوقَةِ .

دخل ابن التوعم على بعض البصريين وهو يبنى دارا كثيرة الذرع ، واسعة الصحن ، رفيعة السمك ، عظيمة الأبواب ، فقال : اعلم أنك قد ألزمت نفسك مئونة لا تُطاق ، وعيالا لا يُحتمل مثلهم ، ولا بد لك من الخدم والستور والفرش على حسب ما أبتليت به نفسك ، وإن لم تفعل هجنت رأيك .

وقرأت في كتاب "الآيين" أنه كان يُستقبل بفراش الملك ومجلسه المشرق ، أو يُستقبل به مَهْبُ الصَّبا ، وذلك أن ناحية المشرق وناحية الصبا يوصفان بالعلو والارتفاع ، وناحية الدبور وناحية المغرب يوصفان بالفضيلة والانخفاض ، وكان يُستقبل بصدور إيوانات الملك المشرق أو مَهْبُ الدبور ، ويُستقبل بصدور آخلاء وما فيه من المقاعد مَهْبُ الصَّبا ، لأنه يقال : إن استقبل الصَّبا في موضع آخلاء آمن من سحر السحرة ومن ريح الجنة .

وكان عمر يقول : على كل خائن أمينان : الماء والطين . ومر ببناء يُبنى بأجر وجص فقال : لمن هذا؟ قالوا : لفلان ، عامل له ، فقال : تأبى الدرهم إلا أن تُخرج أعناقها ، وشاطره ماله .

أبو الحسن قال : لما بلغ عمر أن سعدا وأصحابه قد بنوا بالمدّر قال : قد كنت أكره لكم البنيان بالمدّر ، فأما إذ قد فعلتم فعرضوا الحيطان ، وأطيلوا السمك ، وقاربوا بين الخشب . وقيل ليزيد بن المهلب : لم لا تبنى بالبصرة دارا؟ فقال : لأني لا أدخلها إلا أميرا أو أسيرا ، فإن كنت أسيرا فالسجن دارى ، وإن كنت أميرا فدار الإمارة دارى . وقال : الصواب أن تُتخذ الدور بين الماء والسوق ، وأن تكون الدور شرقية والبساتين غربية .

قال بعض الشعراء

بنو عُجير مجدهم دارهم * وكل قوم لهم مُجدد

(١) وردت هذه الكلمة هكذا بالأصلين ولم يظهر لها معنى .

وقال أنزلأبي محمد اليزيدي

قَوْمِي خِيَارٌ غَيْرَ مَا أَنَّهُمْ * صَوَّلْتُهُمْ مِنْهُمْ عَلَى جَارِهِمْ
ليس لهم مجدد سوى مسجيد * به تعدوا فوق أطوارهم
لو هدم المسجيد لم يعرفوا * يوما ولم يسمع بأخبارهم

وقال رجل من خزاعة

نفر المسيب بالمناره * ومناره برحا عمارة^(١)
فإذا تفانرت القبا * ثل من تميم أوفزاه
حفلت عليك شيوخ ضبة * بالمسيب والمناره

مر رجل من آلخوارج بدار ثني فقال : من هذا الذي يُقيم كفيلا ؟ . وقالوا :

كل مال لا يخرج بخروجك ولا يرجع برجوعك ولا ينتقل في الوجوه بانتقالك فهو
كفيل .

وقالت الحكماء من الروم : أصلح مواضع البنيان أن يكون على تل أو كينس وثيق
ليكون مطلا ، وأحق ما جعلت إليه أبواب المنازل وأفتيتها وكواؤها المشرق واستقبال
الضبا ، فان ذلك أصلح للأبدان لسرعة طلوع الشمس وضوئها عليهم .

ومن حسن التشبيه في البناء قول علي بن الجهم

صُحُونٌ تُسَافِرُ فِيهَا الْعَيُونُ * وَتُحْسِرُ عَنْ بَعْدِ أَقْطَارِهَا
وَقُبَّةٌ مَلِكٌ كَأَنَّ النُّجُومَ * مَ تَصْنَعِي إِلَيْهَا بِأَسْرَارِهَا
وَفَوَارَةٌ تَأْرَاهَا فِي السَّمَاءِ * فَلَيْسَتْ تُقْصِرُ عَنْ تَأْرَاهَا
إِذَا أُوقِدَتْ تَأْرَاهَا بِالْعِرَاقِ * أَضَاءَ الْجَحَازَ سَنَا نَارِهَا
تَرُدُّ عَلَى الْمَزْنِ مَا أُنْزِلَتْ * عَلَى الْأَرْضِ مِنْ صَوْبِ أَقْطَارِهَا

(١) محلة بالكوفة تنسب الى عمارة بن عقبة بن أبي معيط . معجم البلدان .

لَهَا شُرَفَاتٌ كَأَنَّ الرَّبِيعَ * كَسَاهَا الرِّيَاضُ بِأَنْوَارِهَا
فَهِيَ كَمُصْطَحَبَاتٍ خَرَجْنَ * لِفَصْحِ النَّصَارَى وَإِفْطَارِهَا
فَمِنْ بَيْنِ عَاقِصَةِ شَعْرَهَا * وَمُصْلِحَةِ عَقْدِ زُنَارِهَا

وقال الوليد بن كعب

بَكَتْ دَارُ بَشِيرٍ شَجَوَهَا أَنْ تَبْدَلَ * هَلَالُ بْنُ عِيَادٍ بِبَشِيرِ بْنِ غَالِبٍ
وَمَا هِيَ إِلَّا مِثْلُ عِمْرَسٍ تَقَلَّتْ * عَلَى رَغْمِهَا مِنْ هَاشِمٍ فِي مُحَارِبِ

وقال آخر

أَلَمْ تَرَ حَوْشَبَا أَمْسَى يُنَيِّ * قُصُورًا نَفَعَهَا لَبْنِي بِقِيلِهِ
يُؤْمَلُ أَنْ يُعَمَّرَ عُمَرُ نُوْحٍ * وَأَمْرُ اللَّهِ يَحْدُثُ كُلَّ لَيْلِهِ

كان مالك بن أسماء يهوى جارية من بني أسد وكانت تنزل خُصًا وكانت دارُ

مالك مبنيةً بأجر فقال

يَالَيْتَ لِي خُصًا يُجَاوِرُهَا * بَدَلًا بَدَارِي فِي بَنِي أَسَدٍ
الْخُصُّ فِيهِ تَقَرُّ أَعْيُنُنَا * خَيْرٌ مِنَ الْأَجَرِ وَالْكَدِّ

حدثني محمد بن خالد بن خدّاش عن أبيه قال حدثنا إسحاق بن الفُرات قاضي

مصر عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال قال سليمان بن داود لابنه : يا بني إن

من ضيق العيش شراء الخبز من السوق، والنقلة من منزلي إلى منزلي .

بلغني أن رجلا من الزهاد مر في زورق، فلما نظر إلى بناء المأمون وأبوابه صاح :

وَأَعْمَرَاهُ ! فَسَمِعَهُ أَلْمَامُونَ فِدَعَا بِهِ فَقَالَ : مَا قُلْتَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ بِنَاءَ الْأَكَاسِرَةِ فَقُلْتُ

مَا سَمِعْتُ ، قَالَ الْمَأْمُونُ : أَرَأَيْتَ لَوْ تَحَوَّلْتُ مِنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ إِلَى إِيوَانَ كَسْرَى

بِالْمَدَائِنِ هَلْ كَانَ لَكَ أَنْ تَغِيبَ نَزُولِي هُنَاكَ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَأَرَاكَ إِنَّمَا عِبْتَ إِسْرَافِي

في الثقة، قال : نعم، قال : فلو وهبت قيمة هذا ألباء لرجل أكنت تعيب ذلك؟
 قال : لا، قال : فلو بتي هذا الرجل بما كنت أهب له بناءً أكنت تصيح به كما
 صحت بي ؟ قال : لا، قال : فأراك إنما قصدتني لخاصتي في نفسي لا لعله هي
 في غيري، ثم قال له : هذا ألباء ضرب من مكائدا نبيه وتخذ الجيوش ونعد
 السلاح والكراع وما بنا إلى أكثره حاجة، فلا تعودن إلي فتمسك عقوبي، فإن
 الحفيظة ربما صرفت ذا الرأي إلى هواه، فاستعمله .

باب المزاح والرخص^(١) فيه

قال حدثنا محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن هشام بن عروة عن
 أبي سلمة قال : أخبرني عائشة أنها سأبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر
 فسبقت، وسأبت في سفر آخر فسبقتها وقال : « هذه بتلك » .

حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع قال : كان أبو هريرة على المدينة خليفة
 لمروان، فرما ركب مارا قد شد عليه برذعة وفي رأسه حلية فيلق الرجل فيقول :
 الطريق، قد جاء الأمير، وربما دعاني إلى عشاءه بالليل فيقول : دع العراق^(٢) للأمير،
 فانظر فإذا هو ثريد بزيت .

قال حدثني محمد بن محمد بن مرزوق عن زاجر بن الصلت الطاحي عن سعيد^(٣)
 ابن عثمان قال، قال الشعبي لحياط مرّ به : عندنا حب مكسور تحيطه ؟ فقال
 الحياط : إن كان عندك خيوط من ريج .

(١) كذا في الأصل، ولم نجد في القاموس ولا في اللسان الرخص بمعنى الترخيص والتسهيل والوارد في هذا
 المعنى إنما هو الرخصة بناء التأنيث ففعل التاء سقطت من قلم الناسخ .

(٢) العراق : العظم أكل لحمه أو العظم بلحمه .

(٣) في الأصل : الطاحي بالجيم وهو تحريف والتصويب عن تاج العروس .

وحدثني بهذا الإسناد قال : دخل رجل على الشعبيّ ومعه في البيت امرأة فقال :
أيكم الشعبيّ ؟ قال الشعبيّ : هذه . وسئل الشعبيّ عن لحم الشيطان فقال : نحن
نرضى منه بالكفاف ، قال : فما تقول في الذُّبَّان ؟ قال : إن اشتبهته فكلّه .

قال خالد بن صفوان للفرزدق وكان يمازحه : ما أنت يا أبا فراس بالذي لمّا
رأيناه أكبرنه وقطعن أيديهن ، قال : ولا أنت يا أبا صفوان بالذي قالت فيه
الفتاة لأبيها : (يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) .

حماد بن زيد عن غالب أنه سأل ابن سيرين عن هشام بن حسان قال :
تُوقى البارحة ، أَمَا شَعَرَتْ ؟ فخرج واسترجع ، فلما رأى ابنُ سيرين جرحه قرأ (اللَّهُ يَتَوَقَّى
الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) .

مرّ بالشعبيّ حمّالٌ على ظهره دَنْ خَلٌّ ، فلما رآه وضع الدَنْ وقال : ما كان اسمُ
امرأة ابليس ؟ فقال الشعبيّ : ذاك نكاحٌ ما شهدناه .

حدثني محمد بن عبد العزيز عن الأصهبانيّ عن يحيى بن أبي زائدة عن الأعمش
قال : عادني إبراهيم فنظر إلى منزلي فقال : أَمَا أَنْتَ فَتَعْرِفُ فِي مَتْرَكَ أَنْكَ لَسْتَ مِنْ
أهل القريتين عظيم .

وروى وكيع عن ربيعة عن الزهريّ عن وهب بن عبد بن زمعة قال ، قالت
أم سلمة : نخرج أبو بكر في تجارة ومعه نعيان وسويبط بن حرملة ، وكانا شهدا بدرا ،
وكان نعيان على الزاد فقال له سويبط وكان مزاحا : أطعمني ، فقال : حتى يجيء
أبو بكر ، فقال : أما والله لأغيظنك ، فمروا بقوم فقال لهم سويبط : أئتشترون مني
عبدا لي ؟ قالوا : نعم ، قال : إنه عبد له كلام وهو قائل لكم : إني حرّ ، فإن كنتم
إذا قال لكم هذه المقالة تركتموه فلا تُفسدوا عليّ عبدي ، فقالوا : بل نشتريه منك .

بعشر قلائص، ثم جاءوا فوضعوا في عنقه حبلا وعمامة واشتروه، فقال نعيان : إن هذا يستهزئ بكم وإني حرّ، قالوا : قد أخبرنا بخبرك، وأنطلقوا به ، وجاء أبو بكر فأخبروه فاتبعهم فردّ عليهم القلائص وأخذه ، فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه فضحك هو وأصحابه منهما حولا .^(١)

- ٥ حدثني محمد بن عبد العزيز قال حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب المجبّي عن أبي عَوَانَةَ عن قتادة أن عدى بن أرطاة تزوج امرأة بالكوفة وشرط لها دارها فأراد أن ينقلها فخاصمته إلى شريح ، فقال : أين أنت أصلحك الله ؟ قال : بينك وبين الحائط ، قال : إني رجل من أهل الشام ، قال : بعيد سحيق ، قال : إني تزوجت امرأة ، قال : بالرفاء والبنين ، قال : وولدت غلاما ، قال : ليَهْنُوكَ الفارسُ ، قال : وشرطتُ لها دارها ، قال : الشرطُ أملكُ ، قال : اقض بيننا ، قال : قد قضيتُ ، قال : ١٠ بِمَهْ ؟ قال شريح : « حَدَّثَ امرأةٌ حديثين فإن أبت فاربَعٌ »^(٢) قال لى المحدث : فاربعة ، وإنما هو فاربع أى كُفّ وأمسك .

- وتقدّم رجلان إلى شريح في خصومة فاقرّ أحدهما بما يدّعى الآخر عليه وهو لا يعلم ، فقضى عليه شريح ، فقال الرجل : أتقضى علىّ بغير بينة ؟ فقال : قد شهد عندى ثقة ، قال : ومن هو ؟ قال : ابن أخت خالتك . ١٥

كان ابن سيرين يُشَدِّد

نُبْتُ أَنْ فَتَاةٌ كُنْتُ أَخْطَبُهَا * عُرْقُوبُهَا مِثْلُ شَهْرِ الصَّوْمِ فِي الطَّوْلِ

(١) في القاموس في مادة نعم أن نعيان هو المزاح وأنه هو الذى باع سويطا وبعد نحو صفحتين من هذا الكتاب سجد ذكر نعيان بأنه هو المزاح .

(٢) رواه الميبدانى « حَدَّثَ امرأةٌ حديثين فإن لم تفهم فأربعة وفسره بقوله أى زد ثم قال : وأراد بالحديثين حديثا واحدا تكرر مرّتين فكأنك حدثتها حديثين ، والمعنى كررها الحديث لأنها أضعف فهما فإن لم تفهم فاجعلهما أربعا . ورواه في اللسان كما في الأصل وقال في معناه أى قف واقصر وهو من ربع يربع إذا كف وأمسك .

وقال أيضا

لقد أصبحت عرسُ الفرزدق ناشزا * ولو رضيت ربح آسته لاستقرت
وكان ابن سيرين يضحك حتى يسيل لعابه .

المدائني قال ، قال عمرو بن العاص لمعاوية : إني رأيت ألبارحة في المنام كأن
القيامة قد قامت ووُضعت الموازينُ وأُحضِر الناسُ للحساب ، فنظرت إليك وأنت
واقف قد أجمك العرقُ ، وبين يديك صحف كأمثال الجبال ، فقال معاوية : فهل
رأيت شيئا من دنائير مصر !

كان معن بن زائدة ظنينا في دينه ، فبعث إلى ابن عيَّاش المتوفى بألف دينار ،
وكتب إليه : قد بعثتُ إليك بألف دينار آشتريتُ بها دينك ، فاقبض المال
وأكتب إلى بالتسليم ، فكتب إليه : قد قبضتُ الدنانير وبعثتُ بها ديني خلا التوحيد
لما عرفتُ من زهدك فيه .

قال الرشيد ليزيد بن مزيّد : ما أكثر الخلفاء من ربيعة ! فقال يزيد : أجل ،
ولكن منابرهم الجندوع .

قال بلال بن أبي بردة لأبن أبي علقمة : إنما دعوتك لأتخر منك ، فقال له ابن
أبي علقمة : لئن قلتَ ذلك لقد حكمَ المسلمون رجلين سخر أحدهما من الآخر .
كان يقال : السَّبَابُ مزاح النوكي^(١) . وقال الشاعر

أخو أَلَحْدِ إن جاددتَ أرضاكِ جِدْه * وذو باطل إن شئتَ أهلكِ باطله
وقال مسعر بن كدام لابنه

ولقد جوتك يا كدام نصيحتي * فاسمع لقول أبي عليك شفيق
أما المَزَاحَةُ والمِرَاءُ فدعهما * خُلُقَان لا أرضاهما لصديق
ولقد بلوئهما فلم أحمدهما * لمحاوِر جارٍ ولا لرفيق

(١) كذا في الأصل . وفي مجمع الأمثال للبدائي « المزاح سباب النوكي » .

وقال الكيت

وفي الناس أقذاعٌ مَلاهِجٌ بالحنّا * متى يَبْلُغُ الحَدُّ الحَفِيزَةَ يلعبوا

ومما يقارب هذا قولُ بعض المحدثين

أرأني سَأُبدى عند أول سكرة * هوأى لفضل في خفاءٍ وفي سترٍ

فإن رَضِيتَ كان الرضا سببَ الهوى * وإن غَضِبتَ حملتُ ذنبي على السكر

وقال الراعي — في نحو هذا يصف نساء —

يُنَاجِينَا بالطَّرْفِ دون حديثنا * وَيَقْضِينَ حاجاتٍ وهنَ مَوَازِحُ

عرض بعضُ الأمراء على رجل عمليْن ليختار أحدهما فيوليّه ، فقال : « كلاهما

وتمرا » ، فقال : أعندى تمزح ! لا وَلِيتَ لى عملا .

وقال عمر بن الخطاب : مَنْ كثر ضحكك قلتَ هيئته . وقال عليّ : إذا ضَحِكَ العالمُ

ضَحَكَ مَجَّ من العلمِ مَجَّةٌ . وقال أ كثم : « المَزَاحَةُ تُذْهِبُ المَهَابَةَ » .

الهيثمُ عن عوانة الكلبي قال : دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان وهو مغموّم

وعنده رجل كان يحسده الأخطل ويُقارضه ، فقال الأخطل : يا أمير المؤمنين عهدي

بأبي هذا القتي وهو سيدنا معشرَ بنى جُشَم ، وشيخنا الذي نصدِرُ عن رأيه ، فاهترَ

لها القتي وقال : يا أمير المؤمنين ، هو أعلم بنا قديما وحديثا ، قال الأخطل : إن أباه

أمرنا ذات يوم وقد نورتَ الرياضُ أن نَخْرُجَ إلى روضةٍ في ظهر بيوت الحَيِّ

فنتحدّث فيها ، فخرجنا وابتسطنّا لعبا ، وخرج الرجل منا بالبكرة الكوماء وبالخرُوف ^(١)

والجدى ، وقام القتيانُ فاجترروا واشتتووا ودارت السقاةُ علينا ، فبينما نحن كذلك

رُعِفَ أبوه فما تركنا في الحَيِّ روثه حمار إلا نَسَقْنَاهُ إياها فلم يَرَقْ دُمُه ، فقال لنا شيخ :

(١) هكذا بالأصول ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا « ابتسط » . ولعله محزوف عن « ابتسطنا » .

شَدُّوا خُصْيِي الشَّيْخِ عَضْبًا ، ففعلنا ذلك فرقاً الدَّمُ ، فوالله ما دارت الكأسُ إلا دورة حتى أتاها الصريحُ عن أمِّه أنها قد رَعِفَتْ ، فبادرنا إليها ، فوالله ما درينا ما نَعِصِبُ منها حتى خرجتْ نفسُها ، وعبد الملك يَفْحَصُ برجليه ضحكاً ، والفتى يقول : كذب والله ، فقال عبد الملك : ألم تزعم أنه أعلم الناس بقديمكم وحديثكم !

٥ حدثني أحمد بن عمرو قال : كان رجل من الفقهاء في طريق مكة ، فرأى وهو محرم يربو عاً فرماه بعصا كانت في يده فقتله ، فقال الجمال : ألسْتَ مُحْرِماً؟ قال : بلى وما كانت بي إلى رمية حاجة إلا أن تعلم أن إحرامى لا يمنعني من ضربك .
قال وكان الأعمش يقول : مَنْ تَمَامَ الْحَجَّ ضَرَبَ الْجَمَالَ .

١٠ المدائني قال : كان نعيمان رجلاً من الأنصار وشهد بدرا وجلده النبي عليه السلام في الخمر أربع مرات ، فمَرَّ نعيمانُ بِمَحْرَمَةٍ بنِ نَوْفَلٍ وقد كُفَّ بصره فقال : ألا رجل يقودني حتى أبول ، فأخذ بيده نعيمان ، فلما [بلغ] ^(١) مؤخرَ المسجد قال : ها هنا فُبُلٌ ، فبال فصيح به ، فقال : مَنْ قَادَنِي ؟ قيل : نعيمان ، قال : لله على أن أضربه بعصاي هذه ، فبلغ نعيمان فأتاه فقال له : هل لك في نعيمان ؟ فقال : نعم ، فقال : قم ، فقام معه فاتى به عثمان بن عفان وهو يصلي ، فقال : دونك الرجل ، بجمع يديه في العصا ثم ضربه ، فقال الناس : أمير المؤمنين ، فقال : مَنْ قَادَنِي ؟ قالوا : نعيمان ، قال : لا أعود إلى نعيمان أبداً .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال : قلت لخارجة بن زيد : هل كان الغناء يكون في العُرُسات ؟ قال : قد كان ذاك ، ولا يُحْضَرُ بما يُحْضَرُ اليوم

(١) زيادة في النسخة الألمانية وهي لازمة .

من السفه، دعانا أخواننا بنو بُيُوط في مدعاة لهم فشهد المدعاة حسان بن ثابت وابنه عبد الرحمن وأنا، وجاريتان تُغَيَّان

أنظر خليل بباب جَلَّقَ هل * تُؤْنَسُ دون البلقاء من أحد

فبكي حسان وقد كُتِفَ بصره، وجعل عبد الرحمن يُومئ إليهما أن زيدا، فلا أدري ما ذا يُعجبه من أن تُبكي أباه، ثم جىء بالطعام، فقال حسان : أ طعامُ يد أم طعامُ يدين ؟ فقالوا : طعامُ يد، يريدون الثريدَ فأكل، ثم أتى بطعام آخر فقال : أ طعامُ يد أم طعامُ يدين ؟ قالوا : طعامُ يدين، يعنون الشواء فكف .

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال : كان طُويسٌ يتغنى في عرس، فدخل النعمان ابن بشير العرس وطويس يقول

أَجَدَ بِعَمْرَةٍ غُنْيَانُهَا * قَهَجَرَأْمُ شَأْنُهَا شَأْنُهَا^(١)

وعمرة أم النعمان، ف قيل له : اسكت اسكت، فقال النعمان : إنه لم يقل بأسا وإنما قال

وَعَمْرَةٌ مِنْ سَرَوَاتِ النَّسَاءِ * تَتَفَحُّ بِالْمَسْكِ أُرْدَانُهَا

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا المجاج بن نصير قال حدثنا شعبة عن قتادة عن أبي العالية أنه كان مع ابن عباس وهو محرم، فقال ابن عباس

وَهَنْ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيَسًا * إِنْ تَصْدُقِ الطَّيْرُ نَيْلَ لَمِيَسَا^(٢)

فقالوا : تقول الرفث وأنت محرم يا ابن عباس ! فقال : إنما الرفث عند النساء .

قال جابر الجعفي : رأيت الشعبي خارجا من الكوفة فقلت له : أين ؟ قال : أنظر إلى الفيل .

(١) كذا بالأصول ولسان العرب . وفي نهاية الأرب ج ٤ ص ٢١١ : أم شأنها شأنها وهو أوجه .

(٢) كذا في الأصل نيل باللام . وروى في شرح القاموس للرتضى والعقد الفريد بالكاف بدل اللام .

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا سلم بن قتيبة قال حدثنا شريك عن جابر الجعفي عن عكرمة قال : ختن ابن عباس بنيه فأرسلني فدعوت اللعابين فلعبوا فأعطاهم ^(١) أربعائة درهم .

حدثني شيخ لنا من أهل المدينة قال : ولي الأوقص المخزومي قضاء مكة فما رُئي مثله في العفاف والنبل ، فيينا هو نائم ذات ليلة في جناح له مر به سكران يتغنى ، فأشرف عليه فقال له : يا هذا ، شربت حراما ، وأيقظت نوما ، وغنيت خطأ ، خذ عني فأصلحه له . وقال الأوقص قالت لي أمي : يا بني إنك خلقت خلقة لا تصلح معها لمجاعة القيان في بيوت القيان ، إنك لا تكون مع أحد الا تخطئك إليه العيون ، فعليك بالدين فإنه يرفع الحسيسة ويقيم التقيصة ، فنفعني الله بكلامها فبلغت القضاء . قال عبد الله بن جعفر لرجل : لو غنتك فلانة جاري صوت كذا ما أدركت دكانك .

حدثني شيخ لنا عن سلم بن قتيبة عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن زيد ابن أسلم عن أبيه قال : مر بي عمر ، وأنا وعاصم بن عمر نتغنى غناء النصب ^(٢) ، فقال : أعيداء فأعدنا ، فقال : مثلكما مثل حماري العبادي ، قيل له : أي حماريك أشرف ؟ قال : هذا ثم هذا .

وحدثني أيضا عن ابن عاصم عن ابن جريح قال : سألت عطاء عن القراءة على ألحان الغناء والحدا فقال : وما بأس ، لقد حدثني عبيد بن عمير الليثي قال : كانت لداود نبي الله معزفة يضرب بها إذا قرأ الزبور ، فكان إذا قرأ اجتمع إليه الإنس والجن والطير فبكي وأبكي من حوله . وقال لي غيره : ولهذا قيل : مزامير داود ، كأنه أغاني داود .

(١) هكذا بالنسخة الألمانية وفي النسخة الفتوغرافية " أربعة درهم " ولا ندرى أسقط من النسخ كلمة مائة أم ألف الجمع في دراهم . (٢) ضرب من أغاني العرب . (٣) كذا بالأصل ، وفي مجمع الأمثال « شر » وهو الافصح .

خرج أبو معاوية الضرير يوما على أصحابه فقال
وإذا المعدة جاشت * فأرمها بالمنجنيق
بثلاث من نبيذ * ليس بالحلو الرقيق

النوشجاني قال حدثني محمد بن سابق قال حدثنا مالك بن مغول عن أبي حصين
قال : شرب الأسود فقال : لو سقيتموني آخر لغنيت .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا أبو أسامة عن المجالد عن الشعبي عن عمه قال :
صحبتُ ابنَ مسعود حولا من رمضان إلى رمضان لم يصم يوما واحدا ، [ف]أهمني^(٢)
ذلك وسألت عنه ، ولم أره صلى الضحى حتى خرج من بين أظهرنا .

قال حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا مسلم بن إبراهيم عن مهدي بن ميمون قال :
كان أبو صادق لا يتطوع من السنة بصوم يوم ، ولا يصلي ركعة سوى الفريضة
قبلها ولا بعدها ، وكان به من الورع شيء عجيب .

حدثني الزبائدي قال قال حماد بن زيد عن أيوب قال : دخلت على رجل من
الفقهاء وهو يلعب بالشطرنج .

وحدثني الزبائدي قال حدثنا حماد بن زيد عن هشام بن حسان قال : سئل ابن
سيرين عن اللعب بالشطرنج فقال : لا بأس به هو رفق .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن معتمر قال ، قال أبي : ترون أن الشطرنج^(٣)
وُضعت على أمر عظيم ؟

(١) كذا في الأصل بالتعريف والمعروف في كتب التراجم «مجالد» بدون ال ، ودخول ال في مثل المنقول
عن اسم الفاعل للح الصفة ، وقوف على السماع من العرب . (٢) زيادة يقتضيها سياق الكلام .

(٣) لم نقف في كتب اللغة على أن الشطرنج مما يصح تأنيته ولعل تأنيته هنا على تأويله بآلة لعب .

قال وحدثنا الأصمعي عن ابن أبي زائدة عن إسماعيل بن أبي خالد قال : كان قيس ابن أبي حازم في مدعاة فقال لصاحب المنزل : طير .

حدثني شبابة قال حدثني القاسم بن الحكم العُرنى قال : حدثني سليم مولى الشعبي أن الشعبي كان إذا اختضب فغرض لآعب أبنته بالنرد حتى يعلق الخضاب .

حدثنا إسحاق بن راهويه ^(٢) قال أخبرنا النضر بن شميل قال حدثنا شعبة عن عبد ربه قال : سمعت سعيد بن المسيب وسئل عن اللعب بالنرد فقال : إذا لم يكن قماراً فلا بأس .

حدثنا إسحاق بن راهويه ^(٢) قال أخبرنا الفضل بن موسى عن رشدين بن كريب قال : رأيت عكرمة أقيم قائماً على اللعب بالنرد . قال إسحاق : إن كان لعبه على غير معنى القمار يريد به التعليم والمكيدة فهو مكروه ، ولا يبلغ ذلك إسقاط شهادته .

وروى عبد الملك بن عمير عن إبراهيم بن محمد قال أخبرني أبي قال : رأيت أبا هريرة يلعب مع أبي بأربعة عشر على ظهر المسجد .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثني علي بن عاصم عن أبي إسحاق الشيباني عن خوات التيمي عن الحارث بن سويد قال : أتى عبد الله بن مسعود رجلاً فقال : يا أبا عبد الرحمن إن لي جاراً يُرْبِي وما يتوزع من شيء أصابه ، وإني أُعسر فاستسلفه ، ويدعوني فأجيبه ، فقال : كُلْ فلك مهزؤه وعليه وزره .

كان أبو فصالة أسنَّ وشقت عليه الصلاة ، فكان يقول : مُشْقِيَّةٌ مُنْصِبَةٌ ، مُقِيْمَةٌ مُقْعِدَةٌ ، لا تزال بصاحبها حتى يضع أكرمه ويرفع أخشاه .

(١) غرض : أصابه الملال .

(٢) كذا بفتح الراء وسكون الهاء وفتح الواو وسكون الياء وبعدها هاء ساكنة ضبطه في ابن خلكان

ثم قال : وقيل له أيضاً راهويه بضم الهاء وسكون الواو وفتح الياء .

قال عبد الله بن القَعْقَاعِ الأَسَدِيُّ

أَنَا نَابِهَا صَفْرَاءَ يَزْعَمُ أَنَّهَا * زَيْبٌ، فَصَدَّقْنَاهُ وَهُوَ كَذُوبٌ
فَهَلْ هِيَ إِلَّا لَيْلَةٌ غَابَ نَحْسُهَا * أَصْلَى لِرَبِّي بَعْدَهَا وَأَتُوبُ

وقال آخر

مَنْ ذَا يُحَرِّمُ مَاءَ الْمَزْنِ خَالِطَهُ * فِي جَوْفِ آنِيَةِ مَاءِ الْعِنَاقِيدِ
إِنِّي لَا كَرِهَ تَشْدِيدَ الرُّوَاةِ لَنَا * فِيهَا وَيُعْجِبُنِي قَوْلُ أَبِي مَسْعُودٍ

وعيون الأخبارِ ومُتَخَيِّرُ الشعرِ في الشرابِ يقع في كتابي المؤلف في الأثرية، ولذلك تركت ذكرها .

وكتب بعضُ الكُتَّابِ إلى صديق له في فصل : ونحن نحمد الله إليك فإن عُقْدَةَ
الإسلام في قلوبنا صحيحةٌ ، وأَوَاحِيَهُ ثَابِتَةٌ ، ولقد اجتهد قومٌ أَنْ يَدْخُلُوا قُلُوبَنَا مِنْ
مرض قلوبهم ، وَأَنْ يَلْبِسُوا يَقِينَنَا بِشَكِّهِمْ ، فَمَنَعْنَا عَصْمَةَ اللَّهِ مِنْهُمْ ، وَحَالَ تَوْفِيقُهُ
دُونَهُمْ ، وَلَنَا بَعْدُ مَذْهَبٌ فِي الدُّعَابَةِ جَمِيلٌ ، لَا يَشُوبُهُ أَذَى وَلَا قَدَى ، يُجْرِجُ إِلَى
الْأَنْسِ مِنَ الْعُبُوسِ ، وَإِلَى الْإِسْتِرْسَالِ مِنَ الْقُطُوبِ ، وَيُلْحِقُنَا بِأَحْرَارِ النَّاسِ وَأَشْرَافِهِمْ
الَّذِينَ ارْتَفَعُوا عَنْ لِبْسَةِ الرِّيَاءِ وَالتَّصَنُّعِ .

١٥ التَّوَسُّطُ فِي الْأَشْيَاءِ ، وَمَا يُكْرَهُ مِنَ التَّقْصِيرِ فِيهَا وَالْغُلُوقِ

باب التوسط في الدين

حَدَّثَنِي الزِّيَادِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ الدَّرَّأَوْرِدِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ طَاحَلَاءَ
عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
”إِكْلَفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تَطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا ، وَإِنَّ أَفْضَلَ الْعَمَلِ
أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ“ .

حدثني محمد بن يحيى القطعي قال حدثنا محمد بن علي بن مَقْدَم عن مَعْنٍ الغفاري عن الْمُقْبَرِيِّ عن أبي هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرُّ وَلَنْ يُنَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا".

حدثني الْقُومَيْسِيُّ عن أحمد بن يونس عن زهير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الدِّينُ الْحَسَنُ وَالسَّمْتُ الصَّالِحُ وَالْاِقْتِصَادُ جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وَعَشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبَوَّةِ".

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن مسلم بن يسار أن رُفْقَةً مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ كَانُوا فِي سَفَرٍ، فَلَمَّا قَدِمُوا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ أَحَدٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ أَفْضَلَ مِنْ فَلَانٍ، يَصُومُ النَّهَارَ، فَإِذَا نَزَلْنَا قَامَ يُصَلِّي حَتَّى نَرْتَحِلَ، قَالَ: "مَنْ كَانَ يَمْنُنُ لَهُ أَوْ يَكْفِيهِ أَوْ يَعْمَلُ لَهُ"؟ قَالُوا: نَحْنُ، قَالَ: "كُلُّكُمْ أَفْضَلُ مِنْهُ".

وروى أبو معاوية عن عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي عليه السلام قال: خِيَارُكُمْ كُلُّ مُقْتَنٍ تَوَابٍ. وقال علي أيضا: خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَمِ النَّمِطُ الْأَوْسَطُ، يَرْجِعُ إِلَيْهِمُ الْغَالِي وَيَلْحَقُ بِهِمُ التَّالِي ^(١).

وروى وكيع عن محمد بن قيس عن عمرو بن مرة قال، قال حذيفة، خِيَارُكُمْ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ مِنْ دُنْيَاهُمْ لِآخِرَتِهِمْ، وَمَنْ آخَرَتَهُمْ لَدُنْيَاهُمْ. وكان يقال: دِينَ اللَّهِ

(١) كذا في اللسان والعقد الفريد وفي الأصل «البالي» وهو تحريف، ورواه في نهج البلاغة «نحن النمرقة الوسطى بها يلحق التالى والها يرجع الغالى» وفسره شارحه بأن آل البيت أشبه بها للاستناد إليهم في أمور الدين كما يستند إلى الوسادة لراحة الظهر واطمئنان الأعضاء. ووصفها بالوسطى لاتصال سائر الشارقات بها فكان الكل يعتمد عليها إما مباشرة أو بواسطة ما بجانبه وآل البيت على الصراط الوسط العدل يلحق بهم من قصر ويرجع إليهم من غلا وتجاوزا هـ.

بين المقصّر والغالى . وقال المطرف لأبنة : ^(١) يا بُنى ، الحسنَةُ بين السيئين ، يعنى بين الإفراط والتقصير ، وخير الأمور أوساطها ، وشُر السيِّر ^(٢) الحققة

وفى بعض الحديث المرفوع : "ليس خيركم مَنْ ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا ولكن خيركم مَنْ أخذ من هذه وهذه" . وقال : "إن الله بعثنى بالحنيفية السهلة ، ولم يعثنى بالرهبانية المبتدعة ، ^(٣) سُنِّي الصلاة والتَّوَم ، والإفطار والصوم ، فمن رَغِبَ عن سنِّي فليس مِنِّي" . وفى الحديث : "إن هذا الدينَ مَتِينٌ فأوغل فيه برِّقى ، فإن المنبتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى" .

وكان يقال : طالبُ العلم وعاملُ البرِّ كَأَكْلِ الطعامِ إن أخذ منه قوتا عَصَمَهُ ، وإن أسرف فى الأخذ منه بِشْمُهُ ، ^(٤) وربما كانت فيه مَنِيَّتُهُ ، وكأخذ الأدوية التى قَصَدُهَا شفاءً ، ومجاوزةُ القدر فيها السُّمُّ المميتُ .

حدثنى محمد بن عبيد قال : حدثنا سفيان بن عيينة عن سالم بن أبى حفصة أن أبى نعيم كان يهْلُ من السنة إلى السنة ويقول فى تلييته : لبيك ، لو كان رياء لأضمحل .
حدثنى أحمد بن أنخليل قال حدثنا موسى بن مسعود عن سفيان عن أبى إسحاق قال [قال] عمر بن ميمون : لو أدرك أصحابنا محمد بن أبى نعيم لرجموه ، كان يؤصل كذا وكذا يوماً ويهْلُ بالحج إذا رجع الناس من الحج .

وقال سلمان : القصَدُ والدوامُ وأنت السابقُ الجواد . وفى بعض الحديث أن عيسى بن مريم لقي رجلاً فقال : ما تصنع ؟ قال : أتعبدُ . قال : مَنْ يعود عليك ؟ قال : أخى ، قال : أخوك أعبدُ منك .

(١) كذا بالأصل والمعروف فى كتب التراجم «مطرف» بدون أل . (٢) الحققة : أرفع السير وأتعب للظهر . (٣) فى الأصل «فتى» وهو تحريف . (٤) هكذا فى النسخ التى بأيدينا «بشمه» بغير ألف . وفى القاموس واللسان ، يقال : بَشِمَ الرجلُ وأبشمه الطعامُ .

رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ عَنْ الْحَجَّاجِ بْنِ الْأَسْوَدِ قَالَ : مَنْ يَدُّنِي عَلَى رَجُلٍ بَكَاءٍ بِاللَّيْلِ بَسَامٍ
بِالنَّهَارِ ؟

وَرَوَى أَبُو أُسَامَةَ عَنْ حَمَادِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ ، قَالَ مُطَرِّفُ :
انْظُرُوا قَوْمًا إِذَا ذُكِرُوا بِالْقِرَاءَةِ فَلَا تَكُونُوا مِنْهُمْ ، وَانْظُرُوا قَوْمًا إِذَا ذُكِرُوا ذُكِرُوا
بِالْفَجْرِ فَلَا تَكُونُوا مِنْهُمْ ، كُونُوا بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ .

باب التوسط في المداواة والحلم

قُرِئَتْ فِي كِتَابِ لِلْهِنْدِ : بَعْضُ الْمَقَارِبَةِ حَزْمٌ ، وَكُلُّ الْمَقَارِبَةِ عَجْزٌ ، كَالْخَشْبَةِ
الْمَنْصُوبَةِ فِي الشَّمْسِ ثَمَالٌ فَيَزِيدُ ظِلُّهَا ، وَيُقَرِّطُ فِي الْإِمَالَةِ فَيَنْقُصُ الظِّلُّ . وَمِنْ
أَمْثَالِ الْعَرَبِ فِي هَذَا : « لَا تَكُنْ حُلُومًا قُسْطَرَطٌ ^(١) وَلَا مُرًّا فَتُلْفَظَ » وَأَبُو زَيْدٍ يَقُولُ :
وَلَا مُرًّا فَتُعَقِّقَ ، يُقَالُ : أَعَقَى الشَّيْءُ إِذَا اشْتَدَّتْ مُرَارَتُهُ . وَقَالَ الشَّاعِرُ

وَلَمَّا لَصَعِبُ الرَّأْسِ غَيْرُ جَمُوحٍ *

وَقَالَ آخَرُ فِي صِفَةِ قَوْسٍ

* فِي كَفِّهِ مُعْطِيَةٌ مُنَوَّعٌ *

وَقَالَ آخَرُ

* شَرِيَانَةٌ تَمْنَعُ بَعْدَ اللَّيْلِ *

وَقَالَ أَبُورِيزٍ لِأَبْنِهِ : اجْعَلْ لِقِتَصَادِكَ السُّلْطَانَ عَلَى إِفْرَاطِكَ ، فَإِنَّكَ إِذَا قَدَّرْتَ
الْأُمُورَ عَلَى ذَلِكَ وَزَوَّجْتَهَا بِمِيزَانِ الْحِكْمَةِ وَقَوِّمْتَهَا تَقْوِيمَ الثَّقَافِ ، وَلَمْ تَجْعَلْ لِلنَّدَامَةِ
سُلْطَانًا عَلَى الْحِلْمِ .

(١) سُرْطَه وَاسْتَرْطَه : ابْتَلَعَهُ .

(٢) هَذَا يَقْتَضِي أَنَّ الْفَافَ فِي قَوْلِهِ تَعْقِي مَكْسُورَةٌ ، وَيُقَالُ : أَعَقَى الشَّيْءُ إِذَا لَفَظَهُ مِنْ فِيهِ لِمَرَارَتِهِ ، وَبِهَذَا
يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ الْفَعْلُ مَبْنِيًّا لِلْجَهْلِ ، وَقَدْ رَوَى الْمُثَلِّ بِالْوَجْهِينِ كَمَا فِي اللِّسَانِ .

وقال النابغة الجعدي

ولا خير في حلم اذا لم تكن له * بوادر تُنجي صفوه أن يُكدرًا

وقال آخر

ولا خير في عرض أمري لا يصونه * ولا خير في حلم أمري ذل جانبه

وقال أكرم بن صيفي : الانقباض من الناس مكسبة للعداوة ، وإفراط الأُنس
مكسبة لقرناء السوء .

باب التوسط في العقل والرأى

رُوى في الحديث أن زياد بن أبي سفيان كان كاتباً لأبي موسى الأشعري فعزله
عمر عن ذلك ، فقال له زياد : أعن عجز عرتني يا أمير المؤمنين أم عن خيانة ؟
فقال : لا عن ذلك ولا عن هذا ، ولكنني كرهت أن أحمل على العامة فضل عقلك .
ويقال : إفراط العقل مُضرٌ بالحد . ومن الأمثال المبتدلة : استأذنت العقل على
الحد فقال : اذهب لا حاجة بي اليك . وقال الشاعر

فِعش في جد أنوك حالفته * مقادير يساعدها الصواب

وقال آخر

إن المقادير إذا ساعدت * ألحقت العاجز بالحازم

وقال آخر

أرى زماناً نوّكاه أسعد أهله * ولكنه يشقى به كل عاقل

وقال الحسن : تشبه زيادٌ بعمر وأفرط ، وتشبه المجاجٌ بزياد فأهلك الناس .
وقالت الحكماء : فضل الأدب في غير دين مهلكة ، وفضل الرأى إذا لم يستعمل
في رضوان الله ومنفعة الناس قائدٌ إلى الذنوب ، والحفظ الزاكي الواعي لغير العلم
النافع مُضرٌ بالعمل الصالح ، والعقل غير المورع عن الذنوب خازنُ الشيطان .

تنازع آثان : أحدهما سلطاني والآخر سُوقي . فضربه السلطاني فصاح :
وأعمرَاه ! ورُفِعَ خبرُهُ إلى المأمون فأمرُ بادخاله عليه ، قال : مِن أين أنت ؟ قال : من
أهل قَامِيَّة ، قال : إن عمرَ بن الخطاب كان يقول : مَنْ كان جاره نَبِيْطاً واحتاج إلى
ثمنه فليبعه ، فإن كنتَ تطلبُ سيرةَ عمرَ فهذا حكمه فيكم ، وأمر له بألف درهم .

باب ذم فضل الأدب والقول

قيل لبعض الحكماء : متى يكون الأدب شراً من عدمه ؟ قال : إذا كَبُرَ الأدبُ
ونقصَ العقلُ . وكانوا يكرهون أن يزيدَ منطقُ الرجل على عقله . ويقال : من
لم يكن عقله أغلَبَ خصالِ الخيرِ عليه كان حَتْفُهُ في أغابِ خصالِ الخيرِ عليه .
وقال الشاعر

رَأَيْتُ اللِّسَانَ عَلَى أَهْلِهِ إِذَا سَاسَهُ الْجَهْلُ لَيْثًا مُفِيرًا

وقال سليمان بن عبد الملك : زيادةُ منطقٍ على عقلٍ خُدْعَةٌ ، وزيادةُ عقلٍ على
منطقٍ هُجْنَةٌ ، وأحسنُ من ذلك ما زَيْنَ بعضُهُ بعضًا .

قال ضرار بن عمرو لابنته حين زوجها : أَمْسِكِي عَلَيْكَ الْفَضْلَيْنِ : فضلَ الغَلَمَةِ
وفضلَ الكلامِ .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا أَمْسَكَ فَضْلَ الْقَوْلِ وَقَدَّمَ فَضْلَ
الْعَمَلِ .

نزلَ الْمُنْذِرُ بْنُ الْمُنْذِرِ فِي كَتِيبَةٍ مَوْضِعًا ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : أَيْبَتَ اللَّعْنُ إِنْ دُجِبَ رَجُلٌ
هَاهُنَا ، إِلَى أَىِّ مَوْضِعٍ يَبْلُغُ دُمُهُ مِنْ هَذِهِ الرَّابِيعَةِ ؟ فَقَالَ الْمُنْذِرُ : الْمَذْبُوحُ وَاللَّهِ أَنْتَ ،
وَلَا تُنْظَرُونَ أَيْنَ يَبْلُغُ دُمُكَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ حُضُرٍ : « رَبُّ كَلِمَةٍ تَقُولُ [لصاحبها] دَعْنِي » .

(١) الذي في جمع الأمثال للبدائي : أن القائل هو المنذر نفسه .

(٢) الزيادة عن جمع الأمثال للبدائي .

قال زياد على المنبر : إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يقطع بها ذنب عثر مصور ولو بلغت إمامه سفكت دمه . وقال أكم بن صيفي : مقتل الرجل بين فكيه . وقال الأحنف : حثف الرجل نجوء تحت لسانه .

باب التوسط في الجدة

- كان دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهم إني أعوذ بك من غنى مبطر^٥ ومن فقير ملب^(١) أو مرب^(١) " ، وكذلك " اللهم لا غنى يطغى ولا فقرا ينسى " .
- وقال أبو المعتمر السامي : الناس ثلاثة أصناف : أغنياء وفقراء وأوساط ، فالفقراء موتى إلا من أغناه الله بعز القناعة ، والأغنياء سكارى إلا من عصمه الله بتوقع الغير ، وأكثر الخير مع أكثر الأوساط وأكثر الشر مع الفقراء والأغنياء لسخيف الفقر وبطر الغنى . ومن أمثال العرب في هذا : « بين الميخة والعجفاء » .

باب الاقتصاد في الإنفاق والإعطاء

- قال الله عز وجل : (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ) ، وقال عز وجل : (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) .
- حدثني أحمد بن الحليل عن مسلم بن إبراهيم عن سكين بن عبد العزيز عن إبراهيم بن مسلم عن أبي الأحوص عن عبد الله قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مَا عَالَ مُقْتَصِدٌ " .

وحدثني أيضا عن مسلم قال حدثنا أبو قدامة الحارث بن عبيد قال حدثنا برد بن سنان عن الزهري قال ، قال أبو الدرداء : حسن التقدير في المعيشة أفضل من نصف الكسب ، ولقط حبا منتورا وقال : إن فقه الرجل رفقه في معيشته .

(١) من ألَب بالمكان وأرب به : أقام به ولزمه .

قال أبو الأسود لولده: لا تُجاوِدُوا اللهَ فإنه أجود وأمجّد، وإنه لو شاء أن يُوسّع على الناس كلّهم حتى لا يكونَ محتاجٌ لَفعَل، فلا تُجهِدُوا أنفسكم في التوسعة فتَهلكوا هُزلاً. قيل لمحمد بن عمران قاضي المدينة — وهو من ولد طلحة بن عبيد الله — : إنك تُسبُّ إلى البخل، فقال : والله إني لا أجدُّ في الحق ولا أدوبُ في الباطل . وكان يقال : لا تُصنَّ كثيراً عن حقٍّ ولا تُنفِقَ قليلاً في باطل . ومن أمثال العرب في ذلك « لا وكس ولا شطط » و « إذا جدَّ السؤالُ جدَّ المنع » . وقال الشاعر

إلا أكنّ كلَّ الجِوَادِ فإني * على آزاد في الظلّماء غير لئيم
وإلا أكن كلَّ الشجاعِ فإني * أرْدُ سنان الرمح غير سليم
وقد علمتُ علياً هوازناًني * فتأها وسُفلى عامي وتميم
قال معاوية : ما رأيتُ شرفاً قط إلا وإلى جانبه حقٌّ مُضيعٌ .

أفعال من أفعال السادة والأشراف

حدثني الرّياشي قال حدثنا الأصمعي قال حدثنا ابن عمران قاضي المدينة أن طلحة كان يقال له : [طلحة]^(١) أخيره، وطلحة ألبياض، وطلحة الطّاحات وأنه فدى عشرة من أسارى بدر وجاء يمشي بينهم، وأنه سُئل برّحم فقال : ما سُئلتُ بهذه الرّحم قبل اليوم، وقد بعْتُ حائطاً لي بتسعمائة ألف درهم وأنا فيه بالخيار، فإن شئتُ أرجعته وأعطيتك، وإن شئتُ أعطيتك ثمنه .

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال أخبرني شيخ من مشيختنا، — وربما قال : هارون الأعور — أن قتيبة بن مسلم قال : أرسلني أبي إلى ضرار بن القعقاع بن معبد ابن زُرارة فقال : قل له قد كان في قومك دماء وإجراح، وقد أحبّوا أن تحضّر المسجدَ فيمن يحضّر، قال : فأتيته فأبلغته فقال بإجارية : غديني، فجاءت بأرغفة

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

- حُسَيْنٍ فَرَدْتَهُنَّ فِي مَرِيَسٍ ثُمَّ بَرَّقَتْنِ فَأَكَلَ، قَالَ قَتِيْبَةٌ: بِفَعْلٍ شَأْنُهُ يَصْغُرُ فِي عَيْنِي وَنَفْسِي، ثُمَّ مَسَحَ يَدَهُ وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، حِنْطَةُ الْأَهْوَازِ وَتَمْرُ الْفِرَاتِ وَزَيْتُ الشَّامِ، ثُمَّ أَخَذَ نَعْلَيْهِ وَأَرْتَدَى، ثُمَّ انْطَلَقَ مَعِيَ وَأَتَى الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ أَحْتَبَى، فَمَا رَأَتْهُ حَلَقَةٌ إِلَّا تَقَوَّضَتْ إِلَيْهِ، فَاجْتَمَعَ الطَّالِبُونَ وَالْمَطْلُوبُونَ فَأَكْثَرُوا الْكَلَامَ، فَقَالَ: إِلَى مَاذَا صَارَ أَمْرُهُمْ؟ قَالُوا: إِلَى كَذَا وَكَذَا مِنْ إِبْلِ، قَالَ: هِيَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَامَ.
- الهَيْثَمُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ مَعْدِيكَرِبُ بْنُ أَبِرْهَةَ جَالِسًا مَعَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ عَلَى سَرِيرِهِ فَأَتَى بِفَتْيَانٍ قَدْ شَرَبُوا الْخَمْرَ، فَقَالَ: يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ، أَتَشْرَبُونَ الْخَمْرَ! فَقَالَ مَعْدِيكَرِبُ: أُنْشِدُكَ اللَّهَ أَنْ تَفْضَحَ هَؤُلَاءِ، فَقَالَ: إِنْ أَلْحَقَ فِي هَؤُلَاءِ فِي غَيْرِهِمْ وَاحِدًا، فَقَالَ مَعْدِيكَرِبُ: يَا غُلَامُ صُبَّ مِنْ شَرَابِهِمْ فِي الْقَدَحِ، فَصَبَّ لَهُ فَشَرَبَهُ وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا شَرَبْنَا فِي مَنَازِلِنَا إِلَّا هَذَا، فَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: خَلَوْا عَنْهُمْ، فَقِيلَ لَهُ: حِينَ أَنْصَرَفُوا: شَرِبْتَ الْخَمْرَ! فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ إِنْ اللَّهَ لَيَعْلَمُ أَتَى لَمْ أَشْرَبْهَا قَطُّ فِي سِرٍّ وَلَا عَلَانِيَةٍ، وَلَكِنِّي كَرِهْتُ أَنْ يُفْضَحَ مِثْلُ هَؤُلَاءِ بِمَحْضَرِي.
- وَحَدَّثَنِي شَيْخُنَا قَالَ: مَدَحَ شَاعِرُ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ، فَقَالَ لَهُ: احْتَكِمْ، وَظَنَّ أَنْ هَمَّتْهُ قَصِيرَةٌ، فَقَالَ: أَلْفَ نَافَةٍ، فَوَجَّمَ الْحَسَنُ وَلَمْ يُمْكِنْهُ، وَكَرِهَ أَنْ يُفْضَحَ وَقَالَ: يَا هَذَا إِنْ بَلَدُنَا لَيْسَتْ بِلَادَ إِبْلِ، وَلَكِنْ مَا قَالَ أَمْرُ الْقَيْسِ
- إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ إِبْلٌ فَمِعَزَى * كَأَنَّ قُرُونًا جَلَّتْهَا الْعِصَى^(٥)
- قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِأَلْفِ شَاةٍ، فَأَلْقَى يَحْيَى بْنُ خَافَانَ، فَأَعْطَاهُ بِكُلِّ شَاةٍ دِينَارًا.

(١) فِي هَامِشِ النُّسخَةِ الْغُتُوغَرَاْفِيَّةِ: «الْمَرِيَسُ تَمْرُوزِيَّةٌ»، وَفِي الْقَامُوسِ أَنَّهُ التَّمْرُ الْمَرْمُوسُ أَوْ اللَّبَنُ.

(٢) بَرَقَ الطَّعَامُ بَرَبْتُ أَوْ سَمِنَ: جَعَلَ فِيهِ مِنْهُ قَلِيلًا. قَامُوسٌ.

(٣) هَكَذَا بِالنُّسخِ الَّتِي بِيَدِنَا، وَظَاهِرُ الْكَلَامِ يَتَوَقَّفُ عَلَى "لَا" النَّافِيَةِ.

(٤) فِي الْأَصْلِ بِمِصْرَى وَهُوَ تَحْرِيفٌ. (٥) فِي الْأَصْلِ: عِصَى. وَالتَّصْحِيحُ عَنْ الدِّيَوَانِ وَالْأَغَانِي.

قال : وقدم زائر على أبي دُلَيْف فأمر له بألف دينار وكُسوة ثم قال - ويقال إن الشعر لعبد الله بن طاهر -

أَعْجَلْتَنَا فَأَتَاكَ عَاجِلُ بَرْنَا * قَلَّا وَلَوْ أَمَهَلْتَنَا لَمْ يَقْلِيلِ
نَخَذِ الْقَلِيلَ وَكُنْ كَأَنَّكَ لَمْ تَقُلْ * شَيْئًا ، وَنَحْنُ كَأَنَّا لَمْ نَفْعَلِ

وقال بعض الشعراء

ليس جودُ الفَتَيَانِ من فضلِ مَالٍ * إنما الجودُ لِلْقِلِّ المُوَاسِي

وقال دَعِيزٌ في نحوه

لئن كنتَ لَا تُؤَلِّي يَدًا دُونَ إِمْرَةٍ * فَلَسْتَ بِمُؤَلِّ نَائِلًا آخَرَ الدَّهْرِ
فَأَيُّ إِنَاءٍ لَمْ يَفِضْ عِنْدَ مِلْئِهِ ! * وَأَيُّ بَحْيِيلٍ لَمْ يُنَلِّ سَاعَةَ الْوَقْرِ !
وليس الفتى المعطى على اليسر وحده * ولكنه المعطى على العسر واليسر

ابن الكلبي قال : أخبرني غير واحد من قريش قالوا : أراد عبد الله وعبيد الله ابنا العباس أن يقسما ميراثهما من أبيهما بمكة ، فدعى القاسم ليقسم ، فلما مَدَّ الحبل قال له عبد الله : أقيم المِطْمَرُ ، يعني الحبل الذي يمد . فقال له عبيد الله : يا أخى ، الدارُ دارك لا يُمدُّ والله فيها اليومَ مِطْمَرٌ . وكان يقال : مَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ وَالسَّخَاءَ وَالْجَمَالَ فليأتِ دارَ العباس * كان عبدُ الله أعلمَ النَّاسِ ، وعبيدُ الله أَسْعَى النَّاسِ ، والفضلُ أَجْمَلُ النَّاسِ .

باع عبدُ الله بنُ عتبةَ أرضاً بثمانين ألفاً ، ففيل له : لو اتخذتَ لولدك من هذا المالَ ذُخْرًا ! فقال : أنا أجعلُ هذا المالَ ذُخْرًا لى عند الله ، وأجعلُ الله ذُخْرًا لولدى ، وقسمَ المالَ .

ويقال : إن أولَ ما عُرِفَ به سُؤدُدُ خالد بن عبد الله القسرى أنه مرَّ في بعض طرقِ دِمَشْقَ وهو غلامٌ فأوطأَ فرسهَ صبيًا فوقفَ عليه ، فلما رآه لا يتحركَ أمرَ غلامه

فعله، ثم انتهى به إلى أول مجلس مر به فقال : **إِنْ حَدَّثَ هَذَا الْغُلَامُ حَدَّثَ الْمَوْتَ**
فأنا صاحبه، أوطأته فرسى ولم أعلم .

قال عدي بن حاتم لأبني له حديث : **قُمْ بِالْبَابِ فَمَنْعَ مَنْ لَا تَعْرِفُ وَأَذِّنْ لِمَنْ**
تَعْرِفُ، فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ، لَا يَكُونُ أَوَّلُ شَيْءٍ وَلَيْتُهُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا مَنَعَ قَوْمٍ مِنَ
الطَّعَامِ .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : ضاف بني زياد العبيسيين ضيفاً، فلم يشعروا
إلا وقد احتضن أمهم من خلفها . **فَرَفَعَ ذَلِكَ إِلَى رَبِيعِ بْنِ زِيَادٍ الْكَامِلِ فَقَالَ :**
لَا يُضَارُّ اللَّيْلَةَ عَائِدُ أَتَى، إِنَّهُ عَادَ بِحَقْوِيهَا .

المدائني قال : أحدث رجل في الصلاة خلف عمر بن الخطاب ، فلما سلم عمر
قال : **أَعِزُّمُ عَلَى صَاحِبِ الضَّرْطَةِ إِلَّا قَامَ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى، فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ،** فقال جرير
ابن عبد الله : **يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعِزُّمُ عَلَى نَفْسِكَ وَعَلَيْنَا أَنْ نَتَوَضَّأَ ثُمَّ نَعِيدَ الصَّلَاةَ،**
فَأَمَّا نَحْنُ فَتَصِيرُ لَنَا نَافِلَةٌ، وَأَمَّا صَاحِبُنَا فَيَقْضَى صَلَاتُهُ، فقال عمر : **رَحِمَكَ اللَّهُ، إِنَّ**
كُنْتُ لَشَرِيفًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقِيهَا فِي الْإِسْلَامِ .

كان عبد الله بن جُدعان التيمي حين كبر أخذ بنو تيم عليه ومنعوه أن يعطى شيئاً
من ماله ، فكان الرجل إذا أتاه يطلب منه قال : **ادْنُ مِنِّي،** فإذا دنا منه لطمه ثم قال :
اذهب فاطلب بلطمتك أو تُرضى ، فترضيه بنو تيم من ماله . وفيه يقول ابن قيس
الرُّقِيَّات — حين غر بصاده فريش —

والذي إن أشار نحوكَ لَطْمًا * تَبْسَعُ اللَّطْمَ نَائِلٌ وَعَطَاءُ

وَأَبْنُ جُدْعَانَ هُوَ الْقَائِلُ

إني وإن لم يتل مالى مَدَى خُلُقِي * وَهَابُ مَا مَلَكَتْ كَفِّي مِنَ الْمَالِ
لَا أَحْبِسُ الْمَالَ إِلَّا رَيْثَ أَتْلِفُهُ * وَلَا تُغَيِّرُنِي حَالٌ عَنِ الْحَالِ

الهيثم عن حماد الراوية عن مشايخ طي قالوا : كانت عنبه بنت عفيف أم حاتم
لا تُليق شيئاً سخاءً وجوداً، فمنعها إخوتها من ذلك فأبت، وكانت مُوسرةً فحبسوها
في بيت سنة يُطعمونها قوتها رجاء أن تكف، ثم أخرجوها بعد سنة وظنوا أنها قد
أقصرت ودفَعوا إليها صرمة^(٣)، فأنتها امرأة من هوازن فسألتها فأعطتها الصرمة وقالت :
والله لقد مسني من الجوع ما آليت معه ألا أمنع سائلاً شيئاً، وقالت

لعمري لقد ما عَضَنِي الْجُوعُ عَضَّةً * فَأَلَيْتُ أَلَّا أَمْنَعَ الدَّهْرَ جَائِعاً
فَقُولَا لِهَذَا أَلَّا لَيْمِي أَلَّا أَعْفَى * فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَعَضَّ الْأَصَابِعَا
[فإذا عساكم أن تقولوا لأختكم ■ سوى عذلكم أو عذل من كان مانعاً]
ولا ما تَرَوْنَ الدَّهْرَ إِلَّا طَبِيعَةً * فَكَيْفَ بَتَرَكِي يَا بِنَ أُمِّ الطَّبَائِعَا

أبن الكلبي عن أبيه عن رجال طي قالوا : كان حاتم جواداً شاعراً، وكان حينما
نَزَلَ عُيْرَفَ مَزلُهُ، وكان ظَفِيراً إذا قَاتَلَ غَلَبَ، وإذا غَنِمَ أَنْهَبَ، وإذا سُئِلَ وَهَبَ،
وإذا ضَرَبَ بِالْقِدَاجِ سَبَقَ، وإذا أَسْرَأَ أَطْلَقَ، وكان أقْسَمَ بالله : لا يَقْتُلُ وَاحِدًا مِّنْهُ .

(١) كذا بالنسختين بعين مهملة وفون وباء موحدة بعدها . و يوافقه ما في الشعر والشعراء للؤلؤ وعلق
عليه ناشره بأنه يروى «عنبه» و«غنية» أنظر نسخة طبعة أوربا ص ١٢٣ و١٢٤ . وفي الأغاني طبع بولاق
ج ١٦ ص ٩٧ «عنبه» . وكذا في شعراء النصرانية وعلق عليه الناشر بأنه في رواية الميداني «غنية» . أنظر
نسخة طبع بيروت ص ٩٨

(٢) لا تُليق : لا تُمسك .

(٣) القطعة من الابل واختلف في عددها من العشرة الى الخمسين .

(٤) زيادة عن الأغاني وشعراء النصرانية .

(٥) كذا بالنسختين . وفي الأغاني وشعراء النصرانية : «وماذا ترون اليوم» الخ . وفي هامش نسخة
الشعر والشعراء : «فهل ما ترون اليوم» الخ .

أبو أليقظان قال : أخذ عبيد الله بن زياد عروة بن أذينة ^(١) [أخا] ^(٢) أبي بلال فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب داره ، فقال لأهله : أنظروا هؤلاء الموكلين بي فأحسنوا إليهم فإنهم أضياؤكم .

سفيان بن عيينة قال : كان سعيد بن العاص إذا أتاه سائل فلم يك عنده ما سأل قال : اكتب عليّ بمسألتك سجلاً إلى أيام يسرى .

باع أعرابي ناقه له من مالك بن أسماء ، فلما صار الثمن في يده نظر إليها فدرّفت عيناه ، ثم قال

وقد تنزع الحاجات يا أمّ معمر * كرائم من ربّ يهين ضنين

فقال له مالك : خذ ناقك وقد سوغتكَ الثمن . اشترى عبيد الله بن أبي بكره جارية نفيسة فطليبت دابة تحمل عليها فلم توجد ، بخاء رجل بداية فحملها ، فقال له عبيد الله : اذهب بالجارية إلى منزلك . باع ثابت بن عبيد الله بن أبي بكره دار الصفاق من مقاتل بن مسمع نسيئة ثم اقتضاه فلزمه في دار أبيه ، فرآه عبيد الله فقال : مالك ؟ قال : حبسني ابتك . قال : بيم ؟ قال : بئس دار الصفاق . قال : يا ثابت أما وجدت لغرومك محبسا إلا داري ، إدفع إليه صكّه وأعوضك . قيل لرجل : مالك تنزل في الأطراف ؟ فقال : منازل الأشراف في الأطراف يتناولون ما يريدون بالقدره ويتناولهم من يريدهم بالحاجة . لما كبر عدي بن حاتم آذاه برد الأرض وكان رجلا

(١) كذا بالسجّين الألبانية والقنوقرية وهو مخزف من "أذينة" وعروة بن أذينة هذا هو الذي قتله عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان فومن قتل من الخوارج سنة ٥٨ هجرية . أنظر تاريخ ابن جرير الطبري طبع أورد في الجبل الثاني من القسم الثاني ص ١٨٥ و ١٨٦ والكمال طبع أورده ص ٥٩٢ و ٥٩٣ و ٥٩٤ .
(٢) هذه اللفظة ساقطة بالأصلين سهوا من النسخ لأن المكيّ أبي الازل النمّا هو أخوه مرداس بن أذينة لا هو . أنظر ابن جرير أيضا في ص ١٨٥ والمعارف لابن قتيبة ص ٢٠٩

لَحِيماً فَهَشَيْتِ الْأَرْضَ نَفْذِيهِ جَمْعَ قَوْمِهِ فَقَالَ : يَا بَنِي ثَعْلٍ ، إِنِّي لَسْتُ بِخَيْرِكُمْ إِلَّا أَنْ تَرَوْا
 ذَلِكَ فَقَدْ كَانَ أَبِي بِمَكَانٍ لَمْ يَكُنْ بِهِ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ ، بَنَى لَكُمْ الشَّرَفَ وَفَنَى عَنْكُمْ الْعَارَ
 فَأَصْبَحَ الطَّائِيُّ إِذَا فَعَلَ خَيْرًا قَالَ الْعَرَبُ : مِنْ حَيٍّ لَا يُحْمَدُونَ عَلَى الْجُودِ وَلَا يُعَذَّرُونَ
 عَلَى الْبُخْلِ ، وَقَدْ بَلَغَتْ مِنَ السِّنِّ مَا تَرَوْنَ وَأَذَانِي بَرْدُ الْأَرْضِ فَأَذْنُوا لِي فِي وِطَاءٍ فَوَاللَّهِ
 مَا أُرِيدُهُ نَخْرًا عَلَيْكُمْ وَلَا احْتِقَارًا لَكُمْ ، وَسَأُخْبِرُكُمْ : مَا عَلَى مَنْ وَضَعَ طَنْفَ سَهْلٍ وَقُعْدَ
 حَوْلِهِ إِلَّا أَنْ الْحَقَّ عَلَيْهِ أَنْ يَذَلَ فِي عِمْرَانِهِ وَيَتَخَدَّعَ فِي مَالِهِ وَلَا يَحْسُدَ شَرِيفًا وَلَا يَحْقِرَ
 وَضِيعًا ، فَقَالَ الْقَوْمُ : دَعْنَا الْيَوْمَ ، ثُمَّ خَدَّوْا عَلَيْهِ فَقَالُوا : يَا أَبَا طَرِيفِ ضَعِ الطَّنْفَ سَهْلًا
 وَالْبَسِ التَّاجَ ، فَبَلَغَ ابْنَ دَارَةَ الشَّاعِرَ فَأَتَاهُ وَقَالَ : قَدْ مَدَحْتُكَ ، فَقَالَ : أَمْسِكْ عَلَيْكَ
 حَتَّى أَتُبْنِكَ بِمَالِي فَتَمْدَحَنِي عَلَى حَسَبِهِ ، لِي أَلْفُ ضَائِنَةٍ وَأَلْفَا دِرْهَمًا وَثَلَاثَةُ أَعْمِدٍ ،
 وَفَرَسِي هَذَا حَبِيسٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، هَاتِ الْآنَ فَقَالَ

تَحْنُ قُلُوصِي فِي مَعَدٍّ وَإِنَّمَا * تُلَاقِي الرَّبِيعَ فِي دِيَارِ بَنِي ثَعْلٍ
 وَأَبْقِ الْيَالِي مِنْ عَدِي بْنِ حَاتِمٍ * حُسَامًا كَلَوْنِ الْمِلْحِ سُلٍّ مِنْ الْحَلَلِ^(٢)
 أَبُوكَ جَوَادٌ مَا يُسْقَى غُبَارُهُ * وَأَنْتَ جَوَادٌ لَسْتُ تُعَذَّرُ بِالْعِلَلِ
 فَإِنْ تَفْعَلُوا شَرًّا فَمُنَابِكُمْ أَتَقِي * وَإِنْ تَفْعَلُوا خَيْرًا فَمُنَابِكُمْ فَعَلِ

فَقَالَ : أَمْسِكْ عَلَيْكَ ، لَا يَبْلُغُ مَالِي أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ، وَشَاطِرُهُ مَالَهُ .

جاء رجل الى معن فاستحملة عيرا فقال معن : يا غلام أعطه عيرا وبغلا ويردونا وفرسا
 وبغيرا وجارية ، ولو عرفت مركوبا غير هذا لأعطيته . وكان يقال : حدث عن
 البحر ولا حرج وعن بني إسرائيل ولا حرج وعن معن ولا حرج . قال رجل من كلب
 للحكم بن عوانة وهو على السند : إنما أنت عبد ، فقال الحكم : والله لأعطينك عطية

(١) في العقد الفريد ج ١ ص ١١٧ زيادة « وثلاث إماء » .

(٢) رواية العقد الفريد ج ١ ص ١١٧ « كنصل السيف » .

لا يعطيها العبد فأعطاه مائة رأس من السبي. وقرأت في بعض كتب العجم أن جامات كسرى التي كان يأكل فيها كانت من ذهب، فسرق رجل من أصحابه جاما وكسرى ينظر إليه، فلما رُفعت الموائد آفتقد الطباخ الجسام فرجع يطلبها، فقال له كسرى: لا تتعق فقد أخذها من لا يردّها وراه من لا يُقشّي عليه، ثم دخل عليه الرجل بعد ذلك وقد حلّى سيفه ومنطقته ذهبا، فقال له كسرى بالفارسية: يا فلان هذا، يعنى السيف، من ذلك قال: نعم وهذا، وأشار إلى منطقته. قالوا: لم يكن لخالد بن برمك أخ إلا بنى له دارا على قدر كفايته ووقف على أولاد الإخوان ما يعيشهم أبدا ولم يكن لإخوانه ولد إلا من جارية هو وهبها له.

بلغ ابن المقفع أن جارا له يبيع دارا له لدين ركبته وكان يجلس في ظل داره، فقال: ما قتت إذا بجرمة ظل داره إن باعها معديما وبت واجدا، فحمل إليه ثمن الدار وقال: لا تسع. قال أبو اليقظان: باع نبيك بن مالك بن معاوية إبله وأنطلق بثمنها إلى متى فجعل ينهبه، والناس يقولون: مجنون، فقال: لست بمجنون ولكني سمع أنيكم مالى إذا عمر الفتح. قال: وأتى عبد الله بن جعفر قهرمانه بحسابه فكان في أوله جبل بمئتين درهما، فقال عبد الله: لقد غلبت الجبال، فقال القهرمان: إنه أبرق، فقال عبد الله: إن كان أبرق فأنا أجيّزه، فهو الآن مثل مضروب بالمدينة. كان أبو سفيان إذا نزل به جار نال له: يا هذا، إنك قد اخترتني جارا بخناية يدك على دونك، وإن جنت عليك يدناحتكم على حكم الصبي على أهله. وقال بعض الشعراء: — يئني على قوم بحسن الجوار —

هم خلطوني بالنفسوس ودافعوا * ورأى بركن ذى مناكب مدفع
وقالوا تعلم أن مالك إن يصب * يعدك وإن تُحبس يردك ويسفع

وروى عبد الله بن بكر السهمي عن حاتم بن أبي صغيرة عن حبيب بن أبي ثابت أن الحارث بن هشام وعكرمة بن أبي جهل وعياش بن أبي ربيعة خرجوا يوم اليرموك

حتى أَتَبَتُوا، فدعا الحارثُ بنُ هشامَ بماءٍ ليشربه، فنظر إليه عكرمةُ فقال: ادفعه الى عكرمةِ
فنظر اليه عيَّاشٌ فقال عكرمةُ: ادفعه الى عيَّاشٍ، فما وصل إلى عيَّاشٍ حتى مات ولا عاد
اليهم حتى ماتوا، فسُمِّيَ هذا حديثَ الكرام. وهذا الحديث عندى موضوع لأن أهل
السيرة يذكرون أن عكرمةَ قُتِلَ يومَ أَجنادينَ وعيَّاشُ ماتَ بمكة، والحارثُ مات
بالشَّامَ في طاعونِ عَمَواس^(١).

أعطى رجلُ امرأةً سألتَه مالا عظيما، فلاموه وقالوا: إنها لا تَعْرِفُكَ وإنما كان
يُرضيها اليسيرُ. فقال: إن كنتَ تَرْضَى باليسيرِ فأنى لا أرضى إلا بالكثيرِ وإن كانت
لا تَعْرِفُنِي فأنا أعْرِفُ نَفْسِي.

قال بعض الشعراء

وما خيرُ مالٍ لا يَبْقَى الذَّمُّ رَبَّهُ * ونَفْسٍ أَمْرِي فِي حَقِّهَا لَا يُبَيِّنُهَا

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر

أَرَى نَفْسِي تَتَوَقَّ إِلَى أُمُورٍ * وَيَقْصُرُ دُونَ مَبْلَغِهَا حَالِي^(٢)

نَفْسِي لَا تُطَاوِعُنِي بِخَلٍّ * وَمَالِي لَا يُبْلَغُنِي فَعَالِي^(٣)

وقال أيضا

وَلَا أَقُولُ نَعَمْ يَوْمًا فَأَتْبِعُهَا * مَنَعًا وَلَوْ ذَهَبَتْ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ

وَلَا أَؤْتِمِّنُ عَلَى سِرِّ فَبَحْتُ بِهِ * وَلَا مَدَدْتُ إِلَى غَيْرِ الْجَمِيلِ يَدِي

وقال كعب بن سعد الغنوي

وَذِي نَدْبٍ دَامِيَ الْأَطْلِ قَسَمُهُ^(٤) * مُحَافِظَةُ بَنِي وَهَبٍ زَمِيلِي

- (١) هكذا بفتح أوله وسكون ثانيه كما في النسخ وكما نقله دو عن الروض الأثف للسبيل، ثم نقل
أن أصحاب الحديث يحركون الميم وأن البكرى في معجمه ضبطها كذلك. (٢) دو عبد الله بن جعفر كما
في العقد الفريد، ج ١ ص ١١٢ (٣) انتهى في ديوان الحماسة ج ٣ ص ١٠٢ مع شرح التبريزي «عالم».
(٤) في الأصول «ليس يبلغه» وهو غير متفق مع المعنى المراد والتصويب عن ديوان الحماسة مع شرح
التبريزي ج ٣ ص ١٠٢ (٥) الأطل بطن الأصبع من الإنسان، ومن الإبل بطن المنعم.

وزاد رفعت الكف عنه ثجلاً • لأوثر في زادي على أكيلى
وما أنا للشيء الذى ليس نافعى * ويفضّب منه صاحبي بقؤول

وقال زهير

وأبيض فياض يده غمامة • على معتقيه ما تغب نوافله
غدت عليه غدوة فوجدته • قعوداً لديه بالصريم عاذله
فأعرض منه عن كريم مرزاً • جموع على الأمر الذى هو فاعله
أحى نقة لا تذهب الخمر ماله • ولكنه قد يذهب المال نائله
تراه اذا ما جتسه مهلاً • كأنك تعطيه الذى أنت سائله

المدائنى قال : أضل فيروز بن حصين سوطه يوماً ، فأعطاه رجل سوطاً فأمر له
بالف درهم ، ثم أتاه بعد حول فقال : من أنت ؟ قال : صاحب السوط فأمر له بالف
درهم ، ثم أتاه بعد حول فقال : من أنت ؟ قال : صاحب السوط ، قال : أعطوه
ألف درهم ومائة سوطاً فأنقطع عنه . قال الشاعر

إلى حدت بني شيبان إذ نحدث • نيران قومي فشببت فيهم النار
ومن تكروهم في المحل أنهم • لا يحسب الجار فيهم أنه جار

وقال آخر

نزلت على آل المهلب شائباً • بعيداً قصي الدار في زمن محلي
فما زال في إلفهم وأفقادهم • وإكرامهم حتى حسبتهم أهلي

وقال آخر

إذا كان لي شيبان يا أم مالك • فإن يحارى منها ما تخيرا

(١) في الأصل « لا يذهب الخمر » وهو تحريف ، وتصويب عن الديوان وشعر الشعراء لابن قتيبة .

وقال عمرو بن الأَتم

ذَرِينِي فَإِنَّ الشَّحَّ ^(١) يَا أُمَّ هَيْمٍ * لِصَالِحِ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ سَرُوقُ
 ذَرِينِي وَحُطِّي فِي حَوَايَ فَإِنِّي * عَلَى الْحَسَبِ الْعَالِي الرَّفِيعِ شَفِيقُ ^(٢)
 وَمُسْتَمْنَحٍ بَعْدَ الْهُدُوءِ دَعْوَتُهُ * وَقَدْ كَانَ مِنْ سَارَى الشَّتَاءِ طُرُوقُ
 فَقُلْتُ لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا * فَهَذَا مَيْيَتٌ صَالِحٌ وَصَدِيقُ
 أَضَفْتُ فَلَمْ أُخِشْ عَلَيْهِ وَلَمْ أَقُلْ * لِأَحْرَمَتِهِ إِنَّ الْفِنَاءَ مَضِيقُ
 لَعَمْرُكَ مَا ضَاقَتْ بِلَادُ بَاهِلَاهَا * وَلَكِنْ أَخْلَاقُ الرِّجَالِ تَضِيقُ

كان يقال : للعباس بن عبد المطلب ثوبٌ لِعَارِي بنِي هَاشِمٍ ، وَجَفَنَةٌ لِحَارِهِ ^(٤)
 وَمِقْطَرَةٌ لِحَاهِلِهِمْ . قال بكر بن النطاح

وَلَوْ خَذَلْتُ أَمْوَالَهُ جُودَ كَفِّهِ * لَقَاسَمَ مَنْ يَرْجُوهُ بَعْضَ حَيَاتِهِ
 وَلَوْ لَمْ يَحْدِثْ فِي الْعُمُرِ قِسْمًا لَزَائِرٍ * لِحَادِّ لَهُ بِالْشَّطْرِ مِنْ حَسَنَاتِهِ

وقال الفرزدق

إِنَّ الْمَهَابَةَ الْكَرَامَ تَحْمَلُوهَا * دَفَعَ الْمَكَارَهَ عَنْ ذَوَى الْمَكْرُوهِ
 زَانُوا قَدِيمَهُمْ بِحَسَنِ حَدِيثِهِمْ * وَكَرِيمَ أَخْلَاقٍ بِحَسَنِ وَجْهِهِ

كان يقال : الشَّرْفُ فِي السَّرْفِ . قال عامر بن الطفيل

إِذَا نَزَلَتْ بِالنَّاسِ يَوْمًا مُلَمَّةٌ * تَسُوقُ مِنَ الْإَيَّامِ دَاهِيَةً إِذَا

(١) في الأصل «الشيخ» وهو تحريف والتصويب عن شرح ديوان الحماسة للبريزي ، ج ٤ ص ٩٤

(٢) في الأصل : حُطِّي بِالْفَاءِ الْمَعْجَمَةِ ، والتصحيح عن شرح ديوان الحماسة للبريزي ، ج ٤ ص ٩٤
 وتاج العروس في مادة «حط» ويقال كما في أساس البلاغة : «حط في دواء وانحط فيه» أي اندفع فيه

والمراد منه في البيت مساعدته على الجود . (٣) الذي في شرح ديوان الحماسة للبريزي ج ٤ ص ٩٤

«الزأكي» . (٤) هي خشبة فيها خروق كل خرق على قدر سعة الساق يدخل فيها أرجل المحبوسين .

دَلَفْنَا لَهَا حَتَّى نَقُومَ مَيْلَهَا * وَلَمْ نَهْدَ عَنْهَا بِالْأَسِنَّةِ أَوْ تَهْدَا
وَكَمْ مَظْهَرٍ بَغْضَاءَنَا وَدَّ أَنْسَا * إِذَا مَا التَّقِينَا كَانَ أَخْفَى الَّذِي أَبْدَى
مَطَاعِيمُ فِي اللَّأْوَا مَطَاعِينُ فِي الْوَعَى * شَمَّالْنَا تَتَكَّى وَأَيْمَانُنَا تَتَدَى

وقال حاتم طي^(١)

أَكُفَّ يَدِي مِنْ أَنْ تَتَالَ أَكْفَهُمْ * إِذَا مَا مَدَدْنَاهَا وَحَاجَتُنَا مَعَا
وَإِنِّي لَا أُسْتَجِي رَفِيقِي أَنْ يَرَى * مَكَانَ يَدِي مِنْ جَانِبِ الزَّادِ أَقْرَعَا

وقال جابر بن حبان^(٢)

فَإِنْ يَقْتَسِمُ مَالِي بَيْنِي وَنِسْوَتِي * فَلَنْ يَقْسِمُوا خُلُقِي الْكَرِيمَ وَلَا فَعْلِي
وَمَا وَجَدَ الْأَضْيَافُ فِيمَا يَنْوِبُهُمْ * لَهْمُ عِنْدَ عِلَالِ النَّفُوسِ أَبَا مِثْلِي^(٤)
أَهَيْنُ لَهُمْ مَالِي وَأَعْلَمُ أَتَى * سَأُورِثُهُ الْأَحْيَاءَ سِيرَةً مِنْ قَبْلِ

كان سعيد بن عمرو مؤاخيا ليزيد بن المهلب . فلما حبس عمر بن عبد العزيز يزيد
ومُنِعَ من الدخول عليه ، أتاه سعيد فقال : يا أمير المؤمنين ، لي علي يزيد خمسون ألف
درهم وقد حُلَّتْ بيني وبينه ، فإن رأيت أن تأذن لي فَأَقْضِيهِ ؟ فَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ
فَمَرَّ بِهِ يَزِيدُ ، وَقَالَ : كيف وصلت إلي ، فأخبره ، فقال يزيد : والله لا تخرج إلا وهي
معك فامتنع سعيد خلف يزيد ليقبضَها ، فقال عدي بن الرقاع

(١) كذا في الأصل . ورواية الحماسة مع شرح التبريزي ج ٤ ص ١١٨

أَكُفَّ يَدِي عَنْ أَنْ يَتَالَ التَّمَّاسُ * أَكُفَّ حِجَابِي حِينَ حَاجَتُنَا مَعَا

(٢) هكذا في الأصول « حبان » بالباء الموحدة . والذي في ديوان الحماسة مع شرح الخطيب التبريزي

ج ٤ ص ١١٦ « حبان » بالهـ ، المثناة . (٣) في شرح ديوان الحماسة للتبريزي ، ج ٤ ص ١١٦

« وإخوتي » . (٤) الذي في شرح ديوان الحماسة للتبريزي ج ٤ ص ١١٧ « عِلَالَتِ الرِّمَانِ » .

لم أر محبوباً من الناس واحداً * حباً زائراً في السجن غير يزيد
سعيد بن عمرو إذ أتاه أجازته * بمخسبين ألفاً عَجَّلت لسعيد

وقال بعض الشعراء

وإني لحلال في الحق، أتقى * إذا نزل الأضياف أن أتجهماً
إذا لم تزد ألبانها عن لحومها * حلبنا لهم منها بأسياقنا دماً

دخل شاعر على المهدي فامتدحه ، فأمر له بمال فلما قبضه فزقه على من حضر وقال
لمست بكفى كفه أبتغي الغنى * وما خلت أن الجود من كفه يُعدي
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى * أفدت وأعداني فبددت ما عندي

أخبرني أبو الحسن علي بن هارون الهاشمي قال * أخبرني وكيع قال حدثني
أبو العيناء قال : كان بالبصرة لنا صديق يهودي وكان ذا مالٍ وقد تأدب وقال الشعر
وعرف شيئاً من العلوم وكان له ولد ذكرٌ فلما حضرته الوفاة جمع ماله وفزقه على
أهل العلم والأدب ولم يترك لولده ميراثاً فموتب على ذلك فقال

رأيت مالى أبى من ولدى * فالיום لا نخلة ولا صدقة
من كان منهم لها فأبعده الله * من كان صالحاً رزقه

ومدني الأحمش بهذا الخبر عن المبرد عن الرياشي والله أعلم

نجز الجزء الثالث وبه ينتهي المجلد الأول ويتلوه في أول المجلد الثاني
الجزء الرابع وبه كتاب الطبائع



**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

